الدكتور محمد كمال عز الدين

التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني

دار اقرا

المنهج التاريخي

الطبعة الاولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

دار اقرأ
للنشر والتوزيع والطباعة

سنتر ملكارت التجاري - الرملة البيضاء
هاتف : ٨٠٦٢٥٢ - ص. ب. : ١٣٥٨١٨ بيروت
لبنان

التاريخ والمنهج التاريخي

لابن حجر العسقلاني

الدكتور محمد كمال الدين عز الدين
جامعة عين شمس

الرموز والمختصرات

الانباء	**:**	**انباء الغمر بأنباء العمر**
ت	:	توفي، المتوفي، تحقيق
تر	:	ترجمة
ج	:	جزء
د	:	دكتور
ص	:	صفحة
ط	:	طبعة
م	:	ميلادية
مج	:	مجلد
مخط	:	مخطوط
هـ	:	هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة البحث

شهد القرنان الثامن والتاسع من الهجرة نبوغ الكثيرين من أعلام الثقافة والفكر في العالم الإسلامي، وكان من بينهم المؤرخون الذين اكتسبوا مكانة فائقة بين المسهمين في الفكر الإسلامي المشكلين لمادته.

لكن تأخرت طويلا العناية بدراسة هذا التراث على أسس منهجية قائمة على النظرة العلمية المتأنية، القائمة على العمق والتقصي والنقد، نتيجة لخطأ شائع مفاده أن نتاج هذين القرنين ليس إلا كتابات تتمثل في الشروح والمختصرات أو الجمع التأليفي (الموسوعي) الخالي من الابتكار والجدة، سواء في المادة أو في المنهج[1].

---

(١) أنظر على سبيل المثال قول جاستون فييت: « .. ولا ينبغي أن ننخدع بتكاثر المدارس الدينية والمساجد في ظل حكم سلاطين المماليك، فليس لذلك علاقة بنبوغ المدرسين، اذ لم يتخلف لنا عنهم اسم واحد عظيم، ولم تخرج هذه المعاهد العلمية الكثيرة شخصية عظيمة أو كاتباً موهوباً، فهي لم تزد على كونها مدارس لتدريس المدرسين، وباستثناء المقدمة لابن خلدون ـ ذلك العالم الفذ الذي تلقى تعليمه في المغرب ـ لم يظهر في القاهرة أي عمل أصيل. وقد تميز هذا القرن بكتاب الموسوعات والسير التي كثيراً ما كانت قليلة العمق، وواضعي المجاميع، فلم تعرف فيه أعمال تتميز بالأصالة. كان هؤلاء الرجال يستحقون في حياتهم عبارات المديح وسيرا موجزة مليئة بالنعوت الرنانة، ولكن أسماءهم تسقط في طيات النسيان » ـ القاهرة مدينة الفن والتجارة ص١٠٧ ـ وكذا ما سوف يناقش بعد قليل من اتجاه أحد الباحثين البغداديين إلى اتخاذ سقوط بغداد سقوطاً شمولياً للتراث الحضاري الانساني.

ولما لم يكن من سبيل إلى رد هذا الادعاء الخاطىء وإلى الافصاح عن الأصالة والجدة في مثل تلك المؤلفات، وتقديم مادة تأريخية متأصلة يعتمدها الباحثون في البناء التأريخي إلا بالدراسة المنهجية المتأنية للعمل الواحد تفهماً لمنهجه وأغراضه، فانه قد اتجه الرأي لدي إلى اتخاذ «انباء الغمر بأنباء العمر» للمؤرخ المصري الشهير «شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني» موضوعاً لهذه الدراسة.

أما الكتاب، فلأنه يعد من بين مؤلفاته التاريخية الكتاب الوحيد الجامع للحوادث والتراجم المعاصرة في حيز الحولية الواحدة، ولكونه معاصراً لمادته مدركاً للكثير منها.

وأما المؤرخ، فلأنه علم من أبرز علماء عصره، الذين اتسعت معارفهم وتخصصاتهم فدخلوا في نطاق الموسوعيين (أصحاب الجمع التأليفي) اذا ما ضمّ تراثهم الذي خلفوه بعضه الى بعض، فلقد اسهم في التأريخ، والأدب، والشعر، والحديث والفقه، والتفسير.. وغيرها، ودخل في نطاق المؤرخين، والأدباء، والشعراء والمحدثين، والفقهاء، والمفسرين.. قياساً بما خلف من دراسات ـ في كل ـ قائمة على الأصالة والعمق.

لكن نتيجة للنظرة السالف بيانها بالنسبة للتراث في ظل دولة المماليك ككل ونتيجة لغلبة جانب المحدث لدى «ابن حجر» على غيره من الجوانب التي نبغ فيها فان الكثيرين ممن عنوا ـ مؤخراً ـ بالتعريف بالحركة الفكرية في ظل الدولة المملوكية قد أثبتوه في جانب المحدثين، اهمالا له في جانب المؤرخين[1] فان تيسر لهم تقديم كلمة عجلى للتعريف به، فانه يأتي في ظل المقريزي، أو في طيات الحديث عنه باعتباره معاصراً لأحد شوامخ التأريخ في

---

(١) Dunlop, Arab Civilization To A.D., I 500 ومارغوليوس. دراسات عن المؤرخين العرب، وقد أسقطا «ابن حجر» من جانب المؤرخين.

مصر، فاذا ما عرضت تلك الكلمة العجلى على المنهج العلمي نجدها قد افتقدت كل مبررات وجودها باهتزاز معناها ومبناها معاً، ودلت على عدم اطلاع ودراسة لفكر الرجل ونتاجه في مجال التأريخ.

ولعله من حسن الطالع أن اتجهت مؤخراً الدراسات الأكاديمية في مصر وغيرها الى اعادة التدقيق والنظر في مؤلفات «ابن حجر» بمنهجية [illegible]؟ فخرجت الى حيز الوجود رسائل جامعية حصلت درجة الدكتوراه في ابن حجر المحدث من جامعة الأزهر، وابن حجر الشاعر - وقد حقق [illegible] ديوان شعره - من جامعة بغداد [1] وابن حجر ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الاصابة في تمييز الصحابة من جامعة بغداد [2] - كذلك - وهذا البحث في ابن حجر والكتابة التاريخية من خلال دراسة انباء الغمر بأنباء العمر، وقد يتبع - قريباً - بدراسة وتحقيق لذيل الدرر الكامنة يعدها أحد الدارسين - الآن - في جامعة الامام بالرياض.

---

(١) دراسة وتحقيق د. السيد أبي الفضل، ط. الهند، ١٩٦٢ م.
(٢) اعداد وتأليف د. شاكر محمود عبدالمنعم، ط. بغداد، الأوقاف - ج ١، ١٩٧٨ م.

تقسيمات البحث

تنقسم هذه الدراسة إلى بابين اثنين بخلاف المقدمة والخاتمة وما ذيل عليها من الملحقات.

أما الباب الأول فقد اشتمل على الترجمة لابن حجر العسقلاني، وقد جعلت في تمهيد وثمانية فصول.

خصص التمهيد للعرض الموجز لعصر ابن حجر وبيئته: سياسياً واقتصادياً وفكرياً وأدبياً.. ليس بهدف التأريخ للدولة المملوكية على وقته، وإنما للتعريف بها لكونها البيئة التي أثرت فيه وفي كتاباته التاريخية سلباً وايجاباً.

أما الفصول الثمانية، فقد ترجمت من خلالها لابن حجر العسقلاني سواء من خلال ما كتبه هو عن نفسه في مؤلفاته التاريخية، أو من خلال ما كتبه عنه غيره من المؤرخين المعاصرين واللاحقين.

فاشتمل **الفصل الأول** على نشأته وتكوينه، من حيث اسمه، ولقبه، وكنيته ونسبه، وأهله، ومذهبه، ومولده، ويتمه، وكفالته، وعنايته بالعلم، والارهاصات الأولى لتكوينه الفكري وتثقيفه الذاتي لأفصل بين فترتين من الاختصاص بالعلم والتخصص فيه.

أما **الفصل الثاني** فقد خصص لحاله الاجتماعية، أشرت فيه إلى زوجاته وسريته وأولاده وسبطه.

واشتمل **الفصل الثالث** على مرضه وفاته، وما تبع ذلك من غسله وتكفينه ودفنه ووقع ذلك على أنفس الخاصة والعامة في عصره، وتقديرهم اياه.

وأجملت في **الفصل الرابع** مقومات شخصيته ذاكراً بعض صفاته الخلقية، والخلقية من تواضع مع معرفة بقدر نفسه، وضبط للسانه وكظم لغيظه، وتحر في المأكل والمشرب، وبر وتصدق، واكثار من العبادة وعدم تخلية الوقت منها، وموضوعية وانصاف في البحث..

وتناول **الفصل الخامس** دراسة موجزة لأبرز شيوخه وأساتذته ـ الذين لازمهم وتردد عليهم أكثر من غيرهم، وانتفع بهم ـ حسب تنويهه وتنويه تلميذه السخاوي بهم، وقد عنيت فيها بالترجمة الموجزة لهم، وبيان العلوم أو الفنون التي حصلها عنهم، وان لم يردوا موزعين على الفنون المستفادة لتعذر ذلك، مشيراً الى سببه.

وأشرف في **الفصل السادس** إلى رحلاته داخل القطر المصري وخارجه، حيث دفعته رغبته في تحصيل المعارف والشغف بالحديث النبوي إلى عدم الاكتفاء بتحصيل العلم وجمع شتات المعرفة في مصر والقاهرة وحدهما، ولذا انساح في أرض الله طلباً لذلك، فعرفت له رحلات إلى الصعيد، والاسكندرية، واليمن، والحجاز والشام، بينت أوقاتها، وأبرز الشيوخ الذين لقيهم، وأهم الأعمال التي تلقاها أو حصلها عنهم، أو شاركهم فيها، « فكثيرا ما كان يظهر في مثل هذه المواضع مفيداً في صورة مستفيد »، كما نوهت بما كان يعترضه من الصعاب.

وتكلمت في **الفصل السابع** عن وظائفه ومجهوداته العلمية، حيث مجالس املائه وتدريسه، وتوليه لمنصبي افتاء دار العدل، والقضاء، واتصاله المباشر

بمجتمعه عن طريقها، وانعكاس ذلك على مؤلفاته التاريخية، وموقفه من القضاء، ملحاً في الامتناع منه، وتغيره فجأة، ودواعي هذا التغير ومبرراته، وما جره عليه المنصب من نكد وعناد وتعب وكثرة معاد وقلة منصف مما جعله يندم على توليه اياه، ويزهد فيه إلى أن خلع نفسه. كما لم أنس ما قدم في هذا المنصب من انجازات، وذكرت كذلك ـ وظائفه الأخرى من خطابة، وامامة، ووعظ، ومشيخة للبيبرسية ونظرها والنظر على جامع طولون، وخزن الكتب بالمحمودية، والنظر على حمام ابن الكويك.. وكذا ما رشح له من وظائف لم يقبلها، مشيراً إلى مكانة هذه الوظائف ودوره فيها واتصاله من خلالها بأحداث العصر، معرفاً بأهم الأمكنة المرتبطة بها.

أما **الفصل الثامن** والأخير ـ من هذا الباب ـ فقد خصص لبيان علاقاته بشخصيات عصره سواء كانوا من الشيوخ والأساتيذ، أو الأقران والصحاب، أو الطلبة والتلاميذ.

أما الباب الثاني فقد خصصته للدراسة المنهجية لكتابه «انباء الغمر بأنباء العمر» بهدف توضيح القيمة العلمية للكتاب وتيسير الانتفاع به بالكشف عن منهجه في البحث والدراسة والافصاح العلمي بالضرورة عن طبيعة عصره التي غالبا ما تخطاها الدارسون وغبنوها حقها.

وقد انقسم هذا الباب بدوره الى فصول ستة، اشتمل **الأول منها** على دراسة الخطة العامة للكتاب مشيراً إلى أهميته الكامنة في كونه الكتاب الوحيد الذي اشتمل على الحوادث والترجمات، وكان «ابن حجر» معاصراً لحيزه الزماني، مدركاً للكثير من حوادثه، ومخالطاً لمعظم المترجمين لديه فيه، وكذا الافصاح عن حال تدوينه له وفراغه منه، وتعديله للكتاب بالحذف أو بالاضافة، وتركه له مسودة لم تكتمل بعد، والتعريف بعنوانه، ونسخه المخطوطة والمطبوعة مقارناً بينها للتعرف على ميزاتها سلباً وايجاباً.

وكذا الافصاح عن النسق الفني والتعبيري «للانباء» مشيراً في الأول منها

إلى رغبة «ابن حجر» في تجزيء الكتاب - باعتبارها منهجاً مرعياً ومدركاً لديه - وعدم التزام النساخ والناشرين بهذه الرغبة مما جعلهم يتخطون تقسيمه له إلى تقسيمات أخرى مغايرة، وتنظيمه على مقدمة وحوليات متتابعة الافراد ابتداء بحولية ثلاث وسبعين وسبعمائة، وانتهاء بحولية خمسين وثمانمائة؛ ومراعاته للفصل بين الحوادث والترجمات من حيث الترتيب، والتنظيم الداخلي «للانباء» حسب الأهمية أو التأريخ، أو التتابع الأبجدي لترتيب الترجمات؛ ونواحي الالتزام أو الاخلال بهذا التنظيم.

كما عنيت بالافصاح عن النسق التعبيري للانباء مشيراً إلى مميزات أسلوبه من فصاحة اللفظ ومعجميته، وتخير أساليبه وبلاغته، وتضمينه للعبارات البليغة الشائعة الاستعمال لدى كتاب العصر، أو توارد الاصطلاحات والتعبيرات المعروفة لعصره، وكذا التأثر بالقرآن الكريم والاقتباس منه، والاعتناء بتضمين الحوادث كثيراً من الشواهد الشعرية سواء كانت من انشاده أو من مروياته عن غيره، والابتعاد عن السجع والتكلف، واستعماله للمختصرات في الحوادث والتراجم، وكذا المزاوجة في تدوين التواريخ بين الأرقام والحروف، وضبط الأسماء في الأعلام والأنساب والأمكنة بالحروف والشكل، والافصاح عن رأيه وانفعالاته بعبارات وألفاظ سافرة، واستعماله اصطلاحات ومختصرات المحدثين وما قد يعيب «الانباء» في بعض المواضع من تكرار، وتبيض لكثير من المعلومات وتناقض في التركيب - ولعل مردها الى تركه الكتاب في المسودة، حيث لم يمهل لمراجعته وتنقيته لتفادي وقوع ذلك - وذيلت عليه بابراز اتجاهه إلى الشمول الموضوعي والموضعي معللا له.

بينما خصص **الفصل الثاني** لدراسة طبيعة الكتاب وأسس انتقاء مادته، وقد درست فيه النقاط الآتية:

أولاً - طبيعة الحوادث وأسس انتقاء مادتها، مشيراً إلى عدم الوقوف بالحوادث عند المجال السياسي - فقط - وإنما كان مع ذلك متطرقاً إلى نواحي متعددة من ادارية متمثلة في ايراد الكثير من الاستقرارات الوظيفية

وما قد يطرأ عليها من تغيرات، وحرص في الكثير منها على عدم ايرادها مجردة، أو كان معنياً بالافصاح عن ما يعتريها من الاخلال أو الاستقرار والانتظام معللا وناقداً وما يتعلق بها من رسوم تقضي باستحداث منصب، أو الجمع بين وظيفتين على غير عادة، أو تبطيل لبعض الوظائف، وان لم تكن مطردة بحيث يمكن أن نستخرج منها قوائم متسلسلة ومكتملة للكثير من الوظائف المثبتة لديه.

وكذا الاعتناء بالنواحي السياسية المختصة بالعلاقات الخارجية للدولة المملوكية أو الكثير مما تعلق بالحالة السياسية داخلياً، وأثر هذا وذاك على الرأي العام في وقته ووقعه على الأنفس.

كما أبرز أعمال السلاطين والأمراء فيما يختص بالعمارة والبناء، وكذا حياتهم الخاصة، مع اثبات الكثير من المراسم الصادرة عن الادارة المملوكية وكذا حال النيل وما يتعلق به من حالات اقتصادية، أما إلى الرخاء، وأما إلى التقتير والامساك. وما قد يصيب مجتمعه من النكبات والأمراض والأوبئة كما اهتم ببيان أمر الحاج وما يتعلق بهم من رسوم وأحكام، وما قد يظهر من البدع والكائنات أو يقع من تنافس العلماء أو افشاء للذعر من العوام والمماليك وما يتعلق بأهل الذمة من الأحوال.

مشيراً مع كل هذا إلى بعض الظواهر الطبيعية، والعجائب ومستغربات الحدوث، مع عدم اغفاله لترجمته الذاتية.

ثانياً ـ طبيعة التراجم وأسس انتقاء مادتها، مشيراً إلى التفاوت العددي في الترجمات، والتغاير في الأسماء في الحولية الواحدة لدى المؤرخين المعاصرين والعلة فيه، وما تميز به «ابن حجر» في هذه الناحية من انتقاء حسب أسس أهمها: الشهرة، والشمول النوعي، والشمول المكاني. دارساً لمادة التراجم مبرزاً هم عناصرها وهي: الأسم، واللقب، والكنية، واسم الشهرة، والنسبة، والموطن، والألقاب العلمية، والصفات الأصلية والمولد، وتقدير عمر المترجم

له، والتأريخ لوفاته مع تحديد كيفية الوفاة والعلة فيها، وحال المترجم له عند ذلك، والنشأة والتكوين، ومنزلة المترجم له، ومكانتـه ووظـائفـه وأعمالـه، وسجاياه وصفاته، وعلاقاته بالأهل والأقران، وعلاقة «ابن حجر» به، مشيراً إلى أن مثل تلك العناصر قد لا تجتمع بالضرورة في ترجمة واحدة، فترد جملة منها في ترجمة، وتتوزع الباقية على كثير من الترجمات، كما أن الطول أو القصر في مادة العنصر الواحد راجع إلى أمور منها طبيعة المترجم له وتخصصه، وطبيعة المادة المنتقى منها هذه الترجمة أو هذا العنصر، ونوعية المصدر سواء كان مكتوباً أو معاصراً..

وذيلت على ذلك بدراسة موضوع التوازن الزماني بين الحوادث والترجمات مشيراً إلى منهج ابن حجر فيه.

أما **الفصل الثاني** فقد خصص لدراسة العلاقة بين الترجمات والحوادث في «الانباء» مصدراً له بما يشير إلى أن هذه العلاقة الواردة في «الانباء» لم تأت عفوية او ارتجالية، وإنما كانت وراءها اصبع «ابن حجر» التي وجدت في مناسبة الوفاة فرصة لاستخدامها في تحقيق هذه الغاية، وإلى أن هذه العلاقة يمكن تتبعها في النواحي الآتية: العلاقة الزمانية ـ العلاقة من حيث الموضوع بالترجمة بالإحالة الكلية على الحوادث، أو بالإحالة إلى الحوادث في تضاعيف الترجمات، أو بالإحالة إلى تراجم الوفيات في الحوادث أو الترجمة لبعض الوفيات في الحوادث، أو التكامل بين الترجمات والحوادث أو علاقة السببية، بالاضافة إلى تشكيل الحوادث لمادة التراجـم، وتـوظيـف التراجـم في النقـد التأريخي للحوادث، وعمد «ابن حجر» إلى التأريخ بالحدث والترجمة معاً ودواعي ذلك لديه.

واختص **الفصل الرابع** بدراسة «الانباء» مرتكزاً على محاور هي:

١ ـ أنواع المصادر: وتتمثل في المشاهدة والمشاركة، والمسألة والمكاتبة

والاجازات والسماعات، ومؤلفات المترجم لـه، ومجاميع الشيـوخ والطلبـة والمؤلفات السابقة.

٢ ـ الاسناد إلى المصادر ويتخذ أشكالاً منها: الاشارة إلى المصادر، والاشارة إلى موضع النقل، والاشارة إلى بداية النقل وانتهائه، مفصحاً عن دلالات النقل عند عدم التصريح به، واهتمامه باثبات موارد المنقول عند المصدر المنقول عنه.

٣ ـ طرق النقل: مشيراً إلى أنه قد عالج المادة المأخوذة عن مصادره بطرق شتى تكشف عن شخصية ابن حجر المصاحبة لتلك النقول والموجهة لها، وهي لا تعبر في الغالبية العظمى منها عن نص المنقول لدى مصدره، ولذا فانه يمكن تصنيفها إلى الطرق الآتية:

الالتزام الحرفي بمادة مصادره قدر امكانه ـ انتقاء المنقول مع الحفاظ على ألفاظ مصدره ـ التصرف في النص من حيث اللفظ تعديلا وابدالا، زيادة واختصاراً مع الحفاظ على النسق الترتيبي للمواد الأساسية للمنقول ـ الالتزام بالحرفية للألفاظ قدر امكانه مع تغيير النسق الترتيبي وتعديله ـ التصرف في اللفظ والنسق الترتيبي معاً ـ النقل بالفكرة مع اغفال العبارة الأصلية للمصدر.

٤ ـ نقد المصادر، مشيراً إلى أن ابن حجر كانت له نظرة في منقوله عن مصادره عامل بها الحوادث والتراجم على أنها جزئيات تخضع لتصديق العقل اياها أو رده لها، فضلاً عن نظرته الشمولية على المصدر ككل.

٥ ـ الدقة في النقل، حيث أبنت فيه عن بعض أخطاء أو هفوات وقعت له أثناء النقل عن مصادره.

أما **الفصل الخامس** فقد خصص للنقد التأريخي والأدبي في «الانباء» دارساً فيه الموضوعات الآتية:

١ ـ اعتناء «ابن حجر» بالنقد التأريخي ودواعيه، وما جره عليه هذا

المسلك الناقد في الكتابات التاريخية من عداوات ومشاحنات، وكذا منهجه كما يبدو في «الانباء» وفي إحدى فتاويه التي وصلتنا مكتملة، والجانب التطبيقي لهذا المنهج متمثلاً في:

نقد الرجال: مشيراً إلى مقاييسه في جرحه وتعديله لهم، وهي مقاييس مع اختلافها تبعاً لاختلاف تخصصات المترجم لهم وطبقاتهم تتلاقى في هدف واحد، وهو الكشف عن بعض الصفات الأصيلة في كل منها: الهيئة، والأخلاق والصفات، والمذهب، والدين، والقدرات العقلية والمواهب النفسية، والمكانة العلمية، والمقدرة الأدبية..

اصدار الأحكام والتقاويم على الملوك، والسلاطين، ونواب السلطنة والأمراء، والمباشرين، والقضاة، والفنانين، مراعياً في كل صفات خاصة بهم ضمنها ترجماتهم.

نقد الحوادث، ويتمثل في نقد الرواية التاريخية، واصدار الأحكام والتقاويم من خلال الجرح والتعديل لذوات القائمين بها أو الحكم على الحوادث بالتفرد في بابها أو بنسبتها إلى الأولية، أو وصف بعض الحوادث بالشناعة والقبح أو الحسن، أو السخرية من التصرف في بعض الحوادث أو الكشف عن العامل الرئيس في توجيه الحوادث..

الشواهد الشعرية ودورها في تفسير الخبر ونقده، حيث كان «ابن حجر» يؤكد بشتى الطرق التي في مكنته في قضايا مجتمعه مبرزاً لها عن طريق الشواهد الشعرية موهماً لمطالع تاريخه بأن الذي سجله في «الانباء» من آراء هو لسان الحال لدى مجتمعه، فكان من تلك النماذج المأخوذة كمثال لبيان هذه الغاية: معاناة المجتمع المصري في ظل حكامه، الوهن الوظيفي على عصره، تمجيد المعممين خاصة حملة الحديث النبوي منهم النزاع بين قاضي الحنفية والشافعية.

٢ - الخطأ والصواب في النقد ودوافعه.

٣ - التعصب والانصاف في النقد سلباً وايجاباً.

أما **الفصل السادس** فقد خصص للعلاقة بين « الانباء » والمؤلفات التاريخية الأخرى لابن حجر، المعاصرة للحيز الزماني « للانباء » وتتمثل في الدراسة المقارنة بين معطيات الدراسة في الفصول السالفة، وبين عناصر مادة تلك المؤلفات بهدف تقرير المنهج لديه وتأصيله.

ولذا اشتمل على دراسة للدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، والذيل عليه والمجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ورفع الاصر عن قضاة مصر - باعتبار أن فكر المؤرخ الواحد لا يمكن تجزيئه، وباعتبار أن تلك المؤلفات تمثل مصادر أصيلة وأساسية للتأريخ لعصره.

أما الخاتمة فهي تلخيص لأهم معطيات البحث ونتائجه.

ولقد أتبعت هذه المقدمة بالدراسة النقدية للمصادر، وذيلت على هذا البحث ببعض الملحقات والفهارس.

منهج الدراسة

ويلاحظ أن هذه الدراسة قد اعتمدت بالضرورة على « انباء الغمر » كمصدر لها ولذا تضاءلت الاستفادة من المصادر الأخرى في مواضع كثيرة، وفي مساحة واسعة منها اكتفاء باستنتاجاتي الذاتية من خلال مراجعتها ودرسها، وكذا مراجعة ودرس الكثير من الكتب المعنية بالنقد التأريخي وفلسفته.

ولذا كانت دراستي « للانباء » منصبة على مسودة « ابن حجر » له - أول الأمر - ومقارنتها ببعض النسخ الخطية المشار اليها في هذه الدراسة، لكنني وجدت أن من غير الحكمة ارجاع الهوامش إلى صفحات المسودة أو أي من النسخ المخطوطة حتى يمكن الانتفاع بها ومراجعتها، فكان الاتجاه إلى احلال نسخة « الانباء » المطبوعة بالقاهرة بالهامش، مع اعتماد نشرة الهند في السنوات المكملة لها باعتبار أن الأولى أوثق النسخ المطبوعة المعتمدة في الدراسة مع ما

قيدته عليها من ملحوظات وباعتبار أنني لم أثبت من الطبعتين في هذه الدراسة إلا ما تأكدت بالمقارنة والتقصي بينه وبين المسودة أنه قد ورد فيه على الصورة والكيفية الواردة فيها.

كما يلاحظ أن المصادر المتخذة في « الترجمة لابن حجر » أو الافصاح عن مصادره أو المقارنة بينه وبين المؤرخين المعاصرين واللاحقين قد اعتمدت في الأصل وبالضرورة على مصادر أساسية: مخطوطة ومطبوعة، اهمالاً للكثير من المراجع الحديثة: عربية وافرنجية، مع اطلاعي على معظمها لاعتبارات أهمها:

١ - أن هذه الدراسات قد قصرت اعتمادها على ما ورد لدى « السخاوي » من ترجمة « لابن حجر » في « الضوء اللامع »، أو الاعتماد بعضها على بعض هذه المصادر التي اعتمدتها في دراستي، فكان مراجعة الأصل أولى وأوثق.

٢ - أن المادة الواردة في كثير من المراجع الحديثة ضحلة وتشغل حيزا مكانياً ضيقاً، فضلاً عن أنها غير تخصصية، وغالباً ما تفتقد المنهجية والعلمية في طبيعة تكوينها، ويكفي للدلالة على ذلك أن أذكر أن مما أورده الدكتور « محمد مصطفى زياده « في كتابه » المؤرخين في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي « بشأن « ابن حجر »، وهو من هو في التحري والمنهجية العلمية، يفتقر إلى كل هذه النواحي، ويؤكد على أنه لم يدرس الرجل ومؤلفاته التأريخية، وإلا لما أورده في ذيل أو طيات الكتابة عن « المقريزي » قزماً إلى جانب عملاق شامخ، وقد أشار إلى أن حوليات « الانباء » مذكرات « بعبارة أدق »[1] وهي ليست كذلك، وإلى أن مادة « الأنباء » تنبه » إلى حد صغير كتاب الاعتبار لابن منقذ الشيزري، وربما كان أدل ما فيها على صفاته

(١) محمد مصطفى زيادة. المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي ص١٩.

الشخصية وأحـاسيسه الرقيقة أنه حرص ـ مثلاً ـ على ذكر حال الورد كلما وصل إلى موسم الربيع والأزهار في حولياته حتى وفاته سنة ١٤٤٩ م.»[١]

وهو كلام يجانب الصواب كلية ولا يدخل تحت اطار البحث العلمي.

بل لقد أخطأ بعض من ترجم ابن حجر أو أشار اليه ولو بلفتة عابرة تسمية بعض مصادر ترجمته، فكان اسم مؤلف «السخاوي» الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر لدى الدكتور «علي ابراهيم حسن» تناسـق الدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر[٢] وتابعـه على ذلـك الدكتـور «علي حسني الخربوطلي» متخذاً مصدره في ترجمته له بعض المراجع الثانوية مهملاً المصادر الأصلية، أو القاسم المشترك لدى المحدثين في الترجمة له وهو «الضوء اللامع».[٣]

وهذا الخطأ لديهم راجع إلى مراجعتهم ـ فقط ـ لوصف ببلوجرافي لمختصر «عبدالله بن زين» المسمى «جمان الدرر من ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» والذي يشير في مقدمته الى أنه اطلع على مختصر «للسفيري» من تناسق الدرر للسخاوي.

ولذا فان هذه الدراسة قـد اتجهـت إلى مـراجعـة المصـادر مخطـوطهـا ومطبوعها، بل ومقارنة النشرات المطبوعة بالمخطوطة في بعض مواضع للتثبت من صحة المنقول وسلامته خاصة وقد فسدت بعض المخطوطات بنشرها في نشرات غير أمينة كتلك التي أصابت مؤلفاً آخر للسخاوي هو «الذيل على رفع الاصر أو بغية العلماء والرواة». كما لم ألتفت إلا إلى تقييد الحقائق العلمية دون الاعتناء بتتبع عثرات الغير وتصيدها.

---

(١) نفسه ص ١٩ ـ ٢٠.
(٢) د. علي ابراهيم حسن. استخدام المصادر وطرق البحث ص ١٨١.
(٣) د. علي حسني الخربوطلي. من تراث الإسلام ص ٨٧.

ويلاحظ على هذه الدراسة ـ كذلك ـ مراعاة التركيز في المتن وتضييق مساحته قدر الامكان بهدف التركيز في اثبات الحقائق العلمية جاعلاً مجال التفصيلات في الهوامش بغية عدم تشتيت المطالع لها في مواضع جانبية مع أهميتها لو انتقلت من الهامش إلى المتن أضاعت عليه التتابع الفكري وترابطه.

ولعلي أكون قد وفقت في الكشف عن أهمية «الانباء» ومنهج «ابن حجر» من خلاله، وكذا التعريف «بابن حجر» تعريفاً منهجياً من خلال ترجمة يرتاح اليها.

ومع كل ما بذل في هذه الدراسة من جهد، كان مبتغاي من خلاله الوصول إلى تقويم منهجي للعمل المتخذ موضوعاً للدراسة فانني لا أدعي الاستقصاء أو الكمال والعصمة، فذلك لا يتحقق إلا لله وحده.

ولعله تتاح لي في وقت لاحق فرصة تنقيحه واكماله ـ قدر المستطاع ـ بما سوف أستفيده من ملحوظات المتخصصين والدارسين من الأساتذة والباحثين المقومين لهذا العمل أو المطالعين له.

دراسة نقدية للمصادر

لما كان هذا البحث يتكون من بابين اختلفت مصادر كل منهما عن الآخر تبعاً لاختلاف الموضوع المبحوث فيهما، فلعله يكون من الأفضل أن تبحث المصادر في كل باب على حدة.

الباب الأول:

وقد اشتمل ـ كما علمت ـ على تمهيد خصص للعرض الموجز لعصر «ابن حجر» وبيئته، تتبعه فصول ثمانية في الترجمه له.

أما التمهيد ـ الذي لم يرد به التأريخ للدولة المملوكية على وقته، وانما التعريف ببيئته ـ فانه قد كتب بعد مراجعة عشرات المصادر والمراجع المعنية بالتأريخ للدولة المملوكية وتفهمها بهدف اعطاء فكرة مركزة تشغل حيزاً مكانياً ضيقاً قدر الامكان فكان من أكثر هذه المراجع افادة في هذا الجانب كتابات الأستاذ الدكتور / محمد مصطفى زيادة، وعلى الأخص مقالته بمجلة حوليات آداب القاهرة المعنونة باسم: «بعض ملاحظات حديدة في تاريخ دولة المماليك»، والفصلين المعقودين للدولة المملوكية الأولى والثانية من كتاب تاريخ الحضارة المصرية. وليس خفياً أن هذه الكتابات المشار اليها ما زال يشيع النقل عنها فكرة أو نصاً لدى كثير من الباحثين المتخصصين في دراسة هذه الفترة الزمانية، نظراً لما لها من الأهمية.

كما اعتمدت كثيراً على كتابات الأستاذ الدكتور / سعيد عبدالفتاح عاشور ـ في التعريف بهذه البيئة ـ وهو من أكثر الباحثين اعتناء وانتاجاً في العصر المملوكي مع ملاحظة أن ما جاء في كتابه « العصر المماليكي في مصر والشام » كان الأساس الذي لخص عنه، أو اجتزىء منه أو توسع في أحد فصوله في مؤلفات أخرى، أذكر منها: « الأيوبيون والمماليك في مصر والشام »، « المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك »، « مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني »، ومقالته بمجلة العربي الكويتية المعنونة باسم « الأمراء الرقيق »..

أما فيما يختص بتأثيرات العلاقات « المغولية المملوكية » أو « الصليبية المملوكية » على هذه البيئة فانني قد راجعت في الأولى مؤلفي الدكتور عبدالسلام عبدالعزيز فهمي « تاريخ الدولة المغولية في ايران » والدكتور فايد حمادة عاشور « العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى »، كما راجعت في الثانية مؤلفات من « ستيفين رينسمان » تاريخ الحروب الصليبية و « يوشع براور » عالم الحروب الصليبية، والدكتور « محمد مصطفى زيادة » حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، والدكتور « سعيد عبدالفتاح عاشور » الحركة الصليبية، وأضواء جديدة على الحروب الصليبية، وهي من أعمق المؤلفات دراسة واستيعاباً وتفهماً لكل.

كما راجعت عشرات المصادر المؤرخة لهذه الفترة كالوافي بالوفيات للصفدي (ت ٧٦٤ هـ./١٢٦٣ م.)، والعبر للذهبي (ت ٧٤٨ هـ. /١٣٤٨ م.) والبداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ. /١٣٧٣ م.)، وتاريخ ابن الفرات (ت ٨٠٧ هـ. /١٤٠٥ م.)، والجوهر الثمين لابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ. /١٤٠٧ م.)، والسلوك، والخطط، والبيات والاعراب للمقريزي (ت ٨٤٥ هـ. /١٤٤١ م.)، ومورد اللطافة لابن تغري بردى (ت ٨٧٤ هـ. /١٤٧٠ م.) والضوء اللامع للسخاوي (ت ٩٠٢ هـ. /١٤٩٧ م.)، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (ت ٩١١ هـ. /١٥٠٦ م.)،

وبدائع الزهور لابن اياس (ت ٩٣٠ هـ. /١٥٢٤ م.)..

أما عن ترجمته، فلقد تناول «ابن حجر» بالترجمة عدد وافر من المؤرخين الذين ترجموا له تراجم تختلف طولا وقصراً، بالاضافة الى تباينها في نوعية ما تقدمه من المعلومات، سواء كانوا من رفقته في طلب العلم، أو صحبه وتلامذته أو من أتى بعدهم الى أزمنة متأخرة، فكان منهم «البدر البشتكي»[1] (ت: ٨٣٠ هـ. /١٤٢٧ م.)، و «التقى الفاسي»[2]

---

(١) هو «محمد بن ابراهيم بن محمد الدمشقي الأصل البشتكي، بدرالدين» - ترجمه ابن حجر في انباء الغمر ص ٣٩٢ - ٣/٣٩٤ تر ١٤، والمجمع المؤسس ق ٢٥٩ ب - ٢٦٠ أ، والسخاوي في الضوء اللامع ص ٢٧٧ - ٦/٢٧٩ تر ٩٣٢، وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/١٩٥ - حيث وصفه لابن حجر في كتابه «المطالع البدرية لمن اشتهر بالصناعة الشعرية» بالشيخ العلامة المحدث الحافظ أوحد زمانه وسيد أقرانه في التصانيف المفيدة والفضائل العديدة - السخاوي. الجواهر والدرر في غير موضع الضوء اللامع ص ٢/٣٩، التبر المسبوك ص ٢٣٢، الذيل على رفع الاصر ص ٧٨، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٣٥ أ، ويلاحظ أن ترجمته لابن حجر كانت غير مكتملة لوفاة مصنفها قبله بحوالي اثنتين وعشرين عاماً.

(٢) هو «محمد بن أحمد بن علي بن أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن عبدالرحمن بن سعيد بن عبدالملك، التقي أبو عبدالله، وأبو الطيب المعروف بالتقي الفاسي» - ترجمه ابن حجر في أنباء الغمر ص ٣/٤٢٩ تر ١٧، والمجمع المؤسس ق ٢٥٨ ب - ٢٥٩ أ، وابن فهد المكي في لحظ الألحاظ ص ٢٩١ - ٢٩٧، والسخاوي في الضوء اللامع ص ١٨ - ٧/٢٠ تر ٣٣، والسيوطي في ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٧٧ - ٣٧٨، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ص ٧/١١٩، كما ترجم هو نفسه في تاريخ مكة وذيل التقييد - حيث ترجم لابن حجر في «ذيل التقييد بمعرفة رواة السنن والأسانيد» الذي ذيل به على ابن نقطة في كتابه «التقييد» ترجمة غير مكتملة لوفاته قبل «ابن حجر» بما يقرب من عشرين عاماً، وان أضيف الى ترجمته له بعد ذلك معلومات امتدت الى حال وفاة «ابن حجر» مأخوذة عن ابن فهد المكي، وابن تغري بردى والسخاوي.. - راجع بشأن ذلك: ذيل التقييد مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٩٨ مصطلح والمكتوب بخط سبط ابن حجر سنة ٨٦٦ هـ. ويقع في ٢٩٤ ورقة - ق ١٠٩ ب - ق ١١١ ب.

(ت ٨٣٢ هـ. /١٤٢٩ م.) و «البرهـــــان الحلبي»[١] (ت ٨٤١ هـ. /١٤٣٧ م.)، و «ابن ناصرالدين الحنبلي»[٢] (ت ٨٤٢ هـ. /١٤٣٩ م.)، و «ابـن خطيـب النـاصريـة»[٣] (ت ٨٤٣ هـ. /١٤٤٠ م.)، و «التقـي المقريزي»[٤] (ت ٨٤٥ هـ. /١٤٤١ م.) و «ابن الغزي»[٥] (ت ٨٦٤ هـ.

---

(١) هو «ابراهيم بن محمد بن خليل، برهان الدين أبو اسحق المعروف بسبط بـن العجمي الحلبي، وبالقوف» ـ راجع ترجمته في الفصل المعقود للمصادر من هذا البحث ـ حيث ترجمه في بعض مجاميعه، مما لم أهتد اليه بعد وانما استفدت ذلك من السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٣٢، الذيل على رفع الاصر ص ٨٦، الضوء اللامع ص ٢/٣٩.

(٢) هو «شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالله بن محمد بن أحمد بـن مجاهد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن علي القيسي الدمشقي الشافعي، المعروف بابن ناصرالدين» ـ ترجمه ابن فهد المكي في لحظ الألحاظ ص ٣١٧ ـ ٣٢٢، والسيوطي في ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٧٨، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ص ٢٤٣ ـ ٧/٢٤٥ ـ حيث ترجم لابن حجر تـرجمة مقتضبة للغاية في توضيح المشتبه للذهبي ـ مخط. الظاهرية بدمشق رقم ١٥١ تفسير ـ ق ١/١٨٨.

(٣) هو «علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي بن علي بن عمر بن اسماعيل بـن ابـراهيم بـن يوسف بن يعقوب بن علي بن هبةالله بن ناجية الطائي الحلبي الشافعي، المعروف بابن خطيب الناصرية» ـ راجع ترحمته في الفصل المعقود للمصادر من هذا البحث ـ حيث ترجم ابن حجر في «الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب» الذي ذيل به على «بغية الطلب في تاريخ حلب» لابن العديم، باعتبار أنه ممن وفدوا اليها، وان وقف بترجمته له عند سنة أربع وثلاثين وثمانمائة معتمداً في شطرها الأول على «ابن حجر» في كتابيه رفع الاصر، وأنباء الغمر ـ راجع ق ١٠٦ ب ـ ١٠٩ أ/١ من مخط. الأحمدية بحلب، ومصورته بمعهد أحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٦٥٠ تاريخ، وما اثبت عنه في الفصل المعقود للمصادر من هذا البحث.

(٤) هو «أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن تميم بـن عبدالصمد، التقي المقريزي» ـ راجع ترجمته في الفصل المعقود للمصادر من هذا البحث ـ حيث يشير السخاوي الى أنه ترحمه في كتابه «شذرات العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة» في ثلاث ورقات، وهو مؤلـف مفقـود لم يتعـرف عليـه بعـد ـ السخـاوي. الضوء اللامـع ص ٢/٣٩، الذيل على رفع الاصر ص ٨٦ ـ كما توجد أخبار متناثرة عن «ابن حجر» في كتابيه السلوك، والخطط.

(٥) هو محمد بن أحمد بن عبدالله العامري، الشهير بابن الغزي، حيث ترحمه في كتابه «بهجة الناظرين الى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين»، والذي جعله مختصراً لطيفاً قصد به

/ ١٤٦٠ م.)، و «ابن فهد المكي»[1] (ت ٨٢١ هـ. / ١٤٦٧ م.)، و «ابن تغري بردى»[2] (ت ٨٧٤ هـ. / ١٤٧٠ م.) و «البرهان البقاعي»

= ترجمة الأئمة من أصحابه الشافعية المتأخرين وبعضهم من مشايخه الذين أخذ عنهم، مصدراً لهم بترجمة السراج البلقيني «اذ هم على الحقيقة في العلم أولاده، وبه افتخروا وسادوا» ـ كما يـ ـفاد من خطبة كتابه ـ ولقد أتت ترجمة «ابن حجر» فيه شاغلة لـ: ٧٧ أ ـ ٧٨ ب من ـط. الظاهرية بدمشق رقم ٥٥ تاريخ، وعنه مصورة معهد أحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٥٩٤ تاريخ، وق ٨٨ ـ ٩٠ من مخط. دار الكتب المصرية رقم ٣٤٠٣ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية رقم ٩٥ تاريخ.

ويلاحظ أن هذه الترجمة كانت قد كتبت في حياة المترجم له، ثم زيد عليها بعد ذلك ما يشير الى وفاته ودفنه، حيث أتى قوله: «.. ثم توفي الى رحمة الله تعالى بالقاهرة بمنزله داخل باب الشعرية جوار المنكوتمرية في ليلة السبت ثامن عشري (ذي) الحجة المحرم سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، وكان يوماً مشهوداً، ودفن قريباً من الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه» قرين قوله: «.. وأبقاه الله تعالى للمسلمين عموماً، ولمحبيه وطلبته خصوصاً».

(١) هو «محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بـن فهد المكي، تقي الدين أبو الفضل» حيث ترجمه في لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ الذي ذيل به على طبقات الحفاظ للذهبي مستدركاً ـ في الصفحات من ٣٢٦ : ٣٤٢ ناقداً له في موضع ذكر توليه للقضاء وصرفه منه.

ويلاحظ أن هذه الترجمة ـ كذلك ـ قد كتبت في حياة ابن حجر، ثم زيد عليها الى وفاته، كما يفهم من قوله: «.. فالله تعالى يلهمه طريقة الخير، ويصرف عنه كل ضير، ويديم تقاه، ويحفظه من جميع الأسواء ويتولاه» ـ نفسه ص ٣٣١.

(٢) هو «جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الأمير الكبير سيف الدين تغري بردى الحنفي ـ المؤرخ المصري الشهير» حيث ترجمه في النجوم الزاهرة ضمن وفيات حولية اثنتين وخمسين وثمانمائة ـ ص ٥٣٢ ـ ١٥/٥٣٤ ـ وكذا وردت أخبار عنه متناثرة في حولياته، كما ترجمه في المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ـ ق ٦١ أ ـ ٦٤ ب من مخط. أحمد الثالث رقم ٣٠١٨ تاريخ وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٤٨١ تاريخ ويراجع ـ كذلك ـ مخط. عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٦٣٠ تاريخ ومصورة كل من معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة ـ عنه ـ ذات الرقم ١٢٧١ تاريخ، ودار الكتب المصرية رقم ١١١٣ تاريخ ـ خديوية، وكذا مخط. التيمورية رقم ١٢٠٩ تاريخ، والذي اشتمل على تراجم العلماء والأعيان في ستة أجزاء مرتباً على حروف المعجم ابتداء بترجمة المعز أيبك التركماني والي زمانه. ومختصره المسمى: الدليل الشافي على المنهل الصافي ق ١١ ب من مخط. قرة جلبي رقم ٢٦٦ وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٤٤ تاريخ.

(ت ٨٨٥ هـ. /١٤٨١ م.)[١] و «القطـــــب الخيضري» (ت ٨٩٤ هـ. /١٤٨٩ م.)[٢]، و «سبط ابـن حجـر»[٣] (ت ٨٩٩ هـ. /١٤٩٤ م.)، و «الشمس السخاوي» (ت ٩٠٢ هـ. /١٤٩٧ م.) و «الجلال السيوطي»[٤] (ت ٩١١ هـ. /١٥٠٦ م.)، و «ابـن ايـاس الحنفـــي»[٥] (ت ٩٣٠ هـ. /١٥٢٤ م.) و «ابن طولـون الصـالحي»[٦] (ت ٩٥٣ هـ. /١٥٤٧ م.)

---

(١) هو برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي ـ أحد تلامذته ـ حيث ترجمه في عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران الذي جعله مرتباً على حروف المعجم في شيوخه وأقرانه ـ راجع ق ٣٥ ـ ٦٨ من مخط. دار الكتب والوثائق المصرية رقم ١٠٠١ المصور عن مخط. كوبريلي زادة بالأستانة رقم ١١١٩ تاريخ ومصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة عن الأول رقم ٣٤٢ تاريخ كما اختصر ترجمته في مختصره المعروف باسم «عنوان العنوان» ـ مخط. التيمورية رقم ١٤٧٤ تاريخ.

(٢) حيث ترجمه في «اللمع الألمعية لأعيان الشافعية» فيما نقل عن السخاوي. الضوء اللامع ص ٢/٣٩، الذيل على رفع الاصر ص ٨٧، التبر المسبوك ص ٢٣١.

(٣) حيث ترجمه في معجمه المسمى «رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ» ولكن لم أستفد منه كثيراً لانخرام ترجمته في مصورة معهد احياء المخطوطات العربية عنه ذات الرقم ٢٧٢ تاريخ المأخوذة عن مخط. مدينة رقم ٤٩٣ ويمثل المجلد الأول منه، ويكمله مصورته رقم ١٠٨٧ تاريخ المأخوذة عن مخط الخالدية بالقدس ويمثل الجزء الثاني وينتهي بنهاية الكتاب.

(٤) حيث ترجمه في: حسن المحاضرة ـ ص ٣٦٣ ـ ١/٣٦٦ تر ١٠٢ ـ ونظم العقيان في أعيان الأعيان ـ ص ٤٥ ـ ٥٣ تر ٣٤ ـ وذيل طبقات الحفاظ ـ ص ٣٨٠ ـ ٣٨٢ ـ مشيراً الى أن والده كان يتردد اليه وينوب في الحكم عنه وان يكن فات الجلال حضور مجالسه والفوز بسماع كلامه والأخذ عنه ـ كما ترجمه اقتضاباً في التحدث بنعمة الله ـ ص ٤٥ ـ والمنجم في المعجم ـ ق ١٣٠ أ من مخط. دار الكتب المصرية رقم ٥٢٦ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية رقم ٥٢٨ تاريخ.

(٥) حيث ترجمه في بدائع الزهور في وقائع الدهور ص ٣٣٩ ـ ٢/٣٤٠. مع ملاحظة أن مولد ابن اياس كان في ذات السنة التي توفي فيها ابن حجر.

(٦) حيث ترجمه في القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، الذي جعله في أربعين باباً في صالحية دمشق، مورداً ترجمة «ابن حجر» في الباب الخامس والثلاثين منه ـ ص ٤٥٤ ـ ٢/٤٥٧ ـ باعتباره من الحفاظ الواردين عليها.

ويلاحظ أن ناشره قد صحف في مواضع كثيرة من النص، نذكر منها ـ على سبيل المثال ـ في ترجمته لابن حجر منه قوله: «.. وحمل تابوته الى مصلي المؤمنين تحت القلعة»، =

و « طائش كبري زادة »[1] (ت ٩٦٨ هـ. /١٥٦١ م.)، و « أبـو العبـاس المكناسي »[2] (ت ١٠٢٥ هـ. /١٦١٦ م.) و « عبـدالرؤوف المنـاوي »[3] (ت ١٠٣٥ هـ. /١٦٢٦ م.)، و « ابن العماد الحنبلي »[4] (ت ١٠٨٩ هـ. /١٦٧٩ م.)، و « البدر الشوكاني »[5] (ت ١٢٥٠ هـ. /١٨٣٥ م.)..

كما وردت عنه أخبار متناثرة لدى بعض كتاب الحوليات، ومنهم على سبيل المثال « ابن قاضي شهبة » (ت ٨٥١ هـ. /١٤٤٨ م.) في التاريخ، وفي طبقات الشافعيـة، و « البـدر العيني » (ت ٨٥٥ هـ. /١٤٥١ م.) في عقـد الجمان و « ابـن الصيرفي » (ت ٩٠٠ هـ. /١٤٩٥ م.) في نـزهـة النفـوس والأبدان وانباء الهصر بأنباء العصر، بالاضافة الى ما ورد لدى « حاجي خليفة » (ت ١٠٦٧ هـ. /١٦٥٧ م.) في كشف الظنون.

ولعل من أغنى هذه التراجم مادة وأوفرها موضوعاً ـ مما جعلها معتمدي الأساسي في الترجمة لابن حجر في هـذا البـاب ـ كتـابـات تلميـذه الشمس السخاوي (ت ٩٠٢ هـ. /١٤٩٧ م.)[6] فيه، وعلى الأخص ترجمته له في

= وصوابه « مصلى المؤمني»، وقوله: « .. ودفن بتربة بني الجزولي بين مقام الشافعي ومقام سيدي مسلم السلمي» وصوابه: « .. ودفن بتربة بني الخروبي..».

(١) حيث ترجمه مقتضباً في مفتاح السعادة ومصباح السيادة ص ٢٥٧ ـ ١/٢٥٨.

(٢) حيث ترجمه في « درة الحجال في أسماء الرجال» الذي ذيل به على وفيات الأعيان لابن خلكان ص ٦٤ ـ ١/٧٢ تر ٩٤ وفيه الكثير من شعره.

(٣) حيث ترجمه مقتضباً في « اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر» مخط. دار الكتب المصرية رقم ٩١ تيمورية ـ مصطلح حديث.

(٤) حيث ترجمه في « شذرات الذهب» ضمن وفيات حولية اثنتين وخمسين وثمانمائة للهجرة ص ٢٧٠ ـ ٧/٢٧٣.

(٥) حيث ترجمه في « البدر الطالع » ص ٨٧ ـ ١/٩٢ تر ٥١، ووقع تصحيف في تاريخ مولده.

(٦) هو « محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد الملقب شمس الدين، أبو الخير، وأبو عبدالله بن الزين أو الجلال أبي الفضل وأبي محمد السخاوي الأصل، القاهري، الشافعي » ـ ترجم نفسه في الضوء اللامع ص ٢ ـ ٨/٣٢ تر ١، وترجمه كل من: السيوطي. نظم العقيان ص ١٥٢ ـ ١٥٣ تر ١٥٦، الشوكاني. البدر الطالع ص ١٨٤ ـ ٢/١٨٧ =

كتابه « الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر »[1] والذي أشار في صدره الى الدافع الى تصنيفه بقوله: « .. أردت أن أجدد لي ذكراً بذكرها

= تر ٤٥٧، واليداروس. النور السافر ص ١٦ - ٢١. ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ١٥ - ٨/١٧، محمد مصطفى زيادة. المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي ص ٣٩ - ٤٥، محمد عبدالله عنان. المؤرخون في مصر ومصادر التاريخ المصري ص ١٢٧ - ١٤١ - اتصل بابن حجر ابتداء بسنة ثمان وثلاثين وثمانمائة للهجرة حيث سمع ووالده عليه ليلا الكثير من الحديث، ثم صحبه ولازم مجالسه الى حين وفاة شيخه وقد حمل عنه علماً جماً واختص به كثيراً، وأعانه على ذلك قرب داره منه واهتمام الشيخ به وتشجيعه اياه الى الحد الذي جعله يرسل خلفه -أحياناً- بعض خدمه الى منزله يأمره بالمجيء للقراءة عليه، بالاضافة الى اختياره له لكتابة أماليه ابتداء بسنة ست وأربعين وثمانمائة وحتى وفاة ابن حجر، فضلا عن الصلاة به اماماً في التراويح في بعض ليالي رمضان والقيام ليخدم في حفل عرسه، والاذن له في الاقراء والافادة والتصنيف والسعي في توظيفه بوظائف تدريس الحديث..

ترجم ابن حجر في مؤلفات منها: التبر المسبوك في ذيل السلوك ضمن وفيات حولية اثنتين وخمسين وثمانمائة للهجرة - ص ٢٣٠ - ٢٣٣ - والذيل على رفع الاصر أو بغية العلماء والرواة - ص ٧٥ - ٨٩ - والضوء اللامع - تر ١٠٤ ص ٣٦ - ٢/٤٠، وفي غير موضع من الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ.

(١) أتيح لي فرصة مراجعة ثلاث نسخ خطية من هذا الكتاب، هي: نسخة مكتبة أحمد الثالث ذات الرقم ٢٩٩١ تاريخ وتقع في مجلد واحد احتى على ٣٤٥ ق مقاسها ١٧,٥ × ٢٦ سم ومسطرتها حوالي ٢٩ سطراً - في مصورتها التي أخذتها عن نسخة معهد احياء المخطوطات العربية عنها رقم ١/٢٠٤ تاريخ، وهي بخط نسخ حسن، كتبت سنة ٨٩٥ هـ. من خط المؤلف الذي فرغ من كتابته له سنة ٨٧١ هـ. بمكة المشرفة على ما ذكر في آخرها، ويبدو أنه رجع اليها بعد ذلك مزيداً ومنقحاً كما يلاحظ من مراجعتها، وكانت تلك النسخة في ملك محمد بن أحمد المظفري. وقد اعتمدت عليها في ايراد ما في المتن من النصوص، وما في الحواشي من ترقيم للصفحات لما امتازت به من الاكتمال والدقة، والحرص على سد الفراغات المبيض لها في النسختين الأخيرتين، وان ظهر عليها أثر تمزق في بعض صفحات اقتضاني مراجعة النسختين التاليتين لصلة ما انقطع من الكلام بسببه.

ونسخة دار الكتب المصرية رقم ٤٧٦٨ تاريخ المصورة عن مخط. المكتبة الأهلية بباريس رقم ٢١٠٥، وتقع في مجلدتين تحتويان على ٧٣٩ ق ومسطرتها حوالي ٢٦ سطراً ومقاسها ١٧ × ٢٤ سم، وقد كتبت في القرن التاسع الهجري من نسخة الأصل التي فرغ السخاوي من تأليفها بمكة في صفر سنة ٨٧١ هـ.، وعليها خط السخاوي. =

(بذكر مناقبه وعظيم مراتبه وجميل سيرته) وأن أجمع لي ترجمة حافلة منوهة بعظيم قدره لتكون عن مآثره ومحاسنه سافرة، قياماً بحقه في الدنيا، ورجاء لثواب ذلك في الآخرة، وتكرر طلب ذلك من جماعة فلم أر منعه ودفاعه، وأيضاً فحداني على جمع ترجمته ما أمرنا به من انزال كل واحد الى منزلته». (١)

مرتباً له على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة (٢) مشيراً الى كل ذلك في التقديم له قائلا:

«.. ورتبت هذا الكتاب على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة».

أما المقدمة ففي التعريف بشيخ الاسلام، والحافظ، والمحدث ـ لكون الأولين عند الاطلاق لا يراد بهما في زمانه سواه بالاتفاق.

= ويلاحظ شيوع الكثير من المواضع المبيض لها في صفحاتها، بالاضافة الى أن الورقتين ٢٧٠، ٢٧٤ ساقطتان من الأصل ـ نسخة المكتبة الأهلية بباريس ـ ومن ثم من مصورات دار الكتب المصرية، ومكتبة جامعة الأزهر رقم ٢١٧٨، ومعهد احياء المخطوطات العربية رقم ٢/٢٠٤ تاريخ عنها.

ونسخة الخزانة الملكية بالرباط رقم ١٥٠٠ والتي عنونت بقوله «الجواهر والدرر في مناقب شيخ الاسلام ابن حجر» وتقع في جزءين يحتويان على حوالي ٤٠٠ ورقة مقاسها ١٩ × ٢٦ سم، ومسطرتها حوالي ٢٩ سطراً، وقد كتبت بقلم نسخي سنة ٨٨٦ هـ. وتنقص قرابة الصفحة من النسخة الأولى، وفي أثناء الصفحة الثانية من النسخة الثانية ـ بعد الغلاف ـ حيث كان ابتداء الجزء الأول منها بقوله: «.. صاحب الترجمة ـ رحمه الله ـ عن أبي محمد عبدالله بن محمد الصالحي قراءة عليه بها..» وينتهي بنهاية الباب الخامس، بينما يبتديء الجزء الثاني منها بالباب السادس وينتهي بنهاية الكتاب وقد جاء فيه قوله: «.. ختم الله أعمالنا بالصالحات بمنه وكرمه» ـ وبها علاوة عن ذلك آثار رطوبة وأرضة أتلفت مواضع كثيرة فيها، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة، وهي غير مفهرسة.

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢ أ.

(٢) نشر هذه الخاتمة منه فرانز روزنثال في كتابه: علم التاريخ عند المسلمين ص ٧٢٧ ـ ٧٥١، عن مخط. المكتبة الأهلية بباريس.

وأما الأبواب، فالأول في ذكر نسبه ونسبته، ومولده وبلدته، وبشارة أبيه به وشهرته، وفيه نبذة من تراجم من وقفت عليه من أسلافه وأخوته.

والثاني في صفة مبدأ أمره ونشأته وذكر طلبه للعلم ورحلته وتعيين من أخذ عنه دراية، وكذا جملة من شيوخ الرواية، وبيان الأماكن التي كتب بها الحديث أو العلم من البلاد والقرى، ليعلم أنه عند الصباح يحمد القوم السري، وختمته ببعض من عنهم تحمل غير مطيل بترجماتهم اكتفاء بمعجمه، فعليه المعول، معقبا ذلك بأوراق مهمة من أسانيده بالكتب ونحوها مما هو متداول بين الأئمة، إن كان هو في فهرسته قد استوفاها لأن الهمم لقصورها ترتاح للطريقة التي سلكناها.

والثالث في بناء الأئمة عليه من الشيوخ والأقران والطلبة والشبان مقدما منهم الأقدم فالأقدم، وان وجد في المتأخرين الذين من هو المقدم، وفيه فصل في بيان مراجعة غير واحد من شيوخه له فيما خفى عن الشيخ الأمر فيه واستشكله، ثم بيان يسير مما كان بالهوامش ونحوها يقيده مما خفي على المصنفين وشبههم تحريره وتقييده والحقت من النظم الذي امتدح به جملة، وان كان منحط الرتبة بالنسبة للفصل الذي قبله.

والرابع في تدريسه واملائه ووظائفه السنية الدالة على علوه وارتقائه، وذكر شيء مما اتفق في ولاياته وما لم يرتضه مما عرض عليه من المناصب لوفور كمالاته، والاشارة لمحنته المقتضية في الدارين لشرف مرتبته. وذكرت من رافقة في القضاء من سائر المذاهب وجماعة من أعيان نوابه البالغين سنى المراتب.

والخامس في سرد تصانيفه مع الترتيب المعتبر، وبيان من علمته ممن رغب في تحصيلها من أئمة النقل والنظر والتنبيه على شهرتها في قديم الأزمان، وتهادي الملوك بها من أقاصي البلدان، وألحقت به فصلا فيما وقفت عليه من تصانيف غيره بخطه الفائق في اتقانه وضبطه.

والسادس في سياق شيء من بليغ كلامه نظماً ونثرا ؛ واشتمل هذا الباب على فصول يفوق سردها خبرا وخبرا، ومنها وهو آخرها فيه اشارة الى بعض من فتاويه التي لا يمكن الاحاطة بجميعها، وشرذمة من كلامه في العلوم بتنويعها، وبعض مسائل من اختياراته وتحقيقاته واشاراته.

والسابع في أحواله وشمائله الناطقة بتفرده في خصائله، وشيء من وصفه الأسنى ومناقبة الحسنى.

والثامن في سرد جماعة ممن أخذ عنه دراية أو رواية.

والتاسع في مرضه ووفاته وما يلتحق بذلك من غسله وتكفينه والصلاة عليه ووصيته قبل مماته وشيء من أحوال بنيه وبناته، وكذا أحوال زوجاته وسراريه وخدمه ومواليه.

والعاشر فيما علمته من المراثي فيه، وان كان الكثير منها لا أرتضيه بالنسبة لعلي مقامه وبديع كلامه، لكنه من لم يجد الماء تيمم، ومن رأى خللا أو نقصاً وله لسان في التكميل تمم.

وأما الخاتمة ففي سرد من علمته الآن أفرد لنبينا ﷺ سيرة وكذا من أفرد لشيخه أو امامه أو نفسه، ونحو ذلك ترجمة بالتأليف»[1].

وهو دراسة منهجية جادة اعتمد فيها «السخاوي» على مؤلفات «ابن حجر» ذاته، وما شافهه به أو لحظة من أحواله أو انطبع في مخيلته وذهنه عنه، وكذا ما التقطه ممن يرجع اليه من أقاربه ورفقته وشيوخه وصحبه، أو وجده في كتابات غيره عنه.

ويظهر فيه اجلاله لشيخه وتقديره له ابتداء بأول الكتاب وانتهاء بآخره، ومنه قوله:

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٤ أ - ٥ أ.

« .. وكان من اعتنى بهذا الفن (علم الحديث النبوي) أعظم عناية الى أن بلغ الغاية القصوى والرواية، وفاق كثيرا من الرجال، وحاز شرف الرتبة في الحال والمآل شيخ الاسلام وأوحد الأئمة الأعلام، حافظ العصر، وخاتمة المجتهدين قاضي القضاة أبو الفضل شهاب الدين الشهير بابن حجر، حامل راية العلوم والأثر فألف فيه كتابة وقراءة وسماعا،. وصار المعول في حفظ السنة النبوية وغيرها عليه مع ما رزقه من فرط الذكاء والتدقيق، وحسن التعبير والتحقيق، فليس لأحد بعده الى درجته وصول ولا للقلب الى كلام غيره من أهل عصره قبول، سارت بفضائله الركبان، وشدت اليه الرحال من أقطاب البلدان.. »[1].

وقوله:

« .. ما أوفر ديانته وتواضعه ورياسته »[2].. الى غير ذلك مما يشيع في مؤلفه من العبارات المادحة.

بل لقد عد موته « فجيعة نازلة، ووجيعة هائلة، ورزية عظيمة، وبلية جهيمة وواقعة عميقة، ومصيبة جسيمة متوجبة لتلف النفوس وذهاب العقول، وأن تخر نجوم السماء وتجنح شمس النهار للأفول »[3].

ويلاحظ من استقراء هذا المؤلف:

(١) حرص مؤلفه على الاقتضاب مع ولعه بالتطويل والاسهاب في بعض مواضع، منها قوله: « .. وقد رأيت جزءاً سماه الدرر المضية من فوائد اسكندرية ذكر فيه مسموعه هناك وما وقع له من النظم والمراسلات وغير ذلك ما أحسن لو كتبته ولم أنتقه، ومن جملة ما فيه من نظمه.. وكذا رأيت

---

(١) المصدر السابق ق ٢ أ.
(٢) نفسه ق ٣٩ أ.
(٣) نفسه ق ٢ أ.

أوراقا من جزء للسفرة التي بعدها ، يا لهفي على رواية باقية »[1]. وقوله : « .. مما لو سرد لطال مع تعذر استقصائه »[2]. وقوله : « .. الى غير ذلك مما لا نطيل بايراده »[3].

(٢) حرصه على الاستطراد والتطويل في مواضع أخرى وادراكه لذلك ونصه عليه ومنها قوله : « .. وجرت يوم الختم ـ ختم صحيح مسلم ـ لطيفة وهو أن الضابط للجماعة وكان شيخنا الحافظ أبو نعيم رضوان العقبي المستملي ـ رحمه الله ـ التمس منه بعد الختم اعادة بعض أفوات من أول الكتاب فأجابه الى ذلك ، وشرع في القراءة ، فكان كلما أم الوقوف يقول له الضابط : وأيضا ، وأيضا ، وهو يقرأ الى أن مر وقد تعب القارىء ـ قوله في الحديث والله لا أزيد على هذا ولا أنقص ، فغلق الكتاب وأقسم ـ أيضاً ـ أن لا يزيد على هذا ولا ينقص . قلت وما وقع لصاحب الترجمة في صحيح مسلم أجل مما وقع لشيخه المجد اللغوي صاحب القاموس ، فانه قرأ بدمشق .. »[4]

وقوله : « .. ولقد سأله الأمير الفاضل تغري برمش الفقيه وهو من تلامذته هل رأيت مثل نفسك ؟ فقال : قال الله تعالى : فلا تزكوا أنفسكم ـ انتهى . وهذا الجواب أجاب (به) الدارقطني رجاء بن محمد المعدل حيث قال .. »[5]

وقوله : « .. واتفق في عصرنا شبيه ذلك وهو .. »[6]
وقوله : « .. قلت واتفق لي أنني .. »[7]

---

(١) نفسه ق ٢٧ ب.
(٢) نفسه ق ٣٩ أ.
(٣) نفسه ق ١٧٥ أ.
(٤) المصدر السابق ق ٣٢ ب.
(٥) نفسه ق ٣٣.
(٦) نفسه ق ٣٦ أ.
(٧) نفسه ق ٣٦ ب.

وقوله: « .. وكل هذا استطرادات لكنها نافعة »[1]

وقوله: « .. وكل هذا استطراد، والكلام في استيفاء ذلك فيه طول، فليقتصر على ما ذكر »[2].

وقوله: « .. وكل هذا استطراد لكنه أدل دليل على محبة صاحب الترجمة في العلم وأمانته حيث ينسب كل شيء الى قائله ولو كان من تلامذته »[3].

وقوله: « .. وذكرت ذلك هنا استطرادا »[4].

وقوله: « .. وانما أوردتها مع ما قبلها استطرادا »[5].

(٣) على الرغم من تثبته من الكثير من معلومات كتابه وجزمه بها فانه قد تأرجح في ايراد البعض الآخر، كنحو قوله بشأن جمع « ابن حجر » لمسموحه وفوائده من رحلته الى الاسكندرية في جزء أسماه « الدرة المضية من فوائد اسكندرية »: « .. والظاهر أن كل سفراته سلك فيها هذه الطريقة »[6]. وقوله في موضع آخر: « .. لكنني ما تحققت قوله فيهم.. »[7] كما أنه يسكت في بعض مواضع عن ايفاء الموضوع حقه أو اكمال عناصره، ومنه امساكه عن ذكر من انتقد الكتابات التاريخية لابن حجر مكتفيا فيه بقوله « البعض »[8].

ولقد قدر لهذا المصنف أن يختصر عدة اختصارات بقيت لنا منها واحدة تحمل اسم « جمان الدرر من ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر »[9] لمختصره

(١) نفسه.
(٢) نفسه ق ٣٧ أ.
(٣) نفسه ق ٣٨ أ.
(٤) نفسه ق ٤٠ ب.
(٥) نفسه ق ٣٢٠ ب.
(٦) المصدر السابق ق ٣٧ ب.
(٧) نفسه ق ٣٩ ب.
(٨) نفسه ق ٢٦٨ ب.
(٩) ويقع في مجلد بخط مؤلفه ـ الذي فرغ من تأليفه وكتابته سنة ١١٦٠ هـ. ـ وقد احتوى على =

« عبـدالله بن زيـن الديـن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابـراهيم بن زكريا بن خليل البصروي المحتد، الدمشقي المنشأ، القسطنطيني المولد »[1] والذي امتدح في مقدمته مؤلف السخاوي وان لم يسمه باسمه مشيرا الى دافعه الى اختصاره قائلاً: « .. وقد ترجمه ـ تـرجـم ابـن حجـرـ جماعـات مـن معاصريه فمن بعدهم، فمن مطنب ومن مختصر. وكيف وفضائله ومآثره كنار على علم، ومن أحسن ما ألف مفردا ترجمة تلميذه الحافظ المؤرخ الشيخ أبي الخير شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي المصري القاهري شكر الله سعيه، وهو في مجلد ضخم سماه تناسق الدرر في ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر، لكنه كبير الحجم لما تضمنه من الفوائد الحديثية وهي مذكورة في كتبه مقررة في نظامها، ومن الأشعار التي في مدحه ـ قدس (الله) روحه ـ من الشعر المتوسط وبعض الحكايات القليلة الجدوى، فرأيت أختصاره بحذف ما ذكر مع زيادة طرق له لبعض الكتب الحديثية أخذتها من تآليف المترجم ومن بعض الاجازات التي وقفت عليها بخطه ـ رحمه الله ـ لبعض تلامذته، ومن رمز وفاة من وقفنا على تاريخ وفاته من أشياخه وتلامذته بالقلم الهندي »[2].

وقد ترتب هذا المختصر ترتيب أصله في عشرة أبواب، مع اسقاط مقدمته وخاتمته. وهو مقتضب للغاية في مواضع كثيرة ولا غنية لمطالعة عـن الأصل المأخوذ عنه، ولقد حداني على الاستعانة به في الترجمة لابن حجر من هذا البحث وضوح خطة ويسر مطالعته فأثبت في الحواشي أرقام الصفحات المقابلة لنص « السخاوي » المختصر فيه ليسهل على من يريد مراجعته ذلك، ان لم يتيسر له مراجعة الأصل، مع ملاحظة أنني لم أثبت من نصه في المتن شيئاً.

= ١٣٨ ق مقاسها ١٦ × ٢١ سم تحتفظ به دار الكتب المصرية تحت رقم ٧٢٦ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٩٨ تاريخ.

(١) من أهل القرن الثاني عشر الهجري، ولم أجد له ترجمة.

(٢) عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٢ ب.

ولعله من المفيد الاشارة الى أنه كان لدى مؤلفه نسخة أخرى من مختصرات « الجواهر والدرر » انتقدها في مقدمته قائلا : « .. وقد وقفنا على مختصر لهذه الترجمة للسفيري ـ أحد تلامذة السيوطي ـ اختصره على وجه غير مقبول .. »[١] .

وعلى الرغم من المجهود المبذول في التعرف على هذه النسخة أو الوصول اليهما فانني لم أوفق الى ذلك .

ومن أهم المصادر المعتني بها في الترجمة لابن حجر لديّ مؤلفات « ابن حجر » نفسه ، حيث أنها أكثر المصادر صفاء ، وأعلاها ثقة في تدوين سيرته ودراسة ما خلفه من تراث كتابي ، خاصة وقد ظهرت شخصيته فيه ، فضلا عن تناوله لحياته وعصره في دراسات مستفيضة منها : انباء الغمر بانباء العمر ، والذيل على الدرر الكامنة ، أورد فيها جوانب متعددة من حياته ومجرياته ، والمجمع المؤسس بالمعجم المفهرس ، والمعجم المفهرس ، حيث خص الأول بقائمة شيوخه الذين كان على اتصال بهم مبينا نوعية هذه الصلة ومدى افادته منهم ، بينما جرد في الثاني أسماء الكتب والأجزاء المستفادة ، ومن ثم يكشفان عن الطريق التي سلكها دارسا ونوعية ثقافته كما ترجم للكثيرين من أهله وذويه في كل من : الدرر الكامنة ، وانباء الغمر ، ورفع الأصر ، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه ..[٢] بالاضافة الى ترجمته لنفسه فيما يعرف «Autobiography» في كتابه « رفع الاصر » باعتباره من القضاة المترجم لهم فيه[٣] .

بل يمكن القول بأن كل ما تركه « ابن حجر » من تراث كتابي سواء كان في التاريخ أم في غيره من الفنون التي عالجها بكتاباته لا يعدم دارسها الوقوف

---

(١) المصدر السابق ق ٢ ب .
(٢) راجع دراستي لهذه المؤلفات في الفصل السادس من الباب الثاني من هذا البحث .
(٣) ابن حجر . رفع الاصر ص ٨٥ ـ ١/٨٨ .

على جانب من جوانب هذه الشخصية أو تفسيره لها.

كما راجعت بعض كتب الأدب، ومصطلح التاريخ، والجغرافيا والبلدانيات والخطط، ومصطلح الحديث لتفسير ما يقع لي مما اثبت في المتن، وكذا المعاجم، والتراجم المعنية بذكر أعلام هذه الفترة المبحوث فيها - في ترجمة ابن حجر- لتخريج ترجمات شيوخه وأساتذته ممن أخذ عنهم في رحلاته وغيرها.

وهنا تجدر الاشارة الى أمور متعلقة بالمصادر، وهي:

(١) أن سائر المصادر بمقابلتها بترجمة «ابن حجر» لدى «السخاوي» في «الجواهر والدرر» تظهر غير ذات بال، اللهم الا في مواضع يسيرة مما لا يستغنى فيها عنها، ومن ذلك على سبيل المثال قول السخاوي واصفا لشيخه: «.. فكان رحمه الله تعالى ربعة أبيض اللون، منور الصورة، كث اللحية، حسن الشيبة، مليح الشكل، صحيح السمع والبصر، ثابت الأسنان نقيها، صغير الفم، قوي البنية، عالي الهمة، خفيف المشية..»[١] وهو مما لا يستغني معه عن قول ابن تغري بردى فيه: «.. وكان صفته -رحمه الله- ذا لحية بيضاء، ووجه صبيح، الى القصر أقرب، وفي الهامة نحيف، جيد الذكاء، عظيم الحذق لمن ناظره أو حاضره»[٢]. وكذا ما ورد من وصف لمجلس املائه بجامع حلب الأعظم لدى «ابن خطيب الناصرية»[٣] على الرغم من عقد «السخاوي» لفصل خاص بأماليه من ترجمته المفردة لشيخه.

(٢) أن ترجمة «ابن حجر» لدى «السخاوي» في «الجواهر والدرر» لا يستغنى بها عن ترجمته له في مؤلفاته الأخرى كالتبر المسبوك، وبغية العلماء والرواة والضوء اللامع.. حيث توجد اضافات الى ما ورد في الجواهر والدرر

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨٠ أ.

(٢) ابن تغري بردى. المنهل الصافي ق ٦٢ أ.

(٣) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ق ١٠٦ ب.

خاصة فيما تعلق بصلة المترجم بالمترجم له أو سرد لمصادر ترجمته لدى غيره.

(٣) أن مراجعة مؤلفات «ابن حجر» خاصة انباء الغمر، والمجمع المؤسس والدرر الكامنة، والذيل عليه، ورفع الاصر، وتجريد ما يضاهيها لدى «السخاوي» في «الجواهر والدرر» مما أخذ عنها يجعل الفائدة المرجوة من «الجواهر والدرر» محصورة في حيز ضيق للغاية من حيث الكم والكيف لمادته، وهو تلك الانطباعات الشخصية لدى «السخاوي» أو ما التقطه مشافهة عن «ابن حجر» ورفقته وتلامذته، فضلا عن الكثير من الاستطرادات التي تشط به خارج موضوعه، بل يمكن الاشارة الى أن ما كتبه «ابن حجر» من ترجمات لوفيات الشطر الأول من القرن التاسع الهجري يشكل البنية الرئيسة والأساس لكتاب «السخاوي» ـ الضوء اللامع.

٤ ـ أن هذه المصادر مع عنايتها بالترجمة «لابن حجر» سواء عنه مباشرة باعتماد مؤلفاته، أو بطريق غير مباشر باتخاذها «السخاوي» مصدراً لها، قد وقعت في تناقض في بعض مواضع لم يتيسر لي حلها سواء فيما يتعلق بتأريخ المولد أو الوفاة على وجه دقيق وصائب، حيث لم يمكني ترجيح أي من الروايات الواردة بشأن التأريخ لمولده وان جزم المصدر الحاوي لها بنسبتها إلى «ابن حجر» عينه لتناقضه مع مصدر آخر سلك ذات الطريق في الانتساب اليه، حيث نجد ـ على سبيل المثال ـ أن «ابن الغزي» قد أورد في ترجمته «لابن حجر» قوله: «.. مولده كما أخبرني به، وكتب إليّ بخطه في ثالث عشري شعبان».[1] وهو ما يتناقض مع قول «ابن تغري بردى» في العنصر عينه: «.. سألته عن مولده، قال في ثاني عشرين شعبان»[2]. وهذه الرواية الشفهية لدى كل لا يسندها دليل مما ترك «ابن حجر» من تراث مخطوط، لأنه لم يعتن بالتأريخ التام لولادته على نحو ما سوف ترى في ترجمته.

(١) ابن الغزي. بهجة الناظرين ق ٧٧ أ.

(٢) ابن تغري بردى. الدليل الشافي ق ١١ ب.

٥ ـ أن كل من ترجم له كان معجباً به مقدراً لعلمه مشيراً إلى تفرده في فنه (فن الحديث النبوي) وسعة معارفه، مجلا له، وان ظهر مع ذلك انتقاد «ابن فهد المكي» له لتوليه منصب القضاء وولعه بحب ولده مما نوقش في موضعه من هذا البحث.

على حين أننا لا نعدم «لابن حجر» ترجمة لدى المحدثين ممن عنوا بنشر تراثه أو التعريف بالكتابات التاريخية لهذه الفترة، ومنهم «جميل بك العظم» في كتابه «عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفاً ومائة فأكثر»، ود. محمد مصطفى زيادة في «كتابه المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي»، ومحمد عبدالله عنان في كتابه «مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري»[1]، ود. على حسني الخربوطلي في كتابه «من التراث الإسلامي»، وأرنديك «C. Van Arendonk» في دائرة المعارف الإسلامية..

على أن أوسع هذه التراجم استيفاء لموضوعها، ورجوعاً إلى مصادر ترجمته خصوصاً «الجواهر والدرر» ـ الآنف الاشارة اليه ـ مقدمة تحقيق رفع الاصر عن قضاة مصر للدكتور حامد عابدين، والمقالات المتابعة بين عامي ٧١ ـ ١٩٧٣ م. التي نشرها د. افتاب أحمد رحماني «Dr. Aftab Ahmed Rahmani» في مجلة «الثقافة الإسلامية «Islamic Culture» عن حياة ومؤلفات ابن حجر العسقلاني «The Life and Works of Ibn Hajar Al - Asqalani» والترجمة المتصدرة لكتاب. د. شاكر محمود عبدالمنعم ـ ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الاصابة.

---

(١) حيث أشار فيه إلى أن «ابن حجر» كان يكتب التاريخ بطريقة عادية غير ناقدة متبعاً على الأغلب طريقة الرواة المجردة، بيد أنه يتخذ من الترجمة أحياناً سبيلاً إلى النقد والمهاجمة على النحو الذي توسع فيه فيا بعد تلميذه السخاوي ـ ص ١١٢ ـ وهو ما يناقضه قول د. بشار عواد معروف ـ الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام ص ٦٠ ـ «.. وكان لابن حجر اتصال قوي بكثير من مؤلفات الذهبي، وهو من أعظم النقاد في القرن التاسع الهجري ولذلك فان رأيه في الذهبي له قيمته العلمية».

وكما سبق أن أوضحت فانني لم أعتمد أي منها في الترجمة لابن حجر اكتفاء بما تحت يدي من مصادر، وان أفادتني كثيراً في طريق التعرف على ما كان ينقصني من مصادر ترجمته حتى وصلت اليه.

الباب الثاني

أما الباب الثاني وقد خصص لدراسة منهج «ابن حجر» في كتابه «انباء الغمر بأنباء العمر» فان الأساس فيه خبرة الباحث ومعرفته بالكتابات التاريخية في هذه الفترة المبحوثة فيه، ولذا كان عمدتي فيه على الدراسة المتأنية والدقيقة لهذا الكتاب متخذاً من نسخة «الظاهرية» بدمشق ـ مسودة الكتاب ـ أصلاً لهذه الدراسة، وان استبدلت ـ بعد ذلك ـ أرقام الصفحات الواردة في الحواشي بما يقابلها في ط. القاهرة منه، وما يتممها من ط. الهند، ليسهل مراجعتها والتثبت من نسبة النقول المثبتة فيه إلى قائلها، وبالتالي تقويم ما اهتديت اليه من نتائج.

على أن طبيعة هذه الدراسة، ومحاولة الكشف عن مصادر «الانباء» و «النقد التأريخي فيه» قد اقتضت مراجعة الكثير من الكتب المطبوعة والمخطوطة المعاصرة لمادة الكتاب ـ المبحوث فيه ـ أو بعضها، فكان من بينها:

وفيات الأعيان «لابن خلكان» (ت ٦٨١ هـ. / ١٩٨٢ م.)، والاحاطة في أخبار غرناطة «للسان الدين بن الخطيب» (ت ٧٧٦ هـ. / ١٣٧٤ م.) ودرة الأسلاك في دولة الأتراك «للحسن بن حبيب» (ت ٧٧٩ هـ. / ١٣٧٧ م.) وذيل ولده عليها (ت ٨٠٧ هـ. / ١٤٠٥ م.)، وروض المناظر في علم الأوائل والأواخر «لابن الشحنة» (ت ٨١٥ هـ. / ١٤١٢ م.)، والدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب «لابن خطيب الناصرية» (ت ٨٤٣ هـ. / ١٤٤٠ م.)، والسلوك «للمقريزي» (ت ٨٤٥ هـ. / ١٤٤١ م.)، وطبقات الشافعية، والتاريخ «لابن قاضي شهبة» (ت ٨٥١

هـ. / ١٤٤٨ م.) وعقد الجهان «للبدر العيني» (ت ٨٥٥ هـ. / ١٤٥١ م.)..

وان لم أستطع الاهتداء إلى كثير من مصادر «الانباء» التي يشيع نقل «ابن حجر» فيه عنها، أو حتى تقديم دراسة وصفية لها، ومنها:

كتابات كل من «التقى بن رافع» (ت ٧٧٤ هـ. / ١٣٧٢ م.)، و «محب الدين الحنبلي» (ت ٨٧٩ هـ. / ١٣٨٧ م.)، و «التقى الزبيري» (ت ٨١٣ هـ. / ١٤١٠ م.)، و «البرهان الحلبي» (ت ٨٤١ هـ. / ١٤٣٧ م.)..[١] ومرد ذلك إلى أن مثل تلك المؤلفات مما لا يعرف لعصرنا بعد لضياعه وتلفه أو لأنه لم يكشف بعد الستار عن أماكن وَجوده لدرسه والانتفاع به.

كما كان طبيعياً أن تشكل كتابات «ابن حجر» المعاصرة لمادة «الانباء» أو المشاركة لها ـ خاصة فيما يخص التراجم من حولياته ـ مورداً أساسياً لهذه الدراسة، حيث خصص الفصل السادس من هذا الباب لدراسة العلاقة بين «الانباء» والمؤلفات التاريخية الأخرى لابن حجر مما يمكن مراجعته في موضعه.

وكان طبيعياً أن تشارك المعاجم والمؤلفات المعنية بالترجمة لرجالات هذه الفترة (القرنين الثامن والتاسع للهجرة) في تقديم مادة موسعة عن الكثيرين من المؤرخين الذين اعتمد «ابن حجر» مؤلفاتهم أو بعضها مورداً للانباء، مما اقتضى مراجعتها والاستعانة بها في سبيل التعريف بهم أو اعطاء فكرة ـ ولو مقتضبة ـ عن ما فقد من مؤلفاتهم التي تشكل مورداً للانباء.

ويضاف إلى ذلك الاعتماد بصورة أساسية على كل من: «ابن شداد» (ت ٦٨٤ هـ. / ١٢٨٦ م.) في كتابه «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام

---

(١) راجع التعريف بهم في الفصل المعقود للمصادر من هذا الباب.

والجزيرة »، و « التقى المقريزي » في كتـابـه « المواعـظ والاعتبـار « الخطـط والنعيمي » (ت ٩٢٧ هـ. / ١٥٢١ م.) في كتابه « الدارس في تاريخ المدارس ».. في التعريف ببعض مدارس الشام ومصر الواردة ضمن ما اثبت من نقول في متن هذا البحث.

ويضاهي ذلك الاعتماد على بعض كتابات الأصوليين والمعنيين بدراسة الفرق الإسلامية للتعريف ببعض المذاهب الإسلامية، مما ورد عرضاً في متن هذا البحث وكذا بعض كتب العروض لضبط وتخريج بحور ما اثبت من شعر فيه أو كتب اللغة لتفسير بعض الكلمات والتعبيرات، وعلى الأخص « لسان العرب » لابن منظور (ت ٧١١ هـ. / ١٣١٢ م.).

منهج الدراسة:

أما عن منهج الدراسة، فانه يمكن الاشارة إلى افادتي كثيراً من بعض الدراسات التي سبقتني إلى التعريف بالمؤرخين الإسلاميين أو الكشف عن المنهج لديهم، والتي قام بها أساتذة أجلاء متخصصون، وأخص بالذكر منهم:

« فرانز روزنثال » في كتابيه: « علم التاريخ عند المسلمين »[١] و « مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي »[٢]، د. « عبدالعزيز الدوري » خاصة في كتابه « بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب »[٣]، ود. « فؤاد عبدالمعطي الصياد » في كتابه « مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني »[٤] و « محمد غفراني الخراساني » في كتابه « عبدالله بن المقفع »[٥] ود. « بشار عواد

(١) ط. بغداد، المثني، ١٩٦٣، تر. د. صالح أحمد العلي.
(٢) ط. بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠، تر. أنيس فريحة.
(٣) ط. بيروت، الكاثوليكية، ١٩٦٠ م.
(٤) ط. القاهرة، الكاتب العربي، ١٩٦٧ م.
(٥) ط. القاهرة، القومية، بدون تاريخ.

معروف» في كتابه «الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام»[1] ـ وقد حاكيته في كثير من جوانب منهجه ـ وتلك البحوث التي ظهرت أخيراً وليدة بعض المهرجانات أو الندوات المتعلقة بـدراسـة أو القـاء الضـوء على بعـض المؤرخين..[2]

---

(١) ط. القاهرة، الحلبي، ١٩٧٦ م.

(٢) من ذلك أعمال مهرجان ابن خلدون، يناير ١٩٦٢ ـ من منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، دراسات عن المقريزي. القاهرة، الهيئة المصرية، ١٩٧١، أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى. القاهرة، الهيئة العامة، ١٩٧٩، جلال الدين السيوطي. القاهرة، الهيئة العامة، ١٩٧٨ م.

الباب الأول ـ ابن حجر العسقلاني:

دراسة حياة (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ.)

- تمهيد..
- الفصل الأول : نشأته وتكوينه.
- الفصل الثاني : حياته الاجتماعية.
- الفصل الثالث : مرضه ووفاته.
- الفصل الرابع : مقومات شخصيته.
- الفصل الخامس : شيوخه وأساتذته.
- الفصل السادس : رحلاته.
- الفصل السابع : العلوم التي نبغ فيها ووظائفه المختلفة.
- الفصل الثامن : علاقاته بشخصيات عصره.

تمهيد :

انقسمت الدولة الأيوبية على نفسها عقب وفاة « صلاح الدين الأيوبي » (ت ٥٨٩ هـ. / ١١٩٣ م.) فصارت مصر ودمشق وحلب وبعلبك وحمص وحماه والكرك وبصرى.. وغيرها مراكز لامارات يحكمها بعض أبناء البيت الأيوبي:

لكن سرعان ما اختلفوا وثارت بينهم المنازعات والحروب، فضلا عن خلافاتهم مع البيوت القديمة الحاكمة للموصل وسنجار وكيفا وآمد وخرتبرت وخلاط.. مما كان سبباً في استكثار هؤلاء الملوك والسلاطين من شراء المماليك (*) ليكونوا لهم معتمداً في الاحتفاظ بملكهم، وفي رد عدوان جيرانهم (١).

(*) المماليك رجال بيض جلبوا إلى مصر كأرقاء نتيجة ابتياعهم بالمال، ثم حررهم سادتهم الذين كانوا عبيداً من قبل واتخذوهم لهم شخصية قائمة بذاتها. وترجع أصولهم الى أجناس متنوعة من أتراك وجراكسة ومغول وصقالبة ويونانيين وأسبان وألمان.. ـ د. سعيد عبدالفتاح عاشور. العصر المماليكي في مصر والشام ص ١، د. أحمد مختار العبادي. قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ص ١١، جاستون فييت. القاهرة مدينة الفن والتجارة ص ١١٠.

(١) أكد على ذلك مراراً د. سعيد عبدالفتاح عاشور في أكثر من مرجع، منها: العصر المماليكي في مصر والشام ص ٣، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني =

فكان من بين هؤلاء «الصالح نجم الدين أيوب» (ت ٦٤٧ هـ. / ١٢٤٩ م.) الذي ترجع المصادر أصول الدولة المملوكية في مصر والشام اليه [١] على اعتبار أنه كان «قد اشترى من المماليك الترك ما لم يشتر أحد من الملوك مثله من قبله حتى عاد أكثر جيشه مماليكه» [٢] فضلا عن اتخاذه منهم أمراء دولته وبطانته المختصين بدهليزه اذا سافر. [٣]

لكن الحقيقة المستخلصة من استقراء التاريخ تشير إلى أن هؤلاء الذين كان مأمولا فيهم أن يكونوا عدة وسنداً لمتملكهم سرعان ما غدوا خطراً يتهدده وملكه. [٤]

ولعل مرد ذلك إلى عوامل منها:

طبيعة تكوينهم التي جعلت منهم قوة ترتكز عليها الدولة في مهامها الحرجة بالاضافة إلى انقسام البيت الأيوبي ـ الحاكم ـ على نفسه [٥] في وقت داهمت

= (بالاشتراك) ص ٤٢٥ ـ ٤٢٦، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ص ١٩٣ ـ ١٩٤، الحركة الصليبية ص ٢/١٧٥، الأمراء الرقيق ص ٤٨. وكذا: د. نقولا زيادة. دمشق في عصر المماليك ص ٢٣ ـ ٢٤، وليم موير، المماليك في مصر ص ٣٧.

(١) ابن دقماق. الجوهر الثمين ق ٦٧ أ، علي مبارك. الخطط التوفيقية ص ١/٧٩، د. محمد مصطفى زيادة. الدولة المملوكية الأولى ص ٢/٤٨٣، د. سعيد عبدالفتاح عاشور. المراجع السابقة، د. أحمد السعيد سليمان تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ص ١/١٥٩، استانلي لين بول. طبقات سلاطين الإسلام ص ٧٨.
ويلاحظ أن استخدام المماليك أو الرقيق الترك لأول مرة في الدولة الإسلامية كمحاربين وحراس يرجع إلى دولة الخلافة العباسية ـ القزويني. آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٨٥، المقريزي. السلوك ص ١/٣٥، ابن اياس. بدائع الزهور ص ١/١٦١..

(٢) ابن أبيك الدواداري. كنز الدرر وجامع الغرر ص ٧/٣٧٠.

(٣) المقريزي. السلوك ص ٣٣٩ ـ ١/٣٤٠، علي باشا مبارك. الخطط التوفيقية ص ١/٧٩.

(٤) د. فاروق عمر. الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، د. احمد مختار العبادي. قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ص ٩٣، Lorapoole, A History of Egyptin The Middle Ages, P 242.

(٥) حيث تشير المصادر إلى ازدياد سطوتهم على عهد متملكهم مما جعلهم: «.. يشوشوا على الناس وينهبوا البضائع من على الدكاكين، فضج الناس منهم وكثر الدعاء على الملك الصالح =

فيه البلاد الأخطار الداخلية ـ من مجاعات وأوبئة ـ والخارجية متمثلة في تحول الحملات الصليبية إلى مصر لسبب أو لآخر.[1]

ويبدو أن انتصار الأيوبيين في فارسكور (٦٤٧ هـ./١٢٥٠ م.) على الحملة الصليبية السابعة[2] كان بداية النهاية لهذه الدولة[3] فلقد كان ذلك عاملا مساعداً في ظهور المماليك « كدولة »، حيث انفردوا بحكم مصر بعد سلسلة من الأحداث السريعة المتتابعة: من وفاة متملكهم « الصالح نجم الدين أيوب » (في ١٥ من شعبان ٦٤٧ هـ. / ٢٣ من نوفمبر ١٢٤٩ م.) فمقتل « تورانشاه » (٦٤٨ هـ. / ١٢٥٠ م.) وقد خلفته « شجر الدر » (ت ٦٥٥ هـ. / ١٢٥٧ م.) على عرشه ممهدة بذلك لتولي « عز الدين أيبك » (٦٤٨

= بسببهم، وقد قال القائل:

الصالح المرتضى أيوب أكثر من ... ترك بدولته يا شر مجلوب
لا آخذ الله أيوباً بفعلته ... فالناس قد أصبحوا في ضر أيوب

فلما زاد أمرهم في أذى الناس شرع الملك الصالح في بناء قلعة بالروضة بالقرب من المقياس وأسكنهم بها » ـ ابن اياس. بدائع الزهور ص ١/٢٦٩.

(١) يجمل ذلك « يوشع براور » قائلاً: ـ وكانت ثمة أسباب عديدة تحفز الصليبيين على الهبوط في دلتا النيل بدلا من نهر الأردن القريب، أهمها سببان: الأول هو اهتمام المدن التجارية الايطالية بالسيطرة على السوق الرئيسة في حوض البحر المتوسط، والثاني هو المذهب السياسي والعسكري الجديد للصليبيين » ـ عالم الحروب الصليبية ص ٨٣ ـ وهو ما يفسره د. سعيد عبدالفتاح عاشور « برغبتهم القضاء ـ فيها ـ على قلب المقاومة الإسلامية » ـ أضواء جديدة على الحروب الصليبية ص ٣٧.

(٢) عن الحملة الصليبية السابعة يمكن مراجعة: محمد مصطفى زيادة. حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية ص ٢/١٠٥١ وما بعدها، جوانفيل. القديس لويس وحملاته على مصر والشام.

(٣) د. سعيد عبدالفتاح عاشور. الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ص ١٩٨، الأمراء الرقيق ص ٤٩، أضواء جديدة على الحروب الصليبية ص ٤٢ ـ ٤٣، د. فايد حماد عاشور. العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ١٩، د. قاسم عبده قاسم. دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك ص ١١..

هـ. / ١٢٥٠ م.) أول سلاطين المماليك ـ حكم البلاد.[١]

وساعدت الظروف المحيطة بسلاطين المماليك ـ آنذاك ـ على التمكين لدولتهم واستقرارها مما جعلهم يبسطون سلطانهم على مصر والشام، ويمتدون بنفوذهم إلى النوبة[٢] والحجاز[٣] وأطراف آسيا كذلك.

بل لقد ذاع صيتهم في الممالك الأخرى ذيوعاً كان معه ارسال ملك الهند البعوث المحملة بالهدايا والتحف لسلطان مصر طمعاً في الحصول على اعترافه بملك (ابن طغلوق) وتثبيت الخليفة له.[٤]

ويمكن اجمال اهم هذه العوامل في الآتي:

ـ اعتراض الأيوبيين في الشام على قيام الدولة المملوكية في مصر اثر مصرع «تورانشاه»[٥] وحربهم اياهم، مما أتاح لسلاطين المماليك فرصة التوسع على حساب ممالكهم، بل وانتزاع اعترافهم لهم بالتبعية.[٦]

---

(١) حيث يعد أول سلاطين المماليك ـ على خلاف لدى بعض المصادر والمراجع ـ لدى كل من: ابن دقماق. الجوهر الثمين ق ٦١ أ، ابن تغري بردى. مورد اللطافة ص ٣٤، ابن اياس. بدائع الزهور ص ٢٨٧ ـ ١/٢٨٨.

(٢) د. مصطفى محمد مسعد. الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ص ١١٨ وما بعدها، د. محمود محمد الحويري. أسوان في العصور الوسطى ص ٥٥ ـ ٥٨ د. سعيد عبدالفتاح عاشور. العصر المماليكي ص ٧٨ وما بعدها، د. محمد جمال الدين سرور. دولة الظاهر بيبرس في مصر ص ١١٣ وما بعدها، د. أحمد مختار العبادي. قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ص ٢٣١ وما بعدها د. أحمد شلبي. موسوعة التاريخ الإسلامي ص ٢٢٦ ـ ٥/٢٢٩.

(٣) بشأن العلاقات الحجازية المصرية: أهدافاً وظروفاً وتدابير يمكن مراجعة: علي بن حسين السليمان. العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك

(٤) د. محمد مصطفى زيادة. الدولة المملوكية الأولى ص ٢/٤٨١، ولیم موير تاريخ المماليك في مصر ص ٩٩.

(٥) عن مصرع تورانشاه يمكن مراجعة: ابن ايبك الصفدي. الوافي بالوفيات ص ١٠/٤٤٦، ابن دقماق. الجوهر الثمين ص ٥٩ ب ـ ٦٠ أ، ابن تغري بردى مورد اللطافة ص ٣٣.

(٦) د. سعيد عبدالفتاح عاشور. العصر المماليكي ص ٣٦ وما بعدها، الأيـوبيون والمماليك في

- مجابهتهم للخطرين المغولي[1] والصليبي.[2]

وهذا العامل الأخير أعطاهم امتيازاً فاق ما افتقدوه من حق السيادة استناداً الى المولد أو الثقافة أو الثراء لكونهم أرقاء[3] اغتصبوا عرش متملكيهم، حيث اعتبروا حماة الإسلام المدافعين عنه.[4]

بل لقد ساقت اليهم الأقدار سوقا الدعامة الشرعية التي قامت دولتهم عليها - فيما بعد - وجعلتهم يفرضون لأنفسهم مقاما ساميا على ملوك العالم الاسلامي - آنذاك - باعتبارهم حماة الخلافة والمتمتعين ببيعتها[5]. وذلك بعد سقوط بغداد على أيدي المغول (٦٥٦ هـ. / ١٢٥٨ م.) وقتل آخر الخلفاء

مصر ص١٠٦ - ١١٩، د. أحمد مختار العبادي. قيام الدولة المملوكية الأولى في مصر والشام ص١٢٤ وما بعدها.

(١) د. سعيد عبدالفتاح عاشور. المراجع السابقة، لين بول. سيرة القاهرة ص١٨١ - ١٨٢، أنتوني ناتنج. العرب تاريخ وحضارة ص٢/٣٧، د. عبدالسلام عبدالعزيز فهمي. تاريخ الدولة المغولية في ايران ص١٤٣ - ١٥٠، د. فايد حمادة عاشور. العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى ص١١٦ وما بعدها، د. أحمد مختار العبادي. قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ص١٤٣ وما بعدها، د. نقولا زيادة دمشق في عصر المماليك ص٢٦ - ٥٧.

(٢) د. سعيد عبدالفتاح عاشور. الحركة الصليبية ص٢/١٠٨٣ وما بعدها، ستيفن رنسيمان. تاريخ الحروب الصليبية ص٣/٥٣٦ وما بعدها..

(٣) جاستون فييت. القاهرة مدينة الفن والتجارة ص١١٠ - ١١١.

(٤) تقرر ذلك في سائر المصادر والمراجع المشار اليها، وأصبح مسلمة لا يعوزها دليل أو اسناد إلى مصدر.

(٥) د. محمد مصطفى زيادة. بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك ص ٤/٧٩، ويلاحظ أن الظاهر بيبرس قصد بذلك أن تكون الخلافة نافعة فحسب، يستمد منها ويستأديها ما تحتاجه دولة المماليك من الحماية الروحية - نفسه ص ٧٨ - ولذا فانها قد نشأت وظلت خلافة محجورا عليها - د. علي ابراهيم حسن. تاريخ المماليك البحرية ص ٢٥٨، د. محمد جمال الدين سرور. دولة الظاهر بيبرس ص ٦١ - ٦٢، د. سعيد عبدالفتاح عاشور. الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ص ٢٢٦ - ٢٣١، د. عبدالسلام عبدالعزيز فهمي. تاريخ الدولة المغولية في ايران ص ١٣٤.

العباسيين بها [١] واحياء الظاهر بيبرس للخلافة العباسية بالقاهرة، فلم يعد أي من سلاطينهم ـ بعد ذلك ـ في حاجة الى تلمس الوصول الى مبرر شرعي لجلوسه على العرش [٢].

وهكذا فان طبيعة تكوينهم، وما واكب ظهورهم من أحداث كانت سببا في قيام دولتهم ورسوخها ـ قد صبغ فترة حكمهم بصفات رئيسه صارت علما عليهم، وهي:

ـ طبيعة تكوينهم كأرستقراطية عسكرية، بوصفهم الجهاز الحربي الذي استأثر بحكم البلاد والدفاع عنها، ومن ثم بخيراتها [٣].

---

(١) هو المستعصم بالله أبو أحمد عبدالله بن المستنصر بالله ابي جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر العباسي ـ الذهبي. العبرص ٢٣٠ ـ ٥/٢٣١، ابن كثير. البداية والنهاية ص ٢٠٤ ـ ١٣/٢١١، ابن دقماق. الجوهر الثمين ق ٤٤ أ، السيوطي. تاريخ الخلفاء ص ٤٩٧ وما بعدها..

(٢) تشير المصادر والمراجع الى أن «عز الدين أيبك» قد لجأ في فترة حكمه الى الخلافة العباسية، فنادى في الشهور الأولى من سلطنته في البلاد بأن البلاد للخليفة المستعصم بالله، وأن الملك المعز نائبه بها، كما لجأ سنة ٦٥٤ هـ./ ١٢٥٦ م. اليها ملتمسا تشريفه بالتقليد والخلع والألوية ليتمكن من مجابهة أخطار العربان بالداخل ـ المقريزي. البيان والاعراب عما بأرض مصر مس الأعراب ص ٩ ـ وأخطار الأيوبيين بالشام ـ المقريزي. السلوك ص ١/٣٧٠، د. محمد مصطفى زيادة. بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك ص ٧٥ ـ ٧٦.

(٣) د. سعيد عبدالفتاح عاشور. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ١٠ وما بعدها، الأيوبيون والمماليك ص ١٩٦ ـ ١٩٧، ٣٤٩، د. حسن حبشي. الاحتكار المملوكي وعلاقته بالحالة الصحية ص ٩/١٣٣، د. نقولا زيادة. دمشق في عصر المماليك ص ٢٥، جاستون فييت. القاهرة مدينة الفن والتجارة ص ١١١.

ويلاحظ أن «ابن خلدون» قد أشار الى أن ملك مصر ـ آنذاك ـ «انما هو سلطان ورعية»، ولذا فانه يمكن الاشارة الى أن حكام مصر من سلاطين ومماليك ظلوا طبقة مميزة، منعزلة عن الرعية اجتماعيا، محتفظة بسماتها الرئيسة المميزة لها من أخلاق وعادات وتقاليد، مستأثرة بالحكم وتوجيه الادارة في البلاد، بوصفها القوة العسكرية الممتازة.. مما جعلها تنظر الى الأهالي على أنهم أقل منهم منزلة، ولذا أرهقوهم في كافة النواحي =

= الاقتصادية ليفوا لهم بمتطلباتهم المالية مما جعل السواد الأعظم من الأهالي يعيشون معيشة ضنكا، فلاحين مرتبطين بالأرض، وصناعا مستندين الى بعض الحرف والصنائع، يكدون لتملك ما يتقوتون به، ولذا تفشت فيهم الأمراض الاجتماعية، وحكم الجهل الكثير من تصرفاتهم، ووقعوا فريسة الاعواز والفقر والأمراض والطواعين، أو الخروج على الشرع والدين، وأشاعوا الفساد: من سلب ونهب وتخريب في مناسبة وبغير مناسبة، فوقف منهم المؤرخون ـ ومنهم «ابن حجر» ـ موقفا عدائيا ونعتوهم بالعوام، والحرافيش، والزعر والنهابة..

ومع كل ما نسب اليهم من الصفات، فانهم قد شاركوا في حوادث مجتمعهم وكانوا عاملا هاما في تقدير مصائر بعض الشخصيات بانحيازهم لبعض الطوائف المتنازعة المتصارعة ورميهم على خصومهم أو نهب ممتلكاتهم، وهدم دورهم مما رجح كفة على أخرى، بل لقد استعان بهم بعض السلاطين وجعلوا لهم زعيما يعرف باسم «شيخ الحرافيش»، كما كانوا مصدرا لترويج الاشاعات عن السلاطين والأمراء، وكذا انتقاد بعض التصرفات الصادرة عن الادارة المملوكية بتعبيرات لاذعة، كنحو قولهم في الظاهر برقوق وقد تضاربت أحكامه ومراسيمه بشأن حط وتقرير بعض المكوس ـ أثناء تمهيد منطاش والناصري لخلعه ـ «.. السلطان من عكسه عاد في مكسه».. وكثيرا ما تفاءلوا للسلاطين بالعزل أو الحبس والسجن، أو سعود الطالع وصعوده، كما كانوا سببا في مرات كثيرة في احداث تغييرات هامة في الادارة المملوكية خاصة في وظيفة المحتسب ونواب الحكم.

ومع كل ما ينسب الى سلاطين وأمراء المماليك من جور وحيف في حق هؤلاء، فانه يمكن الاشارة الى أن الدولة قد نظرت اليهم في مواطن الشدة من انتشار للأمراض والطواعين، وافراط الغلاء، ووقوع الموت فيهم جملة ـ نظرة انسانية رحبة، مظهرة نوعا من التكافل الاجتماعي، سواء في مظاهر وتصرفات فردية أو جماعية، مثل عيادة السلطان لهم في المارستان ـ ابن حجر انباء الغمر ص ٣/١٦٣ ـ والنفقة فيهم ـ نفسه ص ٥٠٧ ـ ١/٥٠٨، ٢/٣٨، ٢/٨٥ ـ أو جلب الحبوب اليهم وبيعها بالخسران تسكينا للحال ـ نفسه ص ٣/٧٢، ٣/٨٦ ـ أو الزام المياسير باطعام المحتاجين منهم، كل على قدر حاله ـ نفسه ص ١/٧١ ـ أو فك المحبوسين منهم على الديون ـ نفسه ص ٢/٢٥٣ ـ أو تكفين الموتى من الفقراء والطرحاء ـ نفسه ص ٢/٢٦٠، ٢/٣٢٩..

والى جانب هؤلاء يبرز أرباب الوظائف الديوانية والدينية والمعتقدون والعلماء والكتاب والقضاة كطبقة مميزة عاشت معيشة رغدة واستحوزت على كبير نفوذ لدى الحكام والعامة في مجتمعهم استنادا الى ما للدين في النفوس من قوة وتأثير، والى كونهم الدعامة لدى كل في استقرار حاله ـ د. سعيد عبد الفتاح عاشور. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك =

- استنادهم الى مبدأ القوة في صنع وتدبير الدسائس وصولا الى المنصب أو جلوسا على كرسي السلطنة [1] القوة في البطش والمصادرات وتوقيع صنوف العقوبات [2] القوة في المال [3] والجاه [4] تقلدا للكثير من الوظائف في ظل دولتهم.

- وهذا أدى بهم للانقسام الى أحزاب متنازعة وان جمعت بينهم في آن واحد العصبية [5].

= ص ٢٨ وما بعدها - كما تميزت طبقة التجار - آنذاك - استنادا الى قوة ما يملكون من الثروات الضخمة التي كثيرا ما أمدوا منها سلاطين المماليك على سبيل الهبة أو الاقراض - نفسه ص ٣٤ وما بعدها، ابن الفرات. التاريخ ص ٣٧٩، ٨/٤٥٨، المقريزي. السلوك ص ٣/٨١١، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٩ - ١١/٢٠ - ومع ذلك فكثيرا ما تعرضنا للامتهان والمصادرات.. - د. سعيد بعد الفتاح عاشور. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ٣٢، ٣٥ - ٣٦ د. عبدالمنعم ماجد. موقف المصريين من حكم المماليك في العصور الوسطى ص ٤٩ - ١٢/٥٨.

(١) من المسلم به أن المماليك لم يعترفوا بمبدأ وراثة العرش، وان شذ عن هذه القاعدة أسرة قلاوون، أو وقع ذلك لفترات متقطعة وقصيرة تتبع موت أو اغتيال سلطان سابق حتى يحسم الأمر ويبرز من بين الأمراء أقواهم الذي غالبا ما كان أتابك العسكر ومدبر المملكة..

(٢) حيث عرفت عنهم عقوبات قاسية من: تسمير وتوسيط وعصر وتسعيط.. مما سوف يفصل في موضعه من هذا البحث.

(٣) ذلك أن فرضهم على المنصب ما لا مقررا - خاصة في الدولة المملوكية الثانية - جعل من يقوم في نفسه أن يليله يزن المبلغ المذكور ويخلع عليه، ثم يقوم آخر فيزن ويصرف الذي قبله، فأدى ذلك الى جعل تلك الوظائف غير مستقرة كما أودى بها الى الامتهان بتولي الجهال لها استنادا الى قوة ما يبذلون فيها - ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/١٥٣، ٢/٣٦٠.

(٤) نفسه ص ٣/٧٨، ٣/٢٢٨..

(٥) خاصة في ظل الدولة المملوكية الثانية حيث قاست البلاد من جراء ذلك شدائد (بشأن ذلك يمكن مراجعة: الحوادث فيما تعلق بفتنة تمربغا منطاش ويلبغا الناصري وعزلهم للظاهر برقوق وحبسه، والصراع بين نوروز، والمؤيد شيخ) - د. سعيد عبدالفتاح عاشور. الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ص ٢٩٧ - ٢٩٨، ٢٩٩ - ٣٠٠، ٣٠٣، جاستون فييت. القاهرة مدينة الفن والتجارة ص ١١٢ - ١١٤، لين بول. طبقات سلاطين =

ـ التظاهر بحماية الاسلام وتطبيق تعليماته بطرق ربما نبذها الاسلام ذاته [1] وما واكب ذلك ـ بالضرورة ـ من اقامة المنشآت الدينية والعمائر الاسلامية من تمهيد لطرق الحج واصلاح مواطن مناسكه [2] وبناء الأسبلة والحمامات والخانات والبيمارستانات والجوامع والخوانق والمكاتب والمدارس والمكتبات.. وحبس الأوقاف عليها [3] فضلا عن تشجيع العلم وأهله بالاغداق على الأساتيذ والطلاب، والحرص على حضور مجالس الحكم والسماع وتحصيل الاجازات فيه، ناهيك عن اقامة المواكب والزينات احتفاء ببعض المناسبات الدينية من مقدم عام هجري جديد، أو استقبال شهر رمضان واحياء لياليه أو ادارة المحمل واستقبال مبشر الحاج..

بالاضافة الى أن احياء الخلافة العباسية بالقاهرة ـ بعد سقوطها ببغداد ـ جعل مصر محلا لسكن العلماء ومحط رحالهم بحيث «نفقت فيها أسواق العلم وزخرت بحارها» [4] على حد قول «ابن خلدون»، فقامت فيها حياة فكرية

= الاسلام ص ٧٩، د. محمد مصطفى زيادة. الدولة المملوكية الثانية ص ٢/٥١١ وليم موير. المماليك في مصر ص ١١٣ - ١١٤.

(١) د. علي ابراهيم حسن. تاريخ المماليك البحرية ص ٢٨.

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/١٣٧، ٢/٤١، ٥٣٦، ٣/٥٤٢.

(٣) راجع على سبيل المثال: المقريزي. الخطط، علي باشا مبارك. الخطط التوفيقية الجديدة، د. سعاد ماهر محمد. مساجد مصر وأولياؤها الصالحون جـ ٣، جـ ٤، د. سعيد عبدالفتاح عاشور. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ١٤١ وما بعدها، عبدالوهاب حمزة صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي ص ٧١ وما بعدها، د. محمد محمد أمين. الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر.

Rice, Islamic Art, P 129-148.

(٤) ابن خلدون. المقدمة ص ٤٣٥، وهو ينفي ما ذهب اليه بعض الباحثين العراقيين من أن سقوط بغداد كان سقوطا شموليا للتراث الحضاري الانساني قائلا: «.. كانت خسارة الحضارة العربية الاسلامية بسقوط بغداد لا تعوض فقد اعتبر السقوط نهاية ازدهار التراث الحضاري الانساني الذي أنتجته عقول المفكرين المسلمين في مختلف نواحي الفكر، والذي كانت بغداد مركزا رئيسيا له باعتبارها قاعدة الخلافة ومجمع العلماء ومقصد الطلاب، ولم =

زاهرة، حيث ارتقاء العلوم والفنون وتنوعها في كل، بالاضافة الى ظهور مؤلفات متخصصة في بعض فروع العلم أو شارحة له معلقة عليه وأخرى مختصة بالعلم عرفت باسم الموسوعات المعتمدة على الجمع التأليفي الذي توجهه الفكرة والمنهج (١).

وكان «علم التاريخ» من أبرز هذه العلوم وأميزها، بما ترك فيه العلماء والمؤرخون ـ آنذاك ـ من كم هائل تمثل في **السير المفردة**، كالروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر «لابن عبدالظاهر» (ت ٦٩٢ هـ. / ١٢٩٢ م.)

= يقتصر ضرر هذه الخسارة على المجتمع الاسلامي الذي نكب بالحكم الأجنبي، ففقد حريته الفكرية وقوة الابداع وعجز عن الاتيان بالشيء الجديد، فعاش في ظلام فكري طيلة القرون اللاحقة حتى مطلع القرن الحالي، وإنما تحسس بهذه الخسارة علماء أوربا ومفكروها أيضا..» ـ محمد صالح داود القزاز. الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ص ١١١ ـ وهو قول توجهه العاطفة والعصبية مما يفقده الفهم العميق للتاريخ، ذلك أنه وان انطبق ذلك على بغداد وما حواليها ـ اثر الوقعة ـ على حد قول «ابن رجب» نقلا عن «ابن الفوطي»: «.. سمعت شيخنا الامام أبا حامد بن المطرزي لما قدم من بغداد الى مراغة وقد سئل عمن بقي ببغداد من الأئمة فقال: لم أعرف بها فقيها عالما بالأصول والفروح غير تقي الدين الجوسقي» ـ ذيل طبقات الحنابلة ص ٣١١ ـ ٢/٣١٢ ـ وقول السخاوي: «.. لم يبق فيها من يعرف شيئا من العلم» ـ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٣٩ ـ ١٤١ ـ وقول السيوطي: «.. ثم استدعى الوزير فاستدعى الفقهاء والأماثل.. فخرجوا من بغداد فضربت أعناقهم، وصار كذلك تخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم حتى قتل جميع من هنالك من العلماء والأمراء والحجاب والخلفاء والكبار.. ولم يسلم الا من اختفى في بئر أو قناة» ـ تاريخ الخلفاء ص ٥٠٤ ـ أنه وان انطبق على بغداد وما حولها، فانه لا ينطبق على غيرها من بلدان الاسلام، فضلا عن أن تعميمه على بغداد في سائر الحقبة التالية يعد غبنا لها.

(١) بشأن ذلك يمكن مراجعة: أحمد أحمد بدوي. الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، د. سعيد عبدالفتاح عاشور. الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ص ٣٥٤ ـ ٣٦٣، د. محمد زغلول سلام. الأدب في العصر المملوكي جـ ١، ٢، أحمد صادق الجمال. الأدب العامي في العصر المملوكي، د. عبدالعال سالم مكرم. المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة..

والسيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي « للبدر العيني » (ت ٨٥٥ هـ. / ١٤٥١ م.)، **والتراجم المجموعة في أعلام قرن واحد** كالدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة « لابن حجر العسقلاني »، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع « للسخاوي » (ت ٩٠٢ هـ. / ١٤٩٧ م.) **والمعاجم الجامعة للتراجم حسب حروف الهجاء**، كالوافي بالوفيات لابن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ. / ١٢٦٣ م.) والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي والدليل الشافي على المنهل الصافي « لابن تغري بردى » (ت ٨٧٤ هـ. / ١٤٦٩ م.) أو **الطبقات** كالطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد « للأدفوي » (ت ٧٤٨ هـ. / ١٣٤٧ م.) وطبقات النحاة، وطبقات الشافعية « لابن قاضي شهبة » (ت ٨٥١ هـ. / ١٤٤٧ م.)، وغاية النهاية في طبقات القراء « للجزري » (ت ٨٣٣ هـ. / ١٤٢٩ م.) **والمشيخات** كبرنامج الوادي آشي (ت ٧٤٩ هـ. / ١٣٣٨ م.) والمجمع المؤسس بالمعجم المفهرس لابن حجر العسقلاني، أو **الحوليات المشتملة على الحوادث والتراجم** سواء منها ما رتب حسب السنوات المتتابعة كانباء الغمر بأنباء العمر لابن حجر العسقلاني، وعقد الجمان للبدر العيني، أو المنتظمة لذلك من خلال تراجم الخلفاء أو السلاطين والملوك كالجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين « لابن دقماق » (ت ٨٠٩ هـ. / ١٤٠٦ م.) والسلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي (ت ٨٤٥ هـ. / ١٤٦٩ م.) والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة « لابن تغري بردى »، أو **النقد التأريخي** كالاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي، والشماريخ في علم التاريخ للسيوطي..

ولم يكونوا مع كثرة هذا الانتاج وغزارته تقليديين، فلقد غلب على الكثير منه الجودة والأصالة والابتكار والعمق على نحو ما سوف ترى في هذه الدراسة من عرض لبعض نماذجه.

وهكذا ظلت هذه الدولة تحكم مصر زهاء قرنين ونصف قرن من الزمان

تحت اسم « المماليك البحرية »[1] التي حكمت المدة من ٦٤٨ هـ. / ١٢٥٠ م. - ٧٨٤ هـ. / ١٣٨٢ م. والمماليك الجراكسة[2] التي حكمت المدة من ٧٨٤ هـ. / ١٣٨٢ م. - ٩٢٢ هـ. / ١٥١٧ م. وعاش « ابن حجر العسقلاني » في كنفها فترة وسطا امتدت نحوا من ثمانين عاماً عاصر خلالها سبعة من السلاطين هم: الأشرف شعبان والظاهر برقوق، والناصر فرج، والمؤيد شيخ المحمودي، والظاهر ططر، والأشرف برسباي، والظاهر جقمق، حيث انعكست سياساتهم وأحوالهم وظروف مجتمعهم على نشأته وتكوينه وثقافته، ومن ثم على كتاباته - خاصة التأريخي منها - مما سوف يبين في الصفحات التالية..

---

(١) نسبة إلى جزيرة الروضة في بحر النيل التي اتخذها الصالح نجم الدين مركزاً لهم - ابن اياس. بدائع الزهور ص ١/٢٦٩.

(٢) وعرفوا كذلك باسم المماليك البرجية نسبة إلى الأبراج التي قطنوها بالقلعة أما نسبتهم إلى الجراكسة فترجع إلى غلبة هذا الجنس عليهم - وليم موير المماليك في مصر ص ٣٤ - ٣٥، د. أحمد السعيد سليمان. تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ص ١/١٦٠.

الفصل الأول

نشأته وتكوينه

في هـذه البيئـة ولـد « أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد »[1] المعروف بابن حجر، الكناني، العسقلاني، الشافعي، في شعبان سنة

---

(١) نسب « ابن حجر » مضطرب لا ضابط له، فقد يتأخر « محمود » على « أحمد » أو يسقط كما ورد بخطه في « الدرر الكامنة » في ترجمته لعم أبيه قائلاً: « عثمان بن محمد بن علي بن أحمد ابن محمود » تر ٢٦٠٧ ص ٢/٤٥٠، وكذا في ترجمته لنفسه في كتابه « رفع الاصر » حيث قال: « أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد » مخط. دار الكتب المصرية ق ٣٦ ب، وفي خطبة كتابه « انباء الغمر » قائلاً: « أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد ابن محمود بن أحمد » ط. القاهرة ص ١/٣. لكنه خالف ذلك في حرف الحاء المهملة من كتابه « تبصير المنتبه بتحرير المشتبه » في ذكره لعم أبيه قائلاً: « .. وفخرالدين عثمان ابن محمد بن علي بن محمود بن أحمد » ص ١/٤١٤، وكذا صنع في ترجمته لأبيه في القسم الثاني من « المجمع المؤسس » قائلاً: « علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد » مخط. الاسكندرية ق ٢٤٣ ب. وقد يزاد في آخر نسبه « أحمد يل » كما ورد في ترجمة المقريزي له في « جواهر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة » وفي ترجمة الزين شعبان له ـ كذلك ـ لكن باسقاط « محمود » ـ على حد قول السخاوي في « الجواهر والدرر » مخط. أحمد الثالث ق ١٥ أ مشيراً إلى أنه ورد كذلك بخط « ابن حجر » عينه في آخر نسخة من « صفة النبي صلى الله عليه وسلم ».

ولعل « ابن حجر » كان مدركاً لوجود هذا الاضطراب في نسبه، وإلا لما تندر بقوله: أن نسبه يقرأ طرداً وعكساً ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥ أ، عبدالله بن زين. جمان الدرر مخط. دار الكتب المصرية ق ٢ أ ـ ولما أتى هذا الاختلاف في سلسلة نسبه بخطه هو.

أما ما اثبت في المتن فهو ما اعتمده السخاوي في ترجمته لشيخه بعد استعراض لسائر

ثلاث وسبعين وسبعمائة للهجرة[1] في منزل كان يقع على شاطىء النيل بمصر،

الصيغ المشار اليها سلفاً، ناعتاً لما اثبت في موضعين من ترجمته لشيخه في الجواهر والدرر قائلاً: «هذا هو المعتمد في نسبه» «.. وإنما جزمت بالأول لكثرة ما وجدته كذلك بخطه، وان تكرر بخطه كما في آخر شرح البخاري وغيره أنه أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي ابن أحمد بن حجر، لكن هذا أكثر» ـ ق ١٥ ـ وكذا ما أثبته البقاعي في ترجمته لشيخه ـ عنوان الزمان ق ١/٣٥.

(١) ورد «لابن حجر» شاهد شعري أرخ فيه لمولده، قائلاً:

«شعبان عام ثلاثة من بعد سبع مائة وسبعين اتفاق المولد»

(من الكامل)

كما ورد في ترجمته لنفسه في (رفع الاصر ق ٣٦ ب) أن مولده كان في «شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة».

وهو بهذا يسقط اليوم المولود فيه، ولذا اجتهدت مصادر ترجمته في تحديد ذلك اليوم، فوقع بينها اختلاف كبير، حيث أشار «الشوكاني» ـ البدر الطالع ص ١/٨٨ ـ إلى أنه ولد في الثاني من شعبان ـ ولعله خطأ طباعي، أو تصحيف في أصل الكتاب، كما أن «البقاعي» ـ عنوان الزمان ق ٣٥ أ/١ ـ و «السيوطي» ـ المنجم في المعجم ق ١٣٠ أ، نظم العقيان ص ٤٥ ـ و «ابن العماد الحنبلي» ـ شذرات الذهب ص ٧/٣٧٠ ـ يجعلون مولده في الثاني عشر من شعبان، على حين أن ابن خطيب الناصرية» ـ الدر المنتخب ق ١٠٦ ب/١ ـ و «ابن تغري بردى» ـ المنهل الصافي مخط. أحمد الثالث ق ٦١ أ/١، الدليل الشافي ق ١١ ب، النجوم الزاهرة ص ١٥/٥٣٣ ـ و «السخاوي» ـ الجواهر والدرر ق ١٤ أ، الضوء اللامع ص ٢/٣٦ ـ و «ابن طولون» ـ القلائد الجوهرية ص ٢/٤٥٤ ـ فانهم يجعلون مولده في الثاني والعشرين من شعبان، أما «ابن فهد المكي» ـ لحظ الألحاظ ص ٣٢٦ ـ و «الغزي» ـ بهجة الناظرين ق ٧٧ أ ـ فانهما يشيران إلى أن يوم مولده هو الثالث والعشرون من شعبان.

وهكذا حصر يوم مولده لدى مصادر ترجمته بين «الثاني من شعبان» و «الثالث والعشرين منه». وهي نقول لا يرتاح إلى اثبات أحدها لعدم التحقق من صحتها، فضلاً عن تضاربها، على حين أن مولده في ترجمته لنفسه أتى فيها غفلا من اثبات اليوم، فضلا عن أن البعض ممن ترجم له محدداً لذلك اليوم كالسخاوي والسيوطي قد أسقط ذلك اليوم من ترجمته له في مواضع أخرى من مؤلفاته، أو عمد إلى عدم التأريخ كلية لمولده. فلقد وردت ترجمته لدى «السخاوي» في التبر المسبوك ص ٢٣٠ وقد سقط منها تحديد ذلك اليوم، على حين أنه ترجمه في الذيل على رفع الاصر ص ٧٥ ـ ٨٩ متجاهلاً تماماً التأريخ لولادته، أما «السيوطي» فانه ترجمه في التحدث بنعمة الله ص ٤٥، وحسن المحاضرة ص ١/٣٦٣ وذيل طبقات الحفاظ ص ٣٨٠ مسقطاً اليوم والشهر المولود فيها.

بالقرب من دار النحاس والجامع الجديد [١] حيث كناه أبوه « بأبي الفضل » [٢] تشبهاً ببعض قضاة مكة [٣] ولقبه « بشهاب الدين ». [٤] أما شهرته « بابن حجر » ـ بفتح الحاء المهملة والجيم بعدها راء ـ فلا يضبط ان كان لقباً لأحمد الأعلى في نسبه، أما اسما لوالد أحمد المشار اليه [٥] ـ على حين أن الكناني ـ يكسر الكاف وفتح النون وبعد الألف نون ثانية ـ فنسبة إلى قبيلة كنانه [٦]

---

(١) هو الجامع الجديد الناصري، كان يقع بشاطىء النيل، عمره القاضي « فخر الدين محمد بن فضل الله » ناظر الجيش باسم السلطان « الناصر محمد بن قلاوون » وكان الشروع فيه يوم التاسع من المحرم سنة إحدى عشرة وسبعمائة، وانتهت عمارته في ثامن صفر سنة اثنتي عشرة وسبعمائة المقريزي. الخطط ص ٢/٣٠٤ ـ على حين اختط دار النحاس وردان الرومي ـ مولى عمرو بن العاص ـ ثم جعلت ديواناً في امارة مسلمة بن مخلد ـ ابن دقماق الانتصار لواسطة عقد الأمصار ص ٦/ق ١.

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/١١٧، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥ ب ويضيف السخاوي إلى ذلك أن شيخه ـ شيخ ابن حجر ـ العراقي كناه علي الجادة « أبا العباس »، وكذا كناه بها البهاء بن العلي.. وغيرهما وكناه آخر « أبا جعفر » ونص على أنه شذوذ ـ الجواهر والدرر ق ١٥ ب، ٢٨ أ ـ لكن يبدو أن تكنية أبيه له هي التي كانت معتمدة لديه وغالبة عليه وإلا لما وردت لصيقة اسمه في ترجمته لنفسه، وفي تراجم سواه له، ولما كان هو ـ في حاجة إلى جمع مؤلف في « القصد الأحد بمن كنيته أبو الفضل واسمه أحمد ».

(٣) هو القاضي « أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبدالعزيز العقيلي النويري »، حيث أصطحبه أبوه اليه حدثاً ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥ ب.

(٤) أفاد « ابن حجر » ـ فيما نقله السخاوي عنه ـ أن التلقيب بالاضافة الى الدين انما حدث في أول دولة الأتراك ببغداد، ثم كثر بعد ذلك بمدة ـ الجواهر والدرر ق ١٥ ب.

(٥) أورد كل من « السخاوي » في الجواهر والدرر ق ١٦ ب، و « البقاعي » في عنوان الزمان ق ١/٣٦ في ترجمتها لابن حجر جواباً منظوماً لاستدعا. أشار فيه « ابن حجر » إلى ذلك قائلاً:

بـن أحمد بـن علي بـن محمد   بـن محمد بـن علي الكنـاني المحتـد
وجد جـد أبيـه أحمد لقبـوا   حجراً وقيل بل لـوالد أحمد
(مـن الكـامـل)

ويلاحظ أن البقاعي قد تفرد بايراد القيدة مكتملة.

(٦) أشار « ابن حجر » في المجمع المؤسس إلى أنه رأى بخط أبيه أنه « كناني النسب » ق ٢٤٣ ب، كما أفاد « السخاوي » في ترجمة شيخه أن « ابن حجر » كتب مرة أنه الكناني القبيلة ـ الجواهر والدرر ق ١٦ أ.

والعسقلاني ـ أصل لهم ـ [1] وهي مدينة كانت بساحل الشام من فلسطين [2] نقلهم منها « صلاح الدين الأيوبي » إلى مصر لما خربها، بعد أن رأى المصلحة في ذلك لعجز المسلمين عن حفظها من الفرنج، فوضعت فيها المعاول في سحر ليلة الخميس تاسع عشر شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمائة. [3]

وعلى الرغم من أن أهله كانوا قد استقروا بمصر بعد نقلتهم اليها، وارتفع نجمهم فيها، واستحوزوا على السبق بين رجالاتها، فان مصادرنا لا تمدنا بمعلومات وافية عن الأصل الذي تحدر منه بن حجر ـ مؤرخنا ـ أو أهله، مما يجعل جل معلوماتنا منحصرة في أن:

عم أبيه

« فخر الدين عثمان بن محمد بن علي بن أحمد بن محمود » [4] الكناني

---

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق٢٤٣ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق١٦ أ.

(٢) عسقلان ـ بفتح أوله واسكان ثانيه ـ مدينة كانت تقع بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين، ويقال لها عروس البحر نزلها جماعة من الصحابة والتابعين، وحدث بها خلق كثير. واشتقاق اسمها من « العساقل » وهو السراب، أو من « العسقل » وهو الحجارة الضخمة وذكر بعضهم أن « العسقلاني » أعلى الرأس ـ البكري. معجم ما استعجم ص٩٤٣/٣، ياقوت. معجم البلدان ص١٢٢/٤، المشترك وضعاص ٣٠٨، ابن شاهنشاه. تقويم البلدان ص٢٣٨، البغدادي. مراصد الاطلاع ص٩٤٠/٢، ابن شداد. الأعلاق الخطيرة ص٢٥٨ ـ ٢٦٣/٣.

(٣) ابن حجر. المجمع المؤسس ق٢٤٣ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق١٦ أ وعن خراب عسقلان: العماد الاصفهاني. الفتح القسي بالفتح القدسي ص٥٥٠ ـ ٥٥١، ابن الأثير الجزري. الكامل في التاريخ ص٢١٦/٩، ابن شداد. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص١٨٦ ـ ١٨٨، المقدسي الروضتين في أخبار الدولتين ص١٩١ ـ ١٩٢/٢، الذهبي. دول الإسلام ص٩٩/٢، ابن كثير. البداية والنهاية ص٣٤٥ ـ ٣٤٦/١٢، ابن خلدون. التاريخ ص٣٢٦ ـ ٣٢٧/٥، لامونت. الحركة الصليبية والجهاد، ضمن كتاب دراسات إسلامية ص١١٥ ـ ١١٦، د. سعيد عبدالفتاح عاشور. الحركة الصليبية ص٨٧٦ ـ ٨٧٧.

(٤) ترجمه ابن حجر في الدرر الكامنة تر ٢٦٠٧ ص٤٥٠/٢، وتبصير المنتبه ص٤١٤/١، السخاوي. الجواهر والدرر ق١٦ ب.

الشافعي، المعروف بابن البزار، وابـن حجر (ت ٧١٤ هـ. / ١٣١٥ هـ.) سكن ثغر الاسكندرية، وكان بحاثاً نقالاً، انتهت اليه رياسة الافتاء على المذهب الشافعي هناك، وتفقه بـه جماعـة منهـم: « الدمنهـوري »، و « ابـن الكويك ».. حتى صار منعوتاً لدى البعض [١] « بمفتي الثغر، وفقيه الشافعية في زمانه »، وأنه أنجب ولدين فقيهين هما: ناصر الدين أحمد، وزين الدين محمد.

جده

أما أخو فخر الدين عثمان، وهو جد ـ مؤرخنا ـ لأبيه، « العدل، قطب الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن جلال الدين علي » [٢] المعروف ـ كذلك بابن حجر، وابن البزار (ت ٧٤١ هـ./١٣٤١ م.) فان اشتغاله بـالتجـارة لم يعقه عن تحصيل العلم، حيث تشير المصادر إلى أنه سمع من جماعة، منهم « أبو الفضل بن عساكر »، و « ابن القواس »، وغيرهما.. وأنجب أولاداً منهم: كمال الدين، ومحب الدين، وولي الدين، ونور الدين، وهو أصغرهم.

أسرته

أما « نور الدين علي » [٣] ـ والد مؤرخنا ـ (ت ٧٧٧ هـ. / ١٣٧٦ م.) فقد كان رئيساً محتشماً من أعيان تجار الكارم [٤] موصوفاً بالعلم والديانة

---

(١) هو « العفيف المطري »، حيث ذكره في ذيل طبقات الفقهاء ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق١٦ ب.

(٢) ترجمه ابن حجر في المجمع المؤسس ١٤٣أ مخط. الأحمدية، تبصير المنتبه ص١/٤١٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق١٧ أ.

(٣) ترجمه ابن حجر في المجمع المؤسس ٢٤٣ ب، ٢٤٤ أ، انباء الغمر ص١١٦ ـ ١/١١٧ تر ٤٣، تبصير المنتبه ـ في حرف الحاء المهملة ص١/٤١٥، على حين ذكره في الدرر الكامنة وبيض له ص٣/١١٧، ابن تغري بردى. الدليل الشافي ق٧٧، السخاوي. الجواهر والدرر ق١٧.

(٤) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ق١٠٦ ب/١، البقاعي. عنوان الزمان ق١/٣٦. .. وهم فئة من كبار التجار اشتغلوا باحتكار تجارة الهند والشرق الأقصى في التوابل

والأمانة ومكارم الأخلاق، ومحبة الصالحين والمبالغة في تعظيمهم[1].. تعاني من بين اخوته الاشتغال بالعلم[2] فسمع من «ابن سيد الناس» (ت ٧٣٤ هـ. / ١٣٣٤ م.) وطبقته، ولازم «البهاء بن عقيل» (ت ٧٦٩ هـ. / ١٣٦٨ م.)، وكان «ابن عقيل» يحبه ويعظمه، ويبالغ في الثناء عليه.[3]

وعلى الرغم من أنه لم يكن له بالحديث النبوي المام[4] فانه كان قد مهر في

وما اليها من بهار وغيره من السلع، وكان مركز نشاطهم في بادىء الأمر في المحيط الهندي، ثم جاؤا إلى مصر واتخذوها موطنا لهم في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي (= السادس الهجري) بعد أن انتقل مركز التجارة إلى البحر المتوسط على عهد الأيوبيين، وكانوا قبل في عهد الفاطميين قد اتضح كيانهم، وفي عهد هؤلاء ترك لهم المجال خالياً لينهضوا بالمشروعات التجارية الكبرى بين الشرق والغرب في البحر الأحمر والموانى المصرية على البحر المتوسط، وشجعتهم الدولة على التوسع في تجارتهم، فكانت لهم محطات تجارية هامة في عدن، وتعز، وزبيد.. وغيرها. كما كانت لهم فنادقهم العظيمة التي ينظمون فيها شئونهم الاقتصادية، مما جعلهم في ظل دولة سلاطين المماليك أصحاب قوافل هائلة يحميها الجند والخيالة ويحققون من وراء أعمالهم أرباحاً هائلة وثروات طائلة جعلت بعض سلاطين المماليك، وكبار رجالات الدولة المملوكية يستدينون منهم، كما كانت لهم نشاطات في بناء وتجديد واصلاح المساجد والمدارس والمصحات.. وغيرها داخل مصر وخارجها.

أما عن لفظة «الكارم» فانه لم يظهر لها - حتى الآن - تعليل مستقر ومقبول، وجل ما يمكن أن يقال بشأنها أنها اسم عام أطلق على هذا النواع المميز من التجار، وهو غير عربي، لعله محرف عن لغات أخرى: هندية او أمهرية، أو حتى مصرية قديمة..

(ابن الفرات. التاريخ ص ٣٧٩، ٩/٤٥٨، المقريزي. السلوك ص ٣/٨١١، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٩ - ١١/٢٠، د. صبحي لبيب. التجار الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، الشاطر بصيلي عبدالجليل. الكارمية، د. عطية القوصي. أضواء جديدة عى تجار الكارم - القاهرة، المجلة التاريخية مج ٤ جـ ٢، مج ١٣، مج ٢٢ على التوالي. د. حسن حبشي. الاحتكار المملوكي وعلاقاته بالحالة الصحية ص ١٤٠ - ٩/١٤١ من حولية آداب عين شمس.

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/١١٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧.
(٢) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٣ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧ أ.
(٣) ابن حجر. أنباء الغمر ص ١/١١٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧ أ الذيل على رفع الاصر ص ٧٥.
(٤) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٣ ب.

الفقه والعربية والأدب.[1] وأجيز بالفتوى والقراءات، وحفظ كتاب الله[2] وحفظ - كذلك - الحاوي الصغير[3] ونقله.[4] كما كان له استدراك على «الاذكار» للنووي (ت ٥٩٦ هـ. /١٢٠٠ م.)[5] ناهيك عن النظم الكثير السائر.[6] حيث خلف دواوين شعر منها «ديوان الحرم» مدائح نبوية ومكية في مجلده - ذكره له ولده - كما كانت له صحبة ومطارحات مع «ابن نباتة»[7] (ت ٧٦٨ هـ. /١٣٦٧ م.) و «البرهان القيراطي» (ت ٧٨١ هـ. /١٣٦٧ م.) وناب عن «ابن عقيل»، ثم ترك وأقبل على شأنه مكثراً من الحج والمجاورة.[8]

تزوج من امرأة ثيب هي «تجار بنت أبي بكر بن الشمس محمد بن ابراهيم الزفتاوي» أخت «صلاح الدين» أحد التجار الكارمية[9]. وكان قد أنجب من غيرها ولداً أثكله بعد أن قرأ الفقه، وفضل، وعرض المنهاج - فوجد عليه جداً[10]. أما هي فلقد استولدها وهو بطريق الحجاز - في رجب سنة

---

(١) نفسه، انباء الغمر ص١١٦/١، السخاوي. الجواهر والدرر ق١٧أ، الذيل على رفع الاصر ص ٧٥.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧ أ.

(٣) ابن حجر. أنباء الغمر ص١١٧/١، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧ أ.

(٤) ابن حجر. تبصير المنتبه ص٤١٥/١.

(٥) ابن حجر. أنباء الغمر ص١١٦/١.

(٦) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٤ أ، تبصير المنتبه ص ٤١٥/١.

(٧) ابن حجر. أنباء الغمر ص١١٦ - ١١٧/١، المجمع المؤسس ق ٢٤٤ أ.

(٨) ابن حجر. أنباء الغمر ص١١٦/١، وحاشية رقم ١ ص ٢٨٠/٣، السخاوي. الجوار والدرر ق ١٧ أ، الذيل على رفع الاصر ص ٧٥.

(٩) السخاوي. الجواهر والدرر ق١٧ ب، ١٩ ب.

(١٠) ابن حجر. الدرر الكامنة ص٤٣٢/٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦ أ ولعل أمه هي أخت «علي بن عبدالعزيز بن أحمد الخروبي» (ت ٨٠٢ هـ. /١٤٠٠ م.) أحد أعيان التجار بمصر، حيث يشير ابن حجر في ترجمته الى أن والده كان قد تزوج أخته، وماتت قبله - أنباء الغمر ص ١٢٣/٢.

سبعين ـ بنتاً، جاء اسمها « ست الركب » مناسباً لذلك [١]. كما استولدها ابناً ـ هو مؤرخنا ـ وكان قبله قد حضر الى بعض المعتقدين (المتصوفة) بمصر [٢] فبشره بخلف الله عليه قائلا: « يخرج من ظهركم عالم يملاء الأرض علماً » [٣].. بيد أن الوالد توفي، ولما يستكمل كلاهما ـ البنت والولد ـ سن الشباب، حيث كانت البنت عند فقد الوالد قد اكتمل سنها سبع سنين، كما كان عمر الولد أربعاً [٤]. وكانت والدتهما قد سبقته الى جوار ربها بمدة فعاشا يتيمين.

وكان طبيعياً أن يترجم الولد لأبيه بعد قائلا: « وأنا الآن أعقله كالذي يتخيل الشيء ولا يتحققه » [٥].

كما كان لهما أخ من أمهما اسمه « عبدالرحمن بن الشهاب أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالمهيمن البكري » ذكره في المجمع المؤسس ـ مشيراً الى أنه مهر وحصل مالا أصله من قبل أمه، فقد الله تعالى موته ـ (ت ٨٠٩ هـ. /١٤٠٧ م.) ـ فورثه أبوه فمزق ماله، وكان الأب قد ناب في القضاء واشتغل وسمع وعني بالنظر في كلام الصوفية ومقالة بن عربي التي كان داعية لها [٦].

ويبدو أن والدهما كان كلفاً بها، حيث يشير بن حجر الى أن أباه قد حصل لابنته « ست الركب » في السنة التالية لمولدها اجازات [٧] اتصلت بمصر

(١) ابن حجر. أنباء الغمر ص ١/٥١٧، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧ ب.
(٢) هو « يحيى الصنافيري » (ت ٧٧٢ هـ. /١٣٧١ م.) ـ ابن حجر. الدرر الكامنة تر ١١٩٩ ص ٤/٤٣١.
(٣) ابن حجر. الدرر الكامنة ص ٤/٤٣٢، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦ ب الذيل على رفع الاصر ص ٧٥.
(٤) ابن حجر. أنباء الغمر ص ١/١١٧.
(٥) نفسه.
(٦) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٤١ ب ـ ٤٢ أ.
(٧) معنى الاجازة في كلام العرب مأخوذ من جواز الماء الذي يسقاه المال من الماشية والحرث، يقال منه استجزت فلاناً فأجازني اذا أسقاك الماء لأرضك ولماشيتك. كذلك طالب العلم أو =

وتونس، ومكة، والمدينة، وحلب، ودمشق، وبعلبك، والمزة[1] كما اصطحبها ـ قبل موته ـ للحج والمجاورة بمكة، والقدس، والخليل[2]. كما أوصى بولده كبير التجار «الزكي الخروبي» (ت ٧٨٧ هـ. / ١٣٨٦ م.)، والشيخ «شمس الدين بن القطان» (ت ٨١٣ هـ. / ١٤١١ م.) لاختصاصه به، بعد أن ترك لها ثروة لا بأس بها، بقيت في معظمها الى أن رشد بن حجر الابن.

على أن مصير البنت ـ بعد فقد الأب ـ قد آل الى التنشئة الحسنة، حيث تعلمت الخط، وحفظت الكثير من القرآن الكريم، وأكثرت من مطالعة الكتب فبهرت في ذلك جداً، بحيث كان يظن من يراها تقرأ من الكتاب أنها تحفظه لجودة استخراجها، وتزوجت وهي صغيرة من «شمس الدين محمد بن السراج

= أحد رفاقه أو أقربائه أو معارفه يسأل العالم أن يجيز علمه أو بعضه لمن طلب فيجيزه ـ مشافهة أو أذناً باللفظ مع المغيب، أو يكتب ذلك له بخطه بحضرته وبأسلوبه الذي تعوده مؤرخاً ـ والطالب مستجيز، والعالم مجيز.

ويبدو أن الأصل في صحة الاجازة ما روي من أن النبي ﷺ قد كتب لعبدالله بن جحش كتاباً وختمه ودفعه اليه ووجهه في طائفة من أصحابه الى ناحية نخلة وقال له: لا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين ثم انظر فيه.. ومع ذلك فقد اختلف في صحتها، وانقسم العلماء بسببها بين مجيز ودافع لها. والذين يجوزونها يرون أنها ضرب من أنواع التحمل والسماع يرد على وجوه منها: الاجازة من معين لمعين في معين ـ وهي أرفع فروعها وأعلاها ـ واجازة للعموم من غير تعيين المجاز له، والاجازة للمجهول، والاجازة للمعدوم ـ ومنها الاجازة للطفل الذي لا يميز، ومن أمثلته ما ورد في المتن ـ واجازة ما لم يسمعه المجيز ولم يتحمله أصلا ليرويه المجاز له اذا تحمله المجيز بعد ذلك.

(الحاكم النيسابوري. معرفة علوم الحديث ص ٢٥٦ ـ ٢٦١، الخطيب البغدادي. الكفاية في علم الرواية ص ٣١١ ـ ٣٥٢، القاضي عياض. الالماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص ٨٨ ـ ١٠٧، ابن الصلاح. مقدمة ص ٢٦٢ ـ ٢٧٧، ابن كثير. الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث ص ٦٢ ـ ٦٤، السيوطي. تدريب الراوي ص ٢٩ ـ ٢/٤٤.)

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٧ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٩.

(٢) نفسه ق ٣١ أ، ١٧ ب ـ على التوالي.

عبدالعزيز الخروبي » فاستولدها ولد أو بنتاً [1]. أما الولد وهو « صلاح الدين » فمات قديماً، وأما البنت، وهي « فواز » فقدر لها السفر الى الحجاز صحبة زوجها حيث اختل عقلها بمكة، واستمرت تهذي في الكلام جداً مع استحضار في أوقات العبادة حتى ماتت ـ سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ـ وصلى عليها خالها [2].

وظل « ابن حجر » يحمل لأخته اجلالا وتقديراً، دفع به الى الترجمة لها في موضعين من مؤلفاته، على فترتين متفاوتتين، مشيراً الى ذلك بقوله: « كانت لي برة رفيقة محسنة، جزاها الله عني خيراً، فلقد انتفعت بها وبآدابها مع صغر سنها » [3]. والى أنها « كانت قارئة كاتبة أعجوبة في الذكاء، وهي أمي بعد أمي » [4]. ويظهر توجعه بفقدها قوله: « .. ماتت شابة في جمادي سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ـ عوضها الله الجنة » [5]. وقوله: « أصبت بها في جمادي الآخرة من هذه السنة » [6].

أما الولد فقد نشأ ـ مع يتمه ـ في « غاية العفة والصيانة والرياسة » [7] في كنف أحد أوصيائه « الزكي الخروبي » [8] حيث اعتني به ـ غاية العناية فأدخله المكتب بعد أن اكتمل سنه خمس سنوات [9] فقرأ به على « الشمس

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٧ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٩ ب.
(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٩ ب ـ ٢٠ أ، الضوء اللامع تر ٧٠٢ ص ١٢/١١٦.
(٣) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٧ أ.
(٤) ابن حجر. أنباء الغمر ص ١/٥١٧ تر ٢٠.
(٥) ابن خجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٧ أ.
(٦) ابن حجر. أنباء الغمر ص ١/٥١٧ تر ٢٠.
(٧) البقاعي. عنوان الزمان ق ١/٣٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٠ أ، الذيل على رفع الاصر ق ٧٥.
(٨) هو « أبو بكر بن علي بن أحمد بن محمد الخروبي » كبير التجار الكارمية في مصر على وقته ـ ابن حجر. أنباء الغمر ص ١/٣٠٦ تر ٩، الدرر الكامنة تر ١٢٠٥ ص ٤٥٠ ـ ١/٤٥١، المجمع المؤسس ق ٢٢٢ ب.
(٩) ابن حجر. رفع الاصر ق ٣٧ أ، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٢٦، السخاوي. =

العلاف »[1] و « الشمس الأطروش »، لكنه لم يكمل القرآن الكريم حفظاً الا عند « الصدر السفطي » (ت ٨٠٨ هـ. /١٤٠٦ م.)[2] وقد بلغ من العمر تسع سنوات[3]. ثم لم يتهيأ له أن يصلي به للناس التراويح ـ على جاري العادة ـ الا سنة خمس وثمانين وثمانمائة ـ بمكة والقدس ـ وقد اكتمل عمره اثنتي عشرة سنة[4] حيث كان صحبة وصيه في الحج والمجاورة بمكة والقدس سنتي: أربع، وخمس وثمانين وسبعمائة[5]. وهناك اشتغل بالاعادة[6].

ووصل اعتناء الوصي به حداً جعله يهيء له هناك الجو المناسب للاقبال على الاشتغال، فتخير له مكاناً ساعد على ذلك[7]. كما قدر له أن يسمعه غالب صحيح البخاري على « العفيف النشاوري » (ت ٧٩٠ هـ.

= الجواهر والدرر ق ٢٠ ب، الذيل على رفع الاصر ص ٧٥.

(١) ابن حجر. أنباء الغمر ص ١/٣٧١.

(٢) هو « محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرزاق بن عيسى بن عبدالعزيز ابن عمران بن حجاج، الصدر السفطي » ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٨، السخاوي. الضوء اللامع تر ٥٥٦ ص ٢٢٧ ـ ٩/٢٢٨.

(٣) ابن حجر. رفع الاصر ق ٣٧ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٠ ب، الذيل على رفع الاصر ص ٧٥، الضوء اللامع ص ٣/٣٦، عبدالله بن زين جان الدرر ق ٣ أ.

(٤) ابن حجر. رفع الاصر ق ٣٧ أ، أنباء الغمر ص ١/٢٦١، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٢٧، البقاعي. عنوان الزمان ص ١/٣٧، السخاوي الذيل على رفع الاصر ص ٧٥، الجواهر والدرر ق ٢٠ ب.

(٥) ابن حجر. رفع الاصر ق ٣٧ أ، أنباء الغمر ص ١/٢٦١، السخاوي الضوء اللامع ص ٣/٣٦، الجواهر والدرر ق ٢٠ ب.

(٦) ابن حجر. أنباء الغمر ص ١/٢٦١، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٠ ب والاعادة مهنة تأتي في المرتبة الثانية بعد التدريس، والأصل فيها قيام المعيد باعادة الدرس على الطلبة بعد انتهاء المدرس من القائه وانصرافه حتى يفهموه ويحسنوه. وغالباً ما كان يجلس أثناء الدرس على يمين المدرس أو يساره ـ د. حسن الباشا. الفنون الاسلامية والوظائف ص ٣/١١١٤.

(٧) حيث كان محل السماع تحت سكن الخروبي ـ المذكور ـ في البيت الذي بباب الصفا على يمنة الخارج الى الصفا، وكان به شباك مطل على المسجد الحرام، يشاهد من يجلس فيه الكعبة والركن الأسود، فكان المسمع والقارىء يجلسان عند الشباك، دون مصطبة تحت الشباك المذكور كان يجلس عليها مؤدبة ومن يدرس معه ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٠ ب.

/١٣٨٨ م.)[1] وقد تصادف وجوده هناك، فكان ـ بذلك ـ أول شيخ سمع «ابن حجر» عليه الحديث[2]. كما كان «الجمال بن ظهيرة» (ت ٨١٧ هـ. /١٤٩٥ م.)[3] ـ وقد قرأ عليه في عمدة الأحكام ـ أول شيخ بحث عليه في فقه الحديث[4].

وما هو الا أن عاد صحبة وصيه الى مصر ـ محل اقامته ـ سنة ست وثمانين وسبعمائة[5] ليحفظ كتباً من مختصرات العلوم كالعمدة في الأحكام[6]

---

(١) هو «عبدالله بن محمد بن محمد بن سليمان بن موسى النيسابوري الأصل ثم المكي، المعروف بالنشاوري» ـ ابن حجر. أنباء الغمر ص ٣٥٨ ـ ١/٣٥٩، المجمع المؤسس ق ٨٣ ب ـ ٨٥ أ، الدرر الكامنة تر ٢٢٢٩ ص ٣٠٠ ـ ٢/٣٠١، ابن طولون. القلائد الجوهرية ص ٢/٤٥٤، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٦/٣١٢.

(٢) ابن حجر. رفع الاصر ق ٣٧ أ، أنباء الغمر ص ١/٣٥٩، المجمع المؤسس ق ٨٤ ب، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٢٦، البقاعي. عنوان الزمان ص ١/٣٧، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٠ ب، عبدالله بن زين جمان الدرر ق ٣ أ، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٦/٣١٢.

(٣) هو «محمد بن عبدالله بن ظهيرة بن أحمد بن عبدالله بن عطية بن ظهيرة ابن مرزوق بن محمد بن سليمان المخزومي المكي الشافعي» ـ له ترجمة في: المقريزي. السلوك ص ٤/٢٦٩، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٩٤، ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٦٦ أ، أنباء الغمر ص ٤٥ ـ ١/٤٦، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥، ابن تغري بردى النجوم الزاهرة ص ١٤/١٣٢، السخاوي. الضوء اللامع ص ٩٢ ـ ٨/٩٥، السيوطي. طبقات الحفاظ ص ٥٤٢ ـ ٥٤٣ تر ١١٨٣، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٧٥، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ١٢٥ ـ ٧/١٢٦..

(٤) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٦٦ أ، أنباء الغمر ص ٣/٤٦، السخاوي الجواهر والدرر ق ٢١ أ، الضوء اللامع ص ٨/٩٤.

(٥) ابن حجر. أنباء الغمر ص ١/٢٨٨، الدرر الكامنة ص ١/٤٥٠، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ أ، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٣ أ.

(٦) هو «العمدة في الأحكام في معالم الحلال والحرام عن خير الأنام» لابن سرور الجماعيلي المقدسي (ت ٦٠٠ هـ. /١٢٠٤ م.) ويحتوي على أحاديث الأحكام مما اتفق عليه البخاري ومسلم واردة بترتيب كتب الفقه.

والحاوي الصغير ـ كتاب أبيه ـ(١) ومختصر بن الحاجب الأصلي(٢) والملحة للحريري(٣).. عرضها ـ على العادة ـ على جماعة من الأئمة كتبوا خطوطهم له بذلك(٤). كما تعلم الخط المنسوب على «أبي علي الزفتاوي» (ت ٨٠٦ هـ. /١٤٠٤ م.)(٥)

وظهر من الفتى ـ حينئذ ـ ما ينبه الى مستقبل باهر ينتظره، فلقد رزق في صغره سرعة الحفظ، فكان كل يوم يحفظ نصف حزب، وبلغ من أمره في ذلك أن حفظ سورة مريم في يوم واحد، كما كان أكثر الأيام يصحح الصفحة من الحاوي الصغير، ثم يقرؤها تأملا مرة أخرى، ثم يعرضها في الثالثة من حفظه.. فقد كان حفظه تأملا على طريقة الأذكياء(٦).

كما قدر له أن يقرأ القرآن ـ الكريم ـ تجويداً على «الشهاب الخيوطي» (ت ٨٠٧ هـ. /١٤٠٥ م.)(٧) آنذاك(٨).

ويبدو أن وفاة «الزكي الخروبي» (ت ٧٨٧ هـ./١٣٨٦ م) ما كانت

---

(١) هو مختصر أبيه من الحاوي الصغير ـ في الفقه الشافعي ـ للنجم القزويني (ت ٦٩٥ هـ. /١٢٩٦ م.).

(٢) هو مختصر كتاب «منتهى السؤل والأمل في علم الأصول والجدل» لأبي عمرو بن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ. /١٢٤٨ م.).

(٣) منظومة في النحو تسمى «ملحة الاعراب» للقاسم الحريري (ت ٥١٦ هـ. /١١٢٢ م.).

(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ أ، التبر المسبوك ص ٢٣٠، الذيل على رفع الاصر ص ٧٥، الضوء اللامع ص ٣/٣٦، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٣ أ.

(٥) هو «محمد بن أحمد بن علي، أبو علي الزفتاوي، ثم المصري المكتب» ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٥، الدرر الكامنة ص ٢/٨٩، السخاوي الضوء اللامع ص ٧/٢٤ تر ٤٦.

(٦) ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٢٦، البقاعي. عنوان الزمان ق ١/٣٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ أ، ابن طولون. القلائد الجوهرية ص ٢/٤٥٤، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٣ أ.

(٧) هو «أحمد بن محمد بن الفقيه علي الخيوطي» ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢١٦.

(٨) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ أ، ابن طولون. القلائد الجوهرية ص ٢/٤٥٤.

سببا في انشغال «ابن حجر» عن الاشتغال مدة ثلاث سنوات، لم يقدر فيهن أن يباشره غيره أو يوجهه[1] الى أن انتقل الى وصاية «الشمس بن القطان» (ت ٨١٣ هـ./ ١٤١١ م.)[2] فحضر درسه في الفقه وأصوله، والعربية، والحساب.. وغيرها وقرأ عليه شيئا من الحاوي الصغير ـ مع كونه لم يحمد تصرفه في تركته[3].

وهذه الفترة التي تخللت الانتقال من وصي لم تخل من فائدة حقيقية فلقد اشتغل فيها بطلب ما غلب على العادة طلبه من أصل وفرع ولغة ونحوها[4] كما حبب اليه النظر في التواريخ وأيام الناس، فأقبل على ذلك مطلعا بالعارية مرة وبالأجرة أخرى[5]. كما سمع فيها اتفاقا من بعض المسندين[6]. ونظر في فنون الأدب ففاق فيها حتى كان لا يسمع شعرا الا ويستحضر من أين

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ أ، الذيل على رفع الاصر ص ٧٧، ابن طولون. القلائد الجوهرية ص ٢/٤٥٤، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٣ أ ـ ولا يعني ذلك أنه لم يجد من يكفله أو ينفق عليه، كما يذهب البعض (د. شاكر محمود عبدالمنعم. ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ص ١/٨٨) لأن أباه كان قد ترك له ثروة لا بأس بها، كما يشير ابن حجر عينه في غير موضع من (انباء الغمر) الى من كان يزوره بعد فقد الوالد وهو صغير ـ لمودة وصحبة قديمة بينه وبين أبيه ـ كأبي الفرج ابن الشحنة (ت ٧٩٩ هـ./١٣٩٧ م.) وغيره.

(٢) هو «محمد بن علي بن محمد بن عمر بن عيسى بن محمد، الشيخ شمس الدين بن القطان المصري الشافعي» ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٤٧٦، المجمع المؤسس ق ٢٦٨ ب ـ ٢٦٩ أ.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ أ، الذيل على رفع الاصر ص ٧٧، الضوء اللامع ص ٣/٣٧، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٣ أ.

(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ ب.

(٥) وكان ذلك بترغيب غير واحد، منهم «البدر البشتكي» (ت ٨٣٠ هـ./١٤٢٧ م.) وقد أعانه باعارة الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني وغيرها ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ ب، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٣ ب.

(٦) كالنجم بن زين، والصلاح الزفتاوي، وأبي الفرج الغزي.. ـ الخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ ب، ابن طولون. القلائد الجوهرية ص ٢/٤٥٤.

ويلاحظ أن المسند هو الذي يروي متن الحديث متصل الاسناد (معنعن) الى رسول الله =

أخذه ناظمه وتولع بذلك وما زال يتبعه خاطره حتى فاق فيه وساد وطارح الأدباء، وقال الأدب شعرا ونثرا، وكتب عنه (١).

وهكذا ـ فان الفترة بين سنتي سبع وسبعين وسبعمائة، وست وتسعين وسبعمائة تمثل الارهاصات الأولى للتكوين الفكري لدى «ابن حجر» والتي اطلع فيها على الكثير من الكتب التقليدية السائد الاطلاع عليها وحفظها في عصره، شأنه في ذلك شأن غيره من النشيء المعتني به. فلما فرغ من ذلك اتجه بكليته سنة ست وتسعين وسبعمائة ـ الى العلم بمنهجية، يتعمق فيه على جاري عادة العلماء وقد فرغ من مرحلة الطلب المبدئي، ولذا نجده يكتب بخطه تجاه هذا التاريخ:

«رفع الحجاب، وفتح الباب، وأقبل العزم المصمم على التحصيل، ووفق للهداية الى سواء السبيل» (٢).

فاتجه الى الأخذ عن مشايخ ذلك العصر، وقد بقي منهم بقايا (٣).

وهنا يمكن تفسير ذلك على خلاف ما ورد لدى بعض مراجع ترجمته (٤) من أن المقصود بذلك هو اندفاعه بالكلية الى الحديث النبوي، لأنه في هذه الفترة وما يليها لم يقصر همته على الحديث النبوي ـ فقط ـ وان جعل لتحصيله الصدارة بين العلوم والمعارف، وانما كان الحرص على تحصيله مع

= ﷺ لاعتماد الحفاظ في صحة الحديث وضعفه ـ الجرجاني. التعريقات ص ١١٢، السيوطي تدريب الراوي ص ٤١ - ١/٤٢.

(١) ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٢٧، البقاعي. عنوان الزمان ق ١/٣٦ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ ب، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٣ ب.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٢ أ، الذيل على رفع الاصر ص ٧٩، عبيد الله بن زين. جمان الدرر ق ٣ ب.

(٣) نفسه.

(٤) د. شاكر محمود عبدالمنعم. بن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه في كتابه الاصابة ص ٩٠ - ١/٩١.

الالمام بغيره على سبيل التعمق فيها، والدليل على ذلك:

ـ هذه العدد الجم من المتخصصين الذين أخذ عنهم في آن واحد[1].

ـ وهذا الكم الهائل، والمتنوع من صنوف المعرفة التي حصلها في رحلاته وغيرها، حيث لم تكن منحصرة في الحديث وعلومه، وانما تعدته الى اللغة، والأدب، والشعر، والفقه، والتفسير، والقراءات، والتاريخ.. كما سوف يتضح في موضعه.

ـ بالاضافة الى عبارة السخاوي قرين هذا الموضوع، ونصها: « .. وأخذ بهمة وافرة، سليمة باهرة في طلب العلوم: منقولها ومعقولها، حتى بلغ الغاية القصوى، وصار كلامه مقبولا عند أرباب سائر الطوائف، لا يعدون مقالته لشدة ذكائه، وقوة باعه، حتى كان حقيقاً بقول القائل:

وكان من العلوم بحيث يقضى   له في كل علم بالجميع »[2]

ـ وقول البقاعي: « .. فأطلق عنان عزمه نحو بقية العلوم فأكب عليها: الفقه والنحو، والأصلين، وعلوم الأدب: المعاني والبيان.. وغيرها ـ حتى مهر فيها »[3].

ـ وقوله ابن فهد المكي: « .. وجد في طلب العلوم فبلغ الغاية القصوى »[4].

وهذا ـ لا شك ـ يشير الى أن هذه الفترة تمثل اتجاها مغايرا لفترة الطلب الأولى ـ وهي فترة التثقيف الذاتي ـ انها فترة الاختصاص بالعلم، وليس التخصص في فرع من فروعه.

---

(١) أورد «ابن حجر» في «المجمع المؤسس» نحوا من أربعمائة وخمسين شيخا له بالسماع والاجازة الخاصة دون الاجازة العامة.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق٣٦ أ، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق٧ أ.

(٣) البقاعي. عنوان الزمان ق٣٧ ـ ١/٣٨.

(٤) ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٣٠.

الفصل الثاني

حياته الاجتماعية

زوجاته

« أم أولاده ـ أرملة الزين الامشاطي ـ ليلى بنت طوغان الحلبية ـ خاص ترك »

ـ ١ ـ

تزوج « ابن حجر » أولى زوجاته « أنس »[١] ابنة القاضي « كريم الدين عبدالكريم بن أحمد بن عبدالعزيز بن أبي طالب بن سيدهم النستراوي الأصل المصري » ـ في شعبان سنة ثمان وتسعين وسبعمائة للهجرة ـ[٢] باشارة العلامة « ابن القطان » ـ وصيه[٣] .

وهي من بيت رياسة وحشمة، فأبوها « كريم الدين عبدالعزيز » (٧٣٦ ـ ٨٠٧ هـ/١٣٣٦ ـ ١٤٠٥ م.) كان قد استقر قبل عقد « ابن

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٩/٢٤٠، وهي أصغر خمس بنات مات عنهن أبوهن، هن: « خديجة » (ت ٨٥٣ هـ./١٤٥٠ م.) و « آمنة » (ت ٨٦٥ هـ./١٤٦١ م.) و « فاطمة » (ت ٨٤٩ هـ./١٤٤٦ م.) و « فرح » (ت ٨٦٣ هـ./١٤٥٩ م.)، وهي.

(٢) نفسه ص ١/٥١٣، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٦ أ.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٦ أ.

حجـر » على ابنتـه ـ بسـت سنـوات ـ في نظـر الجيش نقلا مـن صحـابـة الديوان[١] . كما كان له سماع من « الجمال ابن نباتة »، و « ابن البوري » ، و « ابن خليل الحافظي » ، و « الخلاطي » . وغيرهم[٢] . وأمها « سارة » بنت ناصر الدين محمد بن أنس ، بنت « منكوتمر » نائب السلطنة ، وصاحب المدرسة والقاعة المتجاورتين المعروفتين باسمه[٣] .

فاعتنى بها زوجها ، وأسمعها الحديث المسلسل بالأولية على شيخه « الزين العراقي » ، و « الشريف بن الكـويـك » ، وحصـل لها جملـة مـن الاجـازات باستدعاءات عدد من الحفاظ والمسندين « كأبي الخير بنَ الحافظ العلائي » ، و « أبي هريرة ابن الحافظ الذهبي » . . وغيرهما من المصريين والشاميين والمكيين واليمنيين . .[٤] كما استصحبها معه الى الحج سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وأذن لها بعد ذلك في الحج سنة أربع وثلاثين وثمانمائة ـ فحجت بمفردها وجاورت ومعها سبطها وهو صغير[٥] .

ويشير « السخاوي » الى أنها حدثت بحضور زوجها وبعده ، وقرأ عليها الفضلاء ، فكان يقرأ عليها العلامة « ابن خضر »[٦] صحيح البخاري في رجب وشعبان من كل سنة ، ومن بعده سبطها ، وفي يوم الختم تحتفل بأنواع

(١) ابن الفرات. التاريخ ص ٢٠٠ - ٩/٢٠١ ، المقريزي. السلوك ص ٣/٧٠٦ ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٣٩٤ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٣٦ أ.

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣٠٦ - ٢/٣٠٧ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٦ أ ، الضوء اللامع ص ٣٠٧ - ٤/٣٠٨ .

(٣) المقريزي. الخطط ص ٢/٣٨٧ ، ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/١٨١ ، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٢/٥٢ تر ٣١٠ ، الجواهر والدرر ق ٣٢٦ أ.

(٤) ابن حجر. المجمع المؤسس في مواضع متفرقة ، السخاوي. الجواهر والدرر. ق ٣٢٦ ، الضوء اللامع ص ١٢/١١ .

(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ ، الضوء اللامع ص ١٢/١١ .

(٦) هو « ابراهيم بـن خضر بـن أحمد بـن عثمان بـن كـرم الديـن بـن جـامـع بـن محمد » (ت ٨٥٢ هـ./١٤٤٩ م.) - السخاوي. الضوء اللامع ص ٤٣ - ١/٤٧ .

الحلوى والفاكهة وغيرها، ويهرع الكبار والصغار لحضور هذا اليوم ـ وهو قبل رمضان ـ بين يدي زوجها[١].

كما خرج لها «السخاوي» أربعين حديثا عن أربعين شيخا قراءة عليها بحضور زوجها بعد أن أسلف «ابن حجر» لها بالاعلام بذلك قائلا على سبيل المداعبة: «قد صرت شيخة»[٢].

ولقد استولدها عدة بنات هن: «زين خاتون»، و«فرحة»، و«غالية» و«رابعة»، و«فاطمة»، ولم تلد ولدا ذكرا[٣].

وكان كثير التبجيل والتعظيم لها، وكانت هي عظيمة الرغبة فيه، فلما تسرى غضبت منه، وعتبت عليه، فاعتذر لها بميله للأولاد الذكور، فدعت عليه ألا يرزق ولدا عالما، فتألم لذلك، وخشي من دعائها[٤] ولم تزل به الى أن زوج سريته «بالزين عبدالصمد بن صاحبة الشيخ شمس الدين الزركشي» فاستمرت معه حتى مات[٥]. كما أنها كادت تتقد غيظا عندما أعاد «ابن حجر» زوجته الحلبية الى عصمته[٦]. ولذا فانه مراعاة لخاطرها لم يبت عند هذه على الرغم من شدة ميله اليها ورغبته فيها، ولكنه غالبا كان يجيئها في يومي الثلاثاء والجمعة من كل اسبوع[٧] كما أنه لم يمتنع من الأكل عندما قدمت له أم أولاده طعام العشاء ـ وكان قبل قد تعشى عنه زوجته الحلبية ـ مراعاة لخاطر أهله، وان ثقل ذلك عليه وصيره ضعيف الحركة، فلزمه الوعك الى أن توفي[٨].

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق٣٢٧ أ، الضوء اللامع ص ١١/١٢.
(٢) نفسه.
(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق٣٢٧ أ.
(٤) نفسه، الضوء اللامع ص ١١/١٢.
(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٣١ ب، وهو أحد من سمع السخاوي عليه الحديث.
(٦) نفسه.
(٧) المصدر السابق.
(٨) نفسه.

ولم تزل أم أولاده بعده على جلالها وتصونها، لم يضبط لها هفوة ولا زلة بل مات كل أولادها بين يديها فتصبرت واحتسبت الى أن ماتت [1] وكانت قبل قد أوقفت ما بقي من أملاكها ورزقها على سبطها وذريته، ووهبت وتصدقت بما بقي تحت يديها على من لديه اعواز ممن يدخلن عليها من الأهل والعجائز [2].

ويشير «السخاوي» إلى أنها بعد وفاة زوجها قد خطبت للقاضي «علم الدين البلقيني» قصدا منه في صون بيته لجلالتها ـ فأقام المهر عندها مدة أنزعج «السخاوي» خلالها، واجتمع به رغبة منه في ابطال ذلك التزويج الى أن صرح له «البلقيني» بالرجوع عن رغبته واستعاد ما دفع اليها [3].

- ٢ -

كما تزوج من أرملة «الزين أبي بكر الامشاطي» (ت ٨٣٣ هـ./١٤٣٠ م.) وعتيقة العلامة «نظام الدين يحيي بن سيف الدين الصيرفي» [4] ـ في مجاورة أم أولاده ـ سنة أربع وثلاثين وثمانمائة، وأنزلها بقاعة المشيخة البيبرسية واستولدها في السنة التالية لدخوله بها بنتا اسماها «آمنة» ماتت في ثالث عشر شوال سنة ست وثلاثين وثمانمائة، وبموتها طلقت أمها، فانه كان علق طلاقها عند سفره الى آمد على موتها [5].

---

(١) نفسه ـ وكان موتها في ربيع الأول سنة سبع وستين وثمانمائة ـ الضوء اللامع ص ١١/١٢.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ.

(٣) نفسه ق ٣٢٧.

(٤) هو «يحيي بن يوسف بن محمد بن عيسى النظام السيفي الصيرفي» ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٤٥٢ - ٣/٤٥٣، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٦٦ - ١٠/٢٦٧.

(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٣١.

أما « ليلى » فإنــه تزوجها حيث سافر مع « الأشرف برسباي » إلى آمد سنة ست وثلاثين وثمانمائة، وكانت ثيبا ذات ولدين بالغين[١] واستمرت معه الى أن سافر من حلب ففارقها دون أن يعلمها بالطلاق، وانما أسره لبعض خواصه ملتمسا منه أن لا يعلمها بذلك الا بعد مضي المدة، وكان قد عجل لها النفقة[٢].

ويبدو أن التطليق كان ترفقا منه بها كي لا يشعرها بوحشة مفارقة الأهل والوطن مما يجعلها متضررة بشبكته[٣]. ولذا نجده وقد وجد فيها رغبة قوية ظاهرا وباطنا يرسل الى بعض الحلبيين من أخصائه في تجهيزها له ان اختارت واعلاما بالحامل على تطليقها، واعدا اياها بكل جميل، فهي ان قدمت عليه « لا يكون عنده أعز منها، وينزلها أحسن المنازل، ويعوضها عن كل شيء من الفرش والأمتعة ولا يحوجها لشيء ». كما نعتها بقوله: « .. نعم المرأة عقلا وحسن خلق وخلق »[٤] مما استرق قلبها، فقدمت مصر فاستعادها بعد أن أنزلها بقاعة المشيخة البيبرسية واحتفل بشأنها. واستمرت في عصمته حتى سافرت الى حلب في زيارة أهلها في منتصف شوال سنة احدى وأربعين وثمانمائة ففارقها بعد أن أكملت في عصمته خمس سنين سواء[٥]. ثم عادت في رجب من السنة التي تليها فأعادها الى عصمته واستمرت معه حتى مات وورثته، ولم يرزق منها أولادا، وتأخرت بعده دهرا وتزوجت عدة أزواج،

---

(١) نفسه، الضوء اللامع ص ١٢/١٢٣.
(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٣١ ب.
(٣) نفسه ق ٤٣ أ، ٣٣١ ب
(٤) نفسه ق ٣٣١ ب - نقلا عن رسالة « ابن حجر » بشأنها.
(٥) ابن حجر. انباء الغمر ص ٩/٩.

ثم ماتت في منتصف رجب سنة ١- ٥، وثمانين وثمانمائة[1]. وقد قاربت الثمانين[2].

لما رأى «ابن حجر» كثرة ما تلده أم أولاده من الاناث، وأحب أن يكون له ولد ذكر، ولم يمكنه التزوج -آنذاك- مراعاة لخاطرها اختار التسري. وكان لزوجته جارية تترية اسمها «خاص ترك» فوقع في خاطره الميل اليها، فاقتضى رأيه أن أظهر تغيظا منها بسبب تقصيرها في بعض الخدمة، وحلف أنها لا تقيم بمنزله، فبادرت زوجته الى بيعها بعد أن أمرها أن تأمر القاصد بعدم التوقف في بيعها بأي ثمن كان، قائلا: «وكل ما رمته من الزيادة على ذلك أقوم لك به» ففعلت، وأرسل هو الشيخ «شمس الدين بن الضياء الحنبلي» فاشتراها له بطريق الوكالة، وأقامت ببعض الأماكن حتى استبرأها ثم وطئها فحملت له بولده القاضي «بدر الدين أبي المعالي محمد» وكان مولده في ثامن عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة، واستدعى بالطلبة ونحوهم يوم السابع الى منزل أم أولاده وعمل لهم شواء فكانت العقيقة عندها وهي لا تشعر، حتى بلغها الخبر قبل انفصال الولد عن الرضاع، فركبت وأمها من فورها الى المكان الذي كانا به، واحضرتها معها الى منزلها فتركتها

---

(١) نفسه، ويلاحظ شدة تولع ابن حجر بها من خلال ما أورده «السخاوي» - في الباب الثاني من الجواهر والدرر- له من شعر فيها، وهو كثير منه:

رحلت وخلفت الحبيب بداره   برغمي ولم أجنح الى غيره ميلا
اشاغل نفسي بالحديث تعللا   نهاري وليلي أحن الى ليلى

(من الطويل)

(الجواهر والدرر ق٤٣ أ، الضوء اللامع ص ١٢/١٢٣)

وقوله:

قف واستمع طربا خليلي بالدجا   باتت معانقتي ولكن في الكرى
وجرى بدمعي رقصة بخيالها   أترى دري ذاك الرقيب بما جرى

(من الكامل)

(الجواهر والدرر ق٤٣ ب).

(٢) السخاوي. الضوء اللامع ص ١٢/١٢٣.

ببعض المنازل الى أن حضر «ابن حجر» ـ وليس عنده شعور بما وقع ـ فاستخبرته عن ذلك «فما اعترف ولا أنكر»، لكن أجاب بما يفهم منه الانكار فقامت وأحضرت الولد وأمه فسقط في يده. ولم تزل به حتى نزل عنها لمن تزوجها بعده[1].

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٩ ب.

أولاده

« زين خاتون ـ فرحة ـ غالية ـ رابعة ـ فاطمة ـ بدر الدين أبو المعالي محمد »

أنجب « ابن حجر » خمس بنات وولدا واحدا، أما البنات فهن:

زين خاتون

هي بكر أولاده، ولدت في رجب سنة اثنتين وثمانمائة، واعتنى بها أبوها فعلمها الكتابة والقراءة، واستجاز لها في سنة مولدها كثيرا من المسندين من أهل دمشق وأسمعها على « الزين العراقي » و « النور الهيثمي » و « الجلال بن خطيب داريا » و « الشريف بن الكويك »(1). وزوجها بالأمير « شاهين الكركي » (ت ٨٦٠ هـ./١٤٥٦ م.)(2) فاستولدها عدة أولاد ماتوا في حياة

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٤٤٥ تر ١٧، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٦ ب، الضوء اللامع ص ١٢/٥١ تر ٣٠١.

(٢) هو الأمير « شاهين العلائي قطلوبغا الكركي »، أقرأه سيده القرآن وصلى به، ثم صار من مماليك الناصر فرج، ثم من خاصكيته، فلما سافر لقتال « شيخ » وكان صحبته ـ أسره جماعة « شيخ »، ونقله « المؤيد » حتى ولاه وظيفة الدوادارية الصغرى، وساق البريد، وحج، وصار أحد العشراوات بالقاهرة وساق المحمل، فلما تسلطن أمره عشرة بدون خدمة، ثم ألزمه « الظاهر ططر » بالخدمة، ثم أخرج اقطاعه وأمر بنفيه لدمشق، ورسم له بدراهم يأخذها كل يوم من استادارها، وانعم عليه في غضون ذلك بفرس وقماش وكذا قدم على الأشرف اينال وانعم عليه بذلك وباقطاع امرة عشرة، واستمر حتى مات بدمشق في ذي القعدة سنة ستين وثمانمائة، ودفن بمقبرة باب ـ الفراديس بالقرب من قبة الناصر فرج ـ السخاوي. الضوء اللامع ص ٣/٢٩٦ تر ١١٣٩.

أبيهم ولم يتأخر منهم الا « أبو المحاسن يوسف » المعروف بسبط ابن حجر[1].

ماتت بالطاعون وهي حامل سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة[2].

فرحة

ولدت في الرابع والعشرين من رجب سنة أربع وثمانمائة[3] وحصل لها أبوها اجازات في سنة سبع وثمانمائة فما بعدها[4] وأسمعها من « ابن الكويك » وغيره[5]. وزوجها شيخ الشيوخ « محب الدين بن الأشقر »[6] فاستولدها ولدا

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٦ ب.

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٤٤٥، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٢/٥١، الجواهر والدرر ق ٣٢٦ ب.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٦ ب، الضوء اللامع ص ١٢/١١٥ تر ٦٩٧.

(٤) ابن حجر. المجمع المؤسس في مواضع متفرقة، السخاوي. نفسه.

(٥) السخاوي. الضوء اللامع ص ١٢/١١٥.

(٦) هو « محمد بن عثمان بن رسول بن أمير يوسف بن خليل بن نوح، المعروف بالقاضي محب الدين بن الأشقر » ـ ولد سنة ثمان وثمانين وسبعمائة بالقاهرة وانتفع « بالجمال اسحق الأشقر » نزيل القدس ولزمه سنتين في عدة علوم وانتمى « ليشبك الناصري » لوصيته به من أبيه، وحفظ القرآن الكريم وغيره واشتغل يسيرا، وسمع على « العراقي » و « ابن حجر » وأجاز له « الجزري » وغيره.. وأول ما تأهل استقر اماما ليشبك، الذي رفع جانبه بحيث لم يكن يرد له كلاما، واقعد في القضاء فاشتهر ذكره، وناب عن « ابن العديم » وغيره على مذهبه (الحنفي). كما استخلفه « ابن حجر » في قضاء الديار المصرية سنة ست وثلاثين وثمانمائة حين توجه مع « الأشرف برسباي » الى آمد بعد استئذان السلطان في ذلك، بالاضافة الى اسناده المشارفة فيما أوصى به من الثلث بعد موته، ونعته في وصيته بقوله: « .. أخي في الله ـ تعالى ـ القاضي ناظر الجيوش المنصورة محب الدين، رزقه الله ـ تعالى ـ العفو والعافية في الدنيا والآخرة » وفي الدرر الكامنة بقوله: « .. وكان حسن المعرفة، خبيرا بعشرة أهل الدولة وغيرهم، قوى الرأي مسعود الحركات.

باشر عدة وظائف في دولة « الناصر فرج »، و « المؤيد شيخ »، والظاهر ططر »، منها: مشيخة الخانقاة الناصرية بسرياقوس، ونظر جامع عمرو ونظر دار الضرب، وكتابة السر بالديار المصرية، ونظر البيمارستان، ونظر الجيش.. وفي آخرته لزم بيته على نظر الخانقاة فقفط حتى مات يوم الثلاثاء ثاني عشر رجب سنة ثلاث وستين وثمانمائة. وكان قبل تزوجه =

مات صغيرا في حياة أمه[1] وكانت وفاتها في تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ـ عن ثلاث وعشرين سنة وتسعة أشهر ـ بعد أن حجت في العام الماضي قبله مع زوجها ورجعت موعوكة[2].

غالية

مولدها في ذي القعدة سنة سبع وثمانمائة، استجيز لها جماعة، وماتت وفاطمة ـ الآتية ـ بالطاعون في ربيع الأول سنة تسع وثمانمائة مع بعض عمال أبيها[3].

رابعة

ولدت في رجب سنة احدى عشرة وثمانمائة[4] وأسمعها والدها في سنة خمس عشرة على الشيخ « زين الدين بن حسين المراغي » بمكة[5] واجاز لها جمع من الشاميين والمصريين..[6] وتزوجها « الشهاب بن مكنون »[7] ودخل بها

= بفرحة مصاهرا للخليفة المستعين على أخت زوجته ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٥١٣، الدرر الكامنة ص ٢/٤٤٠ في ترجمة أبيه تر ٢٥٨٠، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ص ١٥/٣٥٦، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٤٣ ـ ٨/١٤٥ الذيل على رفع الاصر ص ٢٦٦ ـ ٢٧٨، الجواهر والدرر ق ٣٢٥ أ ـ ٣٢٦ ب، السيوطي. نظم العقيان ص ١٥٣.

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٦ ب.

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٣٥٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٦ ب، الضوء اللامع ص ١٢/١١٥.

(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٧٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ، الضوء اللامع ص ٢/٨٥ تر ٥٢١.

(٤) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٤٢٥، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ. الضوء اللامع ص ١٢/٣٤ تر ١٩٩.

(٥) نفسه.

(٦) ابن حجر. المجمع المؤسس في مواضع متفرقة، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ، الضوء اللامع ص ١٢/٣٤.

(٧) هو «أحمد بن محمد بن مكنون، شهاب الدين المنافي القطوي» ـ ولد بقطية وأبوه اذ ذاك =

بكرا بنت خمس عشرة سنة فولدت منه بنتا [١] سماها « غالية » ماتت في حياتها بعد أن استدعى لها الشيخ « رضوان » وغيره [٢] ثم مات زوجها عنها في رمضان سنة تسع وعشرين وثمانمائة فتزوجها « المحب بن الأشقر » واستمرت حتى ماتت عنده سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة [٣].

فاطمة

ولدت في ربيع الآخر سنة سبع عشرة وثمانمائة، وأجاز لها جماعة، وماتت وهي طفلة في الطاعون في ربيع الأول سنة تسع عشرة [٤].

ولده

أما « بدرالدين أبو المعالي محمد » فانه ولد في ثامن عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة، وشغله والده بحفظ القرآن ـ الكريم ـ فحفظه وصلى بالناس ـ على جاري العادة ـ في رمضان سنة ست وعشرين وثمانمائة بالخانقاة الركنية البيبرسية واسمعه والده الحديث على « الشهاب الواسطي »، و « الفخر الدنديلي » وغيره.. وأجاز له باستدعاء والده ـ في سنة مولده فما بعدها ـ جماعة من مسندي الشام ومصر وغيرهم، ومنهم « عائشة بنت عبدالهادي »

= حاكم بها سنة تسع وسبعين وسبعمائة، ونشأ نشأة حسنة وحفظ القرآن ـ الكريم ـ واشتغل في الفرائض والفقه والعربية، ولازم « شمس الدين العراقي » في أولهم، وولى قضاء قطية بعد أبيه، ثم غزة في أول الدولة المؤيدية، ثم استقر في قضاء دمياط مع بقاء قضاء قطية معه، واستمر في غلية الاعزاز والاكرام الى أن انفصلت الدولة المؤيدية فتصلت عليه ناس بالشكاوى والتظلم وكان كثير الاحتمال، حسن الأخلاق. ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٣٧٣ ـ ٣/٣٧٤، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢/٢٠٨ تر ٥٥٩.

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٣٧٤.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ.

(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣٢٥، ٣/٣٧٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ.

(٤) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٨٧، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٢/٨٨، الجواهر والدرر ق ٢٣٧ أ.

و « أبو بكر الحسن المراغي » وغيرهما .. كما صنف « ابن حجر » لأجله كتابه « بلوغ المرام من أدلة الأحكام »[١] وكتب هو عن والده كثيرا من مجالس الاملاء، ولازم مجلسه حتى سمع عليه شيئا كثيرا. ولما ترعرع اشتغل بالقيام بأمر القضاء، والأوقاف ـ استنزالا من والده له قصدا للدربة والتمرن في المباشرة بها ـ[٢] وولى في حياة أبيه عدة وظائف أجلها: مشيخة الخانقاة البيبرسية، وتدريس الحديث بالحسينية ـ ناب عنه فيها أبوه ـ والامامة بجامع طولون. وحج في حياة أبيه وبعده، وأنشأ عدة أماكن، وحدث بالكثير، وكتب على الاستدعاءات، واشترك مع السخاوي في مقابلة بعض تصانيف أبيه، ولما مات أبوه ما التفت لشيء من وظائفه، حتى ولا ما يصلح أن يكون باسمه، بل لقد عرضت عليه حسبة القاهرة ومصر فما وافق لأن « همته لم تكن منصرفة لشيء من ذلك »[٣].

مات مبطونا سنة تسع وستين وثمانمائة في السادس عشر من جمادي الثانية بعد أن اشتد به الوعك وقاسى شدائد أقام فيها أزيد من مائة يوم وفتحت في أعضائه عدة أماكن، وقد خلف ـ رحمه الله ـ زوجة وولدا[٤].

وعلى الرغم من هجو « السبط » له[٥]. وعدم رضى « ابن فهد المكي »

---

(١) أشار « ابن حجر » في مقدمته الى أنه « .. مختصر يشتمل على أصول الأدلة الحديثية للأحكام الشرعية »، كما أشار الى الغاية من تأليفه قائلا: « .. ليصير من يحفظه من بين أقرانه نابغا، ويستعين به الطالب المبتديء ولا يستغني عنه الراغب المنتهي » ـ وهو مطبوع بتحقيق رضوان محمد رضوان ط. بيروت.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧٠ ب.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه ق ٣٣١ أ ـ وكان مولد ولده « علي » في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثمانمائة، واحضر مجلس جده وتردد اليه بعض الفقهاء للتعليم وغيره، ومات أبوه في حياته.

(٥) نفسه ق ٣٣٠ ب.

عنه (١) ونعت «ابن تغري بردى» اياه بالجهل وسوء السيرة (٢) امتدحه «السخاوي» في موضعين من مؤلفاته بقوله: «وكان حسن الشكالة متكرما على عياله قل أن يكون في معناه من نظرائه مثله» (٣) وقوله: «.. وكان حسن الشكالة قوي النفس شهما متكرما على عياله» (٤). وان انتقده لتفريطه في تصانيف أبيه قائلا: «.. لكن ـ عفا الله عنه ـ ضيع ما كان أولى به الحرص على بقائه من تصانيف أبيه وغيرها مما كتبه بخطه، ونقل أكثر ذلك لناظر الخاص.. وتفرقت شذرا مذرا» (٥). كما أشار في موضع آخر الى تلبسه بمحنة أبيه، حيث طلب الولد مع جماعة المباشرين لجامع طولون واحتجزوا على ذمة التحقيق ورام السلطان ضربه، فكان في ذلك القهر لوالده بسببه «فانه كان في ضيق صدر زائد وألم شديد وتأوه كبير، وكل يوم يسمع من الأخبار ما لا يسمعه بالأمس، وكان يتوجه اليه في الجمعة يوما وأكثر الى المكان الذي يكون فيه..» (٦) بل لقد عمل «ابن حجر» الأب لهذه المناسبة جزءاً سماه «ردع المجرم عن سب المسلم» جمع فيه أربعين حديثا منتقاة من كتب الصحاح والسنن في تعظيم المسلم والزجر عن سبه وظن السوء به وتعمد ظلمه وحربه لعظة من بسط لسانه ويده في المسلمين مع قلة علمه واعوجاجه (٧).

سبطه

أما سبطه «الجمال أبو المحاسن يوسف بن شاهين الكركي» فانه ولد ليلة

---

(١) ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٣١.
(٢) ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ص ١٥/٥٣٣.
(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٣٠ أ.
(٤) السخاوي. الضوء اللامع ص ٧/٢٠.
(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٣٠ أ.
(٦) المصدر السابق ق ١٧١ أ.
(٧) نفسه ق ١٧١ ب، التبر المسبوك ص ٢٠٣، الضوء اللامع ص ٧/١٢٠.

الاثنين ثامن ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، ونشأ عزيزا مكرما في حجر جدته واستجيز له غير واحد من المسندين « كابن خير » وغيره، وسمع على جده، وأسمعه هو بقراءته على « تجار البالسية » وقـرأ على « البرهـان بن خضر » و « البدر بن القطان » و « العز بن الفرات » و « الزين شعبان » و « ابن يعقوب » و « ابن عبدالكريم المناوي »، وأخذ الفرائض عن « أبي الجود »، وحضر التقسيم عند « العلاء القلقشندي »، و « الجلال المحلي »، والعروض عند « الآبدي » وكان بزي ابناء الجند حتى في المذهب، فـاشير اليـه بـالتـزيـي بالفقهاء والانتماء للشافعية. وقرر في نظر المنكوتمرية لكونه أرشد الموجود من ورثه الواقف، كما ولي عدة وظائف كخطـابـة جـامـع ابـن شرف الديـن، والمدرسة المزهرية، ومشيخة الصوفية بها ومشيخة التصوف بوقف قراقوش، وتدريس الحديث بالبيبرسية، وقراءة الحديث بجامع الفكاهين [1].

ولقد أخـذ عليـه السخـاوي وغيره انتقـاصـه لجده وخـالـه في بعـض مؤلفاته [2].

مات سنة تسع وتسعين وثمانمائة [3].

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ ب، ٣٢٩ ب، الضوء اللامع ص ٣١٣ - ١٠/٣١٧ تر ١١٩٢.
(٢) نفسه.
(٣) السيوطي. نظم العقيان ص ١٧٩، الشوكاني. البدر الطالع ص ٢/٣٥٥.

الفصل الثالث

مرضه ووفاته

ابتدأ المرض بابن حجر ـ رحمه الله ـ في ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة للهجرة[1] بعد أن فرغ من مجلس الاملاء ـ يوم الثلاثاء الموافق الحادي عشر من الشهر ـ ورجع إلى منزل أم أولاده ـ وكان قبل قد تعشى عند إحدى زوجاته ـ فقدمت له العشاء فما امتنع من الأكل مراعاة لخاطر أهله، فثقل ذلك عليه وتغير مزاجه وأصبح ضعيف الحركة، وان استمر مكتوماً ولا يعلم به أحد.. يطلع إلى المدرسة للصلوات والاقراء، بل لقد حضر في االيوم المناظر آخر مجالس املائه على الرغم من توعكه. فلما اشتد به الوعك، وتضرر بالكتمان كثيراً أفصح عن مرضه، وخشي الأطباء أن يناولوه مسهلاُ لأجل سنه، فاشير بلبن الحليب فتناوله فلانت الطبيعة قليلاً، وأدى ذلك إلى نشاط يسير ونوع خفة، سر «ابن حجر» بهما.. لكن عاوده الكتمان، وتزايد به الألم وصار «يحس شيئاً ثقيلاً على معدته» فتخلف عن صلاة عيد الأضحى، وهو الذي لم يترك جمعة ولا جماعة، وان تمكن في اليوم الثالث بعده من صلاة الجمعة برواق البسملة من جامع الحاكم، والتوجه إلى إحدى زوجاته حيث استعطف خاطرها في انقطاعه عنها وحاللها واسترضاها، وكأنه كان قد شعر بدنو أجله..[2] وبعدها تزايد به المرض، وتردد اليه الأطباء،

---

(١) ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٣٧، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣١٩ أ.

(٢) نفسه ص ٣٣٩، ق ٣١٩ أ ـ على التوالي ـ.. حيث أشار «السخاوي» (الجواهر والدرر =

وصار مشغولاً بمطالعة « القانون » وغيره من كتب الفن ، ومناظرة الأطباء .. [1] لكن ما أفاد ، لقد عظم الكرب ، واشتد الخطب [2] وعجز « ابن حجر » حتى عن التوضوء ، وصار يصلي الفرض جالساً ، وترك قيام الليل وانتابه الصرع. [3] فهرع الناس كبارهم وصغارهم من : أمراء ، وقضاة ، ومباشرين ، وعلماء ، وطلبة ، وصلحاء .. اليه أفواجاً لعيادته والسلام عليه [4] وما أن كانت ليلة السبت من أواخر ذي الحجة بعد العشاء بنحو ساعة [5]

= ق ٣٢٠ أ) إلى أن « ابن حجر » ـ رحمه الله ـ كان « إذا خبر بالمنامات وشبهها مما يدل على صحته .. يقول : أما أنا فلا أراني إلا في تناقص ، وما أظن الأجل إلا قد قرب ، ثم ينشد :

ثـاء الثلاثين مني أوهنـت بـدني ... فكيـف حـالي بما ثـاء الثمانينـا

ويقول : اللهم حرمتني عافيتك ، فلا تحرمني عفوك ».

كما يشير « ابن فهد المكي » (لحظ الألحاظ ص ٣٣٩) إلى أن « ابن حجر » في أواخر مرضه بأيام يسيرة عاده قاضي القضاة « سعد الدين بن الديري الحنفي » فسأله عن حاله ، فأنشده أربعة أبيات من قصيدة للإمام أبي القاسم الزمخشري ، وهي :

قـرب الرحيـل إلى ديـار الآخـرة ... فـاجعـل الهي خير عمـري آخـره

وارحم مبيتي في القبور ووحـدتي ... وارحم عظامي حين تبقى ناخـرة

فـأنـا المسيكين الذي أيـامـه ... ولـت بـأوزار غـدت متـواتـرة

فلئن رحمت فأنت أكـرم راحـم ... فبحـار جـودك يـا الهي زاخـرة

(من الكامل)

(١) السخاوي . الجواهر والدرر ق ٣٢٠ أ.

(٢) نفسه .

(٣) نفسه ق ٣٢٠ ب.

(٤) نفسه ق ٣٢١ أ ـ حيث عد « السخاوي » ممن حضر اليه : الأمير دولات باي والقاضي ولي الدين السفطي ، والشريف يحيى بن العطار ، والقاضي كمال الدين البارزي ، والقاضي بدر الدين العيني ، والشيخ مدين ، والبدر بن التنسي ..

(٥) اختلفت المصادر في تحديد يوم الوفاة ، فبينما يشير « ابن طولون » ـ القلائد الجوهرية ص ٢/٤٥٦ ـ و « السيوطي » ـ نظم العقيان ص ٥١ ـ إلى أن وفاته كانت في الثامن عشر من ذي الحجة ، نرى أن « ابن اياس » ـ بدائع الزهور ص ٢٦٨ ـ ٢/٢٦٩ ـ يجعلها في التاسع عشر من ذي الحجة ، على حين أن « ابن فهد المكي » ـ لحظ الألحاظ ص ٣٣٧ ـ و « ابن تغري بردى » ـ النجوم الزاهرة ص ٧/٢٧٣ ، والمنهل الصافي ص ٦٢ أ/٢ ـ و « السخاوي » ـ الجواهر والدرر ق ٣٢١ ب ، والتبر المسبوك ص ٢٣٣ ـ و « ابن العماد =

وقد جلس من حوله سبطه وبعض أصحابه يقرأون «يس» مرة، ويعيدون أخرى إلى قوله تعالى: ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ - حتى فارقت الروح الجسد إلى بارئها فتولى أحدهم تغميضه، وشغل ولده - في اليوم التالي لموته - بتجهيزه وغسله.

وكانت تلك ساعة عظيمة، وأمراً مهولا.. لقد وقع النوح في سائر النواحي - حتى من أهل الذمة - وقفلت الأسواق، وغلقت الحوانيت[١] وشوهدت له جنازة - لم تكن بعد جنازة «ابن تيمية» إلى وقته أحفل منها.[٢]، وحرز من مشى فيها بنحو خمسين ألفاً أو يزيدون، وقد تولى من بينهم الأمراء مقدمو الألوف - حمل نعشه، وجهد الشخص الشديد الذي يتمكن من الوصول إلى نعشه أن يمس النعش برأس اصبعه.[٣]

مشت تلك الجنازة المهيبة في خفر وسكون وجلال شاقة طريقها نحو مصلي المؤمني.[٤] وهناك افترق الناس سماطين ليجتاز النعش من بينهما إلى حيث

= الحنبلي» - شذرات الذهب ص٢٧٣/٢ - يجعلون وفاته في الثامن والعشرين من ذي الحجة.

وهي نقول لا يرتاح إلى اثبات احدها لوقوع هذا الاختلاف والتضارب فيها، فضلا عن أن بعض من أرخ ليوم الوفاة قد أسقط اليوم من ترجمته لابن حجر في موضع آخر من مؤلفاته مكتفياً بقوله: «توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة» - ابن تغري بردى. الدليل الشافي ق١٢أ السخاوي. الضوء اللامع ص٤٠/٢، السيوطي. حسن المحاضرة ص٣٦٤/١ ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٨١ - وتابعهم على ذلك «الشوكاني» - البدر الطالع ص٩٢/١.

كما أن بعضهم قد ناقض نفسه في موضع آخر (ابن تغري بردى. حوادث الدهور ص٤٠/١) حيث جعله يوم الثامن عشر من ذي الحجة.

(١) ابن تغري بردى. المنهل الصافي ص٦٢أ/١، السخاوي. الجواهر والدرر ق٣٢١ ب.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق٣٢٢أ.

(٣) ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ص٥٣٣/١٥، المنهل الصافي ق٦٢أ/١، السخاوي. الجواهر والدرر ق٣٢٢أ، السيوطي. حسن المحاضرة ص٣٦٣/١، طبقات الحفاظ ص ٣٨٢.

(٤) تقع مصلي المؤمني تحت القلعة بالرمل، وهي منسوبة إلى منشئها الأمير سيف الدين بكتمر =

تلقى السلطان له، وقد أشار إلى أمير المؤمنين ـ الخليفة العباسي ـ بالتقدم للصلاة عليه.[١] وبعدها توجهوا به إلى المحل الذي عين لدفنه[٢] فدفن هناك.[٣] وأقام الطلبة والقراء والوعاظ على قبره اسبوعاً لعمل الختمات وانشاد المراثي على كثرتها[٤] وقد اطعم بتربته من المآكل وشبهها شيء كثير.[٥]

أما خارج وطنه، فكانت صلاة الغائب عليه «بمكة»، و «بيت المقدس» و «الخليل»، و «حلب»، و «دمشق».. وغيرها.[٦]

ولمحبة الناس اياه ظنوا أن الخضر ـ عليه السلام ـ قد شهد جنازته[٧] كما نسبوا إليه جملة من المنامات التي رويت له في حياته وبعد موته[٨] وترنموا

= بن عبدالله المؤمني ـ علي باشا مبارك ـ الخطط التوفيقية. ص ١٢٣/٥.

(١) ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٣٧، ابن تغري بردى. المنهل الصافي ق ٦٢ أ/١، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ أ، التبر السبوك ص ٢٣٣، الذيل على رفع الاصر ص ٨٨، الضوء اللامع ص ٤٠/٢، ابن طولون. القلائد الجوهرية ص ٤٥٦/٢.

(٢) وهو «تربة بني الخروبي المقابلة لجامع الديلمي والسروتين بين تربة الامام الشافعي والشيخ مسلم السلمي ـ ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٣٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ أ، التبر المسبوك ص ٢٣٣، الذيل على رفع الاصر ص ٨٨ ـ ٨٩، ويلاحظ أن قبره يتبع ـ حالياً ـ قرافة سيد عسل. ـ شاكر محمود. ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته.. ص ١٩٤/١.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ أ.

(٤) ذكر «السخاوي» في الجواهر والدرر فيضاً من مراثي الشعراء فيه منسوبة إلى كل من «الشيخ محيي الدين الكافياجي»، و «برهان الدين البقاعي» و «ابن أبي السعود المنوفي»، و «الشهاب الحجازي»، و «الشهاب المنصوري»، و «أبي هريرة بن النقاش الأصم» و «ابن الاوجاقي» و «ابن عامر الاشليمي»، و «الزين بن عبدالمطلب»، و «الشمس البهرسي»، و «القيم القالاتي»، و «المحب بن القطان»، و «سبط ابن حجر»..

(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ ب.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه ق ٣٢٢ أ، التبر المسبوك ص ٢٣٣.

(٨) البقاعي. عنوان الزمان ص ٥٩ ـ ٦١، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٣ أ ـ ٣٢٤ ب.

بصوت مفعم بالحزن والأسى بمرثية بعضهم فيه[1] وقد سحت أجفانهم دمعاً.[2]

(١) هو «أبو الطيب أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الخزرجي، المعروف بالشيخ شهاب الدين الحجازي» (ت ٨٧٥ هـ. / ١٤٧١ م.)، ومرثيته في «ابن حجر» مطلعها:

كل البرية للمنية صائرة ... وقفولها شيئاً فشيئاً سائرة
والنفس ان رضيت بذا ربحت وان ... لم ترض كانت عند ذلك خاسرة
(من الكامل)

وقد ذاعت بخصوصية الوعاظ والعامة لها، بحيث لم يشتهر غيرها. ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص٣٣٩، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ ب، الضوء اللامع ص١٤٧/٢، السيوطي. حسن المحاضرة ص٥٧٣ - ٥٧٤/١.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ ب.

الفصل الرابع

مقومات شخصيته

صفاته الخلقية والخلقية:

كان «ابن حجر» ـ رحمه الله ـ ربعة، أبيض اللون، منور الصورة، مليح الشكل، صبيح الوجه، كث اللحية أبيضها، حسن الشيبة نيرها، صحيح السمع والبصر، ثابت الأسنان نقيها، صغير الفم، قوي البنية، عالي الهمة، خفيف المشية[1] ذا رشاقة زائدة[2] شجي الصوت، جيد الذكاء، عظيم الحذق، كثير الصمت لضرورة، شديد الحياء ـ يتعبه الحلاق قليل الدربة من أجل ادارة رأسه فلا يضيق به.. لكن يحكى لصحبه أنه لو دار لكان أسهل، ويتنور بيده، ويقص شاربه وأظافره بنفسه، ويتولى غالباً حمل الابريق للوضوء ونحوه، وصب الماء على جسده مع وجود من يكفيه المؤنة في ذلك، قليل الدخول إلى الحمام ـ لا يواجه أحداً بمكروه مع الصدع بالحق، وقوة النفس فيه، مفشياً للسلام، لا يتأنق في مأكله ومشربه، ولا في آنيته، يأكل

---

(١) أشار «السخاوي» إلى أن «ابن حجر» كان خفيف المشية ولو عند اقباله على الملوك ونحوهم، وقيامهم له بمجرد بصرهم عليه، فانه لا يزيد على المعتاد.. وربما نقم الأعداء عليه ذلك ـ الجواهر والدرر ق ٢٨٠ أ.

(٢) أشار «السخاوي» إلى أنه ما كان أرشق من «ابن حجر» في الجلوس على الحجر وهو يتوضأ، وإلى أنه قبيل وفاته صعد لعيادة أحدهم فصار يقصد درجتين درجتين مشيراً إلى أن ذلك أروح له ـ نفسه.

العلقة من الطعام، واليسير من الغذاء، لكنه يتقوى بالسكر، ويميل إلى القصب ميلا قوياً، قصير الشارب، حسن العمة، ظريف العذبة، لا يتأنق في الرفيع من الثياب، مع بصر جيد في تفضيل ملبسه، خبيراً بأمور دينه ودنياه، ذا عقل وحلم ودربة بالأحكام والمداراة للناس، قليل الرغبة في العمارة، بل وفي شراء العقار يحتال في الأماكن التي يأخذ فيها المسكن على الذهب بجعله في اناء قبل وضع شيء فيه، ثم يختم عليه بما يكون حائلاً بينه وبين ما يوضع فيه، ثم يملأ بما يكون مناسباً للظرف من سمن ونحوه.. فلا يفطن اليه.[1] منبسطاً في التنزه مع صحبه ورفقته وربما لاعبهم.[2]

تواضعه مع معرفته لقدر نفسه:

أثارت مقدرته العلمية، وتحصيله للعلم على هـذه الصـورة المبسـوطـة في البحث بعض تلامذته ـ الأمير تغري برمش الفقيه (ت ٨٥٢ هـ. / ١٤٤٩ م.) ـ فسأله مرة: «هل رأيت مثل نفسك؟»، فقال له: «قال الله تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ (النجم: ٣٢).[3]

كما سأله بعض أصحابه: «أنت أحفظ أم الذهبي؟» فسكت، فما كان ذلك إلا تواضعاً منه، لأنه ـ رحمه الله ـ حكى أنه شرب ماء زمزم لما حج لينال مرتبة الحافظ الذهبي، قال: ثم حججت بعد مدة فوجدت من نفسي طلب المزيد على تلك المنزلة، فسألته رتبة أعلى منها. وقد تحقق رجاؤه، وشهد له بذلك غير واحد[4].

ولما تحول من الكاملية إلى البيبرسية لقيه أحد نزلائها قائلا: يا سيدي

---

(١) ابن تغري بردى. المنهل الصافي ق ١٦٢ أ/١، النجوم الزاهرة ص ١٥/٥٣٣، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨٠ أ ـ ٢٨١ ب، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/٢٧٣.
(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٨٢ أ.
(٣) المصدر السابق ق ٣٣ ب، التبر المسبوك ص ٢٣٠، الذيل على رفع الاصر ص ٨٦.
(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٣ ب، السيوطي. طبقات الحفاظ ص ٣٨٠.

وحشت الكاملية »، فأجابه: « الكامليـة مشتقـة مـن الكمال » ـ يعني ولسـت كاملاً.[١]

ولكنه مع تواضعه، كثيراً ما كان ينوه بمكانته العلمية، ولا يصبر على من يحاول انتقاضها أو تصغير جانبه، من ذلك ما كان بينه وبين « الشمس الهروي »، وما شعر به بعد اسناد « العلم البلقيني » اليه تنفيذ مكتوب الخشابية، ويوم عزله السلطان عن مشيخة البيبرسية، وعندما أراد بعض الرفاق تعمية يوم الختم ـ ختم صحيح البخاري ـ عليه كي لا ينفرد بالمجلس دونه ـ على نحو ما هو بين في العلاقة بالأقران من هذا البحث.

ضبطه للسانه وكظمه لغيظه:

كما كان كاظماً للغيظ، لا يظهر عليه الغضب إلا نادراً، جلداً على ريب الزمان، متلقياً له بصدره.[٢]

ومن أمثلة ذلك أن بعض خصومه عقب على مؤلفه « المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس » في تصنيف جمعه، وبالغ في ذكره بألفاظ لا يقابله عليها إلا الذي أنطقه بها فاطلع « ابن حجر » على ذلك، فكتب عليه ما نصه: « لا شكوى إلا إلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله، اشتمل هذا التصنيف على نسبة مصنف الأصل إلى أشياء نسبه المعترض عليها إليها، لا تجتمع في آدمي ـ فيما يغلب على الظن ـ فلله الأمر، وسردها وهو نحو خمسين صفحة خارجة عن السب والدعاء عليه، وكذا سب ولده والدعاء عليه، فلم يتعرض « ابن حجر » له بلفظة فاحشة ولا بكلمة سوء ولا تشاغل بردها، بل وكل الأمر إلى من يجازي المسيء، ولا يضيع أجر من أحسن عملاً.[٣]

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨٠ ب.
(٢) البقاعي. عنوان الزمان ق ١/٥٥.
(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨٦ ب.

وكان بعض الشعراء قد عاون في المصنف ـ المشار اليه ـ على الرغم من وصل «ابن حجر» له، وبالغ في هجوه، فلما احتمل أتباع «ابن حجر» وولده وأمروا باحضاره، فاحضر، وبلغه ذلك فتغيظ عليهم وأمرهم بصرفه مكرماً بعد أن أنعم عليه بشيء من الدنيا، وضبط ما يحصل له منه فكان ألف درهم كل شهر.(١)

وذهب يوماً إلى مدرسته لالقاء درسه ـ على جاري عادته ـ فوقف من وراء الشباك معتوه يسمى «العربـاني» و «ابـن حجـر» في المنكـوتمريـة في تلامذته، فأخذ المعتوه في السب الفاحش والألفاظ القبيحة، فقال: نقوم الى أن يفرغ أو يروح. ونهض فدخل من باب الخلوة ورد بابها يسيراً، فترك المعتوه الشباك وانصرف، فظن «ابن حجر» توجهه بالكلية ففتح باب الخلوة ووقف، واذا بالمعتوه قد أقبل من باب المدرسة، وزاد على ما كان عليه. فقال: ما بقي الا الانصراف، وأغلق الباب وترك المخبول فيما هو فيه ساعة، ولم يمكن ـ مع كل هذا ـ أحداً من التعرض له، بل سمع به تلك الليلة وقد أمسكه بعضهم بأعوان الوالي ـ لا لهذا السبب ـ فأرسل اليه وأطلقه(٢).

واجتاز ـ يوماً ـ في طائفة من جماعته بباب جامع الغمري، فبدت من شخص وقف ببابه ـ يوصف بالجذب ـ كلمات فيها: «عمائم كالأبراج، وأكمام كالاخراج والعلم عند الله»، فرام بعض جماعته منه تعذيره بالحبس ونحوه فامتنع قائلاً: هذا مجذوب يسلم له حاله.

هذا مع من أصابه الجذب أو غيره الخبل، وأضعافه مع الحاسدين وغيرهم من المنافسين على المنصب، الذين نازعوه مكانته العلمية وهم دونه، أو في

---

(١) نفسه ق ٢٦٩ ب.
(٢) نفسه ق ٢٧٠.

وظائفه وقد شق على أنفسهم أن لا يكونوا هم المستأثرين بمعاليمها ، مما فصل في موضعه من هذا البحث.

تحريه في مأكله ومشربه:

حرص «ابن حجر» قدر مستطاعه على أن لا يأكل حراماً، أو ما فيه شبهة الحرام ولذا فانه كان يتحرى في وظائفه ما كان أقرب الى الحلال ليأكل من معاليمها ، بل لقد كان يميز المعاليم بعضها من بعض بالاشارة بنقطة أو نقطتين.. ونحو ذلك [١]. ولا يتناول شيئاً مما يهدى لبيته [٢]. فاذا ما اضطر الى الحضور في الولائم والمهات ونحوها ـ مما الغالب على أربابها عدم التوقي ـ يوهم أنه يأكل، وربما أعطى هذا وهذا ممن يكون جالساً على السماط من الأتباع ونحوهم مما بين يديه بحيث يسر صاحب المهم ـ غالباً ـ أما هو فلا يدخل في جوفه من ذلك شيئاً البتة [٣].

وتشير المصادر الى أن السلطان كان قد رتب له في السفرة الشمالية وأثناء المقام بحلب راتباً من اللحم يؤتى اليه به كل يوم، فكان لا يأكله، ولكن يشتري له غيره الى أن فني ماله ـ هناك ـ فعمل حينئذ البقسماط يأكله بسكر ونحوه، ومن معه يأكلون اللحم المرتب لهم على السفرة التي يأكل السلطان عليها [٤].

كما كان يتعفف عن تعاطي معلوم الخطابة بالقلعة أيام قضائه بسبب ضعف الوقف [٥].

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦٧ ب.
(٢) البقاعي. عنوان الزمان ق ١/٥٥، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦٦ ب.
(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦٦ ب، ٢٦٧ ب.
(٤) البقاعي. عنوان الزمان ق ١/٥٥، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦٧ أ.
(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦٧ أ.

وكان يعطي خادمه ما يشتري به له شيئاً من المأكل ويوصيه أن لا يكلف البائع لأكثر مما يعطيه باختياره[1]. ويسأله مع ذلك عن مصدر أكلته، فاذا ما نسي السؤال واستطاب الأكل منه ـ ظناً منه أنه مما جرت العادة بأكله يلقي الله في خاطره السؤال عنه قبل تمام أكله، فاذا ما ذكرت له جهته التي لا يحب الأكل منها استدعى بطست وقال: أفعل كما فعل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ثم يتقيأ ما في بطنه[2].

بره وتصدقه:

أما بره وتصدقه على خلق الله ـ على اختلاف طبقاتهم ـ فقد وردت فيه روايات وقصص متعددة، مفادها أنه كان كثير البر مواظباً على الصدقة.

من ذلك أنه كان يعطي بعض جماعته مالا جزيلا ليفرقه على طلبته ونحوهم ويدفع هو لجماعة آخرين، كما كان يجتمع عنده الفقراء في يوم من السنة معلوم فيتولى ـ غالباً ـ بنفسه التفرقة عليهم، أو بحضوره، ويتفقد أناساً من المعتبرين في العلم وغيرهم بالارسال الى محالهم، ويتفقد ـ كذلك ـ في كل قليل المحابيس ويصالح عنهم من ماله، ويحسن للفقراء من الجيران، ويشتري في رمضان عسلا وسكراً تفرق على الناس توسعة في نفقة الشهر، وفي العيد الزبيب وغيره، وفي عيد الأضحى يرسل بالضحايا الى الفقراء والمحتاجين، أو يفرق فيهم ما يساوي مائة دينار ويبالغ في اخفاء كل هذا نشداناً لحصول صدقة السر[3].

وربما ضيع بعض ماله، أو سرقه من جانبه لاعواز لديه[4] فلا يعذر هذا

---

(١) نفسه ق ٢٦٧ ب.
(٢) نفسه ق ٢٦٦ أ.
(٣) المصدر السابق ق ٢٧٤ ب ـ ٢٧٥ ب.
(٤) نفسه ق ٢٧٨ أ.

ولا يكشف ستر ذاك مع تحققه لفعلها ومعاينته له.

اكثاره من العبادة وعدم تخلية وقته منها:

وطبيعي أن يكون «ابن حجر» وقد حاز لقب شيخ الاسلام، والحافظ والمحدث حتى صار علماً عليه - ملازماً للعبادة، ومثلا يقتدى به، فلقد كان قواماً بالليل متهجداً حتى في خال سفره وترحاله، واشتداد المرض به الى أن عجز عن ذلك تماماً[١] لا يترك جمعة ولا جماعة الا قهراً عنه[٢] كثير الصوم[٣] حريصاً على عدم تخلية وقته من العبادة..[٤]

ولعل هذا هو الدافع لدى «ابن تغري بردى» الى القول فيه: «.. وبالجملة فانه أحد من أدركنا من الأفراد»[٥].

الموضوعية والانصاف في البحث:

على الرغم من أن ثقافة «ابن حجر» وعلومه كانت سلفية، وغالب قضايا وتصرفات مجتمعه كانت كذلك، فانه قد انسلخ بفكره من بيئته وصار سباقاً لعصره في التحرر، والتحرز عن التعصب الذي كثيراً ما أهلك العلماء، وأوقع بهم في زلات كثيرة عرفت بالكائنات التي عقدت لها المجالس، واحتوت أخبارها مصنفات التاريخ في عصرها، وحوكم فيها الكثيرون منهم فاهينوا وعذبوا، أو لقوا حتفهم.. لكنه كان على خلاف ذلك - حال تلبسه بالقضاء وغيره من المناصب المشاركة في الحكم على هؤلاء وغيرهم - يتحرز عن التعصب والانقياد للاجماع الخاطىء، ميالاً الى الحق بل والمعاداة فيه - على نحو

(١) نفسه ق ٢٨٦أ، ٣٢٠ب.
(٢) نفسه ق ٣٢٠أ.
(٣) ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ص ١٥/٥٣٣.
(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٥أ - وفيه أمثلة لذلك.
(٥) ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ص ١٥/٥٣٣.

ما أثبت في تلبسه بالقضاء من هذا الباب.

ويضاف الى ذلك أنه كان منصفاً في البحث ولو على نفسه، لا يستنكف من سماع الفائدة ولو من صغار الناس أو آحاد الطلبة، بل يستحسنها ويأمر الحاضرين بسماعها [1].

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨٦ أ.

الفصل الخامس

شيوخه وأساتذته

من حسن حظ الفتى أن اجتمع له من الشيوخ الذين يشار اليهم، ويعول في حل المشكلات عليهم ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره، لأن كل واحد منهم كان متبحراً ورأساً في فنه الذي اشتهر به لا يلحق فيه.. « فالبرهان التنوخي » (ت ٨٠٠ هـ. /١٣٩٨ م.)[١] في معرفة القراءات وعلو سنده

---

(١) هو « ابراهيم بن أحمد بن عبدالواحد بن عبدالمؤمن بن سعد بن علوان بن كامل التنوخي البعلي، ثم الشامي، برهان الدين ».

ولد بدمشق سنة تسع وسبعمائة، أو في أوائل عشر، وأجاز له سنة ست عشرة وسبعمائة ابن عبدالدايم، وابن المطعم، وابن أبي الفضل الشيرازي، والقرافي، وابن النشو، والقاسم بن عساكر، وغيرهم.

وسمع سنة ست عشرة وما بعدها علي الحجار، وابن نعمة الكحال، وابن الباب، وابن أبي التائب، والبندنيجي.. وعني بالقراءات، فأخذ عن أبي حيان، والبرهان الحكري، والوادي آشي، والبرهان الجعبري وابن بضحان، والرقي، وأبي العباس المرداوي، وابن السراج، والبرقي.. وتفقه بالشرف البارزي، وابن النقيب، وابن القماح، وصحب العز بن جماعة وسمع معه وعليه، وكانت له في كل ذلك رحلة الى: حماة، وحلب والقاهرة، والاسكندرية.. ثم رجع الى دمشق فحدث بالأربعين المتباينة من مرويات العز بن جماعة فسمعها منه الحافظ الذهبي وغيره.. ثم تحول الى القاهرة بعد سنة احدى وأربعين وسبعمائة فسكنها حتى وفاته، وتولى بها عدة تداريس في الفقه والقراءات الى أن أصابته علة ثقل لسانه منها وتعسر في التحديث، ثم أضر وانقطع بجامع الأقمر وقد امتنع من الاقراء كذلك.

اجتمع به « ابن حجر » وخرج له عشاريات مائة، والأربعين العشارية ومعجم شيوخه =

فيها، وتفرد بـالكثير مـن المسمـوعـات الحديثيـة و « الزيـن العـراقـي »[1]

= ـ المعجم الكبير ـ في أربعة وعشرين جزءاً، ففرح به وصار يتذكر مشايخه وعهده القديم، وقد حبب اليه السماع فانبسط به. ولازمه « ابن حجر » ثلاث سنوات وصل فيها عليه كثيراً من مسموعاته التي تفرد بها منها:

المسلسل بالأولية بسماعه له بشرطه من الميدومي، وصحيح البخاري والموجود من مسند عبد بن حميد، ومسند الدارمي، وجامع الترمذي، وجميع السنن للنسائي، وأحاديث صحيح أبي حاتم الرازي، وموطأ مالك ـ رواية ابن يحي الليثي، وجزء قلينا من فوائد السلفي، ومجلس من حديث العلاء القرنوي، والجزء الثاني من الأول الكبير من حديث أبي عمرو بن السماك، وجزء فيه ثلاثون حديثاً منتقاة من المعجم الصغير للطبراني وجزء الأنصاري وما معه من فوائد أبي عبدالله بن ابراهيم، والجزء الأول من الهاشميات لمحمد بن زكريا العلائي، ومشيخة محمد بن أبي بكر بن ابراهيم الأسدي، ومشيخة ابن عبدالدايم، وجزء من عواليه وجملة من حديثه، ومشيخة عيسى بن عبدالرحمن بن معالي المطعم، ومشيخة يحي بن فضل الله القدومي، ومشيخة جمال الدين الزرعي، والرواية للدارقطني، والمحدث الفاضل بين الراوي والواعي للرامهرمزي، والمنهاج في الفقه للنووي.

ومن أول القرآن ـ الكريم ـ الى قوله: « المفلحون » من سورة البقرة، جامعاً للقراءات السبع بما اشتمل عليه التنبيه، والشاطبية بتمامه، وبغية الظمآن من فوائد أبي حيان.

وخلاصة الألفية في العربية ـ نظم أبي عبدالله محمد بن مالك والعقيلية في مرسوم الخط ـ نظم الشاطبي، وجزء فيه أربع قصائد من نظم الشهاب محمود بن سليمان الحلبي، وقصيدة للمجد بن الظهير وقصيدة للفرزدق في مدح زين العابدين علي بن الحسين..

وأذن له بالاقراء سنة ست وتسعين وسبعمائة، ثم توفي في جمادي الأولى سنة ثمانمائة للهجرة.

ـ واتفق من ترجموا له على أنه: « شيخ الديار المصرية في القراءات والاسناد »، كما أشار كل من « ابن خطيب الناصرية » و « ابن حجر » الى أن أهل مصر قد نزلوا بموته في الرواية درجة. بل لقد أشارا الى أن الحافظ « العراقي » كان يجله ويعظمه ويمتنع من التحديث بما هو من عواليه، ويحيل عليه في ذلك.

(الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء ص ٧ ـ ٢/٨ تر ١٣، ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ق ١٧ ب ـ ١٨ ب/١، المقريزي. السلوك ص ٣/٩١٠، ابن قاضي شهبة. التاريخ ص ٦٦٧ ـ ١/٦٦٩، ابن حجر المجمع المؤسس ق ٢ أ ـ ١٢ ب، الدرر الكامنة ص ١١ ـ ١/١٢ تر ١٤، انباء الغمر ص ٢٢ ـ ٢/٢٣ تر ٢، ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ص ١٢/١٦٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٥ ب، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٣٦٣ ـ ٦/٣٦٤).

(١) هو « عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن بن ابراهيم بن أبي بكر بن ابراهيم، أبو =

....

= الفضل العراقي، زين الدين».

ولد في الحادي والعشرين من جمادي الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ـ بمنشأة المهراني بين القاهرة ومصر ـ واسمع حدثاً على ابن شاهد الجيش، وابن عبدالهادي، والعلاء التركماني.. ثم حفظ القرآن ـ الكريم ـ وهو ابن ثمان، والتنبيه، والحاوي، والالمام.. وغيرها من مختصرات علوم عصره، واشتغل بالقراءات على الناصر بن سمعون والبرهان الرشيدي، والسراج الدمنهوري، والشهاب السمين، والتقي الواسطي، وبالفقه وأصوله على ابن عدلان، والعماد البلبيسي، والجمال الأسنوي، والشمس بن اللبان. واشتغل بالحديث ـ بتوجيه العز بن جماعة ـ فسمع على العلاء التركماني، والتقي السبكي، والميدومي، وابن سيد الناس، وابن الملوك، وابن عبدالهادي، والقطرواني، وابن القاسم الحرازي، وابن عيسى القيمري، والعفيف المصري، وابن الخباز، وابن قيم الضيائية، والشهاب المرداوي، وابن المطوع.. وكانت له في ذلك رحلة الى دمشق، وحلب، وحمص، وصفد، وطرابلس، وبعلبك، ونابلس والقدس، والحجاز، والاسكندرية.. وغيرها.

تقدم في الحديث وعلومه، ومهر فيه حتى لم ير من هو أتقن فيه منه بحيث كان شيوخ عصره يبالغون في الثناء عليه، وربما امتنعوا من التحديث الا في مجلسه. وتخرج عليه أغلب أهل عصره.

ولي قضاء المدينة ـ سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ـ واستمر بيده ثلاث سنوات، ثم سكن القاهرة وولي بها وبغيرها تداريس للحديث والفقه بالكاملية، والظاهرية القديمة، والقراسنقرية، وجامع طولون، والفاضلية..

توفي في الثامن من شعبان سنة ست وثمانمائة للهجرة عن أكثر من احدى وثمانين سنة، بعد أن كان «ابن حجر» قد لازمه عشر سنين ـ تخلل في أثنائها رحلاته الى الشام وغيرها ـ قرأ عليه فيها الكثير من المسانيد والأجزاء الحديثية، وبحث عليه في كثير من المسائل، وأخذ عنه جل مؤلفاته، وشهد له الشيخ في مواطن كثيرة بالحفظ، وكتب خطه له بذلك مراراً، وقدمه على ولده في الحفظ، واستخدمه في كتابه كثير من أماليه في غيبة ولده.

فكان من مسموعاته عليه:

المسلسل بالأولية بشرطه من أبي الفتح الميدومي بسنده، والأربعين العشارية من جمع العراقي، ومسند ابن أبي عمر المعدني بفوت، وكتاب رفع اليدين في الصلاة للبخاري، وأول السنن الكبير للبيهقي، وسنن الدارقطني، وشمائل الترمذي، وقطعة من حلية الأولياء لأبي نعيم وكتابي الزكاة والصيام لأبي يوسف، وأجزاء من أمالي العسال، وابن الحصين، وابن الجوهري، وكثير من الأجزاء الحديثية..

(الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء ص ١/٣٨٢ تر ١٦٣، المقريزي السلوك ص ٣/١١٢٨، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٨٧ ب ـ ١٨٨ ب، ابن حجر. =

(ت ٨٠٦ هـ. /١٤٠٤ م.) في معرفة الحديث ومتعلقاته، و «الهيثمي» (ت ٨٠٧ هـ. /١٤٠٥ م.)[(١)] في حفظ المتون واستحضارها، «والسراج البلقيني» (ت ٨٠٥ هـ. /١٤٠٣ م.)[(٢)] في سعة الحفظ وكثرة الاطلاع،

= المجمع المؤسس ق ٩٩ أ - ١٠٩ ب، أنباء الغمر ص ٢٧٥ - ٢/٢٧٩ تر ١٩، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٢٠ - ٢٣٩، ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ص ٣٤ - ١٣/٣٥، المنهل الصافي ق ٢/٣١٢، ابن الصيرفي. نزهة النفوس والأبدان ص ١٩٠ - ٢/١٩١، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٧١ - ٤/١٧٨ تر ٤٥٢، السيوطي طبقات الحفاظ ص ٥٣٩ - ٥٤٠، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٧٠ - ٣٧١، حسن المحاضرة ص ٣٦٠ - ١/٣٦٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٥٥ - ٧/٥٧).

(١) هو «علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر بن صالح الهيثمي نورالدين، أبو الحسن».

ولد في رجب سنة خمس وثلاثين وسبعمائة للهجرة، وصحب «الزين العراقي» - صغيراً - فسمع معه، ورحل معه، وحج معه جميع رحلاته وحجاته، ولم يكن يفارقه حضراً ولا سفراً، وتزوج ابنته، ولم ينفرد العراقي عنه بغير ابن البابا، والتقي السبكي، وابن شاهد الجيش. لكنه كان يحضر مجالسه ويكتب عنه فيها، ويبحث عليه، ولم يحدث منفرداً الا بعد وفاته حتى مات في رمضان سنة سبع وثمانمائة.

اجتمع به «ابن حجر» وقرأ عليه قرينا للعراقي - ما مر في ترجمته ومما قرأ عليه منفرداً: نحو النصف من مجمع الزوائد - له - ونحو الربع من زوائد مسند أحمد، وزوائد مسند جابر، ومسند أحمد.

وكان «ابن حجر» قد تتبع أوهامه في كتابه «مجمع الزوائد» فبلغه أن ذلك شق عليه - وكانت بينهما مودة - فتركه رعاية له. بل ربما عاتبه في ذلك.

(ابن حجر. أنباء الغمر ص ٣٠٩ - ٢/٣١٠، المجمع المؤسس ق ١١٣ ابن فهد المكي. لحض الألحاظ ص ٢٣٩ - ٢٤١، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٠٠ - ٥/٢٠٣ تر ٦٧٦، السيوطي. طبقات الحفاظ ص ٥٤١ تر ١١٨٠، ذيل طبقات الحفاظ ص ٢٧٢ - ٢٧٣، حسن المحاضرة ص ١/٣٦٢ تر ٩٧، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/٧٠).

(٢) هو «عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبدالخالق بن عبدالحق الكناني البلقيني، سراج الدين».

ولد في الثاني عشر من شعبان سنة أربع وعشرين وسبعمائة للهجرة ببلقينة - من أعمال المحلة الكبرى - وحفظ القرآن الكريم وصلى به وهو ابن سبع، كما حفظ بعض مختصرات علوم عصره كالشاطبية والمحرر والكافية ومختصر ابن الحاجب الأصلي، وأقدمه أبوه الى =

= القاهرة ـ سنة ست وثلاثين وسبعمائة ـ وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فعرض محفوظه على العلماء بها، على أنه عاد اليها سنة ثمان وثلاثين مستوطناً لها آخذاً الفقه عن التقي السبكي، وابن عدلان، وابن مفلح، وابن القماح، والنجم الأسواني، والزين الكناني، والعز بن جماعة، والأصول والمعقولات عن الشمس الأصبهاني والعربية والصرف والأدب عن أبي حيان، والبهاء بن عقيل ـ وقد صاهره ـ والحديث عن ابن القماح، وابن غالي، وابن كشتغدي، وابن عبدالهادي وابن السديد، والتفليسي، وابن شاهد الجيش، والميدومي، وابن عمر الحلبي، والتزمنتي، والقلانسي.. وأجاز له كل من المزي، والذهبي والجزري، وابن نباتة.. وكانت له رحلة الى: الحجاز وبيت المقدس والشام.

ناب في الحكم عن ابن عقيل، واستقر بعده في تدريس الخشابية، كما درس بالبدرية، والحجازية، والخروبية البدرية، وجامع طولون، والبرقوقية وولي افتاء دار العدل، وقضاء الشام، وقضاء العسكر، ونعت بشيخ الاسلام، وعظم قدره بحيث كان السلطان لا يعقد مجلساً الا به، ولا تجلس القضاة الا دونه.

كما شهد له جلة علماء عصره ومن دونهم بالتقدم في الفتيا، بل سلموا بأنه أحق الناس بها في زمانه، وشرب «ابن حجر» ماء زمزم لينال مرتبته فيها.

مات في حادي عشر ذي الحجة سنة خمس وثمانمائة بالقاهرة وابن حجر متغيب في الحج، فرثاه ـ عندما علم بموته ـ بمرثية تزيد على المائة بيت مطلعها:

يا عين جودي لفقد البحر بالمطر ... واذري الدموع ولا تبقي ولا تذري
لمورد ترداد دمع ذاهباً سبقت ... شهب الدموع بعيني جريه النهر
(من البسيط)

بل لقد وصلته ـ وهو هناك ـ رسالة فيها «حادثتان طامتان: موت البلقيني، ومحاصرة الفرنج للاسكندرية» عد أولها أعظمهما.

لازمه «ابن حجر»، وسمع وقرأ عليه الكثير، ومنه: أكثر الروضة، وكلامه على حواشيها، ودلائل النبوة للبيهقي، والمسلسل بالأولية، وجز فيه عوالي الولي العراقي، والأربعين التي خرجها له، والكثير من صحيح البخاري، ومسلم، وسنن أبي داود، والمكمل في بيان المهمل للخطيب البغدادي، وعدد من الأجزاء الحديثية.. كما حضر دروسه في الفقه وخرج له أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً ـ حدث بها مراراً، وشهد له الشيخ بالحفظ، وأذن له بخطه وكتب له جزء من مؤلفه «تعليق التعليق» وبلغ من اجلاله لابن حجر حداً جعله يتمادى في ركونه وهو يصلي الظهر حتى يدرك الصلاة معه، وقد أحس به داخلا.

(المقريزي. السلوك ص ٣/١١٠٨، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٨٩ أ ـ ١٩١ أ، ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١١٨ ب ـ ١٢٣ ب، أنباء الغمر ص ٢٤٥ ـ ٢/٢٤٧ تر ٢١، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٠٦ ـ ٢١٧، ابن تغري بردى

و « ابن الملقن » (ت ٨٠٤ هـ. /١٤٠٢ م.)[١] في فترة التصانيف، « والمجد الشيرازي » (ت ٨١٧ هـ. /١٤١٥ م.)[٢] في حفظ اللغة والاطلاع عليها،

= النجوم الزاهرة ص ٢٩ ـ ١٣/٣٠، المنهل الصافي ق ٢/٤٧٣، ابن الصيرفي. نزهة النفوس والأبدان ص ١٧١ ـ ٢/١٧٢، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٩ أ، الضوء اللامع ص ٨٥ ـ ٦/٩٠ تر ٢٨٦، السيوطي. حسن المحاضرة ص ٢٢٩ ـ ١/٣٣٥ تر ٧٦ ـ وفيه مرثية ابن حجر لشيخه ـ طبقات الحفاظ ص ٥٣٨ تر ١١٧٦، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٥١ ـ ٧/٥٢).

(١) هو عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبدالله الأنصاري الأندلسي ثم المصري، سراج الدين، أبو الحسن ـ المعروف بابن الملقن». نسبة الى زوج أمه الشيخ عيسى المغربي ملقن القرآن في جامع طولون.

ولد سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة للهجرة، وحفظ القرآن الكريم، والعمدة وعني صغيراً بالتحصيل، فسمع علي ابن سيد الناس، والقطب الحلبي وابن عبدالدايم، وتخرج بالزين الرحبي، وابن رجب، ومغلطاي. واعتنى بالتصنيف واشتهر بالكثرة فيه بحيث بلغت مؤلفاته الثلاثمائة، وعظمه كثير من المتقدمين كالعلائي، وأبي البقاء، والسبكي.. وناب في القضاء واختير للقضاء الأكبر، فكانت له فيه محنة. مات سادس عشر ربيع الأول سنة أربع وثمانمائة للهجرة.

صحبه «ابن حجر»، وسمع وقرأ عليه قطعة كبيرة من شرحه على المنهاج والسادس والسابع من أمالي المخلص، والمسلسل بالأولية بسماعه من أحمد بن كشتغدي، والخامس من مشيخة النجيب.. وأجاز له.

(ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٩١ أ ـ ١٩٢ ب، ابن حجر. انباء الغمر ص ٢١٦ ـ ٢/٢١٩ تر ٢٦، المجمع المؤسس ق ١٢٤ أ ـ ١٢٥ ب ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ١٩٧ ـ ٢٠٢، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٠٠ ـ ٦/١٠٥ تر ٣٣٠، السيوطي. حسن المحاضرة ص ١/٤٣٨ تر ١٨٤، طبقات الحفاظ ص ٥٣٧ ـ ٦٣٨ تر ١١٧٥، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٦٩، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٤٤ ـ ٧/٤٥).

(٢) هو «محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمر الشيرازي، مجد الدين أبو طاهر الفيروزبادي».

ولد بكازرون ـ مدينة بفارس بين البحر وشيراز ـ سنة تسع وعشرين وسبعمائة للهجرة، ونشأ بها، فحفظ القرآن ـ الكريم ـ وهو ابن سبع، وجود الخط وانتقل وهو ابن ثمان الى شيراز فأخذ اللغة عن والده، وابن نجم وغيرهما.. ثم كانت له رحلة في اللغة والأدب، والسماع الى العراق والحجاز واليمن ومصر والشام والروم والهند.. واشتهر باللغة وتمهر =

و « الغماري » (ت ٨٠٢ هـ. /١٤٠٠ م.)[١] في معرفة العربية ومتعلقاتها، وحفظها، وكذا « المحب بن هشام » (ت ٧٩٩ هـ. /١٣٩٧ م.)[٢] وكان

= فيها، وعرف بالقاموس المحيط، واستقر في أخريات عمره باليمن متولياً قضاء الأقضية بها، وقد بالغ صاحبها في اكرامه وتعظيمه، وصاهره على ابنته - الى أن مات هناك ليلة العشرين من شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة للهجرة.

لقيه « ابن حجر » في رحلتيه الى اليمن، وأخذ عنه الكثير مما هو مدون في موضعه.

(المقريزي. السلوك ص ٢٩٦ - ٢٩٧/٤، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٩٦ ب - ١٩٧ ب، ابن حجر. أنباء الغمر ص ٤٧ - ٥٠/٣ تر ١٦، المجمع المؤسس ق ٢٩٧ أ/٢، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٥٦، ابن تغري بردى. المنهل الصافي ص ٢٩٧ أ/٢، النجوم الزاهرة ص ١٣٢ - ١٣٤/١٤، السخاوي. الضوء اللامع ص ٧٩ - ٨٦/١٠ تر ٢٧٤، السيوطي. بغية الوعاة ص ٢٧٣ - ٢٧٥/١ تر ٥٠٦، ابن اياس بدائع الزهور ص ١٧/٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ١٢٦ - ١٣١/٧، الشوكاني. البدر الطالع ص ٢٨٠ - ٢٨٤/٢ تر ٥٣١).

(١) هو « محمد بن محمد بن علي بن عبدالرازق، أبو عبدالله الغماري المصري ».

ولد في ذي القعدة سنة عشرين وسبعمائة، ولازم أبا حيان، وأخذ عنه العربية واللغة والقاراءات وتخرج به، وقرأ في الأدب على الجمال بن نباتة، وأخذ عنه سيرة ابن اسحق، كما كانت له رحلة الى بيت المقدس والحجاز والاسكندرية حيث اشتغل أو تفقه على العلائي، وخليل بن عبدالرحمن المالكي، والحرازي، واليافعي، والجمال البوري، وابن طرخان.

ونعته من ترجم له بأنه أحفظ أهل زمانه لشواهد العربية، قوي المشاركة في فنون الأدب، مع مشاركة في القراءات والأصول والفروع والتفسير.

تصدر للاقراء دهراً، واستقر بآخرته في مشيخة الاقراء بالشيخونية الى أن توفي في رجب سنة اثنتين وثمانمائة.

سمع عليه « ابن حجر » البردة بسماعه بها على أبي حيان بسماعه من ناظمها، وأجاز له غير ذلك.

(الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء ص ٢٤٤/٢ تر ٣٤٢٤، ابن حجر. أنباء الغمر ص ١٢٨/٢ تر ٦٢، المجمع المؤسس ق ٢٥٣، السيوطي بغية الوعاة ص ٢٣٠/١ تر ٤١٥، حسن المحاضرة ص ٥٣٧ - ٥٣٨/١ تر ٢٦، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ١٩ - ٢٠/٧).

(٢) هو « محمد بن عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام، محب الدين ».

ولد سنة خمسين وسبعمائة، أو التي تليها، وحضر علي الميدومي وسمع على غيره، وأخذ =

حسن التصرف فيها، و «العز بن جماعة» (ت ٨١٩ هـ. /١٤١٧ م.)[1] في

= العربية على والده، واجيز من ابن الملوك، وابن القطرواني، وابن أبي الأكرم العلائي، وابن جماعة، والأسناوي، وابن عقيل، ومغلطاي، ومظفر.. وكان اليه المنتهى في العربية ونحوها. وتصدر لاقرائها بجامع الحاكم وغيره الى أن توفي في رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة للهجرة.

سمع عليه «ابن حجر» علوم الحديث لابن الصلاح، وحكايات أبي علي الفقيه، وبعض جزء الحسن بن عرفة، وجزء الحسن بن أيبك.

(المقريزي. السلوك ص ٣/٨٨٤، ابن قاضي شهبة. التاريخ ص ٦٤١ - ١/٦٤٢، ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٥٤٠ تر ٤٥، المجمع المؤسس ق ١٦٩ ب - ١٧٠ أ، ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ص ١٢/١٥٧، السيوطي. بغية الوعاة ص ١/١٤٨ تر ٢٤٥، حسن المحاضرة ص ١/٥٣٧ تر ٢٥).

(١) هو «محمد بن أبي بكر بن عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعدالله ابن جماعة، عز الدين».

ولد بينبع سنة تسع وأربعين وسبعمائة للهجرة، واحضر علي الميدومي وأبي الحسن العرضي، وأبي عبدالله البياني، وجده، وحفظ القرآن - الكريم - في شهر، كل يوم جزئين - كما جاء في ترجمته لنفسه في «ضوء الشمس في أحوال النفس» - واشتغل على كبر، فأخذ عن السراج الهندي والضياء القرمي، وابن ناظر الجيش، والتقي السبكي.. وغيرهم، وأجاز له الكثيرون بعناية «الزين العراقي».

اتفق من ترجموا له على أنه كان آية من آيات الله في معرفة العلوم أدبية وعقلية، بحيث كان لا يقرأ عليه كتاب الا ويكتب عليه حاشية أو تقريراً أو تعليقاً أو نكتاً أو اعتراضات. بل لقد زادت مصنفاته على المائتين في أكثر من عشرين فناً.

لازمه «ابن حجر» من سنة تسعين وسبعمائة الى أن مات، وأشار الى أنه كان يوده كثيراً ويشهد له في غيبته بالتقدم، ويتأدب معه الى الغاية، كما كان «ابن حجر» يبالغ في تعظيمه ولا يسميه في غيبته الا بامام الأئمة.

حصل «ابن حجر» منه اجازات له ولأولاده، وأخذ عنه: شرح منهاج الأصول، وجمع الجوامع، ومختصر ابن الحاجب، والمطول لسعد الدين، كما قرأ عليه الخامس من مسند السراج.. وتطارحاً بأبيات من الشعر.

(المقريزي. السلوك ص ٣٧٧ - ٤/٣٧٨، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ص ١٨٣، ابن حجر. أنباء الغمر ص ١١٥ - ٣/١١٧ تر ٣٢، المجمع المؤسس ق ٢٦١ ب - ٢٦٢ أ، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٦٧، ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ص ١٤٣ - ١٤/١٤٤، البقاعي. عنوان الزمان ق ١/٣٨، ابن الصيرفي. نزهة =

تفننه في علوم كثيرة، بحيث أنه كان يقول: « أنا اقرىء في خمسة عشر علماً لا يعرف علماء عصري أسماءها »[1].

= النفوس والأبدان ص ٣٧٢ – ٢/٣٧٣ تر ٥٣٩، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٧١ – ٧/١٧٤ تر ٤١٧، السيوطي. حسن المحاضرة ص ١/٥٤٨ تر ٤٦، بغية الوعاة ص ٦٣ – ١/٦٦ تر ١١٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ١٣٩ – ٧/١٤١).

(١) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٨٢ أ، ١٩٧ أ، ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٢٥ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦ أ، الذيل على رفع الاصر ص ٧٩، الضوء اللامع ص ٢/٣٧، السيوطي. حسن المحاضرة ص ١/٥٣٨، بغية الوعاة ص ١/٢٣٠، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٧ أ.

ويلاحظ الاقتصاد هنا في ايراد الشيوخ والاقتصار على أبرزهم حسب تنويه كل من « ابن حجر » وتلميذه « السخاوي » بهم، وان كان قد ترجم لأكثر من أربعمائة وخمسين شيخاً ممن أخذ عنهم – في الدرر الكامنة، والذيل عليها، والمجمع المؤسس، وأنباء الغمر – ومنهم من أكثر عنه، كما أن منهم من أخذ عنه حديثاً واحداً، أو بيتاً من الشعر، أو حكاية، أو مناماً. ومنهم من سمع عليه، ومنهم من سمع بقراءته، أما هؤلاء المترجم لهم – هنا – فهم في حقيقة الأمر الذين لازمهم وتردد عليهم أكثر من غيرهم وانتفع بهم فكانوا أقرب الى الأساتيذ بمفهوم العصر، وأرسخ بالنسبة الى الفهم.

والملاحظ فضلا عن هذا أن العصر كان عصر الموسوعية في الفكر والاختصاص في العلم وليس التخصص في فرع من فروعه إهمالاً لسائر الفروع الأخرى للمعرفة – المعروفة آنذاك – مما يعسر معه تصنيف هؤلاء وغيرهم حسب العلوم، ليقال ان « البلقيني » كان استاذاً لابن حجر في الفقه دون غيره، أو أن « التنوخي » كان استاذاً له في القراءات.. وهكذا فلقد أخذ عن هذا وذاك الى جانب الفقه والقراءات علم الحديث، واللغة والأدب..

الفصل السادس

رحلاته داخل

القطر المصري وخارجه

كان لرغبة «ابن حجر» في تحصيل المعارف[1] وشغفه بالعلم مبكرا[2] ـ وحرصه على أن يكون بالحديث النبوي عالما متبحرا ورأسا فيه لا يلحق ـ[3] الدافع على مواصلة العدد والتراوح الى الشيوخ والعلماء والمسندين بالبواكر والعشايا[4] للتخرج بهم، والانتفاع بملازمتهم[5] والقراءة عليهم[6]. ولذا فانه لم يكتف بتحصيل العلم، وجمع شتات المعرفة في موطنه الصغير

---

(١) أشار ابن حجر الى ذلك قائلا:

واذا الديار تنكرت سافرت في — طلب المعارف هاجرا لدياري

واذا أقمت فمؤنسي كتبي فلا — أنفك في الحالين من أسفاري

(من الكامل)

السخاوي. الجواهر والدرر ق٢٦ ب، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق٧ أ.

(٢) كان ذلك ابتداء بسنة خمس وثمانين وسبعمائة للهجرة، وهو ابن اثنتي عشرة سنة ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق٢١ أ.

(٣) نفسه ق٢٦ أ، ولعل هذا كان دافعا لديه على شرب ماء زمزم لثلاث منها: أن ينال مرتبة الحافظ «الذهبي» في الحفظ، ثم شربه لينال مرتبه أعلى من ذلك ـ نفسه ق٣٣ ب.

(٤) نفسه ق٢٢ أ، الذيل على رفع الاصر ص ٧٨.

(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق٢٢ أ.

(٦) نفسه في مواضع متفرقه.

ـ القاهرة ومصر ـ وحده، وانما انساح في أرض الله جامعا لكل ذلك.. فعرفت له رحلات داخل مصر، وأخرى خارجها تمثلت في الاتخال الى:

(١) الصعيد

وتمثل أولى رحلاته ـ سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ـ حيث سافر الى «قوص» وغيرها من بلاد الصعيد.. لكنه لم يستفد بها شيئا من المسموعات الحديثية بل لقى جماعة من أهل العلم منهم: «نورالدين»[١] قاضي «هو» و «ابن السراج» قاضي «قوص» وجماعة من أهل الأدب سمع من نظمهم[٢].

---

(١) هو «علي بن محمد بن محمد بن النعمان الأنصاري الهوي» (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.) لقيه «ابن حجر» بهو ـ بالقرب من قوص ـ وكان يحكي عن «ابن السراج» قاضي «قوص» أنه كان في منزله فخرج عليه ثعبان مهول المنظر ففزع منه فضربه فقتله فاحتمل في الحال من مكانه ففقد من أهله، فأقام مع الجن الى أن حملوه الى قاضيهم، فادعى عليه ولي المقتول فأنكر، فقال له القاضي: «على أي صورة كان المقتول؟»، فقال: «في صورة ثعبان». فالتفت القاضي الى من بجانبه فقال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تزيا لكم فاقتلوه»، فأمر القاضي باطلاق المذكور فرجعوا به الى منزله. (ابن حجر. انباء الغمر ص ٧٦ ـ ٢/٧٧، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦ ب).

كما ذكر له ما يفيد مصافحته لبعض أصحاب «أبي العباس الملثم» الذي قيل فيه أنه عمر وروي عن «معمر» الصحابي المختلق ـ وهو ما لم يعتمده ابن حجر، ولا تلميذاه البقاعي والسخاوي. (ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٧٧، لسان الميزان ص ٦/٧١، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦ ب).

ومن الغريب أن «ابن حجر» قد التقى بابن السراج وأخذ عنه شيئا من نظمه، ولم يفد ما اذا كان قد واجهه بهذه الحكاية للتحقق من صحتها فضلا عن نسبتها اليه ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٧٧.

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٤١٩، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦ ب عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٧.

(٢) الاسكندرية

كما كانت له رحلة الى الاسكندرية التي دخلها يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذي القعدة سنة تسع وتسعين وسبعمائة، فأقام بها الى أن رحلت هذه السنة ودخل في السنة التي تليها عدة أشهر[١].

وبها التقى بجماعة من المحدثين والمسندين منهم « ابن الغراط » (ت ٨٠٣ هـ./ ١٤٠١ م.)[٢]، و « ابن سليمان الفيشي » (ت ٧٩٨ هـ./ ١٣٩٦ م.)[٣] و « ابن البوري » (ت ٨٠٢ هـ./ ١٤٠٠ م.)[٤] و « ابن يفتح الله » (ت ٧٩٩ هـ./ ١٣٩٧ م.)[٥]، و « ابن شافع الأزدي »

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٤٩٥، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧ ب.

(٢) هو « أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن عمر بن عبدالقوي، التاج السكندري، المالكي، سبط الشاذلي، المعروف بابن الخراط ».

سمع عليه: التيسير للداني، والموطأ، والشفاء، وترجمة القاضي عياض ودرء السمط في خبر السبط لابن الآبار ـ بسماعه للأخير علي محمد بن حبان عن مؤلفه، وبعض التقصي لابن عبدالبر، وسداسيات الرازي..ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٤٠ ب، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢/٧٦.

(٣) هو « محمد بن أحمد بن سليمان الفيشي المرجاني، زين الدين الاسكندراني المالكي » ـ قرأ عليه جزءاً حديثيا خرجه الحافظ « شرف الدين الدمياطي » ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٦٥ أ.

(٤) هو « محمد بن علي بن أحمد بن هبة الله بن البوري الاسكندراني » قرأ عليه المسلسل بالأولية بشرطه، تخريج حافظ الاسكندرية « منصور بن سالم »، وسداسيات الرازي بسماعه لها على مشايخ سبعة ذكرهم في معجمه وجزء عمر بن سينك بسماعه له علي أحمد بن عيسى بن سعد الحداد ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٦٨، السخاوي. الضوء اللامع ص ٨/١٦٧.

(٥) هو « محمد بن محمد بن عبدالوهاب بن يفتح الله المالكي الاسكندراني » قرأ عليه مشيخة الجوهري الصغرى بسماعه لها على علي بن أحمد الفرضي ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٥٩ ب.

(ت ؟ ؟)[١] و « ابن الحسن التونسي » (ت ٨٠٣ هـ./ ١٤٠١ م.)[٢]، و « ابن موسى الاسكندراني » (ت ٧٩٨ هـ./ ١٣٩٦ م.)[٣] و « ابن الموفق » (ت ٧٩٩ هـ./ ١٣٩٧ م.)[٤]، و « ابن قرطاس » (ت ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٧ م)[٥] و « الشمس الجزري » (ت ٨٣٤ هـ./ ١٤٣١ م.)[٦] وقد حضه على الرحلة ـ لا سيما ـ الى دمشق..[٧].

وهناك جمع ما وقع له من النظم والمراسلات في مؤلف سماه « الدرر المضية من فوائد اسكندرية »[٨] ثم رجع الى مصر ليقيم بها حتى يوم الخميس الثاني والعشرين من شوال سنة تسع وتسعين وسبعمائة الى أن ظهر منها قاصدا اليمن عن طريق الطور ـ راكبا البحر ـ في ذي الحجة ليصلها في السنة المقبلة[٩].

(١) هو « أحمد بن محمد بن عبدالغني الأزدي السكندري، ويعرف بابن شافع » قرأ عليه مشيخة الوازي ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٤١ ب، السخاوي الضوء اللامع ص ٢/١٢٥.

(٢) هو « محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن علي بن الفخر التونسي الاسكندراني » ـ قرأ عليه مشيخة الرازي بسماعه لها علي ابن المصفي وابن الفرات ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٥٧ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٠/٢١١.

(٣) هو « محمد بن أحمد بن عبدالرازق بن موسى الاسكندراني، تاج الدين » آخر من يروي بها حديث السلفي بالسماع المتصل، قرأ عليه مشيخة وجيهية تخريج تقي الدين بن عرام ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٦٤ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧ ب.

(٤) هو « محمد بن أحمد بن محمد بن الموفق، ناصر الدين بن جمال الدين ابن البزار الاسكندراني » قرأ عليه مشيخة الرازي بسماعه من ابن المصفي وابن الفرات ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٦٥ أ - ١٦٦ أ، انباء الغمر ص ١/٥٣٩.

(٥) هو « محمد بن أبي بكر بن محمد بن قرطاس الاسكندراني، ناصر الدين » قرأ عليه مشيخة أبي عبدالله الرازي بسماعه لها على ابن المصفي وابن الفرات ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٦٨.

(٦) هو « محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري » وكانت بينهما مراسلات، وسمع كل منهما على الآخر، وكتب في الاستدعاء اليه وروج له كتبه ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٩ ب - ٢٥٠ ب، انباء الغمر ص ٤٦٦ - ٣/٤٦٨، النعيمي. الدارس ص ٨ - ١/٩، السخاوي الضوء اللامع ص ٢٥٥ - ١٠/٢٦٠.

(٧) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٠ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧ ب.

(٨) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧ ب.

(٩) نفسه، ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٥٣٠.

(٣) اليمن

وما أن وصل «الطور» حتى لقي جماعة من العلماء «كالرضي الزبيدي» (ت ٨٢١ هـ./ ١٤١٨ م.)(١) الذي أنشده لنفسه لغزا كتبه «ابن حجر» عنه في «التذكرة» كما أفاده عن بعض شيوخ اليمن(٢). و«الصلاح الاقفهسي» (ت ٨٢٠ هـ./ ١٤١٧ م.)(٣) فسمع عليه جزءاً من حديث الاسواري عن حكايات العقلي(٤) و«النجم والمرجاني» (ت ٨٢٧ هـ./ ١٤٢٤ م.)(٥) ـ وكان قد مهر في العربية حتى لم يبق في بلاد الحجاز من يدانيه فيها، بيد أنه كان منجمعا عن الناس منشغلا بعياله ـ فسمع عليه حديثا واحدا عن ابن مسعود، وكثيرا من انشاده لنفسه ولغيره(٦). ثم توجهوا

---

(١) هو «أبو بكر بن أبي المعالي بن عبدالله الناشري» ـ قدم القاهرة صحبة «فاخر الطواشي» سفير الأشرف صاحب اليمن ورافق «ابن حجر» في عودته الى زبيد، ولم يؤرخ لوفاته (المجمع المؤسس ق٢٢٣، وكذا السخاوي الضوء اللامع ص ٩٥ - ١١/٩٦) وان أشار الى أن «العفيف الناشري» قد أرخ وفاته بسنة احدى وعشرين وثمانمائة.

(٢) ابن حجر. المجمع المؤسس ق٢٢٣ ب.

(٣) هو «خليل بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن الأقفهسي» ـ رافقه في هذه الرحلة قاصدا المجاورة بمكة، فطلع من جدة اليها، وتوجه «ابن حجر» الى اليمن ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٤ ب - ٢٢٥ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧ ب، الضوء اللامع ص ٣/٢٠٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/١٥٠، ويلاحظ تأرجح المصادر في تحديد سنة وفاته، حيث أرخها كل من: ابن حجر. المجمع المؤسس ـ ق ٢٢٥ أ ـ وابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ـ ص ٢٧٢ ـ والسخاوي. الضوء اللامع ـ ص ٣/٣٠٢ ـ بسنة ٨٢٠ هـ./١٤١٨ م.، بينما أرخها في السنة التي تليها كل من: ابن حجر ـ انباء الغمر ص ٣/١٨٠ ـ وان تشكك فيها، والسيوطي ـ ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٧٠، حسن المحاضرة ص ١/٣٦٣ ـ وابن العماد الحنبلي ـ شذرات الذهب ص ٧/١٥٠.

(٤) ابن حجر. المجمع المؤسس ق٢٢٥ أ.

(٥) هو «محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف المصري، ثم المكي، المعروف بالمرجاني» ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٣٣٨، المجمع المؤسس ق ٢٦٢ ب، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٨٢ - ١٨٣، الجواهر والدرر ق٢٧ ب - ٢٨ أ.

(٦) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٦٢ ب.

الى « ينبع » فلقي بها بعض[١] من أخذ عنه عدة أحاديث من الترمذي.

وكان دخولهم اليمن في ربيع الأول سنة ثمانمائة، وقد استأنس برفقته وانتشرت الفوائد الأدبية وغيرها بينهم[٢].

وفي « اليمن » انساح « ابن حجر » بحثا عن العلم والمعرفة، فحصل الكثير مما التقطه من « تعز » و « زبيد » و « عدن » و « المهجم » و « وادي نَصيب ».. وغيرها.

أما « تعز » فانه لقى بها « ابن الخياط الشافعي » (ت ٨١١ هـ/ ١٤٠٩ م)[٣] ـ وكان قد مهر في الفقه، وشارك في غيره، وتخرج به جماعة ـ[٤] فاجتمع به وسمع من فوائده[٥].

كما التقى في « زبيد » بكل من: « ابن عبدالصمد الجبرتي » (ت ٨٠٦ هـ./ ١٤٠٤ م.)[٦] ـ وكان لأهل زبيد فيه اعتقاد زائد، وله عند السلطان منزلة وكلمته لا ترد، ومنزله ملجأ لكل أحد ـ فحدثه عن الحافظ أبي بكر بن المحب وأبي محمد بن عساكر[٧]. و « أحمد بن أبي بكر الناشري » (ت ٨١٥ هـ./ ١٤١٣ م.)[٨] ـ وكانت اليه رياسة الفتوى

---

(١) أورد « السخاوي » اسمه على سبيل التشكك قائلا: « .. وممن لقيه بها لكن لا أتحقق أنه في هذه الخطرة: جار الله بن صالح بن أحمد الشيباني المكي/ ـ الجواهر والدرر ق ٢٨ أ.

(٢) نفسه.

(٣) هو « أبو بكر بن محمد بن صالح الجيلي التعزي الشافعي ».

(٤) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٣ ب، انباء الغمر ص ٢/٤٠٨، السخاوي الضوء اللامع ص [illegible] - ١١/٧٩.

(٥) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٣ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨ أ.

(٦) هو « اسماعيل بن ابراهيم بن عبدالصمد الجبرتي ».

(٧) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٠.

(٨) هو « أحمد بن أبي بكر بن علي بن محمد بن أبي بكر بن عبدالله بن عمر بن عبدالرحمن بن عبدالله بن يعقوب الزبيدي، شهاب الدين الناشري ».

بلـده ـ[1] فـاجتمـع بـه واستفـاد منـه[2]، و « الشريـف بـن المقـرىء » (ت ٨٣٧ هـ./ ١٣٣٤ م.)[3] ـ وقد مهر في الفقه والعربية والأدب ـ[4] حيث استفاد منه الكثير، كما سمع هو منه كتابه « ضوء الشهاب المنتخب من نظمه » وطارحه بأبيات رائية، وأحسن له السفارة عند سلطان بلاده[5]. و « عبـدالرحمن بـن محمد العلـوي » (ت ٨٠٣ هـ./ ١٤٠١ م.، أو ٨٠٤ هـ./١٤٠٢ م.)[6] ـ وكان شاعرا مـن أعيـان زبيـد، ولـه وجـاهـة ورياسة ـ فسمع من فوائده، وتناول منه بديعيته التي عارض بها الحلي[7]. « وأبا أحمد الشرجي » (ت ٨٠٢ هـ./ ١٤٠٠ م.)[8] ـ وكان أحد أئمة العربية الذين اشتغل السلطان الأشرف صاحب اليمن عليهم ـ فاجتمع به وسمع من فوائده، كما سمع هو عليه شيئا من الحديث[9]. و « الموفق أبا الحسن الخزرجي » (ت ٨١٢ هـ./ ١٤١٠ م.)[10] ـ وكان ناظما ناثرا ـ طارح

---

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٠٩ ب، انباء الغمر ص ٢/٥٢٥.

(٢) نفسه، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨ أ.

(٣) هو « اسماعيل بن محمد بن أبي بكر الحسيني ».

(٤) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٠ ب - ٢٢١ أ، أنباء الغمر ص ٣/٥٢١، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٩٢ - ٢/٢٩٥.

(٥) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢١ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢/٢٩٤.

(٦) هو « عبدالرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر بن علي بن عمر بن أبي بكر العلوي الزبيدي، وجيه الدين » ـ ويلاحظ تأرجح « ابن حجر » في تأريخ سنة وفاته ـ المجتمع المؤسس ق ٢٣٦ ب ـ وأن السخاوي لم يؤرخه ـ الضوء اللامع ص ٤/١٥٤ ـ وان أشار الى تأريخ المقريزي لها في ربيع الأول عام ثلاثة وثمانمائة.

(٧) ابـن حجـر. المجمـع المؤسس ق ٢٣٦ ب، السخـاوي. الضـوء اللامـع ص ١٥٣ - ٤/١٥٤.

(٨) هو « عبداللطيف بن أبي بكر بن أحمد بن عمر اليماني ».

(٩) ابن حجر. انباء الغمر ص ١٢١ - ٢/١٢٢، المجمع المؤسس ق ١٣٨ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ٤/٣٢٥.

(١٠) هو « علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن علي الخزرجي الزبيدي ».

« ابن حجر » برسالة له [١]. و « الموفق الناشري » (ت ٨١٢ هـ./ ١٤١٠ م.) [٢] ـ وكان قد اشتغل بالأدب وفاق أقرانه، حيث كانوا يقترحون عليه الأشعار في المهمات فيأتي بها على أحسن وجه، مما جعله يستحوز على لقب شاعر اليمن في عصره [٣] ـ فسمع « ابن حجر » من نظمه قليلا [٤]. و « الشهاب الردادي » (ت ٨٢١ هـ./ ١٤١٨ م.) [٥] ـ وكان شاعرا من غلاة الدعاة الى مقالة ابن عربي ـ فسمع من نظمه ومن فوائده، كما سمع هو من « ابن حجر » جزءاً حديثيا [٦].

على حين لقي « بعدن » « الرضى بن المستأذن » (ت ٨١٦ هـ/ ١٤١٤ م.) [٧] ـ وكان قد تعانى النظر في الأدب ومهر في القراءات وتكلم على الناس وخطب ـ فسمع من شعره [٨] كما سمع عنه من نظم القيراطي ـ باعتبار أنه لازمه وكتب عنه أكثر ديوانه الذي ابتدأه القيراطي لنفسه ـ [٩] وسمع هو من « ابن حجر » كثيرا [١٠]. وكتب عنه من تصانيفه « تعليق التعليق » و « تهذيب التهذيب » و « لسان الميزان » [١١].

---

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٠ ب، انباء الغمر ص ٢/٤٤١، السخاوي الضوء اللامع ص ٥/٢١٠.
(٢) هو « علي بن محمد بن اسماعيل بن أبي بكر بن عبدالله بن عمر بن عبدالرحمن الناشري ».
(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٤٤١، السخاوي. الضوء اللامع ص ٥/٢٩١.
(٤) نفسه، والمجمع المؤسس ق ٢٤١ ب.
(٥) هو « أحمد بن أبي بكر بن محمد الرداد المالكي، شهاب الدين ».
(٦) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٠٩ أ.
(٧) هو « أبو بكر بن يوسف بن أبي الفتح العدني ».
(٨) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٢٣، السخاوي. الضوء اللامع ص ١١/٩٨.
(٩) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٤ أ.
(١٠) ابن حجر. نفسه، انباء الغمر ص ٣/٢٣.
(١١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٤ أ.

ولقي بها - كذلك - «ابن حيدر الشيرازي» (ت ٨١٧ هـ./١٤١٥ م.)[١] فحدثه عن «ابن الجوخي»، وكان قد لقيه قبل بزبيد محدثا عن ست العرب بنت محمد بن الفخر بن البخاري[٢] .

كما التقى بالمهجم «بالتقي أحمد بن ابراهيم القوصي»[٣] حيث سمع منه حديثاً واحداً علقه في البلدانيات.[٤] و «علي بن أحمد الصنعاني» (ت ٨٠٦ هـ/١٤٠٤ م.)[٥] فأنشده قصيدة رثى بها «البرهان المحلي» وفي آخرها مدح لولده.[٦]

على حين التقى في وادي الخصيب «بالجمال المصري» (ت ٨٢٠ هـ./ ١٤١٨ م.)[٧] وسمع منه قليلاً.[٨]

والتقى في زبيد ووادي الخصيب «بالمجد الفيروزبادي» (ت ٨١٧ هـ./ ١٤١٥ م.)[٩] - وهو من هو - فناوله[١٠] جل القاموس المحيط - لتعذر

---

(١) هو «عبدالرحمن بن حيدر بن علي بن أبي بكر الشيرازي الدهقلي، التاجر السفار».
(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٤٤، المجمع المؤسس ق ٣٣٤ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ٧٥ - ٤/٧٦.
(٣) هو «أحمد بن ابراهيم بن أحمد، شهاب الدين القوصي اليماني الشافعي». لم تعرف سنة وفاته.
(٤) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٠١ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ١/١٩٤.
(٥) لم يزد كل من «ابن حجر» و «السخاوي» عن هذا في اسمه.
(٦) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٣٩ ب، السخاوي. الضوء اللامع ص ٥/٥٩٠.
(٧) هو «محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن ابراهيم بن موسى بن درغام بن حميد، الجمال أبو عبدالله الأنصاري الذروي المصري، ثم المالكي الزبيدي الشافعي» - ترجمه ابن حجر في المجمع المؤسس ق ٢٦٣ أ، انباء الغمر ص ١٥٠ - ٣/١٥١، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٨١ - ٧/١٨٢.
(٨) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٦٣ أ.
(٩) مرت ترجمته.
(١٠) المناولة من طرق تحمل الحديث، يدفع فيها الشيخ بكتابه أو روايته أو منتخبه منها - سواء =

اكتماله عنده، وأذن لدمع المناولة في روايته عنه، وقرأ عليه من حديثه عدة أجزاء والمسلسل بالأولية بسماعه من السبكي، وأنشده لنفسه، كما أفاده عن «رتن الهندي»، الذي تشكك «الذهبي» في وجوده وضحبته، وكتب له تقريظا على «تعليق التعليق» أبلغ فيه.[1]

على حين التقى في زبيد وتعز «بالنفيس العلوي» (ت ٨٢٥ هـ/١٤٢٢م.)[2] ـ محدث اليمن المنعوت من الفيروزبادي بإمام أهل السنة ـ[3] فاعجب «ابن حجر» بحرصه على محبة الحديث واستمراره على ملازمته له قراءة ومطالعة ونسخاً واستنساخاً ومقابلة، وسمع منه جزءاً خرجه له من حديثه، كما سمع هو «المائة العشارية» له، وحدث بها «ابن حجر» هناك.[4]

كما خرج «ابن حجر» وهو باليمن من مرويات نفسه إلى جانب ذلك ـ الأربعين المهذبة بالأحاديث الملقبة اجابة له، وكتب بخطه «التقييد» لابن نقطة و «فصل الربيع في فضل البديع»، وحدث بمشيخة الفخر بن البخاري،

= كانت بخطه أو نسخة عنها ـ إلى تلميذه ليبلغها عنه من الأصل أو نسخته بعد مقابلة المنسوخ على الأصل لدى الشيخ، أو اتيان التلميذ ـ الشيخ بنسخة صحيحة من كتابه أو روايته أو منتخبه ليقف الشيخ عليها ويعرفها ويتحققها ويتأكد من صحتها ثم يجيزها له، وفي ذلك انتقال لكل هذا من الشيخ إلى التلميذ نقلاً صحيحاً لا تبديل فيه ولا تغيير، وان لم يقتض ذلك كون التلميذ عالماً بما تناوله ـ ابن الصلاح. المقدمة ص ٧٩، السيوطي. تدريب الراوي ص ٢/٤٤، د. رفعت فوزي عبدالمطلب. توثيق السنة في القرن الثاني الهجري ص ٢٠٥ وما بعدها.

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٥٠، المجمع المؤسس ق ١٧٧أ وما بعدها السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨، الضوء اللامع ص ١٠/٨٦.

(٢) هو «سليمان بن ابراهيم بن عمر بن علي بن عمر، نفيس الدين أبو الربيع ابن البرهان ابي اسحق العكي العدناني التعزي الزبيدي الحنفي».

(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٢٨٦.

(٤) نفسه، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٥٩ ـ ٣/٢٦٠.

والمائة العشاريات لشيخه «التنوخي»، و «الحصن الحصين في الأدعية» للشمس الجزري فروجه له قبل دخوله اليهم.[1]

ولما تسامع صاحب اليمن[2] به خطبه للاجتماع به فالتقى «ابن حجر» به وامتدحه، وأهدى اليه نسخة من «خريدة القصر» للعماد الكاتب بخط «الكمال ابن الفوطي» في أربع مجلدات، بالاضافة إلى تذكرته الأدبية بخطه في أربعين مجلداً لطاف[3] ـ صغار ـ فأثابه ثواباً عظيماً، ولاقى عنده رواجاً واحتفالاً[4].

كما اتصل «بابن جميع» (ت ٨٠٣ هـ./١٤٠١ م.)[5] المفوض اليه أمر عدن، حيث سر به، وبالغ في الاحسان اليه لكونه كان صديق خاله قديماً.[6]

وبعدها رجع «ابن حجر» من اليمن صحبة المحمل المجهز من قبل صاحبها إلى مكة التي دخلها سنة ثمانمائة ليحج حجة الإسلام وقد ازدادت معارفه وتوثقت صلاته وصداقاته، وانتشرت علومه ولطائفه.[7]

على أن «ابن حجر» قد توجه إلى اليمن للمرة الثانية ـ سنة ست وثمانمائة

---

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٠ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨ ب.
(٢) هو «اسماعيل بن عباس بن علي بن داود بن عمر بن علي بن رسول، الملك الأشرف الغساني ـ صاحب كتاب «العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك» (ت ٨٠٣ هـ./١٤٠١ م.).
(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٩ ب.
(٤) نفسه ق ٢٨ ب، ٢٩ ب.
(٥) هو «علي بن يحيى الطائي الصعدي».
(٦) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/١٧٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨ ب.
(٧) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٩ أ.

ـ بعد أن جاور بمكة، ويشير «السخاوي» إلى أنه قد واجهته ـ في هذه المرة ـ متاعب جمة، نتيجة لغرق المركب الذي كان يقله إلى اليمن، حيث غرق معه ما اصطحبه «ابن حجر» من الأمتعة والنقد والكتب، فكان من جملتها: أطراف المزي، وأطراف مسند أحمد، وأطراف المختارة بخطه، وترتيب مسند الطيالسي وعبد، ووديعة لبعض أصحابه.. فأقام ببعض الجزر ـ هناك ـ ملتمساً اخراجها فخرج أكثر ما غرق وصولح ـ عما جرت العادة بأخذه مما طلع بعد الغرق ـ وتوجه إلى «اليمن» ليلتقي ببعض الذين أخذ عنهم في المرة الأولى وغيرهم، فأخذ عنهم وأخذوا عنه.[1]

ويعزو «السخاوي» ـ نقلاً عن شيخه ـ هذا الغرق إلى عين من استعرض كتبه وتعجب من كثرة ما فيها بخطه[2] ولكنه لا يشير إلى ظروف هذا الغرق وملابسات استنقاذ شيخه ـ خاصة وأنه لم يكن يحسن السباحة ـ[3] وجملة ما افتقده من جراء هذه الكارثة مما غرق أو صولح عليه بعد اخراجه، وطرق هذه المصالحة وشرائطها..

(٤) الحجاز

وطبيعي أن تكون «لابن حجر» وغيره من العلماء والمحدثين رحلات إلى الحجاز للحج والمجاورة، حيث الفرصة سانحة للاشتغال والمذاكرة على من

---

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٠ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٢٠ ب.
(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٢٠ ب.
(٣) نفسه ق ٢٩ ب ـ حيث اتفق له ـ بعد ذلك ـ وهو راجع من الخانقاة الركنية أن سقط من تحته بعض ألواح المركب فسقط في الماء بثيابه فسارع أهل المركب لطلوعه.

يصادفونه هناك من العلماء والشيوخ والمحدثين والمسندين..

ولذا تشير المصادر إلى أن «ابن حجر» كان قد قدم الحجاز للحج والمجاورة والاشتغال لأكثر من مرة[1] التقى خلالها «بمنى»[2] و «مكة»[3]

---

(١) قدم «ابن حجر» الحجاز ـ طفلاً ـ صحبة والده وقد جاور هناك، ثم قدر له أن يفد عليه صحبة وصيه «الزكي الخروبي» ـ حديثاً ـ وان يجاور بمكة، وبعدها حج حجة الإسلام سنة ثمانمائة، بعد أن كان قد ارتحل إلى اليمن للمرة الأولى، وفي عودته منها للمرة الثانية حج ـ كذلك ـ سنة خمس وثمانمائة، وجاور بمكة بعض سنة ست، كما اتيحت له فرصة السفر إلى الحجاز للحج والاشتغال سنة خمس عشرة وثمانمائة، وكانت آخر مرة حج فيها سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وفيها نزل بالمدرسة الأفضلية ـ أنزله فيها المحب بن ظهيرة قاضي مكة ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٢ ب، ٢٢٣ أ انباء الغمر ص ١/٢٦١، ٢/١٢٦، ٣/٢٥٠، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٩.

(٢) لقي بها «أبا بكر بن حسين بن عمر بن عبدالله المراغي» (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.) ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٢٣، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٨ ـ ١١/٣١، وكذا لقيه بالمدينة المنورة ومكة.

(٣) لقي بها:

«محمد بن علي بن محمد بن علي بن ضرغام، الشهير بابن سكر» (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٧٣ بـ ١٧٥ أ، انباء الغمر ص ٢/٨٥، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٠ أ.

و «ست الكل بنت أحمد بن امام الدين محمد القسطلانية المكية» (ت ٨٠٣ هـ./١٤٠١ م.) ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/١٦٤، السخاوي الضوء اللامع ص ١٢/٥٧.

و «ابراهيم بن محمد بن صديق بن ابراهيم بن يوسف الدمشقي» (ت ٨٠٦ هـ./١٤٠٤ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٤ أ، انباء الغمر ص ٢٧٠ ـ ٢/٢٧١، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٤٧ ـ ٢/١٤٨.

و «محمد بن عمر بن علي بن عمر بن محمد بن محمد بن السعيد، أبو الطيب السحولي» (ت ٨٠٧ هـ./١٤٠٥ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٧٦ أ، انباء الغمر ص ٢/٣١٣، السخاوي. الضوء اللامع ص ٨/٢٥١.

و «محمد بن أحمد بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر الطبري الشافعي» (ت ٨٠٩ هـ./١٤٠٧ م.) ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٣٧٣، المجمع المؤسس ق ١٦٥ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٠ أ، الضوء اللامع ص ٢٨٧ ـ ٦/٨٨. =

و « المدينة »[1].. بجماعة من فضلاء الحجاز وأعيانها وطلبتها قرأ عليهم وقرأوا عليه، وحملوا عنه بعض تصانيفه وغيرها.[2]

كما كان كثيراً ما يحدث في موسم الحج ببعض مروياته[3] أو يرشد من

= و « ظهيرة بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشي » (ت ٨١٩ هـ./١٤١٧ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٦٦ ب، انباء الغمر ص ٣/١٧٠، السخاوي. الضوء اللامع ص ٤/١٥.

و « خليل بن هرون بن مهدي بن عيسى بن محمد الجزائري المغربي » (ت ٨٢٦ هـ./١٤٢٣ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٤ ب، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٠٥ ـ ٣/٢٠٦.

و « علي بن أحمد بن محمد بن سلامة بن عطوف السلمي المكي، نور الدين ابن سلامة » (ت ٨٢٨ هـ./١٤٢٥ م.) ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٣٥٦، ٣/٣٥٧، المجمع المؤسس ق ٢٣٩، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٨٣ ـ ٥/١٨٤.

(١) لقي بها:

« محمد بن معالي بن عمر بن عبدالعزيز بن سند، الشمس الحراني » (ت ٨٠٩ هـ./١٤٠٧ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٧١ أ، انباء الغمر ص ٢/٣٧٥، السخاوي. الضوء اللامع ص ٥١ ـ ١٠/٥٢.

و « محمد بن أحمد بن عبدالله القزويني » (ت ٨١١ هـ./١٤٠٩ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٨ ب، انباء الغمر ص ٢/٤١٤ السخاوي الضوء اللامع ص ٧/١٠٥.

و « عبدالرحمن بن علي بن يوسف بن الحسن بن محمود الزرندي » (ت ٨١٧ هـ./١٤١٥ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٣٤ ب، انباء الغمر ص ٤٤ ـ ٣/٤٥، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٠٥ ـ ٤/١٠٦ ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/١٢٥.

(٢) حيث أخذوا عنه هناك ـ المسلسل بالأولية، وبعضاً من ترجمة البخاري التي ذكرها في مقدمة شرحه، وقصيدة له السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٠ أ.

(٣) من ذلك تحديثه ـ هناك ـ بجزء من تصانيفه في الحج، وبالأربعين المتباينة، وتخريج الأربعين النووية، والكلام على حديث القضاة كلها تخريجه ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٠ أ.

يصادفه ـ هناك ـ إلى المعروف له من المسندين ـ القادمين للحج والمجاورة ـ فيسمعون عليه ويأخذون عنه.[1]

(٥) الشام

خرج « ابن حجر » من القاهرة ـ عصر يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنتين وثمانمائة ـ قاصداً بلاد الشام للأخذ عن من بها من الشيوخ والمحدثين والمسندين.[2] وكان وصوله اليها في الحادي والعشرين من رمضان من نفس السنة[3] حيث ظل مقيماً بها مائة يوم[4] آخرها غرة المحرم سنة ثلاث وثمانمائة ـ بعدما تواترات الأخبار بقرب مجيء المغول اليها ـ[5] فآثر العود إلى القاهرة وقد اتسعت معارفه كثيراً، بما أخذه عن العلماء بها، أو في الطريق اليها ـ مما لا يدخل تحت الحصر ـ[6] سواء في « سرياقوس »[7] أو

---

(١) من ذلك ارشاده لجمع كبير من قضاة مكة وأعيانها وطلبتها الى المسند الرحلة « زين الدين ابن طولوبغا السيفي البكري » (ت ٨٢٥ هـ./١٤٢٢ م.) وكان قدم للحج، فأخذوا عنه شيئاً من مروياته ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٠ أ، وله ترجمة في ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٢٨٧، السخاوي. الضوء اللامع ص ٤/١٣٢.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٠ ب.

(٣) نفسه ق ٣٢ أ.

(٤) نفسه.

(٥) المصدر السابق، وابن حجر. انباء الغمر ص ١١٠، ٢/١٣٣.

(٦) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٠ ب.

(٧) كان ممن لقيه بها:

« سليمان بن عبدالناصر بن ابراهيم الابشيطي الشافعي » (ت ٨١١ هـ./١٤٠٩ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٦٤ ب، انباء الغمر ص ٢/٤٠٩ تـر ٢٠، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٦٥ ـ ٣/٢٦٧.

المرج [1] أو «قطية» [2] أو «غزة» [3] أو «نابلس» [4] أو «الرملة» [5] أو

---

(١) لقي بها:
«محمد بن أبي الزين أبا الطيب القيرواني المغربي المالكي» (ت ٨٠٦ هـ./١٤٠٤ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ٢٦٤ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ٦/٢٤٧.

(٢) بالفتح ثم السكون وباء مفتوحة، قرية في طريق مصر في وسط الرمل قرب الفرما ـ ياقوت. معجم البلدان ص ٤/٣٧٨، البغدادي. مراصد الاطلاع ص ٣/١١١١. سمع بها على «محمد بن أحمد بن علي بن أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن، التقى الفاسي» (ت ٨٣٢ هـ./١٤٢٩ م.) ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٤٢٩ تر ١٧، السخاوي الضوء اللامع ص ١٨ ـ ٧/٢٠ ـ وكان مرافقاً له في هذه الرحلة هو وقريب «ابن حجر» الزين شعبان ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٠ ب.

(٣) وممن سمع عليه بها:
أحمد بن محمد بن عثمان بن علي بن عبدالله الخليلي» (ت ٨٠٥ هـ./١٤٠٣ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٤٢، انباء الغمر ص ٢/٢٤٠ تر ٥، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢/٤٠٢.

و «ابراهيم بن محمد بن بهادر بن عبدالله بن أحمد الغزي» المعروف بابن زقاعة (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.) ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/١٧ تر٢، المجمع المؤسس ق ٢٠٠ ب، ٢٠١ أ، السخاوي الضوء اللامع ص ١٣٠ ـ ١/١٣٤.

(٤) وممن لقيه بها:
«ابراهيم» و «علي» ابنا «محمد بن ابراهيم النابلسي العطار المعروف بابن المغيف الجعدي الحلبي» ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٣ ب، ١٤ أ، ٢٤١ ب، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٧٩ ـ ٥/٢٨٠.

و «أبا بكر بن علي بن أبي بكر بن الحكم، سيف الدين، وتقي الدين النابلسي الحنبلي ـ المعروف بابن الحكم» ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٢ ب، السخاوي. الضوء اللامع ص ١١/٥١.

و «أحمد بن محمد بن عبدالقادر بن عثمان بن عبدالرحمن بن عبدالمنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور النابلسي الحنبلي، شهاب الدين ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢١٦ ب، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢/١٢٥.

و «عيسى بن علي بن محمد بن غانم الشريف المقدسي» ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٦ ب، السخاوي. الضوء اللامع ص ٦/١٥٥.

(٥) لقي بها:
«أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر الأيكي الفاسي، الملقب بابن زغلش».

« بيت المقـدس »[1] أو « الخليـل »[2] أو « دمشـق » و « صـالحيتهـا »[3] أو

= (ت ٨٠٣ هـ./١٤٠١ م.) ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ١٥٥ ـ ٢/١٥٦ تر ١٦، المجمع المؤسس ق ٣٩، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢/٢٥٥، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/٢٥.

و « عبدالله بن سليمان بن عبدالله بن حرز الله، الجمال الاجاري، ثم المقدسي، المكي، المعروف بابن سحارة » ـ السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٠ ـ ٥/٢١.

(١) لقي به:

« أبا بكر بن عثمان بن خليل الحوراني، تقي الدين المقدسي. (ت ٨٠٤ هـ./١٤٠٢ م.) ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٢١١ تر ١٠، السخاوي. الضوء اللامع ص ١١/٤٦.

و « صالح بن خليل بن سالم بن عبدالناصر بن محمد بن سالم المغربي » (ت ٨٠٤ هـ./١٤٠٢ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٦٦ أ، انباء الغمر ص ٢/٢١٣ تر ١٦، السخاوي. الضوء اللامع ص ٣/٣١١.

و « عبدالرحمن بن محمد بن حامد بن أحمد بن عبدالرحمن بن حميد المقدسي، المعروف بـابـن حـامـد » (ت ٨٠٧ هـ./١٤٠٥ م.) ـ ابـن حجـر. المجمع المؤسس ق ٩٨ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ٤/١٢٧.

و « محمد بن اسماعيل بن علي بن الحسن بن علي القلقشندي » (ت ٨٠٩ هـ./١٤٠٧ م.) ـ ابـن حجـر. انبـاء الغمـر ص ٢/٣٧٣ تـر ٢٦، المجمـع المؤسس ق ١٦٧ ب، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٣٧ ـ ٧/١٣٨.

و « عبدالهادي بن عبدالله بن خليل بن علي بن عمر بن مسعود البساطمي المقدسي » (ت ٨٠٩ هـ./١٤٠٧ م.) ـ ابن حجـر. انبـاء الغمـر ص ٢/٣٧٠، المجمـع المؤسس ق ٢٣٨ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ٩١ ـ ٥/٩٢.

و « محمد بن عمر بن عيسى بن مـوسى البصري الدمشقـي، المعـروف بـابـن القـزع » (ت ٨١١ هـ./١٤٠٩ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٧٦ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ٧/٢٥٣.

و « أحمد بن حمد بن علي بن محمد بن أحمد بن مثبت المالكي » (ت ٨٠٣ هـ./١٤٠١ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٤٣ أ.

و « أحمد بن ناصر بن خليفة بن فرج بن عبدالله بن يحيى بن عبدالرحمن المقدسي الباعوني » (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.) ـ ابن حجر انباء الغمر ص ٢٠ ـ ٣/٢٢، المجمع المؤسس ق ٢١٩ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٣١ ـ ٢/٢٣٣.

و « حسن بن موسى بن ابراهيم بن مكي المقدسي الشافعي » (ت ٨١٧ هـ./١٤١٥ م.) ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٤٣، المجمع المؤسس ق ٥٨ ب، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٢٩ ـ ٣/١٣٠.

= و «أحمد بن محمد بن عبدالكريم، الشهاب التزمنتي» ـ ابن حجر المجمع المؤسس ق ٢١٧ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢/١٢٥.

و «غزال القلقشندية» ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٢٦ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٢/٨٥.

وكان قد رحل من القاهرة إلى القدس للقاء «أحمد بن خليل بن كيكلدي العلائي المقدسي» (ت ٨٠٢ هـ./١٤٠٠ م.) بسبب ظهور سماع له في سنن ابن ماجة عن الحجار فبلغه وفاته وهو بالرحلة، فعرج عن القدس إلى دمشق ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٣١ أ، انباء الغمر ص ٢/١١٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣١ ب.

(٢) لقي بها:

«محمد بن محمد بن علي بن يحيى بن زكريا المنيحي المقدسي الحنفي» ـ السخاوي. الضوء اللامع ص ٩/١٦٦.

(٣) الصالحية مدينة ممتدة في سفح جبل قاسيون تشرف على دمشق وضواحيها، إسلامية محدثة في أواخر القرن السادس الهجري / الحادي عشر الميلادي، اختلف في سبب تسميتها، فقيل لكونها بسفح قاسيون وهو معروف بجبل الصالحين، وقيل نسبة إلى الصالحين لصلاح من كان ابتداء وضعها، وقيل لأن الذين وضعوها كانوا بمسجد أبي صالح فنسبت اليه ـ ابن طولون. القلائد الجوهرية ص ٦٤ وما بعدها، القلقشندي صبح الأعشى ص ٤/٩٤.

لقي بها:

«أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن علي بن يوسف بن يونس الدمشقي الحنفي، المعروف بابن عبدالخالق» (ت ٨٠٢ هـ./١٤٠٠ م.) ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/١١٥ تر ١٦، المجمع المؤسس ق ٣٤ أ، ١٣٦ أ.

و «أبا بكر بن عبدالله بن العماد أبي بكر بن أحمد بن عبدالمجيد بن عبدالهادي الصالحي»، و «خديجة بنت ابراهيم بن اسحاق الدمشقية»، و «داود بن أحمد بن علي ابن حمزة البقاعي الصالحي» و «عبدالله بن محمد بن أحمد بن عبدالله المقدسي»، و «فاطمة بنت محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن المنجا»، و «فاطمة بنت محمد بن عبدالهادي»، و «محمد ابن عبدالرحمن بن الحافظ أبي عبدالله الذهبي، و «محمد بن محمد بن محمد بن قوام»، و «محمد بن محمد بن منيع الصالحي الوراق» ـ ابن حجر. انباء الغمر، وفيات سنة ٨٠٣ هـ./١٤٠١ م.)، المجمع المؤسس في مواضع متفرقة، الدرر الكامنة ص ٢/١٤٧ ـ و «أبا الخير البقاعي الدمشقي» (ت ٨٠٦ هـ./١٤٠٤ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢١ ب.

و «أنس بن علي بن محمد بن أحمد بن سعيد بن سالم الأنصاري» (ت ٨٠٧ هـ./١٤٠٥ م.) ـ نفسه ق ٢٢١ ب ـ ٢٢٢ أ.

و «عبدالرحمن بن يوسف بن أحمد الكفيري، زين الدين الدمشقي» (ت ٨٠٩ =

« الزعفران »[1] أو « النيرب »[2] .. واستطاع بذلك أن يصل للكثير من الكتب الكبار والأجزاء الصغار وغيرها مما كان قد انقطع من مدد متطاولة واحتيج في وصله للقراءة بتوالي ثلاث اجازات أو أكثر.[3]

كما حصل جملة مستكثرة من الكتب، منها ما يكون في مجلدة ضخمة أو أكثر ومنها ما يكون في مجلدة لطيفة[4] ـ حتى لقد قاربت مجتمعة حوالي ألف

= هـ./١٤٠٧ م.) ـ نفسه ق ٢٣٧ أ.

و « عائشة بنت محمد بن عبدالهادي الصالحية » (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.) ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٢٥/٣ تر ١٦، السخاوي. اضوء اللامع ص ١٢/٨١.

و « عبدالقادر بن محمد بن ابراهيم بن عبدالله بن ابراهيم بن يوسف الأرموي » (ت ٨٢٤ هـ./١٤٢١ م.) ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٢٦٠/٣ تر ١٠، السخاوي. الضوء اللامع ص ٤/٢٦١.

(١) لقي بها:
« أحمد بن اسماعيل بن خليفة الحسباني ثم الدمشقي، شهاب الدين » (ت ٨١٥ هـ./١٤١٣ م.) ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٥٢٣/٢ تر ٣ السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٣٧ ـ ١/٢٣٩.

(٢) النيرب: بالفتح ثم السكون وفتح الراء، وباء موحدة ـ قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين ـ ياقوت. معجم البلدان ص ٥/٣٣٠.
لقب بها: « ابن الكفري » (ت ٨٠٣ هـ./١٤٠١ م.) ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ١٦٩/٢ تر ٥٥، السخاوي. الضوء اللامع ص ٥/٢٦٦.
و « أنس بن علي بن محمد بن أحمد بن سعيد بن سالم الأنصاري » (ت ٨٠٧ هـ./١٤٠٥ م.) ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٣٠٠/٢ تر ٣.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣١ أ.

(٤) حيث حصل ثلاث مجلدات من المعجم الأوسط للطبراني، والصغير بتمامه في مجلد، ومن الدعاء له مجلد، والمعرفة لابن مندة أربعة مجلدات، والسنن للدارقطني في إثنتين، ومسند مسدد، والموطأ لأبي مصعب ـ كل واحد منهما في مجلد ـ ومن صحيح ابن خزيمة، وابن حبان مجلد، ومن المختارة للعقيلي خمسة، ومن الاستيعاب لابن عبدالبر واحد، والطهور لأبي عبيد، والذكر لجعفر العرباني، وفضائل الأوقات للبيهقي، والايمان لابن مندة، ومكارم الأخلاق للخرائطي ـ كل واحد في مجلد ـ ومسند الدارمي ـ مجلد ـ وقطعة من مساوىء الأخلاق للخرائطي، والخراج ليحيى بن آدم، ومشيخه الباغيان، والشمائل للترمذي، والأدب للبيهقي وعلوم الحديث للحاكم، والارشاد للخليلي، وحديث قتيبة =

جزء حديثي.[1]

وساعده على ذلك أمور ـ قل أن تجتمع في غيره ـ اشار السخاوي اليها، وهي:

* ذكاؤه الوقاد، ومعرفته بالانتقاء والاستيعاب[2].
* سرعة القراءة مع حسنها[3].
* سرعة الكتابة مع شغل الوقت بغيرها، حيث لم يمنعه فهم ما يسمعه مما لا يدخل في موضوعها عن ممارستها معه[4].
* اعانة رفقته له بالقراءة، والكتابة، والعارية، والمذاكرة، والتنبيه على السلامة[5].
* صرف همته الى المطالعة، والقراءة، والسماع، والتصنيف، والافادة والعبادة، بحيث لم يكن يخلي لحظة من أوقاته من شيء من ذلك، حتى في حال أكله وتوجهه وهو سالك[6].

= للعيار واختلاف الحديث لابن قتيبة، وأدب الحكماء، وذم الكلام للهروي، والسنن للشافعي ـ رواية ابن عبدالحكم ـ وغرائب شعبة لابن مندة ـ كل واحد في مجلد، ومن مشيخة مسعود الثقفي مجلد، ومن مسند أبي يعلى الموصلي مجلد، والكنجروديات في نسختين مجلد.. نحو الثلاثين مجلداً ضخمة تكون نحو أربعمائة وخمسين جزءاً خارجاً عن الأجزاء الحديثية وهي تزيد على هذا القدر.. كما علق لي غضون هذه المدة بخطه من الأجزاء الحديثية، والفوائد النثرية، والسمات التي يلحقها في تصانيفه ونحوها ثمانية مجلدات فأكثر، وطرف كتاب المختارة لابن عبدالواحد المقدسي في مجلد ضخم. ـ ابن حجر. المعجم المفهرس، مخط. دار الكتب رقن ٨٢ مصطلح ـ وفيه اسناداته لما، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢.

(١) الجواهر والدرر ق ٣٢ أ.
(٢) نفسه ق ٣٤، ٤٠ ب.
(٣) نفسه ق ٣٢ أ ـ حيث يذكر أمثلة لذلك.
(٤) نفسه ق ٣٤ ـ حيث يذكر أمثلة لذلك.
(٥) نفسه ق ٣٤ ب.
(٦) نفسه ق ٣٥ ب.

* تفرس الشيوخ فيه النجابة وحثهم له على الاشتغال وانقيادهم له، وكانوا قبل عسرى التحديث[1].

مما جعله يستحوذ على السبق بين علماء عصره ومحدثيه الذين شهدوا له بذلك وبالتقدم في فنونه الى أعلى رتبة..[2]

(٦) حلب

كان «ابن حجر» ـ وهو بدمشق ـ قد عزم على التوجه الى حلب للأخذ عن خاتمة المسندين بها «عمر بن أيدغمش» (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.)[3] فبلغه وفاته فتخلف عن التوجه اليها[4]. ثم قدر له ـ بعد ذلك ـ السفر اليها سنة ست وثلاثين وثمانمائة صحبة السلطان «الأشرف برسباي» (ت ٨٤١ هـ./١٤٣٨ م.) في السفرة الشمالية لدفع أذى التركمان المتغلبين على بلاد آمد وماردين.. وغيرها من البلاد الشمالية بعد الكائنة اللنكية[5] ـ وقد كثر افسادهم ونهبهم وقطعهم للطرق، وكان ابتداء السفر من الريدانية بعد صلاة الجمعة من يوم التاسع عشر من رجب ووصلوا الى الشام في النصف من شعبان[6] فنزل بالمدرسة العادلية الصغرى[7] حيث لم يخل سفره من

---

(١) نفسه ق ٣٥ أ ـ ٣٦ ب.

(٢) نفسه ق ٣٥ ب.

(٣) هو «عمر بن أيدغمش النصيبي الحلبي، ويعرف بالكبير» ـ ابن حجر. أنباء الغمر ص ٧٨ ـ ٢/٧٩، السخاوي. الضوء اللامع ص ٧٤ ـ ٦/٧٥.

(٤) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٧٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٧ أ.

(٥) حيث تغلب تيمورلنك والمغول على دمشق، وحلب سنة ٨٠٣ هـ./١٤٠١ م.

(٦) ابن حجر. انباء الغمر ص ٤٩٢ ـ ٣/٤٩٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٨ أ، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٩ ب ـ ويلاحظ أن «ابن حجر» قد أورد تقريرا مفصلا عن الرحلة في حوليتي: ست، وسبع وثلاثين وثمانمائة من كتابه «انباء الغمر».

(٧) كانت تقع داخل باب الفرج شرقي باب القلعة الشرقي قبلي الدماغية والعمادية ثم حرقت =

فائدة[١] فلقد سمع وكتب وهو بالطريق الى الشام - في بلبيس[٢] والصالحية[٣] وبيسان[٤] والخربة[٥] - الكثير عن رفقته من القضاة والشيوخ

= بعد ١٩١٠ م. ولم يبق منها سوى بعض جدرانها وكانت دارا لابن سونك (؟ ؟) حولتها « زهرة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب » مدفنا ومدرسة ومواضع للسكنى، شارطة للمدرسة مدرسا ومعيدا واماما ومؤدبا وقيما وعشرين فقيها، جاعلة لمصالحها ومصارفها أوقافا كثيرة. - ابن شداد. الأعلاق الخطيرة - تاريخ مدينة دمشق - ص ٣٤٣، النعيمي. الدارس ص ١/٣٦، أبو شامة. ذيل الروضتين ص ١٣٨، ٢١٢.

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٧ أ.

(٢) كتب بها حديثا دار في المناظرة بينه وبين « محمد بن أحمد بن عثمان ابن نعيم البساطي، شمس الدين » (ت ٨٤٢ هـ./١٤٣٩ م.) - له ترجمة في: المقريزي. السلوك ص ٤/١٥٠، ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٧ أ، انباء الغمر ص ٨٢ - ٩/٨٥، ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ص ١٥/٤٦٦، السخاوي. الضوء اللامع ص ٥ - ٧/٨، الذيل على رفع الاصر ص ٢٢٠ - ٢٣٨، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٢٤٥ - ٧/٢٤٦.

(٣) كتب بها حكاية عن نائبه قاضي المنصورة « محمد بن أحمد بن كميل بن عوض بن راشد بن عمر بن الشمس المنصوري الشافعي » (ت ٨٤٨ هـ./١٤٤٥ م.) - له ترجمة في: بن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٨ أ، انباء الغمر ص ٢٣٠ - ٩/٢٣١، السخاوي. التبر المسبوك ص ١١٠ - ١١٢، الضوء اللامع ص ٢٨ - ٧/٣٠، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/٣٢٦.

(٤) بيسان: بالفتح ثم السكون وسين مهملة ونون - مدينة بين حوران وفلسطين - ياقوت. معجم البلدان ص ١/٥٢٧.

أخذ بها حديثا من سنن أبي داود بسند بغدادي الى الخطيب وبعضا من خصائص الترك عن « أحمد بن نصرالله بن أحمد بن عثمان بن محمد بن عمر البغدادي التستري الحنبلي، محب الدين » (ت ٨٤٥ هـ./١٤٤٢ م.) - له ترجمة في: المقريزي. السلوك ص ١٢٣١ - ٤/١٢٣٢، ابن حجر. انباء الغمر ص ٢٣٩ - ٩/٢٤١، المجمع المؤسس ق ٢١٩ ب، ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ص ٤٨٣ - ١٥/٤٨٤، السخاوي الضوء اللامع ص ٢٣٣ - ٢/٢٣٩، الذيل على رفع الاصر ص ١٠٩ - ١٢٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٢٥٠ - ٧/٢٥١.

(٥) بالتحريك، أشار « ياقوت » الى أنها أرض مما يلي ضرية، سميت بذلك لأن « خربة بنت قنص بن معد بن عدنان أم بكر بنت ربيعة بن نزار » نزلته فسمي بها (كذا) - ياقوت. = معجم البلدان ص ٢/٣٥٥.

المرافقين للعسكر المصري - على جاري العادة في ذلك[1].

كما سمع - كذلك - حال مقامه بالشام غير واحد من الشيوخ والأدباء بدمشق[2] وحماه[3] وحمص[4] - الى أن كان يوم السبت الخامس من رمضان،

= أخذ بها حكاية عن القاضي «عزالدين بن عبدالعزيز بن علي بن العز الحنبلي» معزوة الى «ابن الديري» عن «البساطي» بشأن «ابن تيمية» - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٧.

(١) نفسه ق ٣٧ أ.

(٢) سمع بها علي «عائشة بنت ابراهيم بن خليل البعلبكية» أخت الشيخ جمال الدين الشرايحي (ت ٨٤٢ هـ./١٤٣٩ م.) مع أخيها - منتقي الذهبي من مشيخة الفخر بسماعها للمشيخة علي ابن أميلة، والمسلسل بالأولية بشرطها بسماعها علي ابن الصيرفي وابن المحب - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٧ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ٧٣/١٢، الجواهر والدرر ق ٣٨ ب.

(٣) لقى بها «أبا بكر بن علي بن علي بن عبدالله التقي الحموي الحنفي الأزدي» (ت ٨٣٧ هـ./١٤٣٤ م.) - له ترجمة في: المقريزي. السلوك ص ٩٢٣/٤، ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٣ أ، انباء الغمر ص ٢٥٢ - ٣/٢٥٣، ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ص ١٨٩ - ١٥/١٩٢، ابن الصيرفي. نزهة النفوس والأبدان ص ٢٣٥ - ٣/٢٣٦، السخاوي. الضوء اللامع ص ٥٣ - ١١/٥٦، الجواهر والدرر ق ٣٩ أ، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٢١٩ - ٧/٢٢٠ - وكان قد عمل البديعية على طريقة العز الموصلي وشرحها في ثلاثة مجلدات سمع «ابن حجر» منها أكثرها وكتب عنه، كما كتب هو عن «ابن حجر»، فلما توجه «ابن حجر» في هذه السفرة الى حلب سمع من نظم «ابن حجة» - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٩ أ، عبدالله بن زير جمان الدرر ق ٩ أ.

كما لقى بها: «علي بن يوسف بن مكتوم بن ثابت بن ربيع الشيباني الرحبي الد الشافعي» فكتب عنه جزءاً فيه عشرة أحاديث من عشرة الحداد وغيرها - السخا الجواهر والدرر ق ٣٩ أ، الضوء اللامع ص ٥٤ - ٦/٥٥.

ولقى بها - كذلك - «محمد بن أحمد بن أبي بكر بن محمد الطائي البياني الد الشافعي، ويعرف بابن الأشقر» (ت ٨٥٠ هـ./١٤٤٧ م.) فأخذ عنه حديثا من البـ - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٩ أ، الضوء اللامع ص ٢٩٩ - ٦/٣٠٠، التبر الـ

(٤) لقي بها «محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن القواس المخزومي الحمصي» وكتـ حديثين سمعها من شيخه «ابن زهرة» عن النبي ﷺ في المنام.. - السخاوي. والدرر ق ٣٩ أ، الضوء اللامع ص ٩/١٩٤.

وقد وصل الجمع الى حلب، فنزل علي «ابن خطيب الناصرية» (ت ٨٤٣ هـ./١٤٤٠ م.) قاضي حلب ـ آنذاك ـ مقيما بها خمسة عشر يوما [١] سمع أثناءها بحلب [٢] وظاهرها من القرى ـ كالبيرة [٣] وعينتاب [٤]

---

(١) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ق ١٠٧ أ/١، ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٤٩٥، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٩ أ.

(٢) سمع بها عشرة الحداد على «أحمد بن ابراهيم بن محمد بن عمر بن عبدالعزيز بن أبي جرادة العقيلي الحنفي، المعروف بابن العديم» (ت ٨٢٧ هـ./١٤٢٤ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٠٧ ب، السخاوي الضوء اللامع ص ٢٠١ ـ ١/٢٠٢، الجواهر والدرر ق ٣٩ أ.

كما سمع بها المسلسل بالأولية، ومشيخة ابن البخاري ـ تخريج ابن الظاهري ـ وقد احضرت له من دمشق لعدم توفرها ـ آنذاك ـ بحلب على «ابراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي، سبط ابن العجمي، برهان الدين المحدث، المعروف بالقف» (ت ٨٤١ هـ./١٤٣٨ م.) ـ ابن حجر المجمع المؤسس ق ١٩٩ أ ـ ٢٠٠ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٣٨ ـ ١/١٤٥، الجواهر والدرر ق ٣٩، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٢٣٧ ـ ٧/٢٣٨.

وسمع بها ـ كذلك ـ بعض عشرة الحداد على «علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي بن عثمان بن اسماعيل بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب، المعروف بابن خطيب الناصرية» (ت ٨٤٣ هـ./١٤٤٠ م.) ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ١١٥ ـ ٩/١١٦، المجمع المؤسس ق ٢٤١ ب ـ ٢٣٢ أ، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ص ٤٧٩ ـ ١٥/٤٨٠، السخاوي. الضوء اللامع ص ٣٠٣ ـ ٥/٣٠٧، الجواهر والدرر ق ٣٩ ب، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/٢٤٧.

(٣) لقى بها «كمال الدين محمد بن محمد بن ناصر الدين محمد بن البارزي» (ت ٨٥٦ هـ./١٤٥٦ م.) وسمع من لفظة قصيدة الأديب «شيخ علي» التي امتدح بها «البدر بن الشهاب محمود» ـ بسماعه لها من ناظمها ـ وما ناقضها به «ابن المنجم» ـ ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ص ١٣ ـ ١٦/١٨، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٣٦ ـ ٩/٢٣٩، الجواهر والدرر ق ٤٠ أ، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/٢٩٠.

(٤) سمع بها حديثا من مسند أحمد، وأخرين من صحيح مسلم على «محمود بن أحمد بن موسى ابن أحمد بن حسين بن يوسف، المعروف بالبدر العيني، والعينتابي» (ت ٨٥٥ هـ./١٤٥١ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٧١ ب، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ص ٨ ـ ١٦/١١، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٣١ ـ ١٠/١٣٥، ...

وزاوية خضر (١) وصرخد (٢) والسحلولية (٣) والباب وبزاعة (٤) وسرد (٥)

= التبر المسبوك ص ٣٧٥ - ٣٨٠، الجواهر والدرر ق ٤٠، الذيل على رفع الاصر ص ٤٢٨ - ٤٤٠، السيوطي. نظم العقيان ص ١٧٤، بغية الوعاة ص ٢٧٥ - ٢/٢٧٦ ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٢٨٦ - ٧/٢٨٨، وكان «ابن حجر» قد وصل اليها صحبة البدر العيني ليأكل ضيافته ببلده - ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٤٩٦.

(١) لقي بها:

«الشريف يحيى بن أحمد بن عمر بن يوسف بن عبدالله بن عبدالرحمن بن ابراهيم الحموي، المعروف بابن العطار» (ت ٨٥٣ هـ./١٤٥٠ م.) وكتب عنه من شعره، ومن شعر غيره، كما كتب هو عن «ابن حجر» - ابن حجر. المجمع المؤسس ٢٧٤، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ص ٥٤٤ - ١٥/٥٤٦، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢١٧ - ١٠/٢٦١، الجواهر والدرر ق ٤١ أ.

(٢) كتب بالقرب منها مناما رواه له «ابن العطار» - المذكور. السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٤١ أ.

(٣) سمع بالقرب منها جزءاً فيه منتقى الحارث، ومنتقى العلم لأبي حنيفة وأبياتا من الشعر للسراج البلقيني - على «ابراهيم بن علي بن ناصر برهان الدين الدمياطي الحلبي الشافعي» (ت ٨٤٧ هـ./١٤٤٤ م.) - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٤١ أ، الضوء اللامع ص ١/٩٩.

(٤) الباب: وتعرف بباب بزاعة، بليدة في طرف وادي بطنان من أعمال حلب بينها وبين منبج نحو ميلين والى حلب عشرة أميال - ابن شاهنشاه تقويم البلدان ص ٣٦٦، ياقوت معجم البلدان ص ١/٣٠٣، البغدادي مراصد الاطلاع ص ١/١٤٢.

وبزاعة: بالضم والكسر، والقصر، بليدة من أعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب، بينها وبين كل واحدة منها مرحلة. - ابن شاهنشاه تقويم البلدان ص ٣٦٦ - ٣٦٧، ياقوت. معجم البلدان ص ١/٤٠٩، البغدادي. مراصد الاطلاع ص ١/١٩٢. دائرة المعارف الاسلامية ص ٧/١٩٨.

صمع بها شيئا من أربعين القاضي المرداوي على «محمد بن أبي بكر ابن أحمد بن علي بن اسماعيل الحسني الحموي، المعروف بابن الرسام» (ت ٨٤٤ هـ./١٤٤١ م.) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٠٨ ب - ٢٠٩ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٤٩ - ١/٢٥٠، الجواهر والدرر ق ٤١ أ، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٢٥٢ - ٧/٢٥٣.

(٥) سمع بها حديثا من عشرة الحداد على «عمر بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عمر بن يوسف، المعروف بابن السفاح» (ت ٨٦٦ هـ./١٤٦٢ م.) - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٤١ أ، الضوء اللامع ص ٦٨ - ٦/٦٩.

ـ الكثير مما جمعه في تذكرته المسماة « جلب حلب » المحتوية على أربعة أجزاء حديثية [١] بالاضافة الى ما يزيد على المجلدين مما انتقاه أو لخصه هناك.. [٢] ثم عاد صحبة العسكر المصري الذي دخل القاهرة يوم العشرين من المحرم سنة سبع وثلاثين وثمانمائة [٣] وقد حدث هناك [٤] وعقد مجالس الاملاء بدمشق وحلب [٥] وخطب بالسلطان ـ في وداع السنة ـ [٦] بجامع بني أمية [٧] وصلى بالناس صلاة كسوف ـ بالجامع الكبير بحلب ـ فما سلم الا وقد انجلت الشمس وغربت [٨] كما نبه ـ أثناء مقامه هناك ـ على فساد ما بثه « الشمس الفرياني » [٩] من الأسانيد المركبة المختلقة، فرجع الكثيرون عن الرواية عنه.. [١٠]

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٧ ب.

(٢) من ذلك: منتقى شرح البخاري للحافظ البرهان الحلبي، ومنتقى تاريخ قزوين للرافعي ـ المسمي التدوين ـ ومنتقى زوائد الألغاز للغزي، وتلخيص ثبت البرهان الحلبي، وما علقه من تاريخ حلب ـ المسمى الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب ـ لابن خطيب الناصرية. ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٥، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٤١.

(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٥١٠.

(٤) روي لأهل الشام جزء أبي الجهم، وحدث بحلب بكتاب المحدث الفاضل بين الراوي والواعي للرامهرمزي، وقرىء عليه كتاب الأربعين لابن المجبر ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٤٠ أ.

(٥) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ق ١٠٧ أ وما بعدها، ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٤٩٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٨ ب، ٤٠ ب.

(٦) تقليد متبع، يشبه في أيامنا الاحتفال بمقدم عام هجري جديد « عيد رأس السنة الهجرية ».

(٧) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٤١ أ.

(٨) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٤٩٧.

(٩) هو « محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي القسم عبدالرحمن بن علي ابن الحسين اللخمي الفرياني ـ نسبة لفريانة احدى مدائن افريقية ».

(١٠) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢٢٦ ـ ٩/٢٨٨، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ص ١١٠٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٤١ ب، ٤٢ أ، الضوء اللامع ص ٦٧ ـ ٧/٧٠.

الفصل السابع

وظائفه

أولاً - الاملاء

الأملاء أعلى مراتب الرواية والسماع، وفيه أحسن وجوه التحمل وأقواها، لا يتصدى له إلا المحدث العارف.[1] ولذا نجده قد انقطعت مجالسه بعد «ابن الصلاح» (ت ٦٤٣ هـ./١٢٤٥ م.)[2] إلى أواخر أيام الحافظ «أبي الفضل العراقي» (ت ٨٠٦ هـ./١٤٠٤ م.) الذي افتتحها سنة خمسين وتسعين وسبعمائة مملياً إلى سنة وفاته أربعمائة مجلس وبضعة عشر مجلساً، ثم

---

(١) السيوطي. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ص ١٣٢ - ٢/١٣٣.

(٢) هو «تقي الدين أبو عمرو، عثمان بن عبدالرحمن بن موسى الكردي الشهرزوري الدمشقي»، له ترجمة في: أبي شامة. ذيل الروضتين ص ١٧٥ - ١٧٦، ابن خلكان. وفيات الأعيان ص ٢٤٣ - ٣/٢٤٤ تر ٤١١، أبي الفدا المختصر في أخبار البشر ص ٣/١٧٤، الذهبي. العبر ص ١٧٧ - ٥/١٧٨ تذكرة الحفاظ من ١٤٣٠ - ٤/١٤٣١، دول الاسلام ص ٢/١٤٩، اليافعي مرآة الجنان ص ١٠٨ - ٤/١٠٩، الأسنوي. طبقات الشافعية ص ١٣٣ - ٢/١٣٤ تر ٧٣٠، ابن كثير. البداية والنهاية ص ١٦٨ - ١٢/١٦٩، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ص ٦/٣٥٤، مجير الدين الحنبلي. الأنس الجليل ص ١٠٤ - ٢/١٠٥، النعيمي. الدارس ص ٢٠ - ١/٢١، الداودي. طبقات المفسرين ص ٣٧٧ - ١/٣٧٨ تر ٣٢٧، السيوطي طبقات الحفاظ ص ٤٩٩ - ٥٠٠ تر ١١٠٩، ابن هداية. طبقات الشافعية ص ٢٢٠ - ٢٢١، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٢٢١ - ٥/٢٢٢.

أملى « أبو زرعة » ـ ولده ـ (ت ٨٢٦ هـ./١٤٢٣ م.) إلى أن مات أكثر من ألف مجلس.[١] كما شرع الحافظ « ابن حجر » في عقد مجالس الأملاء ابتداء بسنة ثمان وثمانمائة، وانتهاء بسنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ـ وهي السنة التي توفي فيها ـ فزادات مجالسه على ألف مجلس.[٢] احتوتها بعض النسخ في عشر مجلدات.[٣]

ومجلس الاملاء لا يقع إلا في يوم واحد من الاسبوع[٤] تراوح لدى « ابن حجر » بين « الثلاثاء » و « الجمعة »[٥] ولا يتعين له إلا مستمل محصل يبلغ عن المملي اذا كثر الجمع على عادة الحفاظ[٦] ـ وهم لدى « ابن حجر » يزيدون على مائة وخمسين نفساً ـ[٧] وهو ما يفسر انتقاء جماعة من علية أصحابه للقيام بهذه المهمة، منهم: « الشهاب البوصيري »، و « العز البغدادي »، و « الكمال ابن التيمي »، و « الفخر بن درباس »، و « الزين العقبي »، و « الزين بن خضر العثماني »، و « النور المارديني » و « الشمس بن

---

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٠٠ أ، السيوطي. تدريب الراوي ص ٢/١٣٩.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١، الضوء اللامع ص ٢/٣٩، الذيل على رفع الاصر ص ٨٦، التبر المسبوك ص ٢٣٠، ابن طولون. القلائد الجوهرية ص ٤٥٥ ـ ٢/٤٥٦، السيوطي. تدريب الراوي ص ٢/١٣٩، حسن المحاضرة ص ١/٣٦٣، نظم العقيان ص ٥٠، طبقات الحفاظ ص ٤٨، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٨١.. ويلاحظ أن « ابن حجر » قد أشار في شعبان سنة تسع وأربعين وثمانمائة الى اقتراب مجالسه من الألف، ولم يكن ـ بعد ـ قد فرغ منها ـ قائلا:

يقول راجي اله الحق أحمد من ... أملى حديث نبي الحق متصلا
تدنو من الألف ان عدت مجالسه ... فالسدس منها بلا قيد لها حصلا

[من البسيط]

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ ب.

(٤) السيوطي. تدريب الراوي ص ٢/١٣٩.

(٥) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٣٢٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ أ.

(٦) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١، السيوطي. تدريب الراوي ص ٢/١٣٣.

(٧) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٢ أ.

قمر».. وغيرهم. وكثيراً ما كان يسعى من دونهم في ذلك فلا يجابون.[١]

وقد يكون محل عقد مجلس الاملاء في بيت المملي أو في غيره من المدارس والقاعات، ولذا اختار «ابن حجر» الأمالية أماكن متعددة هي «الشيخونية»[٢] و «البيبرسية»[٣]، و «الجمالية المستجدة»[٤] برحبة العيد[٥]

---

(١) ابن حجر. أنباء الغمر ص ٣/٣٢٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ ب، ١٥٢ أ.

(٢) هي خانقاة شيخو، أنشأها الأمير الكبير «سيف الدين شيخو العمري» سنة ست وخمسين وسبعمائة، ورتب فيها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة: الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية، ودرسا للحديث النبوي وآخر لاقراء القرآن بالروايات السبع، وجعل لكل درس مدرسا وعنده جماعة من الطلبة، وشرط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف - المقريزي. الخطط ص ٢/٤٢١، ابن تغري بردي. مورد اللطافة ق ١١٨، ومن أمالي «ابن حجر» فيها: «الامتاع بالأربعين المتباينة - بشرط السماع من حديثه على شيوخه، وعشاريات الصحابة المسماة بالاصابة» - البقاعي عنوان الزمان ق ١/٣٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ أ.

(٣) هي خانقاة «ركن الدين بيبرس الجاشنكير» بناها قبل أن يلي السلطنة سنة ست وسبعمائة للهجرة، واكتملت في السنة التالية لها. المقريزي. الخطط ص ٤١٦ - ٢/٤١٨، وكان من أمالي «ابن حجر» فيها بعض عشاريات الصحابة، وتخريج الأحاديث والآثار الواقعة في مختصر ابن الحاجب الأصلي، وتخريج أحاديث الاذكار للنووي، كما كانت محلا لمجالس أماليه المطلقة - البقاعي. عنوان الزمان ق ١/٣٨، السخاوي الجواهر والدرر ق ١٥١ - وكان شروعه في الاملاء بها أول صفر سنة سبع وعشرين وثمانمائة - ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٣٢٤.

(٤) أنشأها «جمال الدين يوسف ألبيري» - استادار السلطان الناصر فرج بن برقوق - بالقاهرة - برحبة العيد، واكتمل نظامها في ثالث رجب سنة احدى عشرة وثمانمائة، حيث رتب فيها مدرسين على المذاهب الأربعة، ودرس تفسير، ودرس حديث، وكان بيد «ابن حجر» درس الحديث بها - ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٣٩٩ - فكانت محلا لبعض أماليه من عشاريات الصحابة - المقريزي. الخطط ص ٤٠١ - ٢/٤٠٣، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ أ - وتعرف الآن بزاوية الجمالي وموقعها بين حارة القرافة وقصر التوبة بالجمالية - الذيل على رفع الاصر ص ٤٩١.

(٥) الرحبة - باسكان الحاء وفتحها - الموضع الواسع، ورحبة العيد كانت عظيمة في الطول والعرض، غاية في الاتساع، يقف فيها العساكر: فارسها وراجلها في أيام مواكب الأعياد ينتظرون ركوب الخليفة وخروجه فيذهبون في خدمته لصلاة العيد بالمصلي، ثم يعودون الى =

و « المدرسة المنكوتمرية »[١] المجاورة لمنزله، و « دار الحديث الكاملية »[٢]، ومنزله على شاطىء النيل بمصر.[٣]

كما لم تقتصر أماليه على « القاهرة » و « مصر » وحدهما، وإنما امتد بها إلى « دمشق » و « حلب ».[٤]

وقد يكون الاملاء من كتاب يقرأ فيه المملي أو من حفظه[٥] وهو لدى « ابن حجر » كان مخرجاً كله من حفظه مهذباً محرراً متقناً.[٦] فكان منه ما

= أن يدخل الى قصره ولم تزل هذه الرحبة خالية من البناء الى ما بعد الستمائة من الهجرة حيث اختط فيها الناس وعمروها فصارت خطة كبيرة من أجل الخطط بالقاهرة وبقي اسم « رحبة باب العيد » باقيا عليها لا تعرف الا به ـ المقريزي. الخطط ص ٢/٤٧.

(١) بناها الأمير « سيف الدين منكوتمر الحسامي » نائب السلطنة بمصر بجوار داره الواقعة بحارة بهاء الدين من القاهرة فاكتملت في صفر سنة ثمان وتسعين وستمائة، وعمل بها درسا للمالكية، وآخر للحنفية، وجعل فيها خزانة كتب، وأوقف عليها أوقافا بالشام وغيرها ـ المقريزي. الخطط ص ٣٨٧ ـ ٢/٣٨٨ ـ وكانت محلا لبعض أمالي « ابن حجر » من عشاريات الصحابة ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ أ ـ وكانت تقع بأول شارع بين السيارج من جهة شارع المعز لدين الله، لكن ازيل ما كان باقيا منها ـ الذيل على رفع الاصر ص ٤٩٥.

(٢) أنشأها السلطان الملك الكامل « ناصر الدين محمد » بن الملك العادل « أبي بكر بن أيوب » سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وهي ثاني دار عملت للحديث، وقفها على المشتغلين بالحديث النبوي، ثم من بعدهم على فقهاء الشافعية ـ المقريزي. الخطط ٣٧٥ ـ ٢/٣٧٨ ـ وكانت محلا لبعض مجالس املاء تخريج أحاديث الاذكار للنووي ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ ب.

(٣) عقد فيه بعض أماليه من « الامتاع بالأربعين المتباينة » ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ أ.

(٤) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ق ١٠٧ ب، ١٠٨ أ/١، ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٤٩٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٨ أ، ١٥١ أ.

(٥) ابن الصلاح. مقدمة ابن الصلاح، ومحاسن الاصطلاح ص ٢٤٥، ابن حجر. تهذيب التهذيب ص ١١/٢٨٤، السيوطي. تدريب الراوي ص ٢/١٣٩.

(٦) ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٣٥، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ ب، الذيل على رفع الاصر ص ٤٦، الضوء اللامع ص ٢/٢٩.

هو مقيد بكتاب لا يتعداه الى غير موضوعه، كما كان له مجالس مطلقة لم يتقيد فيها بكتاب، حيث يكون حرصه في الغالب الأعم على المناسبات في الأزمان والوقائع [١] وهذه وتلك تكون كثيرة النفع لاحتوائها على الكثير من الفوائد الحديثية من أبحاث وفوائد مهمة ونكت نفيسة، مع تحري علو السند، وقصر المتن، والتعريف بالمروى عنهم من الشيوخ وغيرهم، والمستفاد من الحديث، والتنبيه على صحته، وما فيه من علو وفائدة: وضبط مشكل، ومراعاة لما يحتمله العقل والفهم من حاضر مجالسه. [٢]

على أن هذه المجالس ـ غالبا ـ ما كانت تستفتح بقراءة قارىء حسن الصوت [٣] لسورة الأعلى [٤] والصلاة على رسول الله ﷺ والدعاء له وللحاضرين والأئمة الماضين [٥]. وتختم ـ خاصة في المجالس المطلقة ـ بانشادات من نظمه [٦] أو ببعض الحكايات والنوادر والانشادات التي القصد منها ترويح القلوب ابتغاء لطرف الحكمة [٧]. فاذا ما نجز مجلس الاملاء وقد تحرر في كراسة قوبلت على الأصل الذي حرره، قصدا للغاية في الاتقان [٨].

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ أ، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٦٩ ب.
(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ ب، السيوطي. تدريب الراوي ص ١٣٧ - ٢/١٣٨.
(٣) السيوطي. تدريب الراوي ص ٢/١٣٥.
(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ ب، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٦٩ أ.
ويشير «السخاوي» الى أن «ابن حجر» قد استفسر منه عن خصوصية سورة الأعلى دون غيرها، فقال: «قد تبعت في ذلك شيخنا العراقي وفيها من المناسبة قوله: (سنقرئك فلا تنسى)، وقوله: (فذكر) وقوله: (صحف ابراهيم وموسى)..»
(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ ب، السيوطي. تدريب الراوي ص ٧/١٣٥.
(٦) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ق ١٠٨ أ/١، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ ب، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٦٩ أ.
(٧) السيوطي. تدريب الراوي ص ٢/١٣٨.
(٨) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ ب، السيوطي. تدريب الراوي ص ٢/١٣٩.

ثانياً - التدريس

حث الاسلام على العلم والتعلم[١] وغدت وظيفة التدريس فيه من الوظائف السنية[٢] التي يتمتع مزاولها بمكانة عظيمة في النفوس، حتى لقد تواترت الأخبار عن «أبي الأسود الدؤلي» بقوله: «ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك»[٣].

ولقد كان هذا مدركا لدى القائمين على أمر مصر، وأهلها - بحيث نهضت مصر برسالتها في نشر العلم واحتضان أهله، فكانت بمدنها الكبرى من الاسكندرية شمالاً حتى قوص جنوبا محطا لكثير من العلماء مشارقة ومغاربة على حد سواء[٤]. بما يتحملون من العلم، أو يحملون من مادته. خاصة بعد سقوط بغداد (٦٥٦ هـ./١٢٥٨ م.) واتلاف التتار للكتب والمكتبات. فظهرت مصر قلعة للاسلام، ومنارة لنشر ثقافته، وهو ما يفهم من قول «ابن خلدون»: «.. ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر»[٥] وقوله: «.. ونفقت بها - أي بمصر - أسواق العلوم، وزخرت بحارها»[٦]. بحيث استكثر السلاطين، والملوك والأمراء، والصلحاء، والعلماء.. بها من المدارس، والزوايا، والربط، ووقفوا عليها الأوقاف

(١) ابن جماعة. تذكرة السامع والمتكلم في أدب والمتعلم - الباب الأول: في فضل العلم والعلماء وفضل تعليمه وتعلمه ص ٥ - ١٥.
(٢) السيوطي. نظم العقيان ص ٤٦.
(٣) ابن جماعة. تذكرة السامع والمتكلم ص ١٠.
(٤) ابن خلدون. المقدمة ص ٤٣٥، د. محمد زغلول. الأدب في العصر المملوكي ص ١/١٠٧.
(٥) ابن خلدون. المقدمة ص ٤٣٤.
(٦) نفسه ص ٤٣٥.

المغلة[1]. فكان من المدارس ما ملأ الأخطاط وشحنها[2]. سواء تلك الموقوفة على تدريس بعض العلوم التي لا يجوز أن تكون محلا لتدريس غيرها[3] أم تلك التي تجمع بين تداريس مختلفة.. كما لم تكن المدارس وحدها وقفا على العلم والتعلم، بل لقد تعداها التدريس الى القباب والجوامع.

وكان للمدرس شروطه في المدرسة التي يجعلها محلا لتدريسه[4]، كما كان للمدرسة شروطها في المدرس الذي لم يكن يختار الا من مشاهير المعلمين المعتبرين[5] الذين يجب أن تتوفر فيهم شروط معينة[6] بحيث لا يقبل عليه الطلبة ما لم يكن محلا لهذه الشروط وأهلا لها[7]. وهذا يفسر لنا حصر «ابن حجر» وعنايته بتحصيل أكبر قدر من الاجازات العلمية من جلة علماء عصره[8]. ناهيك عن كثرة طلبته «بحيث كان رؤوس العلماء من كل مذهب تلامذته، ولم يجتمع عند أحد مجموعهم»[9]. ويفسر لنا ـ كذلك ـ اختصاصه

---

(١) نفسه ص ٤٣٥، د. محمد محمد أمين. الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ـ الفصل الخامس: الأوقاف والحياة الثقافية ص ٢٣٢ وما بعدها.

(٢) القلقشندي. صبح الأعشى في صناعة الانشا ص ٣/٣٦٤.

(٣) ابن جماعة. تذكرة السامع والمتكلم ص ٣٧.

(٤) كأن ينتخب لنفسه ـ بقدر الامكان ـ ما كان واقفه أقرب الى الورع وأبعد عن البدع، بحيث يغلب على ظنه أن المدرسة ووقفها من جهة حلال، وأن معلومها ان تناوله من طيب المال..ـ ابن جماعة. المصدر السابق ص ١٩٣ ـ ١٩٦.

(٥) نفسه ص ١٩٨ ـ ٢٠١، ابن خلدون. المقدمة ص ٤٣٠.

(٦) اختلفت هذه الشروط تبعا لاختلاف الواقف ـ د. محمد محمد أمين. الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ص ٢٤٣ وما بعدها. أما بشأن الالتزام بشرط الواقف فيمكن مراجعة: ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٥٣٨.

(٧) يشير «ابن جماعة» الى أنه ينبغي على الطالب أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه وليكن ـ ان أمكن ـ ممن كملت أهليته، وتحققت شفقته، وظهرت مروءته وعرفت عفته، واشتهرت صيانته، وكان أحسن تعليما وأجود تفهما..ـ تذكرة السامع والمتعلم ص ٨٥.

(٨) راجع الفصلين: الخامس والسادس من هذا الباب.

(٩) السخاوي. الذيل على رفع الاصر ص ٨٦.

بالتدريس في أماكن متعددة كانت محلا لتداريس في علوم شرعية منها: « التفسير » بالمدرسة الحسنية [1]، والقبة المنصورية [2]، و « الحديث » بالشيخونية [3]، وقبة الخانقاة البيبرسية [4]، والجمالية المستجدة [5]، وجامع

(١) وتعرف بجامع « الملك الناصر حسن »، وكانت تقع تجاه قلعة الجبل فيما بين القلعة وبركة الفيل، ابتدأ السلطان ـ المذكور ـ بعمارتها سنة سبع وخمسين وسبعمائة، وأقامت العمارة فيها مدة ثلاث سنوات لا تبطل يوما واحدا، وكان المصروف عليها في كل يوم عشرين ألف درهم، وأشار المقريزي الى أنه: لا يعرف في الاسلام معبد من معابد المسلمين يحاكيها ـ الخطط ص ٢/٣١٦، ابن تغري بردي. مورد اللطافة ق ١١٨، السيوطي. حسن المحاضرة ص ٢٦٩ ـ ٢/٢٧٠، ناجي معروف. تاريخ علماء المستنصرية ص ١/٣١ ـ وكان ابتداء تدريس « ابن حجر » بها سنة تسع وعشرين وثمانمائة من أجل أنه اطلع على كتاب وقفها فوجد فيه مدرسا للتفسير وآخر للحديث، ولم يجد بها أحدا، بل كانا شاغرين من عهد الواقف، فعندما علم ذلك التمس من الناظرين عليها تقريره في التفسير وتقرير ولده في الحديث، وأن يأذنا لولده في الاستنابة، ففوضا اليهما ذلك. فباشر كلتا الوظيفتين، الأولى بطريق الأصالة، والأخرى نيابة عن ولده، الى أن رغب عن التفسير لبعض جماعته « الزين السندبيسي » ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٢ ب.

(٢) أنشأها الملك « المنصور قلاوون الألفي الصالحي » تجاه المدرسة المنصورية، وأشار « المقريزي » الى أنها من أعظم المباني الملوكية وأجلها والى أنه كان قد ترتب فيها دروس للفقهاء على المذاهب الأربعة تعرف بدرس الصالح ـ الخطط ص ٣/٢٨٠ ـ قام « ابن حجر » بالتدريس فيها بعد أن رغب له عنه « الشيخ شمس الدين البرماوي » بمال عوضه « النجم بن حجي » تبرعا عن « ابن حجر »، وذلك في سفر البرماوي لدمشق صحبة النجم المذكور واستمر بيده حتى مات ابن حجر. انباء الغمر ص ١/١٩٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٢ ب ـ ١٥٣ أ.

(٣) مر التعريف بها، وكان ابتداء تدريس « ابن حجر » بها في شوال سنة ثمان وثمانمائة ـ في الحديث والفقه ـ عوضا عن الشيخ « الشمس بن معبد المدني المالكي » بحكم نزوله عنه، وهي أول مكان ولي « ابن حجر » فيه تدريس الحديث. ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٣٢٤، البقاعي. عنوان الزمان ق ٣٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٣ أ.

(٤) مر التعريف بها، وكان ابتداء تدريسه بها بعد وفاة « النور الرشيدي » سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، بعد ولاية « ابن حجر » لمشيخة الصوفية ونظرها بيسير، وأناب عنه فيها « البرهان بن خضر »، ومن بعده « الشمس ابن حيان » ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٤٧٣، البقاعي. عنوان الزمان ق ١/٣٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٤ أ.

(٥) مر التعريف بها. ولاه تدريس الحديث بها أول ما فتحت واقفها « جمال الدين يوسف =

طولون[1] ، والقبة المنصورية[2] . ومشيخة الحديث بالمدرسة الزينية[3] ، ومشيخة اسماع الحديث بالمحمودية[4] ، و « الفقه » بالشيخونية[5] والشريفية

= ألبيري » (ت ٨١٢ هـ./١٤١٠ م.) في رجب سنة احدى عشرة وثمانمائة فاستقر يدرس بها الى أن نزل عنها ـ عن الوظيفة ـ لبعض جماعته « ابن خلف الله الشمني » سنة تسع عشرة وثمانمائة لتشاغله عنها بدرس الفقه بالشيخونية ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٣٩٩ ، ٤٤٥ ـ ٢/٤٤٨ ، ٣/١٨٥ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٤ أ.

(١) ابتدأ بناءه الأمير « أبو العباس أحمد بن طولون » بعد بناء القطائع سنة ثلاث وستين ومائتين ، وفرغ منه سنة ست وستين ومائتين للهجرة وبلغت النفقة فيه مائة ألف دينار ، وعشرين ألف دينار ، وجددت فيه أماكن في دولة المماليك ـ المقريزي. الخطط ص ٢٦٥ ـ ٢/٢٦٩ ، السيوطي. حسن المحاضرة ص ٢٤٦ ـ ٢/٢٥٠ ـ وولي « ابن حجر » التدريس به عوضا عن « التقي علي » حفيد « ابن العراقي » بحكم وفاته ـ سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ـ وكان كتب له تفويضا به بعد وفاة جده في ذي القعدة سنة ست وعشرين وثمانمائة ، واستمر بيده حتى مات ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٤ ب ـ وان خرج عنه نظره للقاضي « علم الدين البلقيني » (ت ٨٦٨ هـ./١٤٦٤ م.) وكذا نظر الناصرية ليسكت عن طلب العود للقضاء والسعي فيه ففوض « ابن حجر » له ذلك راضيا ، وأخذ توقيعا سلطانيا ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٤٧٤ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٤ أ ، الذيل على رفع الاصر ص ٨١ ـ ٨٢.

(٢) مر التعريف بها. تولى « ابن حجر » التدريس بها عوضا عن « صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود بن العجمي » ، ثم رغب عنه « للبدر ابن الأمانة » ، وذلك حين رغب عن درس الفقه بالشيخونية ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ١/١٩٦ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٤ ب.

(٣) ولي الحديث بها بعد الفراغ من عمارتها في رجب سنة احدى وخمسين وثمانمائة ـ قبل موته بيسير ـ بالتماس الواقف وغيره من حاشيته قصدا لحصول التجمل بابن حجر. فلما توفي لم يقرر صاحبها فيها أحداً ، قائلا : « انما فعلت ذلك لأتشرف به » ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٤ ب.

(٤) كانت تقع بخط الموازنيين خارج باب زويلة تجاه دار القردمية ، وأنشأها الأمير « جمال الدين محمود بن علي الاستادار » سنة سبع وتسعين وسبعمائة للهجرة ، ورتب بها دروسا ، وعمل فيها خزائن كتب أشار المقريزي اليها بقوله : « .. ولا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها ، وهي باقية الى اليوم لا يخرج لأحد منها كتاب الا أن يكون في المدرسة ، وبهذه الخزانة كتب الاسلام من كل فن » ـ ابن الفرات. التاريخ ص ٩/٤٧٧ جـ ٢ ، المقريزي. الخطط ص ٢/٣٩٥ ، السلوك ص ٣/٨٨٥ ـ وتقع الآن بقصبة رضوان بأول شارع الخيمة ما بين عطفة زقاق المسك وجامع محمود الكردي ـ الذيل على رفع الاصر ص ٤٩٤ ـ وولي « ابن =

= حجر» بها في ربيع الأول سنة تسع وثمانمائة التدريس بعد وفاة «البدر الطنبدي» وكان يستخلف فيها من اختاره من طلبته ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٤ ب.

(١) مر التعريف بها، رغب له عنها ـ بمال ـ الشيخ «النور اللواتي الأبياري» (ت ٨١٤ هـ./١٤١٢ م.) سنة احدى عشرة وثمانمائة بعد أن استقر فيها، ودرس بها يوما واحدا، فلما أصبح «ابن حجر» قاضيا نزل عنها سنة سبع وعشرين وثمانمائة ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ٢٤٠ ب، انباء الغمر ص ٢/٥٠٠، السخاوي. الضوء اللامع ص ٥/٢٣٠، الجواهر والدرر ق ١٥٥ ب.

(٢) كانت تقع بالقاهرة بدرب كركامة على رأس حارة الجودرية، وتنسب الى واقفها الأمير الكبير الشريف «فخرالدين أبي نصر اسماعيل بن ثعلب» أمير الحج والزائرين في الدولة الأيوبية، وتمت عمارتها سنة اثنتي عشرة وستمائة وهي من مدارس الفقهاء الشافعية ـ المقريزي. الخطط ص ٢/٣٧٣، ابن حجر. انباء الغمر ص ٢٣٢ ـ ٩/٢٣٣ ـ وتعرف الآن بزاوية «ابن العربي» على رأس حارة الجودرية بالقرب من سوق النحاسين ـ الذيل على رفع الاصر ص ٤٩٢ ـ وولي «ابن حجر» تدريس الفقه بها سنة ثمان وثمانمائة عوضا عن «الزين حرمي»، ثم رغب عنها فيما بعد «للنور القمني» ـ السخاوي الجواهر والدرر ق ١٥٥ ب.

(٣) ثم رغب عنها «لابن الأمانة» ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٥ ب.

(٤) وتعرف بالجامع المؤيدي، نسبة الى السلطان الملك «المؤيد شيخ المحمودي»، ابتدأ الحفر في أساسها في رابع جمادي الآخرة، وفي خامس صفر سنة تسع عشرة وثمانمائة شرع في بناء هذه المدرسة، وفي ثالث جمادي الأول سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة استقر «ابن حجر» في تدريس الشافعية بها، وخلع عليه بحضرة السلطان، فدرس بالمحراب يوم الخميس ثالث عشرة وأقبل السلطان ليحضر عنده وهو في القاء الدرس ومنعه من القيام له، فلم يقم، واستمر فيما هو بصدده، وجلس السلطان عنده مليا ـ المقريزي. الخطط ص ٣٢٨ ـ ٢/٣٣٠، ابن حجر. انباء الغمر ص ٥٦ ـ ٣/٥٧، ٣/١٩٣، البقاعي. عنوان الزمان ق ١/٤٠، السيوطي. حسن المحاضرة ص ٢٧٢ ـ ٢/٢٧٣ ـ وهي معروفة الآن ـ بجامع المؤيد بجوار باب زويلة بالغورية ـ ويشير «ابن حجر» الى أنه في ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثمانمائة انهى الشيخ «شمس الدين الهرماوي» الى السلطان أن شرط المؤيد أن لا يكون المدرس بها قاضيا، وأعانه قوم آخرون، فانتزع تدريس الشافعي بالمؤيدية منه، فسعى «ابن حجر» الى أن أظهر كتاب الوقف وقد سكت عن الشرط المذكور فأعيد ذلك له، وعوض «الهرماوي» بأن ينوب عن حفيد العراقي في جهاته بثلث المعلوم، فباشر ذلك ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٣٢٥، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٥ ب. =

النجمية [١] والصلاحية المجاورة لقبة الامام الشافعي، ونظرها [٢].

= كانت تقع بظاهر مصر تجاه المقياس بجوار مرسى الجسر، وتنسب الى منشئها كبير الخرازبة «بدر الدين محمد بن محمد بن علي الخروبي»، فرغ من عمارتها بعد سنة خمسين وسبعمائة، وكان من شروط واقفها أن لا يلي بها أحد من العجم وظيفة من الوظائف ـ المقريزي. الخطط ص ٣٦٩ ـ ٢/٣٧٠ ـ وتعرف الآن بجامع القبوة بمصر القديمة ـ الذيل على رفع الاصر ص ٤٩١ ـ ولي ابن حجر التدريس بها في ثامن عشر رمضان سنة احدى وثلاثين وثمانمائة، برغبة «ابن أبي الحسن» له عنه، ثم نزل عنه فيما بعد ـ البقاعي. عنوان الزمان ق ١/٣٢، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٥ ب.

(١) كانت تقع بخط بين القصرين من القاهرة، وتنسب الى الملك الصالح نجم الدين أيوب، حيث ابتدأ البناء فيها في رابع عشر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة للهجرة، ورتب فيها دروسا أربعة للفقهاء سنة احدى وأربعين وستمائة للهجرة، ويكون بذلك أول من عمل بمصر دروسا أربعة في مكان واحد ـ المقريزي. الخطط ص ٢/٣٧٤، السيوطي. حسن المحاضرة ص ٢/٢٦٣، ناجي معروف. تاريخ علماء المستنصرية ص ١/٣٠ ـ وتعرف الآن بقبة الصالح، وتقع بشارع المعز لدين الله الفاطمي بحي النحاسين ـ الذيل على رفع الاصر ص ٤٩٢ ـ وكان ابتداء تدريس «ابن حجر» بها سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة عوضا عن حفيد الولي العراقي، ثم صار بعد ذلك مضافا لوظيفة القضاء، لكنه لما انفصل «ابن حجر» عن القضاء آخر مرة انتزع له تدريسها تطييبا لخاطره، وليس خلعة لذلك ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٦ أ.

(٢) وتعرف باسم «الناصرية» ـ كذلك ـ أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي بجوار قبة الامام الشافعي، ورتب بها عدة معيدين وطلبة ومدرسا لتدريس الفقه على مذهب الشافعي، وأوقف عليها الأوقاف ـ المقريزي. الخطط ص ٢/٤٠ ـ وأشار «السيوطي» الى أنه: «ينبغي أن يقال لها: تاج المدارس، وهي أعظم مدارس الدنيا على الاطلاق لشرفها بجوار الامام الشافعي، ولأن بانيها أعظم الملوك..» ـ السيوطي. حسن المحاضرة ص ٢/٢٥٧ ـ تلقاها «ابن حجر» عن «العلاء القلقشندي» فباشرها بحكم انفصاله عنها يوم الاثنين ثاني عشر رجب سنة ست وأربعين وثمانمائة، وتألم العلاء لذلك، ولما رجع «الونائي» من الشام منفصلا عن قضائها سعى في تدريسها لكونها وظيفة صهره «التلواني» فتركه «ابن حجر» له اختيارا في صفر سنة ثمان وأربعين وثمانمائة ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٦.

ثالثا ـ الافتاء

ولي «ابن حجر» افتاء دار العدل[١] سنة احدى عشرة وثمانمائة واستمرت هذه الوظيفة معه حتى مات[٢]. فكان الى فتاويه النهاية في الايجاز مع حصول الغرض، لا سيما في المسائل التي لا نقل فيها، فانه كان أحسن علماء عصره تصرفا وتخريجا على القوانين المحررة بالدلائل المعتبرة. وهو فقيه النفس[٣]. حيث كان يكتب منها في اليوم ـ غالبا ـ أكثر من ثلاثين فتيا[٤] وقل أن يمضي له يوم لا يكتب في المجلس الواحد على نحو عشرين فتيا[٥]. بل لقد توافرت له الكتابة على الفتيا وهو على راحلته مسافرا[٦]. أو وهو متشاغل بغيرها من الحديث..[٧] مما يشير الى تمكنه من مادتها. وقد سبقت الاشارة الى صرف همته الى الفقه بتوجيه أحد أساتذته وقد تفرس النجابة فيه[٨].

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٦ ب، الذيل على رفع الاصر ص ٨٥، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٦٩ ب.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٦ ب.

(٣) نفسه ق ١٦١ أ، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٧٠ ب.

(٤) نفسه.

(٥) البقاعي. عنوان الزمان ق ١/٥٤.

(٦) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦١ أ.

(٧) البقاعي. عنوان الزمان ق ١/٥٤.

(٨) حيث يشير السخاوي الى أن الامام «محب الدين بن الواحدي المالكي» كان قد رآه حثيثا على سماع الحديث وكتبه، فقال له: «اصرف بعض هذه الهمة الى الفقه فانني أرى بطريق الفراسة أن علماء هذا البلد سينقرضون وسيحتاج اليك، فلا تقصر بنفسك». ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٦ أ ـ ويعقب «ابن حجر» على ذلك قائلا: «.. فنفعتني كلمته، ولا أزال أترحم عليه بهذا السبب» ـ البقاعي. عنوان الزمان ق ٣٨، ١/٣٩.

وشربه لماء زمزم في تيسير أمر الفتاوى عليه[١]. واجازة أعلام عصره له بالفتيا[٢].

وعلى الرغم من كل هذا، وعلى الرغم من حرصه على ألا يحابي بالفتيا أحدا ولو عظم[٣] فانه قد انتقض بعض فتاويه، وعدد البعض الخطأ في بعضها على حين أقر «ابن حجر» نفسه ـ بذلك ـ في صدر مصنف له وقع في مجلدة جمع فيها مهم فتاويه سماه «عجب الدهر في فتاوي شهر»[٤] كما أن تلميذه «السخاوي» قد علل لذلك قائلا: «.. فمن يفتي في الشهر بأكثر من ثلاثمائة لا يستغرب اذا أخطأ منها في ثلاثة، بل في ثلاثين»[٥].

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦١ أ.

(٢) راجع الفصلين الخامس والسادس من هذا الباب.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦١ ب، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٧٠ ب ـ ومن ذلك ما أورده «ابن حجر» في انباء الغمر بشأن كتابة محضر بتكفير «قرأ يوسف» وولده واثباتها على القضاة، والطواف بها على المشايخ ليكتبوا في ظاهرها بتصويب الحكم المذكور، والزام السلطان وكاتب السر له بذلك، ومدافعته لهم، حيث لم يف بما عهد اليه ـ تقديما لحق الله تعالى ـ وعدم المحاباة في دينه ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٢٢٢، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦١ ب، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٧٠ ب ـ وكذا توقفه في الفتيا بالأذن «لشاه رخ» في كسوة الكعبة مشيرا الى أنه ان خشى منه الفتنة فيجاب دفعا للضرر ـ السخاوي الجواهر والدرر ق ١٦١ ب ـ ومخالفته و «البساطي» للقاضي «الجلال البلقيني» في احدى فتاويه ـ على الرغم من اختصاصه به، وقبوله الانابة عنه في القضاء ـ مما جعل «الجلال» يتغير، وان احتشم مع «ابن حجر» واستضعف جانب غيره ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢ أ.

(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦١ ب، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٧٠ ب ـ حيث أورد «ابن حجر» في صدر كتابه قوله: «أما بعد ـ فان من غلب عليه الحسن، ووقف على فتوى مخطىء وقع عند كاتبها ذهول عن تقييد ما يوهم الاطلاق فيه فشنع عليّ في ذلك، وبالغ مع أنه عند التأمل لا يخفي المراد، فلما بلغني ذلك حداني على تدوين ما يقع لي من الأسئلة في شهر واحد ليعذر من يقف عليها فيراها وصوابها أكبر من خطئها، فان الانسان طبع على النسيان، والسعيد من غلب صوابه على خطئه».

(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦١ أ.

ويبدو أن الفتاوى كانت ترد اليه من مواضع شتى، متضمنة موضوعات حديثية أو فقهية، نثرية وشعرية، وأن ردوده عليها كانت مناسبة لذات مادتها[1]. كما كان يرى منه العجب في معرفة مقاصد السائلين من عباراتهم المعجرفة وحروفهم المقلمة[2]. فان عمي عليه المراد، كتب تحت السؤال أو بجانبه: «يكتبها طالب علم»، وقد يعلم أن مذهبه ـ وهو الشافعي ـ لا يوافق غرض السائل فيرشده لمن عنده ما ينفعه، أو يطلع على تعنت السائل، فلا يكتب قصدا لردع من هذا سبيله، لكن ترك الكتابة مع ذلك في النادر[3].

وما من شك في أن تقلده لوظيفة الافتاء قد جعله يتصل اتصالا مباشرا بالكثير من أحداث عصره ويشارك في بعضها، فضلا عن احتكاكه ـ عن قرب ـ ببعض السلاطين وغيرهم من أرباب الدولة، ناهيك عن سائر طبقات مجتمعه مما انعكس على الكثير من كتاباته، خاصة التاريخي منها.

---

(١) المصدر السابق ق ٢٣٢ أ وما بعدها ـ الباب السادس في سياق شيء من بليغ كلامه نظما ونثرا.

(٢) نفسه ق ٢٣٢ أ وما بعدها.

(٣) نفسه ق ١٦٢ أ.

رابعا ـ القضاء

القضاء مرتبة شريفة، ومنزلة رفيعة، لا منزلة فوقها من المنازل، ولا رتبة أوفى منها اذا اجتمعت شرائطها [١] لأنه تلو النبوة [٢] يدخل المستقر فيه بين الخالق والمخلوقين ليقرر أوامره وأحكامه فيهم [٣] على اعتبار ما يسند اليه من مهام الفصل بين الخصوم واستيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين.. [٤] ولذا لا يجوز لأحد أن يتولاه حتى يكون عالما بالكتاب والسنة واجتهاد الرأي والنظر [٥] فاذا حصلت له هذه الصفة وهو عدل جاز له أن يتولاه مع سلطان عادل أو جائر وحكمه نافذ [٦]. ومع ذلك تندر السلامة منه [٧] مما جعل السلف الصالح يستحبون الامتناع من الدخول فيه [٨] استنادا الى تخويف بعض

---

(١) السمناني، أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد الرحبي. روضة القضاء وطريق النجاة ص ١/٥١.

(٢) ابن أبي الدم الحموي. كتاب أدب القضاة ص ٥.

(٣) ابن الأزرق. بدائع السلك في طبائع الملك ص ١/٢٤٩.

(٤) كالنظر في أموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السفه، وفي وصايا المسلمين وأوقافهم، وتزويج الأيامي عند فقد الأولياء على رأي من رآه، والنظر في مصالح الطرقات والأبنية، وتصفح الشهود والأمناء والنواب، واستيفاء العلم والخبرة فيهم بالعدالة والجرح ليحصل له الوثوق بهم.. ـ ابن خلدون. المقدمة ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٥) الخصاف. كتاب أدب القاضي ص ٢٩.

(٦) نفسه ص ٢٩ ـ ٣٠.

(٧) ابن الأزرق. بدائع السلك في طبائع الملك ص ١/٢٤٩.

(٨) كالأمام أبي حنيفة النعمان (ابن قتيبة. المعارف ص ٤٩٥، الصيمري أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص ٥٧ ـ ٥٨، الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد ص ٣٢٦ ـ ١٣/٣٢٩، ابن خلكان. وفيات الأعيان ص ٤٠٦ ـ ٥/٤٠٧، الذهبي. تذكرة الحفاظ ص ٢٦٨ ـ ١/٢٦٩، اليافعي. مرآة الجنان ص ١/٣١١، ابن كثير. البداية والنهاية ص ١٠/١٠٧، الغزي. الطبقات السنية في تراجم الحنفية ص ١١٩ ـ ١٢١، ابن العماد =

الآثار المروية عن النبي ﷺ [1] ولذا نجدنا مع « ابن حجر » وقد عرض عليه النيابة في القضاء - قبل القرن - يمتنع من القبول، لأنه - حينئذ - كان لا يؤثر على الاشتغال بعلم الحديث شيئا [2]. كما كان له فعله هذا سلف.

= الحنبلي. شذرات الذهب ص ١/٢٢٨..) وسفيان الثوري (ابن قتيبة. المعارف ص ٤٩٧، ابن خلكان. وفيات الأعيان ٢/٣٩٠، اليافعي. مرآة الجنان ص ١/٣٤٧ ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ١/٢٥٠) والشافعي (ابن أبي الدم الحموي. كتاب أدب القضاة ص ١٢)..

(١) كنحو قوله ﷺ: « يجاء بالقاضي يوم القيامة فيلقي من شدة الحساب ما يود لو لم يكن قضى بين اثنين »، وقوله: « ليس من وال الا ويؤتي به يوم القيامة حتى يقف بين يدي الله - تعالى - على الصراط ثم تنشر الملائكة سيرته فيقرأ على رؤوس الخلائق، فان كان عدلا نجاه الله بعمله، وان كان غير ذلك انتقض به السراط انتقاضة صار بين كل عضوين من أعضائه مسيرة مائة سنة، ثم ان الصراط ينخرق به فما يلقي قعر جهنم الا بوجهه وحر جنبه »، وقوله: « من جعل على القضاء فكأنما ذبح بغير سكين »، وقوله: « القضاة ثلاثة، قاضيين في النار وواحد في الجنة ».. - الخصاف. كتاب أدب القاضي ص ٣١، ابن أبي الدم الحموي. كتاب أدب القضاء ص ٩ - ١١.

(٢) حيث أشار « السخاوي » الى أن القاضي « صدر الدين محمد بن الشريف ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم المناوي » (ت ٨٠٣ هـ./١٤٠١ م.) - له ترجمة في: ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٩٢ ب - ١٩٣ أ، وابن حجر. انباء الغمر ص ١٨١ - ٢/١٨٢، والمجمع المؤسس ق ١٦٦ ب - ١٦٧ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٤٩ - ٦/٢٥٠، الذيل على رفع الاصر ص ٢٥٦ - ٢٥٧، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/٣٤ - قد عرض على « ابن حجر » النيابة عنه في القضاء - قبل القرن - فامتنع - الجواهر والدرر ق ١٦٢، الذيل على رفع الاصر ص ٨٠، الضوء اللامع ص ٣/٣٨، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٧٠ ب - كما كان هناك ما يشعر بأن « ابن حجر » كان قد عرض عليه النيابة في القضاء في كل من الأيام المؤيدية والظاهرية ططرية - السخاوي. الجواهر والدور ق ١٦٢ ب، الذيل على رفع الاصر ص ٨٠.

كما يشير « ابن حجر » الى أن « المؤيد شيخ » كان قد عرض عليه منصب القضاء مرارا فامتنع وأصر على الامتناع، فأراده على ذلك ورغبه فيه حتى صرح بأن للقاضي بدمشق في الشهر عشرة آلاف درهم فضة معاليم قضاء وأنظار اذا كان رجلا جيدا، فان كان غير ذلك كان ضعف ذلك فأصر على الامتناع وبالغ في الاستعفاء - انباء الغمر ص ٩٥ - ٣/٩٦ - وأن الناصر بن الأشرف ملك اليمن كان قد ترك قضاءها شاغرا بعد =

بيد أن موقف « ابن حجر » من القضاء بدأ يتغير حثيثا نتيجة لاسناد بعض المهام المتعلقة بالقضاء اليه، وهي:

أ ـ اسناد المؤيد شيخ اليه الحكم في قضية خاصة، وهي الفصل بين « الهروي » ـ قاضي القضاة الشافعية آنذاك ـ وبين خصومه من الخليليين والمقادسة، وذلك سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة[1].

ب ـ قبوله النيابة في القضاء عن القاضي « جلال الدين البلقيني » (ت ٨٢٤ هـ./١٤٢١ م.) في القضاء ـ وكان بينهما من الود ما اشتهر ـ بعد الحاح وتكرير سؤال من القاضي له في ذلك[2]. وان لم يباشر من الأحكام الا اليسير مما لا يستغني فيه عنه[3].

جـ ـ اجابته التماس القاضي « ولي الدين بن العراقي » (ت ٨٢٦ هـ./١٤٢٣ م.) في النيابة عنه، وكان قد استقر في القضاء بعد وفاة ابن البلقيني ـ دفعا منه لتوهم مزية للقاضي « جلال الدين » عليه[4].

د ـ على أن سؤال القاضي « علم الدين صالح بن البلقيني » (ت ٨٦٨ هـ./١٤٦٤ م.) له في تنفيذ مكتوب الخشابية، واجابة « ابن

= وفاة المجد الفيروز ابادي ـ مدة سنتين ـ ينتظر قومه عليه ليوليه اياه فلم يجبه الى ذلك ـ انباء الغمر ص ٣/١٧٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧٤ أ.

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٢ ب، ١٧٥ أ، الذيل على رفع الاصر ص ٨٠ ـ ويشير « ابن حجر » الى ذلك قائلا: « .. فلما كان في الثامن من شهر ربيع الأول قدم طائفة من الخليل والقدس صحبة الناظر عليهم.. فشكوا منه أنه أخذ منهم مالا عظيما في أيام نظره، فابتليت بالحكم بينهم بأمر السلطان، فتوجه الحكم على الهروي فخرج في الترسيم... » ـ انباء الغمر ص ٣/١٩٠.

(٢) السخاوي. الجواهروالدرر ق ١٦٢ ب، الذيل على رفع الاصر ص ٨٠، الضوء اللامع ص ٢/٣٨، عبدالله بن زين. جان الدرر ص ٧٠ ب.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢ ب.

(٤) نفسه.

حجر » له كان سببا مباشرا في ولوج « ابن حجر » الى القضاء ، وقد تغير موقفه كلية منه ، لأنه وجد في هذا الموقف من الاستفزاز ما دفعـه الى التلبس بالقضاء على أعتبار أنه كان قد استشير في ولاية « العلم » للقضاء فامتدحه ، كما كان « العلم » ممن قرأ عليه في محاسن الاصطلاح ناهيك عن كونه ابنا لشيخه « السراج البلقيني » ، وأخا لعزيز عليه هو « الجلال البلقيني » وهو ما دفع « بابن حجر » الى تنفيذ ما اسند اليه ظنا منه أن في اسناد تنفيذه اليه تشريفا من القاضي له « لعلو منزلته » وأن ليس في هذا كبير أمر ـ فلم يتوهم أنه يترفع عليه بذلك ، فما كان الا اليسير حتى رأى منه ما لم يألفه منه قبل[(١)]. وكان هذا سببا للاجابة حين عرض عليه قضاء الديار المصرية فاستمر فيه ـ بتفويض من الملك « الأشرف برسباي » ـ يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة ـ بعد انفصال « العلم » المذكور[(٢)]. وظل يصرف ويعاد اليه[(٣)] الى أن عزل نفسه في الخامس والعشرين من جمادي الآخرة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة[(٤)] فاستمر منفصلا عنه ، مخلصا في عدم العود اليه ـ من كثرة ما توالي عليه من الانكار والمحن بسببه[(٥)] ـ حتى

---

(١) ابن حجر. رفع الاصر ص ٢/٢٥٨ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢ ب.

(٢) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ق ١٠٨ ب ، ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٣٢٤ ، رفع الاصر ص ١/٨٨ ، ٢/٢٥٨ ، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٣٠ ، ابن تغري بردى. حوادث الدهور ص ١/١٤٧ ، المنهل الصافي ق ٦١ ب/١ ، البقاعي. عنوان الزمان ق ٤٦/١ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢ ب ، الذيل على رفع الاصر ص ٨٠ ، الضوء اللامع ص ٢/٣٨ ، السيوطي. نظم العقيان ص ٤٦ ، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/٢٧٠.

(٣) السخاوي. الضوء اللامع ص ٢/٣٨ ، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/٢٧٠.

(٤) ابن تغري بردى. المنهل الصافي ق ٦٢ أ/١ ، النجوم الزاهرة ص ١٥/٣٨٣ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٦ أ ، الضوء اللامع ص ٢/٣٨.

(٥) السخاوي. الذيل على رفع الاصر ص ٨٤ ـ ٨٥.

مات[1] فكانت مدة ولايته في المرار كلها تزيد على احدى وعشرين سنة بأشهر[2].

وعلى الرغم من أنه كانت لديه دراية بالأحكام، وخبرة بالمصطلح[3] ومباشرة مع الديانة والتحري في الأحكام الشرعية[4] ونزاهة وتواضع زائد، واستجلاب لخاطر الصغير قبل الكبير، وتصميم على الأمور، واحسان للفقراء والطلبة، فان ذلك كله كان بنكد وعناد وتعب وكثرة معاد وقلة منصف[5] مما جعل «ابن حجر» يندم على قبوله وظيفة القضاء، لكون أرباب الدولة لا يفرقون بين أولي الفضل وغيرهم ويبالغون في اللوم حيث ردت اشاراتهم، وان لم تكن على وفق الحق، بل يعادون على ذلك، واحتياج القاضي بسببه الى مداراة الكبير والصغير بحيث لا يمكنه مع ذلك القيام بكل ما يرومه على وجه العدل، مما جعله يصرح بأنه جني على نفسه بتقليد أمرهم[6] وأنه ما بقيت شعرة في بدنه تقبل اسم القضاء[7].

وهنا تجدر الاشارة الى أمور متعلقة بتلبس «ابن حجر» بالقضاء، وهي:

أولا ـ أن «ابن حجر» وقد حقق الغاية من توليه القضاء ـ وهي رد ما انتقص من كرامته بالانابة عن «العلم البلقيني» في بعض المهام لم يكن حريصا على الاستمرار فيه، ولذا صرح في غير موضع بأن القضاء والقدر هو الذي

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق١٦٦ أ، الضوء اللامع ص ٢/٣٨.
(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق١٦٧ أ.
(٣) المصدر السابق.
(٤) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ق١٠٨ ب.
(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق١٦٢ أ.
(٦) نفسه ق١٦٣ أ، الذيل على رفع الاصر ص ٨٠ ـ ٨١، الضوء اللامع ص ٢/٣٨، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٧٠ ب.
(٧) السخاوي. الجواهر والدرر ق١٦٦ أ، الضوء اللامع ص ٢/٣٨.

أوقعه في القضاء [١] وبأنه ما سر بالولاية، ولكن ساءه العزل [٢] وبأن المحرك له على البقاء فيه هو ولده، بل كثيرا ما كان الولد يسعى في ذلك ويتكلف من غير علم الوالد الى أن يجاب [٣]. وهذا ينفي ادعاء «ابن فهد المكي» تكالب «ابن حجر» على المنصب وبذله فيه.. [٤].

---

(١) نفسه ص ١٦٣ أ، ٢/٣٨ - على التوالي.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٦ ب.

(٣) نفسه ق ١٦٦ أ.

(٤) حيث يشير الى ذلك قائلاً: «.. وكان يتخلله في غضون ذلك من الملك قلة رضى ويشاع صرفه، فيهدي اليه ما يليق به من المال فيرده في المنصب، فلو تنزه عنه ولزم الاشتغال بالعلم ليلا ونهارا وحج الى بيت الله وزار قبر نبيه ﷺ وجاوز بالحرمين الشريفين لازداد بذلك رفعة ووجاهة عند الله - تعالى - والمسلمين، لكنه عجن قلبه بمحبة ذلك وفتن فيه بولده، فأوقعه في المهالك..» - لحظ الألحاظ ص ٣٣٠ - ٣٣١.

وينافي ذلك ما عرف من تصرفات «ابن حجر» ازاء المنصب، مما سجل في غيره من المصادر، حيث يشير «السخاوي» الى أن دوادار السلطان قد تكلم مع «ابن حجر» بعد صرفه عن القضاء في وزن مال ليعود، فامتنع من ذلك منشدا:

الدوايدار قال لي أنا أقضي مآربك

قم زن المال قلت: لا حفظ الله جانبك

(من الخفيف)

ويعلق «السخاوي» على ذلك قائلا: «.. على أن شيخنا لم يكن يتوقف عن البذل، بحيث أنه كان يكلفه في أيام الظاهر - فقط - ثلاثة عشر ألف دينار، من خالص ماله من ذلك ستة، وباقية كان من فائض الأوقاف ويشهد عليه بوصوله اليه، وأن يصرفه في مصارفه.

كما أن «ابن حجر» كان قد كتب مما يتعلق بذلك قوله: «.. نبذل في القضاء المال لأجل عزل زيد، فيبقى أن يؤجر لا أن يؤزر، والأعمال بالنيات» - السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٣ ب.

ويضاف الى ذلك أنه روسل بالاجتماع بالسلطان بعد عزله في خامس عشر ذي القعدة سنة ست وأربعين وثمانمائة، وكان قد صمم على عدم القبول من أول يوم فاجتمع به القاضي المالكي وبلغه عن جماعة ما يقتضي التخويف والتهديد اذا استمر على الاعراض بما يخشى منه على المال والولد والعرض فقبل على ذلك - ابن حجر. انباء الغمر ص ١٨٨ - ٩/١٨٩، السخاوي الجواهر والدرر ق ١٦٤ ب، الذيل على رفع الاصر ص ٨٣.

ثانيا ـ أن «ابن حجر» لم يحرص على المنصب حرصه على صون كرامته وعدم اهدارها، ولذا فانه لم يلتفت لتهديد جاهل[١] بل لقد كان في تصرفاته مع أرباب الدولة ما يشير الى تصلبه في الحق واجلاله لذاته، ويكفي الاشارة في هذا الصدد الى أمور منها:

* مبادرته بعزل نفسه للتكلم في نزاهة القضاء بحضرة السلطان[٢].

* ازعاجه للسلطان ـ بعد اخراج مشيخة البيبرسية عنه ـ ونهره لكاتب السرودوادار السلطان لتكلمه معه بالتركية، تعمية «لابن حجر» عن مرادهم[٣].

= كما أنه عزل نفسه من القضاء عندما حضر من القاضي المالكي بحضرة السلطان كلام لا يليق به، واشتد في ترفعه وامتناعه من العود الى المنصب مما أوجد السلطان عليه. ـ البقاعي. عنوان الزمان ق ١/٤٦.

(١) حيث يشير «السخاوي» الى أن السلطان قرر بعض الأمراء في شيء من الأنظار التي استرجعها «ابن حجر» وجاءه الرسول عن السلطان بأنه ان لم يجب لذلك والا.. وسكت الرسول، فبادر «ابن حجر» بعزل نفسه قائلا: «عثر الحمار بشهوة المكاري» ـ الجواهر والدرر ق ١٦٤ ب، الذيل على رفع الاصر ص ٨٣.

(٢) حيث يشير «ابن حجر» الى أنه في التاسع من ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة قرىء تقليد السلطان «الظاهر جقمق» بالقصر وجرى كلام يتعلق بالقضاء، فقال الشافعي: عزلت نفسي، فقال له السلطان: أعدتك. فقبل، وخلع عليه وعلى رفقته ورسم باعادة الأوقاف التي خرجت عن الشافعي.. فاعيدت بتوقيع جديد، وفي يوم الاثنين سلخه حضر لتهنئة السلطان بالشهر الجديد فسأل السلطان أن يشهد على نفسه بما فوض له من الولاية والأنظار وغيرها فأشهد على نفسه بذلك بحضرة القضاء ـ انباء الغمر ص ٤٢، ٩/٤٦ ـ وأكد عليه في أن لا يقبل رسالة مشجوة ولا يؤجر وقفا لذي جاه لسؤاله له في التأكيد عليه بذلك لينتفع به في الوصول الى غرض الحق ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٤، الذيل على رفع الاصر ص ٨٢.

(٣) حيث يشير «السخاوي» الى أن «ابن حجر» كان قد اتفق طلوعه الى السلطان في بعض القضايا فأظهر ما عنده من التأثر وشافه الظاهر بقوله: أعطيت وظيفتي من لا يدري الاسلام، وكذا نهر ابن البارزي ودولت باي لكونه تكلم مع السلطان ـ حينئذ ـ بالتركي، =

* عتابه العنيف للسلطان الى الحد الذي أخجله منه فاندفع يعيده الى وظيفته في اليوم التالي(١).

* رسالته الجريئة الى السلطان، وقد هضم حقه وأخذ في مقاهرته(٢). بل، والسعي في عزل السلطان دفعا للظلم والجور(٣).

= وانزعج السلطان من ذلك كله حتى صارت ركبته تهتز..

ويعلق على ذلك بقوله: « .. وأظنه كان سببا لعزله من وظيفة القضاء عن قرب.. بل ما كفه عنه الا الله ـ عز وجل ـ وما صدر كل هذا من شيخنا الا وقد بلغت الروح الترقوة..» ـ الجواهر والدرر ق ١٥٨ أ.

(١) يشير « السخاوي » الى أنه ـ بعد عزل « ابن حجر » عن القضاء « بالعلم البلقيني » ـ راسله السلطان في الطلوع اليه للسلام عليه ومحادثته جريا على عادة « ابن البلقيني » في أيام بطالته، فلم يسع « ابن حجر » الا الامتثال على طريق الاعتدال، فلما أجتمعا أخذ السلطان في التشوق اليه بعد مزيد من الاقبال عليه، لكن « ابن حجر » اشتد عليه بما انشده من شعر في موضع العتب، مما جعل السلطان يطرق رأسه حجلا، فبادر « ابن حجر » عند ذلك فقرأ الفاتحة ودعا وانصرف، فلما ولى راسله السلطان بالطلوع من غده ليعيده الى وظيفته، وقد كان ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٤ أ.

(٢) وكان ذلك بعد سقوط منارة الفخرية القديمة، وتغيظ السلطان عليه ظنا منه أن الناظر على المدرسة ينوب عنه، وقد انكشف الغطاء بأنه ليس في ذلك ولاية ولا نيابة، ولا عرف بشيء من ذلك منذ ولي والي تاريخه. لكن انتهز الأعداء الفرصة وأوصلوا الى السلطان ما أوغر صدره عليه فغضب زيادة على الغضب الأول وراسله بأن ينعزل عن الحكم، ويغرم دية الموتى. ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٢٣٢ - ٩/٢٣٣، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٥ أ، الذيل على رفع الاصر ص ٨٣ - ٨٤ ـ ولهذا راسله « ابن حجر » مع « العلاء بن أقبرص » بقوله: « القاضي جلال الدين البلقيني قتيل ططر، والقاضي ولي الدين بن العراقي قتيل الأشرف برسباي، وأنا قتيلك، وأرجو أن الله ـ تعالى ـ يقضي للمظلوم من الظالم »، أو معنى هذا، وان لم تصله الرسالة لاشارة « العلاء » بذلك الى الخليفة، واستشارته في تبليغها، ومنعه اياه من ذلك خشية على « ابن حجر » ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٤ ب.

(٣) حيث يشير « ابن حجر » الى ذلك قائلا: « .. ثم ان بعضهم أغرى السلطان بأن قال له: ان فلانا يتبجح بكذا، وينسب السلطان الى الظلم والجور ونحو ذلك ـ انباء الغمر ص ٩/٢٣٣.

كما يشير السخاوي الى أن « ابن حجر » قد التمس من رفيقه القاضي الحنفي « سعد

ثالثا ـ أن تلبسه بالقضاء جعله يتصل بسائر طبقات مجتمعه ابتداء بالسلاطين ومرورا برجالات الدولة والعلماء، وانتهاء بالعامة من الناس، وهذا وان كان قد أعطاه رؤية صادقة لحال مجتمعه بدت في كتاباته ـ خاصة التاريخي منها ـ فإنه ـ لا شك ـ قد أكسبه عداء الكثيرين له سواء بتصرفاته المتصلبة في الحق التي لا تخشى في الله لومة لائم، أم بكتاباته عنهم ـ خاصة فيما يكتبه متعلقا باستقراراتهم الوظيفية، وجرحهم وتعديلهم ـ ناهيك عن العداء المتولد من تغايرهم على المنصب الواحد [1].

رابعا ـ أن تلبسه بالقضاء أفسح لـه المجـال لاظهـار قـومـات في الله ـ تعالى ـ ما كان لها أن تنطلق لافادة مجتمعه وقد ظهر من خلالها «ابن حجر» مصلحا اجتماعيا، وحلقة وصل بين الحكام والمحكومين لولا شغله لهذا المنصب ومعاناته فيه..

من ذلك:

* ما تعلق بمجلس أخذ الزكاة من التجار [2].
* تكلمه من السلطان بشأن قناديل رمضان [3].

= الدين بن الديري» أن ينفذ ما يصدر منه بخلع السلطان فنم القاضي عنه بصفاء الخاطر، لا قصدا للأذية، مما أوغر السلطان علي «ابن حجر» ـ الجواهر والدرر ق ١٦٥ أ.

(١) بالاضافة الى ما مر يمكن الوقوف على موقفه من كل من «العلم البلقيني» و«الشمس الهروي» في كتابته عنهما في انباء الغمر والمجمع المؤسس مقارنا بكتابات سواه..

(٢) عقد هذا المجلس في السنة الأولى من ولايته، فقام مع التجار قصدا لعدم تطرق الظلم عليهم وأيدهم، فتبعه المالكي والحنفي وانفرجت عنهم وعن غيرهم ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٣٢٧، السخاوي الجواهر والدرر ق ١٦٧ أ.

(٣) كان تكلمه مع السلطان في أن لا تطفأ القناديل في رمضان الا قبل طلوع الفجر لما يحصل من الاجحاف بالناس ممن ينام ثم يستيقظ وهو عطشان حيث يمنع من الشرب ظنا منه أن ذلك حرام. ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٣٨٣، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٧ ب.

* ما تعلق بشأن ابطال ادارة المحمل[1].
* اصلاح اضطراب قيمة النقد[2].
* حماية الأوقاف[3].

---

(١) يشير «ابن حجر» الى ذلك قائلا: « .. التمس الشيخ علاء الدين.. البخاري من السلطان أن يبطل ادارة المحمل حسما لمادة الفساد الذي جرت العادة بوقوعه في الليل والنهار من ارتكاب المنكرات والتجاهر بالمعاصي، فأمر السلطان بجمع القضاة وكاتب السر وأن يتوجهوا الى الشيخ علاء الدين فيتكلموا معه في هذه المسألة، فوقع الكلام فقلت: ينبغي أن ينظر في السبب في هذه الادارة فيعمل بما فيه المصلحة منها، ويزال ما فيه المفسدة، وذلك أن الأصل فيه اعلام أهل الآفاق أن الطريق من مصر إلى الحجاز آمنة، وأن من شاء أن يحج فلا يتأخر لخشية خوف الطريق..

فالادارة لعلها لا بأس بها لهذا المعنى، وما يترتب عليها من المفاسد يمكن ازالته بأن يبطل الأمر بزينة الحوانيت، فانها السبب في جلوس الناس فيها، وكثرة ما يوقد فيها من الشموع والقناديل، ويجتمع فيها من أهل الفساد، فاذا ترك هذا وأمر السلطان من تعاطي ادارة المحمل من غير تقدم اعلام الناس بذلك حصل الجمع بين المصلحتين وانفصل المجلس على ذلك» ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٤٠٢ - ٤٠٣/٣، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٨ أ.

(٢) يشير «ابن حجر» الى ذلك قائلا: « .. وفي هذا الشهر ـ ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة ـ نودي على الفلوس أن يباع الرطل المنتقى منها بثمانية عشر درهما، ففرح من كان عنده منها حاصل، وحزن من عليه منها دين لما يقاسونه من نواب الحكم في الزامهم اعطاء ذلك بالوزن الأول. وفيه بخس كثير، وبينت أن ذلك لا يلزم على الاطلاق، بل لا بد فيه من شروط. واقتضى الحال كتابة مراسيم للشهود أن لا يكتبوا وثيقة في معاملة ولا صداق ولا غيره الا بأحد النقدين: الذهب والفضة بسبب شدة اختلال أحوال الناس واختلاف الفلوس التي صارت هي النقد عندهم في عرفهم.. فحسمت هذه المادة من هذا التاريخ على يد من وفقه الله لذلك وهو كاتبه ـ أي ابن حجر ـ وتمادي الاختلاف بسبب ما كان كتب أولا، فلم يزل يضمحل بحمدالله تعالى» ـ انباء الغمر ص ٤١٩/٣.

(٣) يراجع الى جانب ما مر موقفه من تجديد الجوانب التي فيها السيوفيين والصيارفة بظاهر الصاغة وعلوها ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٨ ب ـ وقيامه بتبييض الحوانيت المجاورة للكاملية ـ وكانت تحت نظرة في جلة أوقاف البيبرسية ـ وكانت قبل مع كونها محكمة البناء ـ شعثة، مما جعل بعض الأعيان يحسن للأشرف برسباي أخذها، فلما صارت تضيء بذلك كفوا عنها ـ نفسه.

* بالاضافة الى بعض الأحكام والتصرفات الصادرة عنه بخصوص كائنة « الميموني »[1] والكشف عن دور العبادة الخاصة بالذميين[2].

خامسا - أن « ابن حجر » قد تحرى - قدر المستطاع - الدقة في اختيار الوكلاء والنواب والأمناء عنه في القضاء، والذين راعى فيهم أن يكونوا من علية أصحابه - وقد حصل جلهم بعد على المناصب الرفيعة في الدولة - وكان كثيرا ما يرسل اليهم مراسيمه بالتحذير والانذار والتخويف من غضب الله، وأنه لا يأخذ في أجرة اليمين ولا الدرهم الواحد وفي الثبوت والعقود لا يتعدى الى القدر الزائد، ويؤكد في ذلك كله غاية التأكيد، ويتفقد أحوالهم.. لكنه مع ذلك لم يكن راضيا عنهم بحيث أنه كان يقول بأخرة: « ليس في نوابي من يفتح عليه العين » كما أنهم كانوا يكلفونه مرة للتغبين عليهم، ومرة للدعاء لهم[3].

---

(١) هو الشيخ « شمس الدين بن الشيخ سراج الدين بن عمر الميموني » وكان القاضي التفهني قد غضب منه فادعى عليه بالزندقة وحكم بسفك دمه وقال للحنفي: نفذ لي. فقال: حتى ينفذ الشافعي، فامتنع ابن حجر من التنفيذ عندما سأله السلطان ذلك، قائلا: « وقعت عندي ريبة تمنع من تنفيذ الحكم، فاني أعرف هذا الرجل وقد ذكر لي أن في عقله خللا والقاضي سارع فيه بالحكم في حالة غضب ». وطال البحث في ذلك وآل الأمر الى أن انفلت من القتل على يد « ابن حجر » قصدا للحق - ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٣٤٩، السخاوي. الجواهر والدرر ق١٦٧ ب.

(٢) كانت مواقفه بهذا الصدد متعددة ومعتدلة، ومنها قوله بشأن ما احدث من تجديد بناء بعض الأديرة: « .. فلما تأملت المحضرين وشاهدت الأمكنة المجددة أغنت المشاهدة عن الخبر، وظهر الحق.. لكن رأيت الغوغاء قد اجتمعوا ومعهم المساحي والمعاول، فلو أذنت بهدم شيء ما لهدمت الكنيسة كلها، ونهب ما فيها، وكان ذلك وقت العصر، فقلت لهم: لا بد من كشف كنيسة النصارى حتى ينظر ما أحدثوا - أيضاً - ويهدم الجميع. فأعجبهم ذلك، وافترقوا على العود في أول النهار، ثم استوفى الشافعي - أي ابن حجر - والحنبلي الشروط في المسألة، وحكم بهدم ما احدث.. واتصل ذلك بالسلطان، وكتب عند الافتراق: أمرت الوالي أن يزيل ما أحدثوه من الأبنية الجديدة كلها بالليل. ففعل ذلك وانحسمت المادة بعون الله تعالى » - ابن حجر. انباء الغمر ص ٣٩٨ - ٣/٣٩٩.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق١٧٢ ب - ١٧٣ ب.

خامسا ـ الخطابة والامامة والوعظ

تولي « ابن حجر » وظيفة الخطابة بالجامع الأزهر[1] برغبة « ابن رزين »[2] له عنها سنة تسع عشرة وثمانمائة ـ ربما بمشاركة غيره له في ربعها[3] ـ ثم الخطابة بجامع عمرو بن العاص[4] ـ وفي آخر يوم من رمضان سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة، بعد أن قايض الشيخ « شمس الدين محمد بن يحيي » بما كان معه من خطابة الجامع الأزهر، بما معه من نصف خطابة جامع عمرو ـ[5] ثم استعمل الوظيفة ـ بعد ذلك ـ باستنزال « البدر بن البرماوي » عن نصفها الآخر[6]. وقد ينوب عنه في الخطابة به أيام تلبسه بالقضاء وغيره موقعه « ناصر الدين بن المهندس المصري »[7].

---

(١) هو أول مسجد أسس بالقاهرة، أنشأه القائد « جوهر الصقلي » مولى الخليفة الفاطمي « المعز لدين الله » لما اختط القاهرة، وكان ابتداء البناء فيه يوم السبت لست بقين من جمادي الأولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة احدى وستين وثلثمائة ـ المقريزي. الخطط ص ٢٧٣ - ٢/٢٧٧.

(٢) هو « التاج محمد بن علاء الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبدالمحسن بن عبداللطيف بن قاضي القضاة تقي الدين محمد بن العامري الحموي » (ت ٨١٩ هـ./١٤١٧ م.) ـ السخاوي. الضوء اللامع ص ٩/٢٣٥ تر ٥٨٠.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٨ أ، الضوء اللامع ص ٩/٢٣٥.

(٤) ويعرف بالجامع العتيق، وهو أول مسجد أسس بالديار المصرية بعد الفتح ـ المقريزي. الخطط ص ٢٤٦ - ٢/٢٥٦.

(٥) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٥٥١، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٩ أ.

(٦) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٩ أ.

(٧) هو « محمد بن أحمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عمر بن عثمان بن أبي بكر، الشمس التميمي المصري » (ت ٨٥٥ هـ./١٤٥١ م.) ـ السخاوي. الضوء اللامع ص ٧١ - ٧/٧٢ تر ١٣٣، الجواهر والدرر ق ١٥٨ ب، ١٥٩ أ.

وكان طبيعيا أن يخطب بالسلطان بجامع القلعة أيام تلبسه بالقضاء على جاري عادة قضاة الشافعية ـ آنذاك ـ وربما أناب عنه في ذلك غيره [١]. وأن يخطب به ـ كذلك ـ عندما صحبه في سفرة آمد [٢].

كما كان اليه وظيفة الوعظ بجامع الظاهر بالحسينية [٣] تلقاها عن الشيخ «نورالدين الرشيدي» بحكم وفاته [٤] فكان يستخلف فيها غيره [٥].

ولقد كان لمنصب الخطبة خطره ووقعه في النفوس، لاتصاله المباشر بسائر طبقات مجتمعه، لأنه لم يكن منصبا دينيا بحتا، وانما كان له الى جانب ذلك أبعاد حيزها دائرة مجتمعه بأكملها. ولذا نجدنا مع «ابن حجر» وقد نهج به نهجا اجتماعيا صرفا:

* فهو يمتثل ـ من خلاله ـ ما يصدر من أوامر يرى فيها اعزازا دينة وان رفضها غيره [٦].

---

(١) المصدر السابق، حيث ذكر من نوابه ـ كذلك ـ «أبو العباس الزركشي» و«الصدر ابن روق»، و«الصلاح السيوطي»..

(٢) راجع الفصل السادس من هذا الباب.

(٣) كان يقع خارج القاهرة، اهتم السلطان الملك «الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري» بعمارته في ربيع الآخر سنة خمس وستين وستمائة ـ المقريزي. الخطط ٢٩٩ ـ ٢/٣٠٣.

(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٢ ب.

(٥) ومن نوابه فيه: «الشهاب الطنبدي»، و«ابن الضياء الحنبلي» و«البرهان البقاعي» ـ نفسه.

(٦) من ذلك ما أورده «ابن حجر» في انباء الغمر قائلا: «.. وفي هذا الشهر ـ أي رجب سنة تسع عشرة وثمانمائة ـ أمر السلطان الخطباء اذا وصلوا الى الدعاء في الخطبة أن يهبطوا درجة أدبا ليكون اسم الله ورسوله في مكان أعلى من المكان الذي فيه السلطان، فصنع ذلك كاتبه ـ أي ابن حجر ـ في الجامع الأزهر.. وبلغ ذلك القاضي جلال الدين (البلقيني) فما أعجبه كونه لم يبدأ بذلك، فلم يفعل ذلك في جامع القلعة، فأرسل السلطان يسأله عن ذلك، فقال: لم يثبت ذلك في السنة. فسكت عنه وترك فعل ذلك بعد ذلك، وكان مقصد السلطان في ذلك جميلا» ـ انباء الغمر ص ٩٢ ـ ٣/٩٣، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٨ ب.

* وينبه على مكانة العلماء وينزلهم منازلهم، وتكثر بسمه الصلاة على الغائبين من العلماء والصالحين المتوفين(١).

* ويشتد انكاره وهو على المنبر على من يدخل من العوام فيجلس فاذا تمت الخطبة الأولى قام فصلى، وينكر ما تفعله الجهال من كتابة أوراق في آخر جمعة من رمضان والخطيب على المنبر يسمونها حفيظة رمضان، ويبالغ في ذلك(٢).

* ويعمل على ابطال ما تعود من شرب المشروب بجامع القلعة(٣).

* وينبه بين يدي السلطان والأمراء ورجالات الدولة على أن من لغا ـ من اللغو ـ لا جمعة له(٤). ويفصل بين حديث من رواية البخاري، وعبارة تسبقه لتوهم السلطان أنها من نفس الحديث(٥).

* ويصلي بالناس صلاة خسوف أو كسوف فينجلي الأمر، ولله الحمد(٦)

* ويذيع على الناس في خطبة الجمعة ما يصله من أخبار سياسية(٧).

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٢٦٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٨ ب.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٩ أ، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٧٠ أ.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٩ أ، ولم يفصح عن كيفيته، ولعله «الشراب التمربغاوي» الوارد لدى ابن حجر في الانباء ـ ص ١/٤٨٧ ـ على الكيفية الآتية: «.. وفيه بدأ الظاهر بشرب الشراب التمربغاوي وصفته أن يعمل لكل رطل زبيب أربعون رطل ماء ويدفن في زبل الخيل الى أن يشتد..».

(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٩ أ.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه ق ١٥٨ ب.

(٧) من ذلك قراءة «ابن حجر» ـ على الناس من فوق منبر الجامع الأزهر سنة خمس عشرة وثمانمائة ـ كتاب الخليفة ـ المستعين بالله ـ بعد سلطنته، وقد قتل الناصر فرج ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٥٠٩ ـ وقراءته كتاب السلطان الملك «المؤيد شيخ» بشرح سيرته في السفرة الى بلاد الروم سنة عشرين وثمانمائة ـ نفسه ص ٣/١٤٢، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٨ ب.

ومع كل هذا كان لخطبه صدع في القلوب، ويزداد وهو على المنبر من المهابة والنور والخفر بما لا مزيد عليه[1].

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢ أ.

وظائف أخرى:

(١) مشيخة البيبرسية ونظرها

ولي « ابن حجر » مشيخة البيبرسية ونظرها[١] برغبة « العلاء الحلبي » له عنها في ثالث ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، ثم سعي « الشمس » أخو « جمال الدين الاستادار » الى أن اشترك معه في المشيخة سنة خمس عشرة وثمانمائة، ثم انتزعها منه كلها سنة ست عشرة[٢] بعد أن كتب « لابن حجر » توقيعا بها في مستهل جادي الأولى سنة خمس عشرة وثمانمائة من الخليفة حملا على ما بيده من المستندات الشرعية[٣]. ثم اعيدت « لابن حجر » سنة ثمان عشرة وثمانمائة، حيث كتب السلطان الملك « المؤيد شيخ المحمودي » له توقيعا بها في ثاني عشر ربيع الآخر من السنة، ولبس بها خلعة وحضرها وصرف أخو « جمال الدين » منها، ثم عوض بعد سنتين بمشيخة سعيد السعداء

---

(١) استتبع انتشار التصوف في مصر، وكثرة الصوفية بها في عصر سلاطين المماليك ـ انشاء الخنقاوات (= بيوت الصوفية) وتعددها، وجرت العادة بأن يعين لكل خانقاة شيخ يشترط فيه أن يكون من جماعة الصوفية ممن عرف بصحبة المشايخ، بشرط أن لا يكون قد اتخذ من التصوف حرفة له. كما اتخذ لها ناظرا مهمته النظر في مصالح الخانقاة والاشراف على أوقافها وصيانتها والعمل على زيادة ريعها وتمييز مالها وتنفيذ شروط الواقف بخصوصها، ومراقبة أرباب وظائفها.

وقد تجمع الوظيفتان في يد شخص واحد كما هو مبين في المتن.

(د. سعيد عبدالفتاح عاشور. العصر المماليكي ص ٣٤١، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ١٦٨ - ١٧٥، د. حسن الباشا. الفنون الاسلامية والوظائف ص ٣/٢٦٧ وما بعدها، ٣/١١٧٧ وما بعدها).

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٥١٦، العيني. عقد الجمان ق ١٢٤ أ/١٩ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٧ أ.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٧ أ.

بعد موت « البلالي »[١] بعناية « طـطـر » قبل أن يتسلطن[٢]. واستمرت بيد « ابـن حجـر » الى أن قـرر « الظاهـر ططـر » فيهـا « الشمس القـايــاتي » (ت ٨٥٠ هـ./١٤٤٧ م.) يوم الثلاثاء العشرين من جمادي الأولى سنة تسع وأربعين وثمانمائة[٣]. ثم اعيد « ابن حجر » الى المشيخة في أوائل ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين لكن تدبير ولده فيها كان سببا في عزله عنها، وان لم يخرج النظر عليها عنه[٤].

ويشير « السخاوي » الى أن « ابن حجر » قد رتب أسماء المستحقين بها على الحروف مما احتذى في ترتيب ديوان الجيش، وكثير من مستحقي المدارس ونحوهم.. وكانوا قبل في تعب زائد[٥].

(٢) خزن الكتب

اسند اليه مهمة خزن الكتب بالمدرسة المحمودية[٦] الكـائنـة بـالموازنين وكانت تحتوي على أنفس الكتب الموجودة ـ آنذاك ـ في القاهرة، والتي كان قيد جمعها « البرهان بن جماعة » (ت ٧٩٠ هـ./١٣٨٨ م.)[٧] طوال حياته.

---

(١) هو « محمد بن علي بن جعفر العجلوني » (ت ٨٢٠ هـ./١٤١٨ م.) تولى مشيخة سعيد السعداء سنة تسعين وسبعمائة وما بعدها مدة ثلاثين سنة، وحتى وفاته ـ السخاوي. الضوء اللامع ص ٨/٤٣٩، وحاشية انباء الغمر ص ٣/٦٣.

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٦٢ - ٣/٦٣، العيني. عقد الجمان ق ١٢٤ أ/١٩، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٧ أ.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧٥ أ، الضوء اللامع ص ٨/٢١٣.

(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٧ ب - ١٥٨ أ.

(٥) نفسه ق ١٥٨ أ.

(٦) راجع بشأنها: السيوطي. بذل المجهود في خزانة محمود. نشرة فؤاد السيد ـ مجلة معهد احياء المخطوطات العربية.

(٧) سترد ترجمته في العلاقة بين التراجم والحوادث من هذا البحث.

فعمل « ابن حجر » لها فهرستا على الحروف في اسماء التصانيف، وآخر على الفنون وكان يقيم بها في الاسبوع - غالبا - يوما واحدا. وتيسر على يديه عود أشياء مما كان ضاع منها - قبل - كما كان كثيرا ما يفتديها بكتبه [١].

وما من شك في أنه قد انتفع كثيرا بكتبها، حيث كان يكتب في مدة الاسبوع قائمة بما يحتاجه من المراجعة ليتذكره في يوم حلوله بها [٢]. كما تنعكس قيمتها المدركة لديه على ما أورده بشأنها في ترجمة « للبرهان » المذكور [٣].

(٣) النظر على حمام ابن الكويك

كما استمر بيده النظر على حمام ابن الكويك [٤] بتفويض من « التقى المقريزي (ت ٨٤٤ هـ./١٤٤١ م.) - الذي كان اليه النظر عليه قبله - حتى وفاته ويشير « السخاوي » الى أن « العلم البلقيني » قد رام أخذه منه في بعض عزلاته متمسكا بأنه من متعلقات القضاء، فأرسل اليه « ابن حجر » بتفويض المقريزي له فسكت [٥].

وظائف رشح لها ولم يقبلها:

كما رشح لبعض الوظائف التي لم يقبل تقلدها: كالتوجه عن السلطان

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٩٥ ب.
(٢) المصدر السابق.
(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣٥٥ - ١/٣٥٦.
(٤) كانت تقع فيما بين حارة زويلة ودرب شمس الدولة، أنشأها الوزير « عباس » أحد وزراء الدولة الفاطمية لداره، ثم جددها أحد التجار سنة تسع وأربعين وسبعمائة فعرفت باسمه - المقريزي. الخطط ص ٨٣ - ٢/٨٤.
(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٨ أ.

الملك «المؤيد شيخ المحمودي» في الرسلية الى اليمن ـ سنة تسع عشرة وثمانمائة ـ [1] وتولى قضاء دمشق ـ في عهده كذلك ـ [2] وتولى قضاء اليمن وكتابة سرها للملك الأشرف صاحبها [3].

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٨٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧٤ أ.

(٢) نفسه ص ٩٥ - ٣/٩٦، ف ١٧٤ أ، على التوالي.

(٣) نفسه ص ٣/١٧٨، ق ١٧٤ أ - على التوالي.

الفصل الثامن

علاقته بشخصيات عصره

أولاً - علاقاته بالشيوخ والأساتيذ

أخذ «ابن حجر» علومه ومعارفه عن عدد وفير من الشيوخ والعلماء والمحدثين والمسندين، على اختلاف بينهم في العلم المحمول، والطباع والأمزجة، والسن.. مما جعله يسلك معهم مسلكا يحقق له مرامه، ويحصل به مأمله، رسخه في نفسه آداب الحديث النبوي الذي تحمله. فكان كثيرا ما يهضم نفسه - على جاري عادة أهل العلم والدين [١]. في الوقت الذي يبالغ فيه في تعظيم شيخه في حضوره وغيبته [٢]. ويهش في وجه من يستقدمه من المسندين ليأخذ عنه، ويكرمه ويجلسه على بساطه الذي يصلي عليه [٣] أو يخرج مسرعا الى الباب لتلقيه [٤]. وأحيانا كان يقبل يده اذا لقيه [٥]. ولا يتحاشى عن التقاط الفائدة أو السماع ممن هو أعلى منه سندا ولو كان دون مرتبته، لا يصده عن ذلك علو منصبه، بل يتظاهر بفعله مع امكان خلاف ذلك.. [٦]

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٣ أ، التبر المسبوك ص ٢٣٠.
(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/١١٦، السخاوي. الضوء اللامع ص ٧/١٧٣.
(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٨ ب.
(٤) نفسه.
(٥) نفسه.
(٦) نفسه ق ٣٩ ب.

وربما وجد ثقلا وتعسرا لدى الشيخ المسموع عليه فما يزال به يحركه بالقراءة كلمة كلمة حتى يظهر من طواعيته له الأمر العجيب، أو يخرج له مشيخة ليتذكر بها مشايخه وعهده القديم فيحبب اليه السماع وينبسط له[1].

ولم يتوقف اجلاله لشيوخه وأساتذته على حياتهم، وانما امتد ذلك اليهم وقد انتقلوا من دنياه: بالتنبيه على مكانتهم وقيمتهم العلمية في ترجمتهم من مؤلفاته، وقد راعي - قدر المستطاع - شعورهم الى الحد الذي جعله يتتبع أوهام «الهيثمي» في كتابه «مجمع الزوائد» ليفردها في كتاب، فما أن علم الشيخ بذلك وشق عليه حتى تركه «ابن حجر» مراعاة له[2]. وفي بره للأبناء حتى ولو وقع أذى الأبناء به[3].

من ذلك أنه بلغ برغبة السلطان «الظاهر جقمق» في الاقدام على أمور مهولة في كل من «العلم البلقيني» و «التاج البلقيني» - وبينهما وبين «ابن حجر» ما كان من المنافسة التي وصلت الى حد العداء في كثير من الأحيان - فطلع من فوره الى السلطان متوسلا اليه بكل طريق في ابطال ذلك، مع مشقة ابطال ذلك في أحدهما على السلطان، بل لقد رام السلطان احراق قريب لهما بالنار، ولشاية فيه، فشفع فيه «ابن حجر» حتى بطل ذلك - كل هذا اجلالا «للسراج البلقيني» في ذريته وأهله[4].

واتفق أن حلف السلطان ليضربن شخصا من أبناء العلماء ألف عصا، فراجعه «ابن حجر» في الصفح عنه، وأنه يكفر عن يمينه، فامتنع، فلا زال يتلطف به حتى أمر بجمع عيدان ضربه بها دفعة واحدة بعد أن قرأ قوله

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٢٣، المجمع المؤسس ق ٢ أ وما بعدها السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٥ ب.

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٣١٠، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧٧ أ.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧٧ أ.

(٤) نفسه.

تعالى: «وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث» (٤٤: ص)[١].

ويقابل ذلك على الجانب الآخر تعظيم شيوخه وأساتذته له الى الحد الذي يجعل أحدهم يوده كثيرا ويشهد له في غيبته بالتقدم ويتأدب معه الى الغاية[٢]. أو يشهد له بالتقدم في الفن[٣]. ويقدمه فيه على ولده[٤]. أو يحس بدخوله وهو ما زال يصلي فيتمادى في الركوع حتى يدرك معه صلاة الظهر[٥]. أو يغضب من تتبعه وغيره لفتواه ومخالفتها له، لكنه يحتشم معه وان استضعف جانب غيره[٦].

كما كانوا كثيرا ما يراجعونه فيما غمض عليهم من مسائل العلم ومبهماته فيوافيهم بما يفيدون منه[٧]. ويقرظون كتاباته بعبارات التبجيل والتعظيم[٨].

---

(١) نفسه ق ٢٧٧ ب.
(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/١١٦.
(٣) نفسه ص ٢/٣١٠.
(٤) نفسه ص ٢/٢٢٧.
(٥) نفسه ص ٢/٢٤٧.
(٦) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢ أ.
(٧) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٤ ب.
(٨) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٣٧٤.

ثانياً ـ علاقاته بالأقران

أثارت تلك المنزلة التي استحوز عليها « ابن حجر » في مجتمعه، وتوليه الكثير من الولايات الدينية والوظائف العلمية بعض أقرانه من أعلام عصره فاندفعوا منافسين له في كل هذا، راغبين في انتزاع ما يقدرون على انتزاعه من وظائفه.

فكان من أعظم معانديه « علم الدين صالح البلقيني »(١) (ت ٨٦٨ هـ./١٤٦٤ م.) الذي وصلت المنافسة بينه وبين « ابن حجر » حدا جعلها تمتد الى ما بعد موته. فكان من مظاهرها:

(١) اسناده الى « ابن حجر » تنفيذ مكتوب الخشابية ـ في توليه للقضاء » واجابة « ابن حجر » الى ذلك ظناً منه أن في اسناده اليه ذلك تشريفاً من القاضي له لعلو منزلته فما كان يتوهم « ابن حجر » أن « ابن البلقيني » بذلك يترفع عليه، فما كان الا اليسير حتى أدرك ذلك وعهد منه ما لم يألفه قبل، مما كان سبباً في اجابته حين عرض عليه منصب القضاء والاستقرار فيه بعد عزل « ابن البلقيني »، حيث ظلا يتنافسان على المنصب ويتعاقبان فيه الى أن رغب « ابن حجر » عن القضاء وصرح له ـ في محنته بولده ـ بأنه لم تعد في بدنه شعرة تقبل اسم القضاء ـ على نحو ما مر بك آنفاً.

(٢) محاولة « ابن البلقيني » انتزاع الكثير من وظائف « ابن حجر »، ومن ذلك أخذه منه نظر جامع طولون، ونظر الناصرية ليسكت عن طلب العود للقضاء والسعي فيه، وتفويض « ابن حجر » له ذلك وأخذه توقيعا سلطانيا ثم

---

(١) السخاوي. الذيل على رفع الاصر ص ٢٨٦.

سعيه بعدها عليه في المنصب، بل ورفضه الشكر لابن حجر عليه اجابة للسلطان مما كان سببا في عزل «ابن حجر» له ـ من النظر عليهما ـ فما بالى بذلك واستمر يتحدث فيهما افتياتا من غير مبالاة[1]. وكذا رغبته في انتزاع النظر على حمام ابن الكويك منه[2].

(٣) تزيينه لكل من «الشمس القاياتي» و «السفطي» انتزاع بعض الوظائف من «ابن حجر» ـ على نحو ما مر بك آنفا.

(٤) حرصه على الزواج من أرملة «ابن حجر» ـ بعد موته ـ وخطبته لها مع ارسال المهر اليها، وكاد يحصل له ذلك لولا اجتماع «السخاوي» به رغبة منه في ابطال ذلك الى أن صرح «العلم البلقيني» له بالرجوع عنه واستعاد ما دفع لها.

(٥) تتبعه فيما كتبه في معجمه بشأن ذويه وانتقاده له بعبارات ساقطة أثارت حفيظة «ابن حجر» وانعكست هي وتصرفاته الآنف ذكرها على كتاباته بشأنه في كل من «انباء الغمر» و «رفع الاصر»، حيث جاء في انباء الغمر قوله: «.. وفي السادس من ذي الحجة صرف القاضي ولي الدين العراقي عن قضاء الشافعية واستقر عوضه علم الدين صالح بن شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين، وكان أخوه جلال الدين لما مات نظمت:

مات جلال الدين قالوا: ابنه يخلفه أو فالأخ الراجح
فقلت: تاج الدين لا لائق لمنصب الحكم ولا صالح

(من السريع)

فكان كما قلت، فانه تولى وظهر منه التهور والاقدام على ما لا يليق وتناول المال من أي جهة كانت حلالا أم حراما ما لا كان يظن به ولا ألف

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٤٧٤.
(٢) راجع ص ١٥٧ من هذا البحث.

الناس نظيره من أحد ممن ولى قضاء الشافعية في الدولة التركية »[1].

وكان وصفه له وبعض أقاربه في « الانباء » بالعقارب[2] ونعته له فيه بالحمق[3].

ويزيد ذلك تفسيرا ما جاء في رفع الاصر من قوله فيه بشأن ذلك:

« .. فما كان الا أن استقر في المنصب فشمخت نفسه فرأى غيره منه ما لا يرى وسار سيرة عجيبة يجمع بين دناءة النفس والطمع والحمق.. وقدر وقوع الطاعون الفاشي في ثاني ولاياته فتسلط في تحصيل الأموال من التركات وكتب مرسوما استكتب فيه خطوط جميع شهود المراكز، أن لا يشهد أحد منهم في الوصية حتى يوصي الموصى فيها للحرمين بشيء ، فكان الرجل يوصي بما تسمح به نفسه ويموت من يومه غالبا. فيرسل نقيبه فيقبض ما أوصى به. ولم يحصل لأهل الحرمين من ذلك الدرهم الفرد ولا وجدنا في حساب السنة التي باشرها أنه ورد للحرمين شيء ، الا من جهة واحدة من بلد بالريف بمبلغ تافه مبلغه فضة أربعمائة درهم ، ولعله حصل من الجهة المذكورة وحدها عشرة أضعافها ذهبا.

وأما أوقاف الحرمين والصدقات فتحيل على الانفراد بها كل حيلة. وأما المدارس ومتحصلها فلم يصرف للطلبة الا اليسير.. »[4].

ومع ذلك يشير « السخاوي » الى أن « الظاهر جقمق » كان قد أمر بخروج « العلم البلقيني » من القاهرة منعزلا فتوجه مع نقيب الجيش فأقام بالمدرسة

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢٧٩ - ٣/٢٨٠.
(٢) نفسه ص ٣/١٦٤.
(٣) نفسه ص ٣/٤٧٤.
(٤) ابن حجر. رفع الاصر ص ٢٥٨ - ٢/٢٥٩.

الحجازية بالقرب من بيته تمهيدا لتنفيذ ذلك لولا شفاعة ابن حجر التي ردته الى بيته [1].

كما كان من منافسيه كذلك « الشمس القاياتي » (ت ٨٥٠ هـ./١٤٤٧ م.) الذي كان قد استقر في منصب القضاء تلو عزل « ابن حجر » منه حادي عشر المحرم سنة تسع وأربعين وثمانمائة - في حادثة سقوط منارة الفخرية وتغيظ السلطان عليه - حيث سعى في انتزاع البيبرسية منه وتم له ذلك في العشرين من جمادي الأولى سنة تسع وأربعين وثمانمائة مما كان سببا في تحول « ابن حجر » بأولاده منها وتحويل مجلس املائه الى الكمالية، وعدم حمد العقلاء للقاياتي هذا المسلك منه [2]. بل لقد نغص على « ابن حجر » عيشه بسبب تعرضه لولده وأمره بالترسيم عليه بسبب عمل حساب جامع طولون وغيره، كما صار كل قليل يشكو « ابن حجر » من غير تحقق [3]. ومع ذلك فان « ابن حجر » قد ترجمه بعد موته مادحا، حيث جاء في « الانباء » بشأنه:

« .. باشر القضاء بنزاهة وعفة ولم يأذن لأحد من النواب الا لعدد قليل ويتثبت في الأحكام جدا وفي جميع أموره » [4].

ومن هؤلاء - كذلك - « السفطي » (٨٥٤ هـ./١٤٥١ م.) حيث تعوض لولده بالترسيم قاصدا بذلك ابعاد ابن حجر عن المنصب لينفرد به، واتهمه زورا فعمل « ابن حجر » في ذلك - كما سلف القول - جزءاً سماه « ردع المجرم في الذب عن عرض المسلم ». بل لقد انتزع من « ابن حجر » علاوة على ذلك تدريس الصالحية والنظر عليها ووليها فدعا عليه « ابن حجر »

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧٧ أ، الذيل على رفع الاصر ص ١٦٤.

(٢) السخاوي. الذيل على رفع الاصر ص ٢٨٦.

(٣) السخاوي. الخواهر والدرر ق ١٧١ ب، الذيل على رفع الاصر ص ٢٨٤ - ٢٧٦، الضوء اللامع ص ٣/٢١٣ تر ٥٥٦.

(٤) ابن حجر. انباء الغمر ص ٩/٢٤٧.

بانقضاء الأجل في عامه فتم له ذلك بعد أن أهين « السفطي » وامتحن وسجن في حبس أولى الجرائم[1].

ومن بين هؤلاء ـ كذلك ـ البدر العيني (ت ٨٥٥ هـ./١٤٥١ م.) الذي كانت بينه وبين « ابن حجر » صداقة اقتضت استضافته لابن حجر في بلدته ـ عين تاب ـ في سفرتيهما الى حلب صحبة السلطان ـ لأكل ضيافته ـ وتلبية « ابن حجر » لذلك، وأخذ كل منهما عن صاحبه سواء في المناظرة أو فيما ترك من المؤلفات ولكن انقلبت هذه العلاقة الى حد السقوط والاسفاف في بعض مواضع منها:

(١) انتهاز كل منهما لبعض المناسبات في التعريض شعرا بصاحبه[2].

(٢) تتبع « العيني » ابن حجر في مؤلفه « عمدة القاري » الذي شرح به « صحيح البخاري » آخذا عليه ما يرى من المآخذ في « فتح الباري » مما جعل « ابن حجر » يتعرض له منتصفا لنفسه في كتابين هما:

* الاستنصار على الطاعن المعثار، وقد بين فيه ما نسبه « العيني » اليه مما

---

(١) السخاوي. الذيل على رفع الاصر ص ٢٤٩ ـ ٢٥٤، الضوء اللامع تر ٢٥٦ ص ٧/١٢٠، الجواهر والدرر ق ١٧١ أ.

(٢) من ذلك انشاد « ابن حجر » في مجلس « المؤيد شيخ المحمودي » وقد مالت المئذنة التي بنيت على البرج الشمالي بباب زويلة للجامع المؤيدي وكادت أن تسقط:

لجامع مولانا المؤيد رونق ... منارته بالحسن تزهو وبالزين
تقول وقد مالت عن القصد: أمهلوا ... فليس على جسمي أضر من العين
(من الطويل)

فأراد بعض الجلساء العبث « بالبدر العيني » فذكروا له أن « ابن حجر » عرض به فيغضب واستعان بمن نظم له ما نسب لنفسه من نقضها بقوله:

منارة كعروس الحسن اذ جليت ... وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا: أصيبت بعين. قلت: ذا غلط ... ما أوجب الهدم الا خسة الحجر

ويعلق « ابن حجر » ـ انباء الغمر ص ٣/١٤٥ ـ على ذلك قائلا: « .. قلت هما للشيخ العلامة كمال الدين النواجي، عفا الله عنهم أجمعين.

زعم انتقاده في خصوص خطبة كتابه، ووافقه علماء ذلك العصر على ما أورد فيه مشيرين الى فساد انتقاء «العيني» مصوبين صنيع «ابن حجر».

* «انتقاض الاعتراض» الذي رد به على انتقادات «العيني» له في شرحه للبخاري.

(٣) بل لقد تتبع «ابن حجر «ما نظمه العيني في» السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي»[١] محصيا ما وقع فيه من الأخطاء في مؤلف أسماه: «قذى العين في نظم غراب البين»[٢].

كما كان من بين المنافسين «لابن حجر» في وظائفه أو مركزه العلمي كل من «الشمس الهروي» (ت ٨٢٩ هـ./١٤٢٦ م.) وقد جرت بينهما مناظرات بحضرة السلطان بان فيها خطأ «الهروي» وارتفعت بسببها منزلة «ابن حجر» في عين السلطان[٣]. و «الشمس الهرماوي» وقد أنهى الى السلطان أن شرط المؤيد أن لا يكون في المؤيدية مدرسا قاضيا وأعانه على ذلك قوم آخرون، فانتزع من «ابن حجر» تدريس الشافعية بها الى أن سعى في اظهار كتاب الوقف وقد سكت عن الشرط المذكور فاعيدت اليه[٤]. و «الونائي» وقد سعي في انتزاع تدريس الصلاحية من «ابن حجر» في عوده

(١) السخاوي. الذيل على رفع الاصر ص ٤٣٦ وما بعدها، الضوء اللامع تر ٥٤٥ ص ١٣٣ - ١٠/١٣٤.

(٢) حاجي خليفه. كشف الظنون ص ٢/٩٩٠ وفيه قوله: «.. وقد جرد الشيخ شهاب الدين ابن حجر منها - أي من سيرة الملك المؤيد - الأبيات الركيكة بلا وزن فبلغت نحو اربعمائة بيت في كتاب وسماه قذي العين من نظم غراب البين - وكان بينهما منافسة».

(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٥٨ وما بعدها، وهو غير «شمس الدين محمد الهروي الذي أشار «ابن حجر» في حوادث حولية سبع وثلاثين وثمانمائة الى أنه أراد أن ينتقص من قدره باغراء بعض الناس، فأبى الله ذلك وحاق المكر السيء بأهله - انباء الغمر ص ٣/٥١٥.

(٤) انظر ص ١٣٥ من هذا البحث.

من الشام منصرفا عن قضائها وتنازل «ابن حجر» له عنها برغبته[1] ، وسعى «البيهاء بن حجي» على «ابن حجر» جهرا في توليه لمنصب القضاء وان لم يصب مرماه[2].. مما مر بك آنفا في موضعه من هذا البحث.

---

(١) انظر ص ١٣٦ من هذا البحث.

(٢) السخاوي. الذيل على رفع الاصر ص ٨١.

ثالثا ـ علاقاته بطلبته وتلامذته

كثيرا ما كان «ابن حجر» يرشد طلبته الى المحدثين والمسندين ويحضهم على القراءة عليهم، والتحمل عنهم، وربما شكوا اليه جفوة بعضهم وعدم طواعيته لهم في القراءة، فيكتب له يرغبه في التحديث، ويحضه عليه مؤكدا في الاهتمام بشأن تلامذته[1]. مع حرصه على عدم ذكر تلميذه وان صغر الا بصاحبنا فلان[2]. وغالبا ما كان يعين الطالب بالكتابة بيده لما يرومه من أجوبة لبعض المسائل أو سرد للأسانيد..[3] فاذا ما قصده أحدهم وقد فرغ من درسه وهم بدخول بيته وقف له لا يفارقه حتى يكون هو المفارق وان امتد وقوفهما الى أبعد من ساعة[4]. كما كان كثير العارية لهم بكتبه ـ التي غالبا ما كان يفتدي بها كتب الأوقاف ـ حتى لقد ضاع منها بسبب ذلك ما يزيد على مائة وخمسين سفرا التمسها في السوق فلم يحصل معظمها[5]. بل ربما طلب منه أحدهم نسخة من بعض الأجزاء الحديثية مفردة التماسا للخفة، حيث توجهه الى مكان بعيد فما يتيسر له اذ ذاك طلبه فيعمد الى قطع نسخة من مجموع بخطه ليرسلها اليه[6]. وغالبا ما كان يقصده طلبته وقد استعاروا من غيره كتابا فقد ـ رجاء تفريج كربهم لدى المعير بما استكتبهم اياه فيقوم لهم بذلك[7]. وكثيرا ما كان يتفقد الطلبة ـ لا سيما الغرباء والوافدين عليه ـ

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧٩ أ.

(٢) نفسه ق ٢٨٠ ب.

(٣) نفسه ق ٢٧٨ ب.

(٤) نفسه ق ٢٨٠ أ.

(٥) نفسه ق ٢٧٩ أ.

(٦) نفسه ق ٢٧٨ ب.

(٧) من ذلك أن أحد تلامذته «العز الحسني» قد استكتبه «التاج البلقيني» في كتاب استعاره =

منفقا فيهم، معينا لهم بكتبه وهداياه وما شاكل ذلك، ويكتب لطلبته في الاجازات وغيرها ما يكون مشجعا لهم على الانكباب على العلم وقد شحذت هممهم(١) ويقول ـ كذلك ـ بعيادتهم في مرضهم(٢) ـ ويصبر عليهم في حال مرضه. فلقد مكث في مرض موته مدة وهو لا يعلم به بعض من يقرأ عليه ليلا مراعاة لخاطره مع تحمله لكبير مشقة في ذلك، الى أن أعيا فأعلمه بلطف(٣).

= من والده، وقد ضاع من تحت يد الناسخ فخشي من القاضي، وذكر ذلك «لابن حجر» فقام معه في الفحص عنه عند الكتبيين ونحوهم رجاء الظفر به ليزول ما عند تلميذه من الكرب بسبب فقده، لكن مع كبير الجهد المبذول لم يدركه، فحينئذ حصل نسخة منه وعاونه بورق أو ثمنه حتى جدد منه نسخة.

وقريب الشبه من ذلك ضياع مجلد من «تاريخ الاسلام للذهبي» من نسخة «الزيني عبدالباسط» وهي بخط «البدر البشتكي» فلما بلغه علم ذلك ممن ضاع المجلد منه بادر وأخذ المحل من نسخة الأصل بالمحمودية وتوجه به مع الورق وأجرة النسخ الى «البشتكي» فشرع في تكلمته واتفق قبل انقضاء الكتابة أن وجد المجلد فامتنع من اعلام البدر بذلك حتى لا يتعطل عليه ما كتب ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧٦ أ.

(١) من ذلك ما كتبه لمحمد بن بدل بن محمد، البدر الأردبيلي التبريزي، وقد عرض جملة من الكتب عليه، وقرأ عليه قطعة جيدة من أول البخاري قائلاً: «.. الشيخ الفاضل، الحفظة الكامل، العالم الباهر الماهر، مفخرة أهل مصره، وغرة نجوم عصره»، وقوله: «.. أعانه الله على الانتفاع بما حفظه، وأوزعه شكر نعمته لما أودعه واستحفظه» ـ السخاوي الضوء اللامع ص ٧/١٤٩ تر ٣٧٢.

ووصفه كتابة للبهاء العلقمي في عرضه «بالحُفَظَة المِدْره، أعجوبة العصر ذكاء، نادرة الدهر نجابة ورواء، أسعد الله جده، وأقر به عين أبيه، ورحم جده» ـ السخاوي. نفسه ص ٧/٢١٨.

ووصفه لابن الزين المشهدي (ت ٨٨٩ هـ./١٤٨٤ م.) «بالفاضل العلامة البارع المحدث المفنن فخر المدرسين عمدة المتفننين» ـ السخاوي. نفسه ص ٧/١٨٠.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧٦ ب ـ ٣٧٧ أ.

(٣) نفسه ق ٢٧٨ أ.

البـــاب الثانـــي

منهج «ابن حجر» في كتابه «الانبـاء»

الفصل الأول : الخطة العامة للكتاب
الفصل الثاني : طبيعة الكتاب وأسس انتقاء مادته.
الفصل الثالث : العلاقـــة بين الترجمات والحوادث في الكتاب
الفصل الرابع : مصادر مادة الكتاب
الفصل الخامس : النقد التاريخي في الكتاب
الفصل السادس : العلاقــة بين «الانبــاء» والمؤلفــات التاريخية الأخرى لابن حجر.

الفصل الاول

الخطة العامة للكتاب

* وصف الكتاب
* النسق الفني للانباء
* النسق التعبيري للانباء

وصف الكتاب

يعد «انباء الغمر» من أهم ما خلف «ابن حجر» من مؤلفات تاريخية لكونه الكتاب الوحيد الذي اشتمل على الحوادث والتراجم، وكان «ابن حجر» معاصرا لحيزه الزماني، مشركا للكثير من حوادثه، مدركا لمعظمه، مما جعله ينفرد بذلك عن مؤلفين له معاصرين هما «ذيل الدرر»، و «المجمع المؤسس»، حيث اقتصرا على التراجم، اهمالا لذكر الحوادث فيهما تفصيلا، وان وردت عرضا في التراجم باعتبارها مشكلة لبعض عناصره، مكونة لمادتها.

ويبدو أن «ابن حجر» لم يشرع في تدوين حولياته حال وقوع حوادثها أو حدوث وفياتها، وانما كان ذلك يحدث ـ غالبا ـ بعد انقضاء أمد طويل على

وقوعها[1] كما أنه كان دائب الرجوع الى حولياته، معدلا ـ سواء بالاضافة أو بالحذف ـ ولذا فان صفحات الكتاب قد تداخلت المعلومات فيها في مواضع كثيرة، من احالات في المتن الى تتمات في سائر الجوانب، واضافات لترجمات فاته تدوينها في صلب الكتاب ومتن الصفحات، أو كثير من الحوادث التي اطلع عليها في كتب ومؤلفات الغير كابن خطيب الناصرية ـ على سبيل المثال[2].

---

(١) يتأيد ذلك بقوله في ترجمة «ابن خطيب القلعة الحموي» (ت ٧٧٤ هـ./١٣٧٣ م.): «.. وآخر من بقي ممن أخذ عنه: موقع الحكم بحماة، شرف الدين بن المغيزل، لقيته في سنة وثلاثين وثمانمائة بها ـ ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٥٥ تر ٤٧، وقوله في ترجمة «ابن الصائغ الحنفي» (ت ٧٧٦ هـ./١٣٧٥ م.): «.. وأدركت أنا في الجامع نحو هذا العدد لكنهم لا يحضرون أصلا، بل يأخذون المعلوم من وقف الجامع، ثم قطعوا في أواخر دولة الأشرف، ثم اعيد بعضهم في دولة الظاهر» ـ نفسه ص ٩٥ ـ ١/٩٦، وقوله في حوادث حولية احدى وثمانين وسبعمائة: «.. واستقر تدريس الحديث بيده، ثم استقر فيه ولده الى أن صار الى كاتبه» ـ نفسه ص ١/١٩٥، وقوله في حوادث حولية ثمان وثمانين وثمانمائة: «.. وفي شعبان أسلم نصراني يقال له ميخائيل من أهل مصر، فقرر ناظر المتجر السلطاني، وحصل للناس منه ضرر كبير، وسيأتي ما آل اليه أمره في سنة تسع وثمانين» ـ نفسه ص ١/٣١٧، وقوله في حوادث حولية تسع وثمانين وسبعمائة: «.. وفيها ضربت الفلوس التي أحدثها جركس الخليلي، وجعل اسم السلطان في دائرة فتفاءلوا له من ذلك بالحبس، فوقع عن قرب، ووقع نظيره لولده الناصر فرج في الدنانير الناصرية» ـ نفسه ص ١/٣٣٥، وقوله في حوادث حولية اثنتين وتسعين وسبعمائة: «.. وفي صبيحة هذا اليوم ـ عاشر صفر ـ استقر كريم الدين بن عبدالعزيز ـ الذي تزوجت أنا ابنته بعد هذا بست سنين ـ في نظر الجيش..» ـ نفسه ص ٣٩٤ ـ ١/٣٩٥، وقوله في حوادث حولية سبع وتسعين وسبعمائة: «.. وفيه أمر شيخ ـ الذي صار بعد ذلك سلطانا (أمير) أربعين، وأمر نوروز تقدمة ألف» ـ نفسه ١/٤٨٧، وقوله: «.. وفي آخر هذه السنة رحلت الى ثغر الاسكندرية فسمعت بها من.. وأقمت بها الى أن رحلت هذه السنة، ودخل في السنة التي تليها عدة أشهر» ـ نفسه ص ١/٤٩٥، ويمكن مراجعة صفحات: ١/٤٠٠، ١/٥٠٩، ١/٥١١، ٢/٧٨، ٢/١١٧، ٢/١٧١، ٢/٣٣٣، ٢/٤٦١، ٢/٥١٦، ٣/٤١١، ٣/٤١٩، ٤/٩..

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٥.

كما كان كثير الضرب (الشطب) على المعلومات الواردة في المتن وجوانب الصفحات ـ كذلك ـ حتى لقد وصل به الأمر في ذلك الى الضرب على كثير من الترجمات المكتملة لتأتي وقد عدلت في زوايا الصفحات المضروب عليها فيها ـ في ثوب جديد كما وكيفا.

كما كان كثيرا ما ينص على الترتيب[1] أو التحويل الى حولية أخرى[2] وقد دون احدى الترجمات في غير موضعها من الوفيات سهوا.

كل هذا ـ لا شك ـ جعل مؤلفه مختلف الترتيب، وان ظهر ذلك جليا في القسم الخاص بتدوين الوفيات من كل حولية. بل لقد أتت آخر حوليات الكتاب، حولية خمسين وثمانمائة ـ مختلة الترتيب، مخالفة للمنهج المتبع في الحوليات السابقة لها حيث تداخلت فيها المعلومات، واختلطت فيها الحوادث بالترجمات.

وهذا يشير ـ دون أدنى شك ـ الى أن «ابن حجر» قد ترك كتابه في المسودة، والى أنه لم يكن قد أكمله بعد، والا لما وقف به عند نهاية حولية خمسين وثمانمائة، ولما أتت هذه الحولية على تلك الكيفية.

وتلك مسئولية القيت على عاتق نساخ الكتاب وناشريه، فاضطلعوا بذلك ورواعوا رغبة المؤلف في الترتيب والتبويب ـ قدر الامكان ـ على نحو ما سوف يبين.

---

(١) نفسه ق٦٦ ب (هامش أيمن) حيث ينص في ترجمة «ابراهيم بن سرايا الكفرماوي» (ت ٧٨٦ هـ./١٣٨٥ م.) الى ضرورة ترتيبها، ويقابلها في مطبوعة القاهرة ص ١/٢٩٢ ترا.

(٢) نفسه ق٦٣ ب، حيث أشار في ترجمته «لاسماعيل بن بردس» (ت ٧٨٦ هـ./١٣٨٥ م.) ـ وقد وردت ضمن وفيات حولية خمس وثمانين وسبعمائة ـ الى ضرورة التحويل، ويقابلها في مطبوعة القاهرة ص ١/٢٩٢ تر ٥.

تاريخ كتابة الانباء

لا يعرف ابتداء «ابن حجر» بالكتابة في «انباء الغمر»، وان كان أقدم تاريخ ورد في المتن مؤرخا لمادته يرجع الى «شعبان سنة ست وثلاثين وثمانمائة»[1]، كما لا يعرف تاريخ الفراغ من كتابة آخر حولياته، وهو لا ريب بعد الخمسين وثمانمائة أو في نهايتها.

عنوان الكتاب

لا يحتاج عنوان الكتاب وهو: «انباء الغمر بأنباء العمر» الى تحقيق أو جهد في نسبته الى المؤلف، وانتساب الكتاب اليه، ذلك أن «ابن حجر» قد أثبته في خطبة الكتاب، وبقي الكتاب الى وقتنا في صورته الأولى بخط مؤلفه، ولكن قد يكون في حاجة الى زيادة توضيح وتفسير:

فالغمر، جمع غمر - بفتح الغين أو كسرها أو ضمها، وجواز تحريك ميم المفرد - وهو: غير المجرب للأمور[2].

والانباء - بكسر الهمزة - اخبار المتكلم سواه الخبر[3].

والأنباء، جمع نبأ، وهي الأخبار التي ينبىء بها المتكلم غيره[4].

وعلى ذلك فالمعنى الذي يتضمنه العنوان هو:

«أخبار غير المجربين (أو غير العارفين) بأخبار عمره».

نسخ الكتاب

قدر لهذا الكتاب، وقد تركه «ابن حجر» في المسودة أن يذيع وينتشر

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص.

(٢)، (٣) ابن منظور. لسان العرب ص ٦/٤٣١٥.

(٤) نفسه ص ٥/٣٢٩٥.

بعد وفاته ـ وقد حبسه عن أعين الناس، فضلا عن أيديهم، اللهم الا عن ندرة من أخص تلامذته ـ فعرفت لعصرنا منه ثمان وعشرون نسخة خطية، بالاضافة الى المسودة التي بقيت ـ كذلك ـ بصورة جيدة، هي أحسن حالا من كثير من النسخ المستمدة منها.

ولقد قدر لي أن أطلع على عشر نسخ منها في صورتها الأصلية، أو في شكل مصورات أخذتها عنها، وهي:

(١) مسودة الكتاب، وتقع في ٤٨٣ ورقة، مقاسها ٢٥ × ١٥ سم، وتحتفظ بها دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم: ٢٤١ تاريخ، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية رقم: ٦٥ تاريخ، كما توجد لها مصورات بمكتبات: دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، وجامعة الأزهر، وآداب عين شمس.. وتعد أهم نسخ الكتاب لكونها بخط المؤلف، وتمثل الكتاب في صورته التي تركه عليها «ابن حجر».

(٢) نسخة أحمد الثالث ـ باستنبول ـ رقم: ٢/٢٩٤١، وتقع في مجلدتين تضم الأولى منها ٢٧٧ ورقة، والثانية ٢٧٥ ورقة من الحجم الكبير وقد كتبت في القرن التاسع الهجري، كما يتضح من تقييدات وتعليقات «الشمس السخاوي» عليها.

ويبتدىء المجلد الأول منها بأول الكتاب، وينتهي عند آخر ترجمات وفيات حولية احدى عشرة وثمانمائة ـ يلبغا السالمي ـ وقد ورد على صفحة الغلاف قوله: «الجزء الأول من انباء الغمر في أنباء العمر، جمع قاضي القضاة، شيخ الاسلام، حافظ العصر أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي تغمده الله برحمته»، وورد في الصفحة التالية لصفحة الغلاف قوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر وأعن واختم بخير يا كريم. الحمد لله الباقي وكل مخلوق يفنى.. (خطبة الكتاب)»، كما جاء في آخره قوله: «آخر المجلد الأول، والحمد لله على انعامه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

تسليماً كثيراً، آمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، يتلوه سنة اثنتي عشرة وثمانمائة في المجلد الثاني ان شاء الله تعالى».

أما المجلد الثاني منها فيبتدىء بحولية اثنتي عشرة وثمانمائة، وينتهي بنهاية الكتاب، وقد دون على غلافه العبارة التالية: «الجزء الثاني من انباء الغمر في أنباء العمر، جمع قاضي القضاة، شيخ الاسلام، حافظ العصر الشهاب أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي، تغمده الله برحمته» وفي الصفحة التالية للغلاف قوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر وأعن واختم بخير. سنة اثنتي عشرة وثمانمائة..»، أما الورقة الأخيرة منه فتحمل ما يشير الى نهايته من قوله: «.. آخر ما وجدته بخط مصنفه في المسودة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

وبمقابلة هذه النسخة بأصل الكتاب، وبالنسخ التالية وجدت أنها تعد الأصل الثاني بعد أصل مؤلفه، حيث الترتيب والتنظيم للأصل مع الحرص ـ غالبا ـ على عدم الاخلال به، كما يلاحظ أن باقي النسخ لم ترجع الى المسودة للنسخ عنها، وانما الى هذه النسخة بالذات، بل ولقد اعتبر تجزيء هذه النسخة لدى النساخ في النسخ التالية منهجا مرعيا لا تحيد عنه.

(٣) نسخة المدينة ـ بالسعودية ـ رقم ٥٢٢ تاريخ، وهي بخط عبدالله المنظراوي، وتقع في مجلدتين ـ روعي فيهما التقسيم السالف ـ ويقع الجزء الأول منها في ٢٣٩ ورقة، والثاني في ٢٣٦ ورقة، مقاسها ١٨ × ٢٧.٧ سم وفي نهايتها ما يشير الى الفراغ من كتابتها سنة ٨٦٨ هـ.، وما يشير الى تمام الكتاب: «.. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، هذه السنة آخر هذا الكتاب».

(٤) نسخة الثالث ـ باستنبول ـ رقم ١/٢٩٤٢ تاريخ، ورقم ١/٢٩٤١ تاريخ، وتضم المجلد الأول والثاني على التوالي، ويتبعان التقسيم السابق، حيث

يقع المجلد الأول في ١٨٧ ورقة، والثاني في ١٩٨ ورقة ذات القياس الكبير، وهي نسخة خزائنية ـ لكنها كسابقتها كثيرة التحريف والاسقاطات ـ كتب على غلافها: «الاول من انباء الغمر بأنباء العمر للشيخ الإمام العالم العلامة شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر ـ رحمه الله»، ويأتي في صدر الورقة التالية لغلاف المجلد الأول قوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وعلى آله وأصحابه وسلم، الحمد لله الباقي وكل مخلوق يفنى...»، كما جاء في آخره قوله «.. آخر المجلد الأول، والحمد لله على نعمه، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته والتابعين وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين. يتلوه سنة اثنتي عشرة وثمانمائة، أعان الله على اكماله وتحريره بمحمد وآله، وحسبنا الله ونعم الوكيل»، كما دونت في آخر صفحات هذا الجزء أربع وفيات خارجة عن ترجمات الكتاب منها ترجمة قصيرة جدا للجلال المحلي.

أما الجزء الثاني المتمم لهذا الجزء ـ وبنفس الخط والنظام والرسم ـ فقد ورد على غلافه قوله: «الثاني من انباء الغمر بأنباء العمر للشيخ الامام العالم العلامة شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر رحمه الله»، وفي الصفحة التالية قوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على أشرف خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. سنة اثنتي عشرة وثمانمائة..»، كما ورد في نهاية هذا المجلد قوله: «.. والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأزواجه وذريته، وحسبنا الله ونعم الوكيل. تم الجزء الثاني من انباء الغمر لشيخ الاسلام الامام العلامة، حافظ العصر خادم السنة..».

(٥) نسخة السعيدية، بحيدر آباد ـ الدكن، بالهند، ذات الرقم: ٩٤ تاريخ، وتقع في مجلدتين كتبتا بخط واضح في القرن التاسع الهجري وتقع في ٤٠٠ ورقة مقاسها ١٢ × ٢٠ سم، ومسطرتها حوالي ٣١ سطرا متساوية الصفحات في كل، وتتبع التقسيم الوارد في النسخ السالفة، وقد جاء على غلاف الأول منها قوله: «الأول من انباء الغمر بأنباء العمر جمع شيخنا شيخ

الاسلام، حافظ العصر، قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني الأصل، المصري الشافعي، الشهير بابن حجر، رحمه الله »، وفي الصفحة التالية لصفحة الغلاف قوله: « بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر وأعن واختم بخير يا كريم، الحمد لله الباقي وكل مخلوق يفنى.. »، كما يأتي آخره قوله: « .. آخر المجلد الأول والحمد لله على انعامه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا آمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، يتلوه سنة اثنتي عشرة وثمانمائة، أعان الله على اكماله ».

أما الجزء الثاني، فقد جاء على صفحة الغلاف قوله: « الثاني من انباء الغمر بأنباء العمر، تأليف شيخنا شيخ الاسلام، حافظ العصر، قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني الأصل المصري، الشهير بابن حجر رحمه الله »، كما دون عليه تمليكا لعمر بن عقيل بن عمر. وجاء في الصفحة الأولى بعد الغلاف قوله: « بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر وأعن واختم بخير يا كريم، سنة اثنتي عشرة وثمانمائة » كما جاء بآخره قوله: « آخر ما وجدته بخط مصنفه في المسودة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، آمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل ». ويلاحظ أن هذه الخاتمة هي هي نفس الخاتمة المثبتة في آخر نسخة[٢].

(٦) نسخة الأوقاف العامة ببغداد رقم: ٥٨٨٣ تاريخ، وهي خزائنية بها آثار رطوبة في بعض صفحاتها، وعليك تمليك سنة ١٠٩٥ هـ. وما يشير الى وقف « نعمان العلوي الألوسي » لها سنة ١٣٠٤ هـ. على المدرسة المرجانية. وكذا ما يشير الى أن متملكها، هو « ابراهيم بن سليمان بن محمد بن عبدالعزيز الحنفي الدمشقي » كان في ملكه المجلد الثاني منها. كما قيدت عليها سماعات « للمصطفى بن المحب » وغيره.

وتقع هذه النسخة في حوالي ٢٧٤ ورقة من القطع الكبير، ومسطرتها حوالي ٢١ سطرا، وتحتوي على الجزء الأول فقط، من أول الكتاب وحتى

نهاية وفيات حولية احدى عشرة وثمانمائة، وقد ورد في صدر الصفحة الأولى بعد الغلاف قوله: « بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر يا كريم، الحمد لله الباقي وكل مخلوق يفنى.. »، وفي آخرها قوله: « .. آخر المجلد الأول، والحمد لله على انعامه، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وحسبنا الله ونعم الوكيل. يتلوه سنة اثنتي عشرة وثمانمائة أعان الله على اكماله ».

(٧) ويتم هذه النسخة ويكملها، الجزء الثاني من نسخة المكتبة الأزهرية بالقاهرة، رقم: ٧١٠ تاريخ، ويحتوي على ٢٢٨ ورقة مقاسها ١٨ × ٢٧ سم ويبتدىء بحولية اثنتي عشرة وثمانمائة، وينتهي بنهاية الكتاب، وهو بخط مشابه لنسخة بغداد، عليه مطالعات لنفس المقيدين على الجزء السابق لمطالعتهم له.

وقد جاء في الصفحة الأولى بعد الغلاف مستفتحا قوله: « بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على أشرف خلقك سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما (كثيرا). سنة اثنتي عشرة وثمانمائة.. »، ولم يرد في آخر هذا المجلد ما يشير الى تمام الكتاب.

وتحتفظ المكتبة الأزهرية ـ تحت هذا الرقم ـ بالجزء الأول من نسخة مغايرة الخط تبتدىء بأول الكتاب وتنتهي بنهاية وفيات حولية احدى عشرة وثمانمائة، وقد جاء في الصفحة الأولى بعد الغلاف قوله: « بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله، الحمد لله الباقي وكل مخلوق يفنى.. »، كما جاء في نهايته قوله: « .. انتهى المجلد الأول بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه، يتلوه سنة اثنتي عشرة وثمانمائة، وحسبنا الله ونعم الوكيل ».

(٨) وعن هذه النسخة ـ بمجلدتيها ـ نسخة حديثة تقع في ثلاثة مجلدات وعنها نسخة أحدث ـ بنفس التقسيم والتجزىء ـ وقع الفراغ منها صباح يوم الأحد ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٥٩ هـ. الموافق ٢٨ من ابريل سنة ١٩٤٠ م.

على يد محمود صدقي النساخ.

وهاتان النسختان تحتفظ بهما دار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم: ٢٤٧٦ تاريخ، و ٨٨٤٤ ح.

(٩) كما توجد نسخة تخالف التقسيم المشار اليه في النسخ من ٢ : ٧ وهي نسخة الرباط رقم ٣٢٤ ك، وقد كتبت بخط مغربي، وتقع في ٢٣٥ ورقة بها آثار رطوبة وأرضة، ومسطرتها حوالي ٣١ سطرا، وتبتدىء بأول الكتاب وتنتهي في أثناء حولية أربع عشرة وثمانمائة.

ويشير ناشرو الكتاب، والمعنيون بالافصاح عن تعدد نسخه [1] الى وجود نسخ أخرى، هي:

(١) نسخة خزائنية بصنعاء، وعنها ميكروفيلم بدار الكتب والوثائق المصرية.

(٢) نسختا المكتبة الأهلية بباريس، الأولى رقم: ١٦٠١ - ١٦٠٢، وتقع في مجلدتين كتبنا في القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري أوراقها: ٢٤٦ و ٢٧٩ ورقة.

أما النسخة الثانية فتحمل رقمي ١٦٠٣ و ١٦٠٤، وتقع في مجلدتين مختلفتين من حيث الخط وعدد الأوراق والتجزىء، حيث يقع المجلد الأول في ٢٤٥ ورقة ويحتوي على الجزء الأول من الكتاب، ابتداء بأول الكتاب وحتى نهاية وفيات حولية احدى عشرة وثمانمائة، أما المجلد الثاني فيحتوي على ٢٤٦ ورقة، ويحتوي على الحوليات من سنة احدى وثمانمائة وحتى نهاية حولية ثلاث وعشرين وثمانمائة.

---

(١) تراجع مقدمات تحقيق نشرات: القاهرة، والهند، ودمشق، وكذا محمد راغب الطباخ. مخطوطات ومطبوعات انباء الغمر بأنباء العمر. دمشق مجلة المجمع العلمي العربي ص ١٢٨ - ١٦/١٢٩، واستدراك كوركيس عواد عليه بالمجلة نفسها ص ٣٧٢ - ١٧/٣٧٥.

ويلاحظ أن المجلد الأول قد كتب في القرن التاسع الهجري، بينما ورد في نهاية المجلد الثاني ما يشير الى أنه كتب سنة ٨٨٠ هـ.

(٣) نسخة مكتبة غوطا رقم: ١٦٢٢ - ١٦٢٣ وهي في مجلدتين.

(٤) نسخة المتحف البريطاني رقم: ١٢٤١، ٣١٦، وكل منهما تمثل مجلدة من الكتاب، الأولى تمثل الجزء الثاني منه وتحتوي على الحوادث من حولية اثنتي عشرة وثمانمائة وحتى نهاية الكتاب، وقد ورد في نهايتها قوله: «آخر ما وجد بخط مصنفه في المسودة ولله الحمد».

(٥) نسخة الفاتيكان رقم: ٧٣١، وتمثل المجلد الثاني من الكتاب، وتقع في حوالي ٢٢٦ ورقة نسخت في القرن التاسع الهجري، وكان تمام النسخ في ١٦ من شوال سنة ٨٧٦ هـ.

(٦) نسختا برلين رقم: ٩٤٦٠ وتقع في ٢٣٣ ورقة تمثل المجلد الثاني من الكتاب، وتشير الى أنها بخط جمال الدين يوسف سبط المؤلف، ورقم: ٩٤٦١ وتقع في ٢٣٦ ورقة كتبت سنة ألف للهجرة، وهي جزء واحد.

(٧) نسختا مكتبة كوبريلي باستانبول وتقع الأولى في مجلدتين تحملان رقمي ١٠٠٥، و١٠٠٦، والثاني تقع في مجلدتين ـ كذلك ـ تحملان رقمي ١٠٠٧، و١٠٠٨. وهما تامتان.

(٨) نسخة خزانة أيا صوفيا باستنبول رقم ٢٩٧٤ وتقع في مجلدة واحدة.

(٩) نسخة خزانة نور عثمان باستنبول وتحتوي على مجلد واحد من الكتاب وتحمل رقم: ٣٠٥٦.

(١٠) نسخة خزانة ولي الدين باستنبول رقم: ٢٣٤٠ - ٢٣٤١، وتقع في مجلدتين تحتويان على ٥٣٦ و ٤٨٠ صفحة على التوالي.

(١١) نسخة خزانة بكي باستنبول، وتمثل مجلدة من الكتاب تحمل رقم: ٨١٤.

(١٢) نسخة مكتبة الأوقاف بحلب ذات الرقم: ١/٢٣٨، وتقع في مجلدتين.

(١٣) نسختا الجزائر رقم: ١٥٩٧، ١٥٩٨ وتقع في مجلدتين، تحتوي الأولى منها على ٢٢١ ورقة ابتداء بأول الكتاب وحتى نهاية وفيات حولية احدى عشرة وثمانمائة، بينما تبتدىء الثانية بحوادث حولية اثنتي عشرة وثمانمائة وتنتهي بنهاية الكتاب.

ورقم: ١٥٩٩، ١٦٠٠ وتحتوي على مجلدتين ـ كذلك ـ تبتدىء الأولى منهما بأول الكتاب وتنتهي بحوادث (لعلها وفيات) حولية عشرة وثمانمائة للهجرة، بينما تبتدىء الثانية بحوادث حولية احدى عشرة وثمانمائة وتنتهي بنهاية الكتاب.

وهكذا فقد عرفت لعصرنا ثمان وعشرون نسخة ـ تقريباً ـ بين كاملة وناقصة تفرقت بين احدى وعشرين مكتبة منبثة في بلدان الشرق والغرب.

نشرات الكتاب

قدر لانباء الغمر أن ينشر نشرات ثلاث هي:

(١) نشرة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، بتحقيق «السيد عبدالله بن أحمد بن محمد المديحج العلوي الحسيني الحضرمي» ومساعدة «محمد صادق الدين الأنصاري» ومراجعة الدكتور «محمد عبدالمعيد خان»، وقد صدر الجزء الأول منها سنة ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م. ثم تبعه باقي الأجزاء، وتقع في تسعة أجزاء ذات قطع متوسط. بدون تقديم أو فهرسة، مكتفيا بالنص الذي اعتمد في نشره أصولا أربعة هي: (نسخة السعيدية

بالهند وقد اتخذت أصلا للكتاب، ونسخة دار الكتب المصرية ونسختا المكتبة القومية بباريس):

وكان محتوى كل جزء منها على النحو التالي:

رقم الجزء	تاريخ النشر	الحوليات من	الحوليات الى
الأول	١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م.	أوله	نهاية ٧٨١
الثاني	١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م.	٧٨٢ هـ.	نهاية ٧٩١
الثالث	١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م.	٧٩٢ هـ.	نهاية ٨٠٠
الرابع	بدون تاريخ	٨٠١ هـ.	نهاية ٨٠٣
الخامس	١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م.	٨٠٤ هـ.	نهاية ٨٠٨
السادس	١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م.	٨٠٩ هـ.	نهاية ٨١٣
السابع	١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م.	٨١٤ هـ.	نهاية ٨٢٥
الثامن	١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م.	٨٢٦ هـ.	نهاية ٨٤٠
التاسع	١٣٩٦ هـ/١٩٧٦ م.	٨٤١ هـ.	نهاية ٨٥٠

ويلاحظ أنه قد اعتمد في تعليقاته وتهميشاته على النص من مؤلفات «ابن حجر»: الدرر الكامنة، ومن مؤلفات غيره، على سبيل الحصر والاستيعاب مروج الذهب، والمستظهري للغزالي، ومعجم البلدان، وذيل مرآة الزمان ومرآة الزمان، وعجائب المقدور، وخطط المقريزي، والنجوم الزاهرة، ونزهة الخواطر، والدارس في تاريخ المدارس، وبدائع الزهور، والقاموس المحيط والمعجم الصغير للطبراني، وصبح الأعشى، وبغية الوعاه، وطبقات الشافعية وحسن المحاضرة للسيوطي، والضوء اللامع السخاوي.

بالاضافة الى مراجع حديثة هي: دائرة معارف البستاني، اعلام الزركلي

كشف الظنون، كنز العلوم واللغة.

ويعيب هذه النشرة عدم اعتمادها على مؤلفات «ابن حجر» المعاصرة لتفرة الانباء كذيل الدرر، ورفع الاصر، والمجمع المؤسس في تصويب أسماء الأعلام، وملء البياضات الموجودة بأصل الكتاب، بالاضافة الى عدم رجوعها الى الأصول المخطوط والمطبوعة لمصادره، ومنها على سبيل المثال: تاريخ وطبقات ابن قاضي شهبة، ودرة الأسلاك في دولة الأتراك لابن حبيب، والدرر المنتخب في تكملة تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية، وعقد الجمان للبدر العيني..

كما أنه يعيبها ـ كذلك ـ عدم اعتمادها على مسودة الكتاب، وهي أصله، والصورة التي تركه مؤلفه عليها.

وان كانت مع ذلك تعد نشرة أمينة لنسخة السعيدية، وهي المتخذة أصلا لها، وتنفرد عن باقي النشرات بأنها الوحيدة التي خرجت النص مكتملا حتى الآن.

(٢) نشرة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، بالقاهرة، تحقيق الدكتور حسن حبشي، وتقع في ثلاثة أجزاء، بيانها كالتالي:

رقم الجزء	تاريخ النشر	الحوليات: من	الى
الأول	١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م	أول الكتاب	نهاية ٧٩٩ هـ.
الثاني	١٣٩١ هـ/١٩٧١ م	٨٠٠ هـ.	نهاية ٨١٥ هـ.
الثالث	١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م	٨١٦ هـ.	نهاية ٨٣٨ هـ.

ويلاحظ أن الجزء الأول منها قد قدم له بمقدمة قصيرة (تشتمل

الصفحات ٧ : ٢٦)، ويتبعها النص. واعدا بظهور الفهارس العلمية والتفصيلية لحوليات الكتاب عند تمام الطبع. وان وردت في نهاية الأجزاء فهارس للمحتوى يظهر من مطالعتها أنها من غير صنع المحقق الذي لم يراجعها كذلك [١].

وتمتاز هذه النشرة، بأنها الوحيدة التي رجعت الى النسخة الأم - وهي مسودة الكتاب - بل وجعلها أصلا لها، مع مراجعة بعض النسخ الخطية الأخرى للكتاب ومحاولة تنظيمه، خاصة في القسم الخاص بالوفيات، حسب رغبة المؤلف التي لم يتمكن من تحقيقها، مع اغفال الاشارة الى ذلك في أثناء الحوليات - غالبا - اكتفاء بالتنصيص على ذلك في مقدمة التحقيق.

كما تمتاز عن سابقتها بالرجوع الى مصادر متعددة وغنية لتقويم النص وتفسيره والتعليق عليه، أو ملء الفراغات فيه، وقد أتت الزيادات بين أقواس.

لكن يعيب هذه النشرة ما يعيب سابقتها من عدم اعتماد مؤلفات «ابن حجر» الأساسية مصدرا للاضافات والتقويم، خاصة «ذيل الدرر» و «المجمع المؤسس» - وهذا الأخير، يشير ناشر هذه الطبعة الى أنه اطلع

---

(١) ومن أمثلة ذلك حاشية ص ٢/٣٥ القائلة: «هذه الأسطر الأربعة بخط ابن حجر نفسه في نسخة ظ، ومنها يستفاد أنه أراد أن يجعل الانباء جزئين أحدهما من الأول حتى نهاية سنة ٨٠٠ هـ.، والثاني من ابتداء القرن التاسع الهجري» وهي تعليقة على ما جاء في المتن من قول ابن حجر: «.. الثاني من انباء الغمر للفقير الى عفو ربه القدير أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الأصل المصري، فيه أول سنة احدى وثمانمائة»، وحاشية رقم ١ ص ٢/٤٢٠ القائلة: «هذه الأسطر الثلاثة غير واردة في ظ، ولكن الوارد في هـ. هو: «الثاني من انباء الغمر..»»، وهي تعليقة على استهلال حولية ٨١٢ هـ. بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وتمم بخير» مما يشير الى بداية مجلدة جديدة دون مراعاة لتجزيء المؤلف للكتاب، ومقابلة ذلك - المدرك والمفهوم لدى ناشر هذه الطبعة - بالوارد في الفهرست ص ٢/٥٥٣ من قوله: سنة ٨١٢ أول الجزء الثاني من انباء الغمر حسب تقسيم المؤلف.

عليه ثم نجده يهمش على بعض الترجمات في مواضع متفرقة بقوله: « وقد ذكر السخاوي أن ابن حجر ذكره في معجمه » مما لعله يشير الى عدم اطلاعه عليه، فضلا عن أن التعليقات تبين عن ذلك ـ كما أنه لم يراجع الكثير من المصادر الأساسية لمادة الكتاب لازالة ما قد يغمض أو يستغلق على القارىء فهمه وادراكه، مكتفيا في ذلك بما ورد في الضوء اللامع، الذي جعله مصدرا لتصويب الكثير من الأسماء، بل على العكس من ذلك نجده ينقل الرسم الصحيح للاسـم في الهامش مشيرا الى أنه ورد في مصدر كذا، تاركا غيره في المتن، ولو أنه قد رجع الى « ذيل الدرر » لأدرك أن ما في الهامش كان المتن به أولى، بل لا يصوب نص ابن حجر في « الانباء » الا نصه في « ذيل الدرر ».

وعلى الرغم من المجهود الضخم المبذول في اخراج هذه النشرة وتصويبها فانه قد وقعت فيها اسقاطات في بعض مواضعها منها على سبيل المثال ترجمة « يوسف بن عبـدالله المغـربي » (ت ٨٠٢ هـ./١٤٠٠ م.) وقـد وردت في مسودة الكتاب ـ ق ١٥٧ أ ـ على النحو التالي: « يوسف بن عبدالله المغربي، كان مقيما بمشهد ابن أبي بكر بمصر، وللناس فيه اعتقاد، مات في ربيع الآخر». وقد دونت فيما بين ترجمتي « يوسف بن عثمان بن عمر» و « يوسف بن مبارك بن أحمد »، كما وردت في باقي النسخ الخطية السابق اشارتي الى اطلاعي عليها بعد الترتيب، لكنها قد اسقطت كلية من هذه النشرة.

كما أن ما يرد في الحواشي تعليقا على المتن من اثبات للفروق بين النسخ الخطية للنص المنشور لا يصدق في كثير من الأحيان، ولعل من الأمثلة الموضحة لذلك ما ورد في الحاشية رقم (١) من ص ١/٢٨١ اثباتا لفروق النسـخ الخطيـة فيما تعلـق بترجمة « أحمد بـن عبـدالله التهـامـي » (ت ٧٨٥ هـ./١٣٨٤ م.) من قوله: « في ز ـ أي الأزهرية ـ ابراهيم »، وهو خطأ صوابه في « ظ » ـ الرمز المثبت لديه لنسخة الظاهرية، مسودة الكتاب ـ حيث تصدرت هذه الترجمة ترجمات وفيات حولية خمس وثمانين

وسبعمائة، وقد أثبت «ابن حجر» سهوا «ابراهيم» في موضع «أحمد»، كما يتوهم من الترتيب المعتاد لديه من تقديم من اسمه «أحمد» تيمنا، ومن توالى من اسمه «أحمد» تلو هذه الترجمة، ثم اتبعهم بالمترجم لهم تحت اسم «ابراهيم»(١).

بل الأعجب من ذلك أن ناشر هذه النسخة من «الانباء» قد قلد الخطأ الطباعي لدى بعض مصادر تحقيقه، دون أدنى تنبه لذلك، فلقد وردت ترجمة «ولي الدين الديباجي المعروف بالمنفلوطي» في الدرر الكامنة تحت رقم: ٧٢٢ على وجه التصحيف أو الخطأ الطباعي، الذي يصوبه النظر الى رقم الترجمة السابقة لها في الصفحة نفسها، وهو ٨٢١، ورقم التي بعدها في الصفحة التالية لها مباشرة وهو ٨٢٣، ليتضح من التتابع الترتيبي لهذه الترجمات أن الرقم الصحيح لهذه الترجمة هو ٨٢٢ وليس ٧٢٢، على حين نقل هذا الخطأ الى «الانباء» ليثبت في هامشها على النحو التالي: «الاضافة من الدرر الكامنة ٣/٧٢٢..»(٢).

(٣) نشرة المكتب الاسلامي بدمشق، تحقيق محمد أحمد دهمان، صدر الجزء الأول ـ فقط ـ سنة ١٣٩٩ هـ. ١٩٧٩/١٩٨٠ م، وقد احتوى على ٤٩٥ صفحة بخلاف مقدمة التحقيق، يشغل النص منها الصفحات من ١ : ٤٨٠، ويسبقه مقدمة في التعريف بالمؤلف والمؤلف وأصول الكتاب ومنهج التحقيق تشغل الصفحات من ٥ : ١٢، وكذا صفحتان للاستدراك والتصويب. كما أنها مذيلة بفهارس للحوادث، والكلمات المشروحة، وأسماء المترجمين والأعلام، والبلدان، والأمكنة، تشغل الصفحات (من ٥٠٤ الى ٧٥٨) ويحتوي على خطبة الكتاب والحوليات ابتداء بسنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ـ أولى حوليات الانباء ـ وانتهاء بسنة اثنتين وتسعين وسبعمائة.

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ـ مسودة الكتاب ق ٦٣ ب.
ابن حجر. الدرر الكامنة ص ٣/٣٠٦ وانباء الغمر ـ حاشية رقم ٧ من ص ١/٤٦.

وأهم ما يميز هذه النشرة أنها غير علمية، على الرغم من تصريح ناشرها باعتماده على مسودة الكتاب مع مراجعة نسخ خطية أخرى لم يقدر لناشري الطبعتين السابقتين الاطلاع عليها، والتذييل عليها بالفهارس ـ المشار اليها ـ ووضع عنوانات للتراجم والحوادث، واثبات الكثير من تعليقات المؤرخ «عبدالباسط الحنفي» و «البدر العيني» في هوامش هذه النشرة نقلا عن هوامش نسخة «طوب قبو سراي» رقم ٢٩٤١، وذلك لاعتبارات أهمها:

أولا ـ أنه لم يرجع الى مسودة الكتاب، ولم يتخذها أصلا لنشرته، والدليل على ذلك اثباته في المتن كلمات وحروفا حرفت لدى النساخ دون اشارة في الحواشي الى تعليل لابداله لها ان كان قد راجع المسودة ومنها قوله: «في الطرس الأسني» على حين أن الوارد في المسودة «في الطرفين والاثنا»، وقوله: «علما للكل»، على حين أن الوارد في المسودة «فلكل اقصى وأدنى»، وقوله: «وصحبه الذين هاجروا وأووا»، على حين أن الوارد في المسودة: «وأذوا» وقوله: «كاد» على حين أن الوارد في المسودة «يكاد».. مما هو كثير الذيوع في نشرته.

ثانيا ـ كثرة الاسقاطات في النص، ومن أمثلة ذلك قوله: «.. وفيها استقر شمس الدين بن الصائغ الحنفي في قضاء العسكر وتدريس جامع ابن طولون عوضا عن بهاء الدين السبكي، واستقر جمال الدين السبكي في افتاء دار العدل..»[1] على حين أن الوارد في المسودة وفي النسخ الخطية التي قدر لي الاطلاع عليها قوله: «.. وفيها استقر شمس الدين بن الصائغ في قضاء العسكر وتدريس التفسير بجامع ابن طولون عوضا عن السراج الهندي بعد موته، واستقر في تدريس مدرسة الشافعي بهاء الدين أبو البقاء عوضا عن بهاء الدين السبكي..». وقوله: «.. وكانت صورة عزله أنه حضر دار العدل على

(١) ابن حجر. انباء الغمر ـ نشرة دمشق ص ١/٩.

العادة في ذلك الوقت فجاء شخص... »[١] على حين أن الوارد في الأصول المشار اليها قوله: « .. وكانت صورة عزله أنه حضر دار العدل على العادة وذلك في جمادي الأولى، فقام القضاة وتوجهوا الى الجامع فجلسوا فيه على العادة في ذلك الوقت فجاء شخص..». وقوله: « .. واستمر اللنك في خدمته الى أن بدا منه اجرام على نفسه فهرب..»[٢] والذي في الأصول المشار اليها قوله: « .. فاستمر اللنك في خدمته الى أن بدا منه اجرام على ما ألفه من تطبعه بالشر، فلما أحس باطلاع السلطان منه على ذلك خشي على نفسه فهرب..» وغير ذلك مما هو كثير الذيوع في نشرته.

ثالثا ـ أن ناشر هذه الطبعة لم يرجع ـ كذلك الى مؤلفات « ابن حجر» المعاصرة « للانباء » السابق الاشارة اليها، أو الى الأصول والمصادر الأساسية المستمدة عنها مادة الانباء.

هذا بعض ما أمكن اثباته، وصفا للمخطوط والمطموع من « الانباء »، وقد تتاح لي في وقت لاحق فرصة المقابلة بين النسخ الخطية وبعضها، فضلا عن المراجعة المتأنية للمطبوع على المخطوط لاعطاء وصف منهجي دقيق تقويما لهذه الأعمال وافصاحا عن الدقة وفقدانها منها.

---

(١) نفسه ص ١/١٠.
(٢) نفسه ص ١/١٦.

النسق الفني للانباء

.. هكذا ترك «ابن حجر» كتابه «انباء الغمر» مسودة لم يمهله الأجل ليبيضها أو يكملها، فكانت تلك مسئولية ملقاة على عاتق النساخ الذين وجدوا أمامهم كما هائلا من الورق والمعلومات، فلم يتيسر لهم تخريجه الا في مجلدتين أو ثلاث دون مراعاة لرغبة المؤلف في تجزيء الكتاب، ذلك أن «ابن حجر» قد نص على تجزيء الكتاب ـ في ذيل حولية ثمانمائة ـ قائلا: «.. الثاني من انباء الغمر للفقير الى عفو ربه القدير أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الأصل المصري، فيه أول سنة احدى وثمانمائة»[1]. وهو ما يشير الى أنه كان ينتوي تخريجه في مجلدتين تستفتح ثانيتها بحولية احدى وثمانمائة للهجرة باعتبارها بداية لقرن هجري جديد.

وتلك رغبة متعلقة بنظرة شمولية لديه عالج بها التأريخ لعصره، واقتضته أن يخرج مؤلفا مستقلا لأعلام قرن كامل، أرخ فيه لهذا القرن من خلال تراجم الأعلام[2] لأن دراسة قرن كامل تكون أقرب الى الرؤية على اعتبار طول المدة بما يبدو فيها من العوامل الفاعلة والمنفعلة في الحوادث، مما يتيح فرصة للحكم الشمولي على هذا القرن أو ذاك.

وان كان قد تأتي له هذا في «الدرر الكامنة» ـ باعتباره شاهد عيان لفترة من نهايته ـ لا بأس بها ـ وباطلاعه على مراجع التأريخ لهذا القرن ـ فانه من غير المعقول أن يتأتى له ذلك بالنسبة للقرن التاسع الهجري، فتلك مسألة

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٣٥.

(٢) هو كتاب «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» وسوف يرد التعريف به.

آجال(١). ولذا فانه قد سلك طريقا وسطا، فخرج الكتاب على سنوات العمر، ثم عمد بعد ذلك الى التأريخ للقرن التاسع الهجري.

ولا محل للتساؤل ـ هنا ـ عن عزوفه في الجزء الأول من الكتاب عن التأريخ بداية بالقرن الثامن ما دامت المسألة مسألة تأريخ في وحدات زمانية أمدها مائة عام، لأن «ابن حجر» كان قد أرخ لهذا القرن ـ الثامن ـ حقيقة من خلال الترجمة لأعلامه في «الدرر الكامنة» مما يجعله في غير حاجة الى سرد حوليات له على النحو الوارد في «الانباء»، كما أن ابتداء «الانباء» بالتأريخ للقرن الثامن كله عمل غير ذي جدوى بالنسبة له، فالكتاب بصورته التي أرادها له مؤلفه «يحسن من حيث الحوادث أن يكون ذيلا على تاريخ الحافظ عماد الدين بن كثير فانه انتهى في ذيل تاريخه الى هذه السنة ـ ٧٧٣ هـ.ـ ومن حيث الوفيات أن يكون ذيلا على الوفيات التي جمعها الحافظ تقي الدين بن رافع، فانها انتهت ـ أيضاً ـ الى أوائل هذه السنة»(٢).

ويتأيد ذلك ـ كذلك ـ فضلا عن وجود عبارته آنفة الذكر ـ في ذيل حولية ثمانمائة ـ بافتتاحية حولية احدى وثمانمائة بما يشير الى بداية فعلية لمجلدة تالية عن استهلال بالبسملة والحمدلة متبوع بقائمة استقرارات وظيفية يأتي على رأسها السلاطين والملوك وغيرهم من أرباب الدولة والمتغلبين عليها لتكون بمثابة تعريف بأبرز الشخصيات التي سوف تسند اليها الأعمال الجارية على مسرح الحوادث في العالم الاسلامي للوقوف على دور كل وتفهمه من خلال حوليات تالية، وبعدها نجده يفصل بين قائمة الاستقرارات ـ تلك ـ

---

(١) ولعله كان مدركا لذلك، وغير طامح في البقاء الى ما بعد القرن ليتمكن من تحقيق هذه الرغبة ـ على اعتبار أنه من رجالات الحديث في عصره، وقد روي عن الرسول ﷺ قوله: «أقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ»، وهو في تقدير عمر الصحابي، فكيف بغيره؟ ـ ابن حجر. الاصابة في تمييز الصحابة ص ١/٩.

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٥.

وبين ما سوف يتبعها من تسلسل للحوادث الفرادى قائلا: «ذكر الحوادث فيها..»[1] وهو ما نعدم نظيره في حوليات: سابقة أو لاحقة على هذه الحولية، اللهم الا في حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة المتصدرة لحوليات الكتاب كله، حيث استهلت بقائمة مثيلة لتلك، ثم اتبعت بقوله: «.. فمن الحوادث في هذه السنة..»[2].

ولو لم يكن البدء الآنف الذكر مقصودا منه لهذا الغرض لتكرر ذلك في حوليات لاحقة لحولية احدى وثمانمائة، فوجد على غراره وما ألحق به ثالث ورابع من «انباء الغمر».. وهكذا.

لكن هذا التجزيء يجعل المجلدة الأولى من الكتاب غير متناسقة مع لاحقتها من حيث عدد الأوراق فيها، فضلا عن الحوليات في كل، حيث أن المجلدة الأولى وقد ابتدأت بعد المقدمة بحولية ثلاث وسبعين وسبعمائة، وانتهت بحولية ثمانمائة قد احتوت على ثمان وعشرين حولية فقط، على حين أن المجلدة الثانية وقد ابتدأت بحولية احدى وثمانمائة وانتهت بحولية خمسين وثمانمائة قد احتوت على خمسين حولية، وهو ما لا يتأتى معه التناسق الفني بين المجلدتين.

وهذه النظرة الفنية لم تكن تعنيه البتة، فتجزيء الكتاب لا يخضع لديه للشكلية البحتة التي يراعى فيها التنسيق الفني بين مجلدتيه، وانما هي مسألة منهج توجهه نظرة تأريخية شمولية ملحة على هذا التجزيء، وتظهر ـ كذلك ـ في العمد الى الشمول الموضعي لموضوعات حوادث حولياته.

ويؤيد ذلك أنه لم يراع التناسق بين عدد الصفحات أو كمية المعلومات

(١) نفسه ص ٣٧/٢.
(٢) نفسه ص ٩/١.

الواردة في الحوليات ـ فرادى، فقد تطول حولية [1] وتقصر أخرى [2] وتكون ثالثة ربعة لا هي بالطويلة ولا بالقصيرة.. [3] فضلا عن اغفال النسق الفني في البناء الداخلي للحولية منفردة، حيث لا يوجد مثل هذا التناسق بين التراجم والحوادث من حيث المساحة الشاغلة لها، والعدّ فيها، كما يلاحظ تباين ذلك في النوع الواحد، فقد يقصر الترجمة أو الخبر ليشغلا أقل من السطر [4] وقد يطولها ليزيدا على الصفحة.. [5].

وهذا طبيعي لدى كتاب الحوليات الاسلامية التقليديين ـ بصفة عامة ـ ومنهم «ابن حجر»، لأن ذلك خاضع قبل كل شيء لطبيعة كاتبها، وتوفره على المصادر، وتوفر المصادر له، فضلا عن نوع المعلومة المدونة، وجدارتها بالتسجيل على الاسهاب أو الاقتضاب حسب مقاييسه هو، ومفهومه للتأريخ، وتفهمه لها. بل لا يتأتى ذلك للمؤرخ الحديث والمعاصر الا بتكلف ربما أفسد عليه ما يناط به من عمل.

---

(١) من نماذج ذلك حولية ثلاث وثمانمائة للهجرة.

(٢) من نماذج ذلك حولية خمسين وثمانمائة للهجرة.

(٣) من نماذج حولية احدى وعشرين وثمانمائة للهجرة.

(٤) كنحو قوله في وفيات حولية خمس وسبعين وسبعمائة: «عمر بن تقي الدين السعودي، شيخ خانقاة بكتمر. مات في ذي الحجة» ـ انباء الغمر تر ٢٤ ص ١/٦٧ ـ وقوله في وفيات حولية ثمان وسبعين وسبعمائة: «ابراهيم بن عبدالله العجمي، أحد من كان يعتقد بدمشق» ـ انباء الغمر تر ٣ ص ١/١٣٤ ـ وقوله في حوادث حولية اثنتي عشرة وثمانمائة: «.. وفي تاسعه صرف ابن شعبان عن الحسبة، واعيد الطويل».. هكذا مجردا ـ انباء الغمر ص ٢/٤٣٢ ـ على عكس ما فعل بغيره من الاستقرارات الوظيفية المتعلقة بالبرهان بن جماعة وغيره ـ راجع: التكامل بين الترجمات والحوادث من هذا الباب.

(٥) من نماذج الترجمات المطولات في «الانباء» ترجمته لابن حجي الحسباني ـ تر ٦ ص ١٨ ـ ٣/٢٠ ـ والمجد الفيروزبادي ـ تر ١٦ ص ٤٧ ـ ٢/٥٠ ـ والعجل بن نعير ـ تر ٢٠ ص ٢٦ ـ ٣/٢٧ ـ وفتح الله بن نفيس ـ تر ٢٤ ص ٢٩ ـ ٣/٣٠..
ومن نماذج الحوادث المطولات ما تعلق بسفرة آمد (السفرة الشمالية) ـ انباء الغمر ص ٢/٤٩٢ وما بعدها، وغزوة رودس ـ نفسه ص ٩/٢٠٠ وما بعدها.

وهكذا فان هذه النظرة المنهجية لديه لم تكن ـ للأسف ـ متفهمة لدى نساخ الكتاب وناشريه، فتخطوا التقسيم المعتبر لدى كاتبه الى تقسيمات أخرى على نحو ما هو بين قبل.

هذا من حيث تجزيء الكتاب، أما من حيث تنظيمه فان «ابن حجر» قد رتبه على مقدمة [1] تتبعها معلومات نظمت على الحوليات المتتابعة الافراد ابتداء بحولية ثلاث وسبعين وسبعمائة ـ وهي سنة مولده ـ وانتهاء بحولية خمسين وثمانمائة ـ أي قبل وفاته بنحو عامين ـ مراعيا فيها أن تذكر الحوادث وتراجم الوفيات منفصلة عن الأخرى من حيث النسق الترتيبي [2] ولذا نجده يفصل بين الحوادث والتراجم في الحولية الواحدة بعنوانات هي: «ذكر من مات في سنة..»، «ذكر من مات سنة.. من الأعيان»، «ذكر من مات سنة.. من الأكابر»، «ذكر من مات في هذه السنة من الأكابر»، على أن عبارة» «ذكر من مات سنة.. من الأعيان» غالبة الشيوع في مؤلفه.

وقد تكون لبعض الحوليات طبيعة خاصة تقتضية التمييز بين نوعين من تراجم الوفيات الكائنة فيها، على نحو ما فعل بوفيات حولية ثمان وسبعين وسبعمائة، حيث وردت تحت عنوانين هما: «ذكر من مات في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة من الأعيان» [3]، «وفيها مات من الأمراء: ..» [4] وما فعل بوفيات حولية ثمانمائة، حيث وردت الوفيات موزعة فيها على عنوانين هما:

---

(١) وتحتوي على البسملة والدعاء والشهادتين، ونسبة الكتاب الى مؤلفه ثم تعريف بالكتاب وبمصادره والهدف منه، والاشارة الى تعديله لمادته بعد اطلاعه على ذيل ابن الخطيب على تاريخ ابن العديم في سفرة آمد.

(٢) وان ترجم لبعض الوفيات في القسم الخاص بالحوادث من حوليات الكتاب ـ راجع: العلاقة بين التراجم والحوادث من هذا الباب.

(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/١٣٤.

(٤) نفسه ص ١/١٣٧، ١/١٣٩.

«ذكر من مات في سنة ثمانمائة من الأعيان»[1]، «ذكر من مات في سنة ثمانمائة من الأجناد»[2].

ويلحق بهذا البناء الداخلي للحوليات ـ فيما يختص بتراجم الوفيات ـ تنظيم التراجم والوفيات في الحولية الواحدة على حروف الهجاء[3] معتبرا اسم المترجم له فحسب، وليس اسم الشهرة سواء كانت الشهرة في لقبه أم كنيته، اللهم الا اذا غاب عنه اسم المترجم له، أو تخوف من أن يسبب ذلك لبسا لدى مطالع حولياته[4] وهذا لا يتأتى معه التسلسل التأريخي للوفيات داخل الحولية الواحدة حسب الأيام والشهور المتعاقبة ـ الواقع فيها الوفاة ـ على نحو ما ورد

(١) نفسه ص ٢/٢٢.

(٢) نفسه ص ٢/٢٣.

(٣) وان اختل ذلك في بعض مواضع منها وفيات حولية ٨١٣ هـ. ـ نفسه ص ٤٧٨ ـ ٢/٤٧٩..

(٤) وأكثر ذلك يتعلق بالمعتقدين (المتصوفة) وأمراء المماليك، ومنه الترجمة على اسم الشهرة مغفلا الاسم الأصلي لكل من «حسام الدين الصفدي» ـ نفسه تر١٣ ص ٣/٢٤ ـ و «نجم ابن عبدالله القابوني» ـ نفسه ص ٣/٨٤ تر ١٧ ـ و «شاهين الأفرم» ـ نفسه تر ٦ ص ٣/٤٣ ـ و «نوروز» ـ نفسه تر ١٧ ص ٥٠ ـ ٣/٥١ ـ وقد يترجم للوفاة في موضعين: على الاسم، ثم على اسم الشهرة، أو العكس ـ مع الاحالة في الموضع الثاني على الموضع الأول، كما فعل بترجمته «لعبدالله بن محمد بن سهل المرسي المغربي» وقد ترجم على الاسم ـ نفسه تر ٢١ ص ١/١٨٤ ـ ثم على اسم الشهرة محيلا على الأول قائلا: «نهار الذي كان يعتقد بالاسكندرية، وهو عبدالله تقدم» ـ نفسه تر ٤٢ ص ١/١٨٩ ـ وترجمته لقرا يوسف ـ ضمن وفيات حولية ثلاث وعشرين وثمانمائة تحت اسم «قرا يوسف بن قرا محمد التركماني» ـ نفسه تر ٨ ص ٣/٢٣٠ ـ ثم الترجمة له في موضع آخر بالاحالة قائلا: «يوسف قرا محمد التركماني المعروف بقرا يوسف بن بيرم خجا. تقدم في قرا يوسف» ـ نفسه تر ٢٣ ص ٣/٢٣٦ ـ وترجمته لكل من: «أحمد بن محمد بن موسى بن سند» ـ نفسه تر ٩ ص ١/٥١٥ ـ و «صدقة بن محمد فتح الدين» ـ نفسه تر ٢٤ ص ١/٥١٧ ـ ضمن وفيات حولية ثمان وتسعين وسبعمائة ـ ثم العود للترجمة لهما ثانيا ـ في الحولية نفسها ـ على اسم الشهرة محيلا على الأول قائلا: «أبو سعد بن سند، اسمه محمد. أبو دقن، اسمه صدقة. تقدما» ـ نفسه تر ٥١، ٥٢ ص ١/٥٢١..

لدى مصادر معاصرة له[١] وان تميز بسهولة الكشف عن المترجم له اذا ما عرفت سنة الوفاة واسم المترجم له على الصواب.

أما الحوادث فانه راعى فيها أن تأتي متتابعة التسلسل في صدر حولياتها وقد فصل بين حولية وأخرى بقوله: «سنة (كذا)».

لكن قد تتصدر بعض الحوادث حولية بعينها باعتبار نوعيتها المغايرة لسائر الحوادث المتتابعة الافراد، أو لغلبتها على فكر المؤرخ أو عصره. وهنا نجده قد فصل بين تلك الحوادث المتميزة وبين غيرها من الحوادث المتعاقبة بما يشير الى ذلك، كنحو قوله في حولية ثلاث وتسعين وسبعمائة وقد تصدرتها «الأخبار المنطاشية»: «ذكر بقية الحوادث الكائنة في هذه السنة»[٢] وقوله في حوادث حولية ثلاث وثمانمائة وقد تصدرتها أخبار «تمرلنك»: «ومن الحوادث غير قصة تمرلنك»[٣] وقوله في حوادث حولية اثنتي عشرة وثمانمائة، وحولية ثلاث عشرة وثمانمائة: «ذكر حوادث أخرى غير ما تعلق بالمتغلبين»، «ذكر الحوادث الخارجة عن حروب المتغلبين»[٤] وقد أفرد صدريهما للصراع بين «شيخ المحمودي» وغيره من كبار أمراء المماليك ونواب السلطنة، وبين «الناصر فرج» وحربه لهم. وقوله في حوادث حولية ثمان وعشرين وثمانمائة: «ذكر غزاة قبرس الأولى»[٥] ليفصل بين أخبارها وما سبقها من الأخبار الفرادى المتوالية التتابع، وقوله في حوادث حولية ست وثلاثين وثمانمائة: «ذكر السفرة الشمالية»[٦] مميزا لها عن حوادث أخرى

---

(١) كما فعل المقريزي في «السلوك»، وابن حجي في تاريخه، وصاحب حوليات دمشقية ـ نشرة د. حسن حبشي.

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٤١٤.

(٣) نفسه ص ٢/١٤١.

(٤) نفسه ص ٤٣٠، ٢/٤٥٩ ـ على التوالي.

(٥) نفسه ص ٣/٣٤٦.

(٦) نفسه ص ٣/٤٩٢.

تسبقها، ثم اتبعها بنوع آخر من الحوادث المعنونة بقوله: «ذكر الحوادث في غيبة السلطان الأشرف بالقاهرة»[1]. وجمعه لحوادث تعلقت بغزو رودس سنة سبع وأربعين وثمانمائة في موضع واحد لتتبعها حوادث ذات نوعية مغايرة وقد سبقت بقوله: «ومن الحوادث بعد أن سافر الغزاة..»[2].. وهكذا.

لكن ـ مع ذلك ـ فان الملاحظ من استقراء الحوادث ومقابلتها بمثيلاتها في كتابات غيره من المؤرخين المعاصرين:

(١) أنه لم يكن دقيقا في تأريخ أو عرض الكثير من حوادث كتابه.

(٢) أن التأريخ والعرض للحوادث لم يسر على وتيرة واحدة.

وحتى لا يطول الحديث في هذا الموضوع ويخرج بنا عن الخطة العامة للبحث فانه سوف يكتفي باختيار خمس حوليات لدراستها كمثال ـ للتدليل على هذه الملحوظة وهي سنة ٧٧٣ هـ. ـ على اعتبار أنها أولى حوليات الكتاب، والمقطوع به أن دور «ابن حجر» فيها كان دور الناقل من كتابات سواه، ولم يعاين أحداث هذه السنة لكونه ولد فيها ـ وسنة ٨٠٠ هـ. ـ باعتبار أنها تمثل نهاية القرن ويمكن أن يقال فيها أن «ابن حجر» قد مزج فيها بين ما التقطه بنفسه من الحوادث وبين ما أخذه من بطون الكتب ـ وسنوات متأخرة من حوليات كتابه يكتفي فيها بسنة ٨٤٥ هـ. ـ لأن لها طابعا خاصا ـ وسنة ٨٤٩ هـ.، وسنة ٨٥٠ هـ. ـ وتمثلان أخريات حوليات الكتاب.

حيث نجده قد نهج في **حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة للهجرة** نهجا هو:

(١) اغفال تأريخ الحوادث بنسبتها الى اليوم أو الشهر الذي وقعت فيه

---

(١) نفسه ص ٣/٥٠٠.

(٢) المصدر السابق ص ٩/٢٠٠.

باستثناء ثلاثة مواضع ـ اكتفاء بنسبتها الى السنة، قائلا: « .. فمن الحوادث في هذه السنة.. »[١]، أو « وفيها.. »[٢] أو « وفي هذه السنة.. »[٣] أو « واتفق في هذه الأيام.. »[٤].

(٢) أما المواضع المؤرخة، فقد أتى موضع منها مؤرخا بنسبة الحدث الى الشهر دون تحديد اليوم قائلا: « وفي صفر.. »[٥] بينما أرخ باليوم في الموضع الثاني، وبالليلة في الموضع الثالث قائلا: « .. وفي أول يوم من جمادي الآخرة.. »[٦]، « وفي ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول.. »[٧].

أما **حولية ثمانمائة للهجرة**، فانه قد اتبع فيها نهجا أكثر وضوحا في عدم الدقة من هذا وهو:

(١) اختلال تسلسل الأيام في الشهر الواحد، ومن أمثلة ذلك ما ورد بخصوص الحوادث التي أرخها بذي الحجة، حيث أتت على النحو التالي:

- في أواخر ذي الحجة..[٨]
- في سابع عشري ذي الحجة.[٩]
- في السابع والعشرين من ذي الحجة..[١٠]
- في الثالث من ذي الحجة..[١١]
- في أول يوم من ذي الحجة..
- فلما كان في الثامن من ذي الحجة..

---

(١) نفسه ص ١/٩.
(٢) نفسه ص ٩، ١٠، ١٢، ١٤، ١٥، ١/١٦.
(٣) نفسه ص ١/١٧.
(٤) نفسه ص ١/١٩.
(٥) نفسه ص ١/١١.
(٦) المصدر السابق ص ١/١٦.
(٧) نفسه ص ١/١٧.
(٨) - (٩) نفسه ص ٢/٢٠.
(١٠) - (١١) نفسه ص ٢/٢١.

(٢) الاختلال في تتابع الشهور في الحولية الواحدة:

حيث وردت الشهور المرتبة للحوادث على النحو التالي: (بعد اسقاط الحوادث المنسوبة الى السنة دون تأريخ باليوم والشهر):

المحرم/ صفر/ شعبان/ ربيع الأول/ صفر/ جمادي الأولى/ جمادي الآخرة/ شعبان/ رمضان/ شوال/ ذي القعدة/ ذي الحجة/ ربيع الأول/ جمادي الأولى/ ربيع الآخر.

ومعنى ذلك:

أ ـ أن حوادث شهر صفر قد أتت في ثلاثة مواضع من الحولية: بعد المحرم مباشرة، لتقطعها حوادث شعبان وربيع الأول.

ب ـ أن حوادث شهر شعبان أتت في موضعين: بعد صفر مباشرة، ثم ليعترضها أشهر: ربيع الأول، وصفر، وربيع الأول، وصفر، وجمادي الأولى، وجمادي الآخرة، ـ بحوادثها.

جـ ـ أن حوادث شهر ربيع الأول قد أتت في مواضع ثلاثة: في موضعين يعترضهما شهر صفر بحوادثه، ثم بعد الشهور التالية بما تحمله من الحوادث المؤرخة بها: صفر ـ جمادي الأولى ـ جمادي الآخرة ـ شعبان ـ رمضان ـ شوال ـ ذي القعدة ـ ذي الحجة.

د ـ أن حوادث جمادي الآخرة قد أتت في موضعين تفصل بينهما حوادث: جمادي الآخرة ـ شعبان ـ رمضان ـ شوال ـ ذي القعدة ـ ذي الحجة ـ ربيع الأول.

ومعنى ذلك أنه لا يمكن الكشف عن حادث وقع في أي من شهور السنة بدون قراءة الحولية بتمامها للوقوف على المطلوب منها. كما أن هذا ربما يشير الى أن مفهومه من التأريخ للحوادث هو مجرد اثباتها في حيز الحول الواقعة

فيه دون تتابع أو ترتيب زمني يسير فيه على وتيرة واحدة[١].

(٣) أن «ابن حجر» قد أغفل تأريخ الحوادث تأريخا تاما اكتفاء بنسبتها الى الشهر الواقعة فيه، أو بنسبتها الى السنة متجاهلا التأريخ باليوم والشهر. ـ ومن أمثلة الاتجاه الأول ـ التأريخ بالشهر مع اغفال اليوم: «في المحرم..»[٢]، «.. في ربيع الأول»[٣]، «في صفر..»[٤]، «في جمادي الآخرة..»[٥]، «في شعبان..»[٦]، «في رمضان..»[٧]، «في شوال..»[٨]، «في ذي القعدة[٩]. ـ ومن أمثلة الاتجاه الثاني، وهو نسبة الحوادث الى سنة وقوعها مع اغفال اليوم والشهر قوله: «وفي هذه السنة..»[١٠]، «وفيها..»[١١].

(٤) كما قد تأتي الحوادث مؤرخة تقريبيا ـ منسوبة الى أوائل أو وسط أو أواخر الشهر ـ وليس على وجه الدقة، كنحو قوله:

«وفي أوائل ذي القعدة..»[١٢]، «وفي وسط هذا الشهر..»[١٣] «وفي أواخر ذي الحجة..»[١٤].

---

(١) ربما وقع ذلك في الكتاب لتركه له في المسودة، وهي صورة لفكرة وقت التأليف الأول للمعلومات، وهذه الدراسة الوصفية مبنية عليها لأنها العمل الراهن الواقعي، أما ما كان في الغيب لو عاش «ابن حجر» لتصنيفه في المبيضة فلا يمكن ادراكه ليوصف. ويلاحظ أن مثل ذلك المثبت في المتن قد وقع في كتاب الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز، الذي جمع تلاميذه أوراق مسودته ونشروها.

(٢) ـ (٤) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٨.

(٥) نفسه ص ٢/١١.

(٦) ـ (٧) نفسه ص ٢/١٢.

(٨) نفسه ص ٢/١٤.

(٩) نفسه ص ٢/١٦.

(١٠) المصدر السابق ص ٢/٩.

(١١) نفسه ص ٩، ١٣، ١٤، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢/٢٢.

(١٢) ـ (١٣) نفسه ص ٢/١٥.

(١٤) نفسه ص ٢/٢٠.

(٥) لكن على العكس من ذلك قد أتت بعض الحوادث المؤرخة باليوم والشهر نحو قوله: «وفي الثامن من المحرم..»[١]، وقوله: «وفي العشرين من ربيع الأول..»[٢]، أو باليوم والشهر واليوم من الاسبوع، كنحو قوله: «وفي ليلة الجمعة ثامن شعبان..»[٣]، أو باليوم والشهر الهجري مقابلا بالشهر القبطي، كنحو قوله: «وفي سابع عشر صفر الموافق الثالث عشر (من) هاتور»[٤]. وقد يكون التأريخ ـ كذلك ـ بالوقت من اليوم حسب توقيت الصلوات، كنحو قوله: «فلما كان في الثامن من ذي الحجة العصر»[٥].

أما **حولية خمس وأربعين وثمانمائة** فانه لم يخل التأريخ باليوم والشهر من السنة بحدث واحد.

وكذا **حولية تسع وأربعين وثمانمائة**، اذا ما استثنى موضعان أرخ فيهما بالشهر دون تحديد اليوم قائلا: «وفي.. (أي في المحرم)»[٦] وقوله: «وفي هذا الشهر..»[٧].

أما **حولية خمسين وثمانمائة** فانه قد أرخ فيها الحوادث تأريخا كاملا مع ملاحظة أنه قد أدمج فيها الوفيات المؤرخة على أنها من الحوادث الواقعة في هذه السنة[٨].

من كل هذا نصل الى الآتي:

(١) أن «ابن حجر» قد أتى بحوادثه مسلسلة الحوليات والشهور والأيام

---

(١) نفسه ص ٢/٧.
(٢) نفسه ص ٢/١٠.
(٣) نفسه ص ٢/١٢.
(٤) نفسه ص ٢/١٠.
(٥) نفسه ص ٢/٢١.
(٦) نفسه ص ٩/٢٣١.
(٧) نفسه ص ٩/٢٣٥.
(٨) نفسه ص ٢٤٥ ـ ٩/٢٥١.

من داخلها على التتابع في الحوادث المتأخرة جدا من حوليات كتابه، أما المتقدمة منه فانها لم تؤرخ على وتيرة واحدة، حيث ظهر فيها الآتي:

- الاختلال في تتابع الأيام والشهور.

- التأريخ بالتقريب مغفلا الدقة - أحيانا - ودقيقا في كثير منها حيث لم يكتف بالتأريخ بالشهر أو بتجزئته الى أول وآخر ووسط أو باليوم أو الليلة، وانما بما يقابله من شهور السنة القبطية خاصة في الحوادث المتعلقة بالنيل أو الأرصاد والأفلاك. وقد يؤرخ - كذلك - بالوقت تبعا لمواعيد الصلاة كالعصر[١] أو ما كان قبل صلاة الجمعة، أو أواخر النهار[٢].

(٢) أنه قد نقل بعض الحوادث من حولياتها الى حوليات أخرى غير الواقعة فيها أو كررها، وهو ما سوف يبحث في موضوع الدقة في النقل من الفصل الخاص بالمصادر من هذا البحث.

---

(١) المصدر السابق ص ٢١، ٣٩، ٤٨، ٢/٩٣.
(٢) نفسه ص ٢/٢٠٨.

النسق التعبيري للكتاب

كان لاطلاع «ابن حجر» على الكثير من علوم ومعارف عصره، وتمهره فيها خاصة فيما تعلق بالعربية - أدبا ونحوا وصرفا وبلاغة - وانشاده للشعر وروايته له واطلاعه على نماذج أدبية وأساليب متعددة لكتاب مختلفين، وأخذه جل مادة كتابه عنهم - أثره في اسلوب «الانباء»، حيث بدت عباراته واضحة، عالية الاسلوب تامة المعنى، متخيرة الألفاظ، فصيحتها.. مما جعل اسلوبه يتميز بخصائص منها:

(١) فصاحة اللفظ ومعجميته:

كنحو: قوله: «صفعة»[١]، «رجيفة»[٢]، «الكامن»[٣] «فسخطوها»[٤]، «تبطل»[٥]، «يتعانى المتجر»[٦] «اشتوروا»[٧]، «يتفلل»[٨]، «عنوة»[٩]، «انهبط»[١٠] «جأر»[١١]، «مزجى

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٨، والصفع بسط الرجل كفه ليضرب بها قفا الانسان أو بدنه - ابن منظور. لسان العرب ص ٤/٢٤٦١.
(٢) نفسه ص ٢/٩، أي فزعه - ابن منظور ص ٣/١٥٩٥.
(٣) نفسه ص ٢/١٠، أي المختفي - ابن منظور ص ٥/٣٩٣٣.
(٤) نفسه ص ٢/١٨، أي استقلوها - ابن منظور ص ٣/١٩٦٤.
(٥) نفسه ص ٢/٤٤، أي تعطيل ذلك - ابن منظور ص ١/٣٠٣.
(٦) نفسه ص ٢/٤٢، أي يتحمله على شدة - ابن منظور ص ٤/١٣٤٦.
(٧) نفسه ص ٢/١٣٤، أي تشاوروا - ابن منظور ص ٤/٢٣٥٨.
(٨) نفسه ص ٢/١٤٥، أي تفلتوا منهزمين - ابن منظور ص ٥/٥٤٦٦.
(٩) نفسه ص ٢/٢٠٨، أي قهرا - ابن منظور ص ٤/٣١٤٤.
(١٠) نفسه ص ٢/٢٥٩، أي انخفض - ابن منظور ص ٦/٤٦٠٥.
(١١) نفسه ص ٢/٢٦٩، أي رفع صوته - ابن منظور ص ١/٥٢٨.

البضاعة»[1] ، «أجحوا نارا»[2] ، «شذر مذر»[3] ..

(٢) تخير الاساليب البلاغية نشدانا لعلو الاسلوب والمحافظة على بلاغته:

كنحو قوله في حولية ست وثمانمائة على سبيل الطباق: «.. وفيها مات محمد سلطان بن تنكر بن اللنك.. فمات بعد **الوصول والظفر** بابن عثمان، فبدل **فرح** اللنك **ترحا وحزن عليه حزنا عظيما**»[4]، وقوله بشأن سيل مكة ـ ضمن حوادث حولية اثنتين وثمانمائة ـ على سبيل التشبيه **فالاستعارة**: «.. وفي ليلة الخميس العاشر من جادي الأولى حصل بمكة مطر عظيم **انصب كأفواه القرب**، ثم **هجم السيل** فامتلأ المسجد حتى بلغ الى القناديل، وامتلأ، **ودخل** الكعبة من شق الباب»[5]. وقوله في ترجمة «المجد الفيروزبادي» ـ ضمن وفيات حولية سبع عشرة وثمانمائة ـ على سبيل استعمال الصفة للمبالغة في الكثرة: «.. ولقي بغيرها ـ أي بغير مكة ـ من البلاد **جمعا جما** من الفضلاء، وحمل عنهم **شيئا كثيرا**»[5]، وقوله في حوادث حولية أربع وثمانمائة مستعملا جناس الاشتقاق فالمبالغة والاستعارة: «.. **فأخذ** ـ تمرلنك ـ بغداد عنوة **يوم الأضحى، فضحى بذبح المسلمين الى أن جرت بدمائهم دجلة، وبنيت برؤوسهم عدة مسلات**»[7].

---

(١) نفسه ص ٣/٤٦، أي قليل البضاعة (من العلم) ـ ابن منظور ص ٣/١٨١٥.

(٢) المصدر السابق ص ٣/٦٩، أي ألهبها وأشعلها ـ ابن منظور ص ١/٣٠.

(٣) نفسه ص ٢/٢٢٦، أي ذهبوا في كل وجه ـ ابن منظور ص ٤/٢٢٢٠.

(٤) نفسه ص ٢/٢٦٨.

(٥) نفسه ص ٢/٩٨.

(٦) نفسه ص ٣/٥٠.

(٧) نفسه ص ٣/٢٠٨.

(٣) تضمين العبارات بعض التعبيرات البليغة، شائعة الاستعمال لدى بلغاء الكتاب:

كنحو قوله: « .. ودبت عقارب التشاحن بينهم الى أن دبر الأمراء الجدد الأمر »[١]، وقوله: « .. فتزايد البلاء على أهل البلد، **وندموا حيث لا ينفع الندم** »[٢]، وقوله: « .. وفيه ـ أي في ذي القعدة سنة أربع وثمانمائة ـ خرج الأمراء عن **بكرة أبيهم** »[٣]، وقوله: « .. فقيل أرادوا بذلك قص جناحه »[٤]، وقوله: « وعادوا بخفي حنين »[٥]..

(٤) توارد الكثير من اصطلاحات وتعبيرات العصر في سياق عباراته:

ومن ذلك قوله: « خلع عليه »[٦]، « انكسر »[٧]، « نفى بطالا »[٨]، « ضرب مقترحا »[٩]، « عصر »[١٠]، « وسط »[١١]، « التسعيط »[١٢]، « سمر »[١٣]، « رسم عليه »[١٤]، « الكشف عما استولى عليه »[١٥]،

---

(١) المصدر السابق ص ٩٤ - ٢/٩٥.
(٢) نفسه ص ٢/١٣٨.
(٣) نفسه ص ٢/٢٠٧.
(٤) نفسه ص ٢/٢٠٨.
(٥) نفسه ص ٣/٦٩.
(٦) نفسه ص ٢/٢٠١.
(٧) نفسه ص ٢/١٦.
(٨) نفسه ص ٢/١٩.
(٩) نفسه ص ٢/١٠٤.
(١٠) نفسه ص ٢/١١٢.
(١١) نفسه ص ٢/٨.
(١٢) نفسه ص ٢/١٨.
(١٣) نفسه ص ٢/٢٠.
(١٤) نفسه ص ٢/٢٠٠.
(١٥) نفسه ص ٢/٢٠٠.

« جرس »[1] ، « نودي عليه »[2] ، « دق الكوسات »[3] ، « صناجق »[4] ، « الكتابية الصغار »[5] ، « مغل الأمـراء »[6] ، « سماط »[7] ، « تفصيلـة »[8] ، « مراسيم بمساميح »[9] ، « ميسم اللحم »[10]..

(٥) التأثر بالقرآن الكريم والاقتباس منه:

كنحو قوله: « .. ويحتمل الصحة ليقضي الأمر المقدم: انما نملي لهم ليزدادوا اثما »[11]، وقوله: « .. وفيه هرب نجم الدين بن حجي مغاضبا لنائبها »[12]، وقوله: « .. وفيها في الثامن من شعبان زلزلت حلب وأعمالها زلزلة شديدة »[13]، وقوله: « فلما جن عليهم الليل.. »[14]، وقوله: « .. مات بسبب صاعقة سقطت على حصنه المسمي قوارير من زجاج فارتاع من صوتها فتوعك ثم مات في سادس عشر جمادي الآخرة. قال الله تعالى (و) تبارك: « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء »[15].

---

(١) نفسه ص ٢/١٠٤.
(٢) نفسه ص ٢/٢٠١.
(٣) نفسه ص ٢/٩٥.
(٤) نفسه ص ٢/١٢.
(٥) نفسه ص ٢/٢٠.
(٦) المصدر السابق ص ٢/٩٤.
(٧) نفسه ص ٢/١٢.
(٨) نفسه ص ٢/٢٣٧.
(٩) نفسه ص ٢/٢٣٨.
(١٠) نفسه ص ٢/٢٠٧.
(١١) نفسه ص ١/١٩ ، ويقابلها: سورة آل عمران، آية ١٧٨.
(١٢) نفسه ص ٢/٢٣٧ ، ويقابلها: سورة الأنبياء، آية ٧٨.
(١٣) نفسه ص ٢/٢٦٢ ، ويقابلها سورة الزلزلة، الآية الأولى.
(١٤) نفسه ص ٢/١٩٥ ، ويقابلها سورة الأنعام، آية ٧٦.
(١٥) نفسه ص ٢/٣٣١ ، ويقابلها: سورة الرعد ، الاية ١٣.

(٦) تضمين الكتاب الكثير من أبيات الشعر، سواء من انشاده[١] أو روايته عن غيره[٢] .

بل وتوجيه تلك الشواهد الشعرية وجهة تأريخية نقدية[٣] .

(٧) الابتعاد عن السجع والتكلف في اللفظ -

الذي غالبا ما أفسد المعنى وأغلق العبارة لدى غيره من المؤرخين[٤] ـ وان حافظ في مواضع متعددة من « الانباء » على منقوله المسجوع، على الرغم من عمده الى التصرف في النسق التعبيري المصاحب لكثير من منقولاته »[٥] .

ومن أمثلة ذلك قوله ـ نقلا عن ابن حبيب ـ في ترجمة « البهاء السبكي » (ت ٧٧٣ هـ ./١٣٧٢ م.): « .. وقال ابن حبيب: امام علم، زاخر اليم، مقرون الجم، وفضله مبذول لمن قصد وأم، وقلمه كم باب عدل فتح، وكم شمل معروف منح »[٦] . وقوله ـ نقلا عن ابن الخطيب ـ في ترجمته « لابن خلدون » (ت ٨٠٨ هـ ./١٤٠٦ م.): « .. قال لسان الدين بن الخطيب في تاريخ غرناطة: رجل فاضل، جم الفضائل، رفيع القدر، أصيل المجد، وقور المجلس، عالي الهمة، قوي الجأش، متقدم في فنون عقلية ونقلية، متعدد المزايا، سديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التصور بارع الخط، حسن العشرة، مفخرة من مفاخر المغرب.. »[٧] .

---

(١) كنحو ما ورد من شعر له في رثاء الزين العراقي ـ انباء الغمر ص ٢/٢٧٧، والسراج البلقيني والعراقي ـ نفس ص٢٧٨ ـ ٢/٢٧٩ ـ وقوله في التاج والعلم البلقينيين ـ ضمن حوادث حولية خمس وعشرين وثمانمائة ـ نفسه ص ٣/٢٨٠، وقوله معرضا بالعيني في مناسبة سقوط منارة المؤيدة ـ نفسه ص ٣/١٤٦..

(٢) ، (٣) راجع: الشواهد الشعرية ودورها في تفسير الخبر ونقده من هذه الدراسة.

(٤) كابن حبيب في كتابه « درة الأسلاك في دولة الأتراك.

(٥) راجع الفصل المعقود للمصادر من هذا البحث.

(٦) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٢٣.

(٧) نفسه ص ٢/٣٤٠ تر ١٨، ويقابله لدى مصدره ص ٤٩٧ ـ ٣/٤٩٨.

والحق أن « ابن حجر » كان معجبا بكل اسلوب أدبي يبتعد به كاتبه عن اللحن الظاهر، ولعل هذا كان دافعا له على انتقاد « البدر العيني » في مقدمة « الانباء » [1]، بل والتصرف في النسق التعبيري للعديد من منقولاته عن مصادره ارتقاء بعبارتها.

(٨) استعمال المختصرات في التراجم والحوادث،

سواء في الاسناد الى المصادر، أو في الألفاظ والتعبيرات المؤدية للمعنى، كنحو قوله: « قال القاضي في الذيل » [٢] مشيرا بذلك الى قاضي حلب « علاء الدين بن خطيب الناصرية » في مؤلفه « الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب » الذي ذيل به على تاريخ « ابن العديم » [٣]، وقوله في حوادث حولية ثمانمائة: « .. ووصل تغري بردي ـ الذي كان نائب حلب ـ فأعطى اقطاع **شيخ الصفوي**، ونفي **شيخ** الى القدس بطالا، واستمر بيبرس ـ ابن أخت السلطان ـ أمير مجلس عوضا عن **الصفوي** » [٤]. ويلاحظ الاختصار في الاسم على الشق الأول منه، فالثاني على التتابع، ويمثله قوله: « تمرلنك » [٥]، و « تمر » [٦]، و « اللنك » [٧]، والنسب اليه في قوله: « ابن اللنك » [٨]، و « ولد تمر » [٩]، وقوله: « اللنكية » [١٠] و « التمرية » [١١].

---

(١) نفسه ص ١/٤، حيث ورد فيها قوله: « .. وربما قلده ـ أي ربما قلد العيني ابن دقماق ـ فيما يهم فيه حتى في اللحن الظاهر، مثل أخلع على فلان ».
(٢) نفسه ص ٣/٣٩٦.
(٣) راجع: طرق الاسناد الى المصادر من هذا البحث.
(٤) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٨.
(٥) نفسه ص ١٠٨ ـ ٢/١٠٩.
(٦) نفسه ص ٢/٢٢٥.
(٧) نفسه ص ٢/٣٧.
(٨) نفسه ص ٢/١٨.
(٩) نفسه ص ٢/١٩.
(١٠) نفسه ص ٢/١٥٩.
(١١) نفسه ص ٢/٢٣٦.

(٩) المزاوجة في التدوين التأريخي بين الأرقام والحروف:

ومنه قوله في ترجمة « الجمال المكي » (ت ٨١٥ هـ./١٤١٣ م.): « .. ولد سنة **٧٤٢** .. ومات في سابع شهر رجب سنة **خمس عشرة وثمانمائة** »[١]. وذلك كثير الشيوع في مؤلفه ولا يحتاج في التدليل عليه أكثر من هذا.

(١٠) ضبط الأسماء في الأعلام والأنساب والأمكنة بالحروف وليس شكلا بالقلم:

كنحو قوله: « جمال الدين المكي الحلوي ـ بفتح المهملة واللام الخفيفة ـ المعروف بـابن العليف ـ بمهملة ولام وفاء مصغر.. »[٢] ، وقوله: « .. عبدالله ابن عمر بن مجلي بن عبدالحافظ البيتليذي ـ بفتح الموحدة وسكون التحتانية، وفتح المثناة بعدها لام مكسورة خفيفة ثم تحتانية ساكنة »[٣] ، وقوله: « .. وهو من شقان ـ بضم المعجمة، وتشديد القاف وآخره نون ـ من السواحل بين جدة وحلي »[٤] ، وقوله: « .. محمد بن أبي بكر المالكي الكتامي ـ بضم الكاف وتخفيف المثناة ـ الى حارة كتامة من القاهرة »[٥]...

(١١) الافصاح عن رأيه وانفعالاته بعبارات وألفاظ سافرة:

كنحو قوله: « .. فان الأيام لم تمض الا قليلا حتى طرق (تمرلنك) البلاد، **فلا حول ولا قوة الا بالله** »[٦]، وقوله: « .. فدخل الفرنج البلد في شعبان من هذه السنة ـ سنة سبع عشرة وثمانمائة ـ ونقلوا ما كان بها حتى

---

(١) نفسه ص ٢/٥٣٢.
(٢) نفسه ص ٢/٥٣٢.
(٣) نفسه ص ١/٥١٨.
(٤) نفسه ص ١/٤١.
(٥) المصدر السابق ص ٩/٨٥.
(٦) نفسه ص ٢/١١٠.

الكتب العلمية.. وتركوها قاعا خرابا، ومع ذلك فهي بأيديهم فلا قوة الا بالله »[1]. وقوله: « .. وفيها ـ أي في سنة سبع وثمانمائة ـ مات **الطاغية** تمرلنك الخارجي.. فأخذه أسر البول فتمادى به حتى **هلك** بالقولنج **وأراح الله منه** »[2]، وقوله: « .. عفا الله ـ تعالى ـ عنه »[3]. « .. الله يسامحه »[4]، « رحمه الله تعالى »[5]، « رحمها الله تعالى »[6]، وعلى العكس من ذلك قوله: « الحطي الحبشي، ملك الحبشة الكافر، **لا رحم الله فيه بغرز ابرة** »[7].

كما أن من التعبيرات ما يظهر **تطيره من بعضهم**، نحو قوله: « .. وكان مشئوم النقيبة، ما كان في عسكر قط الا انهزم، ولا حفظ له أنه ظافر في وقعة قط »[8]، ومنها قوله **مبينا عن شماتته**: « .. فاستخلص منه أسوالا جمة، منها في يوم واحد مائة وخمسون ألف دينار، وأخرجت ذخائره على النحو الذي كان هو يدبره في أمر محمود سواء »[9]. وقوله: « .. وكان أهل الهيئة ذكروا أنه يقع في أول يوم منها زلزلة، وشاع ذلك في الناس فلم يقع شيء من ذلك، وكذبهم الله سبحانه وتعالى »[10]..

(١٢) استعمال اصطلاحات ومختصرات المحدثين:

كنحو قوله في روايته للخبر ـ في بعض المواضع: « .. أنشدنيها بنصها

---

(١) نفسه ص ١/٤١.
(٢) نفسه ص ٢/٣٩٩.
(٣) نفسه ص ٩/٢٦.
(٤) نفسه ص ١/٤٥.
(٥) نفسه ص ٣/٤٦.
(٦) نفسه ص ٣/٣١٢.
(٧) نفسه ص ٣/٥٦٢.
(٨) نفسه ص ٢/٥١.
(٩) نفسه ص ٢/١٢.
(١٠) المصدر السابق ص ٢/١٣٤.

ناصر الدين البارزي بالقاهرة، ثم أنشدنيها ولده القاضي كمال الدين بالبيرة - على شاطىء الفرات - في سنة آمد - أي سنة ٨٣٦ هـ./١٤٣٣ م. وأنا لانشاد الثاني أضبط»[١] وقوله: «أخبرني ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم الحنفي أذنا، وكتبته من خطه، قال: أخبرني الشيخ شمس الدين بن الصائغ أنه شاهد بجامع عمرو أكثر من خمسين متصدرا يقرأ عليهم الناس العلوم. قلت: وأدركت أنا في الجامع..»[٢]، وقوله تبيانا لمرويات احدى ترجمات وفياته[٣]: «.. وقرأ علي أحمد بن العماد وأبي بكر بن العز - شيخنا بالاجازة - ومحمد بن الرشيد وعبدالرحمن - ابن السبط - كتاب التوكل لابن أبي الدنيا، قالا: أنا العماد أبو عبدالله محمد بن يعقوب الجرائدي، **ويحيى بن** سعد **قالا أنا** عبدالرحمن بن مكي وعلي بن أبي بكر بن يوسف بن عبدالقادر الخليلي جزءاً في فضل ركعتي الفجر وغير ذلك من أمالي القاضي أبي عبدالله المحاملي: **أنا** محمد بن غازي بن الحجازي **أنا يحيى بن محمد القرشي أنا** عبدالصمد بن محمد الأنصاري **أنا** عبدالكريم بن الخضر السلمي أنا الخطيب بسنده»[٤].

(١٣) التكرار: ويأخذ أشكالا ثلاثة هي:

أولاً - تكرار عنصر الخبر مما يتسبب في ركاكة بعض العبارات، كنحو قوله: «.. وكان فيروز شاه لما مات قام بالأمر بعده يلو الوزير، ثم عصى عليه أخوه، وكان فيروز شاه لما مات قام بالأمر بعده سازبك صاحب ملتان»[٥] وقوله: «.. واستقر ولده برهان الدين - واسمه أحمد الحنفي - في

---

(١) نفسه ص ١/٤٤٠ تر ٥.
(٢) نفسه ص ١/٩٥ تر ٧٦.
(٣) نفسه ص ٩/١٧٨ فيما يختص بابن الطحان الحنبلي (ت ٨٤٥ هـ./١٤٤٢ م).
(٤) نفسه
(٥) المصدر السابق ص ٢/٩.

امرتها، وكان برهان الدين واسمه أحمد الحنفي اشتغل ببلاده»[1].

ثانياً ـ تكرير الخبر في أكثر من موضع ـ في الحولية ـ واهما، كنحو قوله في حوادث حولية ست وثمانمائة بشأن زلزال حلب: «.. وفيها في الثامن من شعبان زلزلت حلب وأعمالها زلزلة شديدة، وخربت أماكن كثيرة وزلزلت قبل ذلك في يوم الجمعة ثالث جمادي الآخرة وقت الاستواء، ثم سكنت، ثم زلزلت زلازل كثيرة متفرقة في طول السنة، وكانت الزلازل بالجهة الغربية منها أكثر»[2]، ثم عاد الى تكرير الخبر في الحولية نفسها قائلا: «.. وفيها زلزلت حلب زلزلة عظيمة فخرب من جهة الغرب أماكن كثيرة، ثم كثرت الزلازل فيها وفي السنة التي بعدها زلزلت بحلب ـ أيضاً ـ وكانت عظيمة وبقيت ساعة، وذلك في جمادي الأولى، وجأر الناس بالدعاء والتوبة»[3]. وقوله في حوادث حولية أربع وتسعين وسبعمائة: «.. وفيه ـ في صفر منها ـ جهز حسن الكجكيني بهدية الى صاحب الروم»[4] ثم عوده الى اثبات الخبر ـ في الحولية نفسها ـ بالصورة التالية: «.. وفيها ارسل السلطان نائب الكرك حسن الكجكيني الى ابن عثمان صاحب الروم بهدايا جليلة»[5]. وقوله في حوادث حولية ثلاث وتسعين وسبعمائة: «.. ووصل اليه ـ الى السلطان ـ رسول سولي بن ذلغادر يتنصل من الذي جرى منه وأرسل هدية جليلة منها مائتا اكديش»[6]. وان كرر الخبر قائلا: «.. وفيها قدم رسول سولي بن ذلغادر بهدية ومفاتيح سيس وكتاب اعتذار عن أخذها ويسأل عمن

---

(١) نفسه ص ٢/٤٠.
(٢) نفسه ص ٢/٢٦٢.
(٣) نفسه ص ٢/٢٦٩.
(٤) نفسه ص ١/٤٣٤.
(٥) نفسه ص ١/٤٣٩.
(٦) نفسه ص ١/٤١٣.

يسلمها له »[1]. وقوله: « .. وفي شوال نازل ابن عثمان قيسارية فملكها »[2] ثم تكريره لذلك قائلا: « .. وفيها غلب أبو يزيد ابن عثمان على قيسارية »[3]، وقوله: « .. وفي تاسع صفر استقر يلبغا المجنون كاشف الوجه القبلي »[4] ثم نجده يكرر ذلك على النحو التالي: « .. واستقر يلبغا المجنون نائب الوجه القبلي »[5]. وهذه وتلك وظيفة واحدة في هذا الموضع.

ثالثا ـ الخطأ في التأريخ بنقل الخبر من حوليته الى غيرها، فيكون بذلك قد أرخ له في موضعين: الأول على وجه الصواب، والثاني مجانب له، كنحو قوله في حولية ثمانمائة: « .. وفي جمادي الأولى انتزع السلطان الاسكندرية من ابن الطبلاوي واعيدت لناظر الخاص »[6] ثم عوده الى ذكر ذلك في الحولية التالية لها ـ سنة ٨٠١ قائلا: « .. وفي جمادي الآخرة انتزع السلطان الاسكندرية من ابن الطبلاوي وأعادها لناظر الخاص »..[7] ويلاحظ التباين في التأريخ فيهما ـ فضلا عن اختلاف الاسناد الى الحول الواقع فيه الحدث ـ في الشهر كذلك.

(١٤) التبييض لمواضع كثيرة في الكتاب:

لما كان « ابن حجر » قد ترك « الانباء » في مسودته، فانه من الطبيعي أن ترد فيه مواضع وقد تركت فيها فراغات لاكمالها ـ فيما بعد ـ فكان منها ما تعلق باكمال الخبر وتتميمه، كنحو قوله: « .. وفي هذا اليوم ـ أول المحرم سنة سبع عشرة وثمانمائة ـ هبت ريح شديدة تلاها رعد عظيم وبرق ومطر

---

(١) نفسه ص ١/٤٢٠.
(٢) نفسه ص ١/٤١٩.
(٣) المصدر السابق ص ١/٤٢٢.
(٤) نفسه ص ١/٤١٩.
(٥) نفسه ص ١/٤٢٢.
(٦) نفسه ص ٢/٢١.
(٧) نفسه ص ٢/٤٨.

وبرد ملأ وجه الأرض، كل واحدة قدر... وأكبر من ذلك »[١]. وقوله: « .. وفيه صرف... وكان ظالما فاجرا، ولي شد الدواوين »[٢]. ومنها ما تعلق باكتمال اسم المترجم له، كنحو قوله: « .. أحمد بن......... البشبيشي »[٣]، وقوله: « .. محمد بن...... النبراوي »[٤] ومنها ما تعلق بضبط التواريخ سواء في المولد - نحو قوله: « .. ومولده في... وخمس وسبعمائة »[٥]، وقوله: « شمس الدين بن المداد، ولد سنة... وتفقه »[٦] - أو الوفاة - كنحو قوله: « .. وقد تقدمت وفاته في... »[٧] - أو الاستقرار في الوظيفة - كنحو قوله: « .. وكان استقر في التوقيع سنة... فأقام في ذلك... أربعين سنة »[٨]، وقوله: « أبو الحجاج بن الأحمر صاحب غرناطة، وليها سنة... »[٩] - أو ضبط تاريخ أعمالهم - كنحو قوله: « .. فثارت بينهما الفتنة في شوال.... وكان لهم وقعة »[١٠] - ومنها متعلق بتقدير ثقافة المترجم له وتقييد شيوخه، كنحو قوله: « .. وسمع الحديث من.... وتقدم في الفقه »[١١].

(١٥) التناقض في بعض التراكيب والعبارات:

ومنها قوله: « .. وفي أولها - أول سنة خمس وثمانمائة - استولى تمرلنك على

(١) نفسه ص ٣/٣٥.
(٢) نفسه ص ٢/٤٣٤.
(٣) نفسه ص ١/٤٩٧ تر ٨.
(٤) نفسه ص ١/٥٤١ تر ٥٣.
(٥) المصدر السابق ص ٩/١٩٤.
(٦) نفسه ص ٣/١١٧ تر ٣٣.
(٧) نفسه ص ٣/٤٠٩ تر ٦.
(٨) نفسه ص ٩/١٨١.
(٩) نفسه ص ١/٤٨٥ تر ٣٠.
(١٠) نفسه ص ٢/٣٦٥ تر ١٤.
(١١) نفسه ص ٣/٣٧٩ تر ٩.

أبي يزيد بن عثمان وأسره وأسر ولده موسى، ثم قتل أبو يزيد.. ومات أبو يزيد بن مراد.. في أسر تمر، وكان مطلقا فأدركه أجله اما من القهر أو من غيره »[١].

(١٦) الشمول الموضوعي:

لما كانت نظرة «ابن حجر» للتأريخ نظرة شمولية، فانه كان دائب الخروج على تنظيم حولياته، عمدا الى اعطاء نظرة شمولية يكتمل فيها الحدث بتتابعه وتسلسل عناصره في موضع واحد، حيث يعمد الى الربط بين عناصر الخبر الواحد لتكتمل صورته، وان تفرقت عناصره في حوليات مختلفة متخطيا بذلك الحيز الزماني الذي اختط لمادة كتابه، وهو مع هذا مدرك لذلك ملح عليه، مشير اليه.

والدليل على ذلك قوله ـ في حوادث حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة ـ بخصوص تملك «تمرلنك» وقد أتى في موضع واحد بحوادث متعلقة بذلك امتدت بين حوليتي ثمان وعشرين وسبعمائة، وثلاث وسبعين وسبعمائة المؤرخة بها: « .. وسيأتي ذلك في ترجمته سنة سبع وسبعين وسبعمائة وانما جمعت هذه الأخبار مع أنها لم تكن في سنة واحدة لتسهل معرفتها على من أراد أن يعرف أولية اللنك »[٢]. وقوله ـ في حوادث حولية سبع وأربعين وثمانمائة ـ بشأن غزو رودس، وقد أورد تقريرا مفصلا شغل عدة صفحات: « .. وقد شرح صاحبنا العلامة برهان الدين ابراهيم بن الحسن الوقعة فأثبتها في هذا التعليق بخطة منذ توجهوا من دمياط الى أن توجهوا الى الديار المصرية لتكون قصتها متوالية »[٣].

---

(١) نفسه ص ٢٢٥ ـ ٢/٢٢٦.
(٢) المصدر السابق ص ١/٢١.
(٣) نفسه ص ٢٠٠ ـ ١/٢٠١.

وهو بهذا يكون قد أشار الى مبتغاه من الشمول الموضعي لموضوع حوادثه:

- معرفة أولية الخبر بضم عناصره وتفسيره.
- تواليه.

ولذلك فانه ـ غالبا ـ ما يشير في ثنايا مثل تلك المواضع الى السببية كنحو قوله: «وكان السبب..»(١)، «والسبب في ذلك..»(٢)، وكان أصل ذلك..»(٣)، «وأصل ذلك..»(٤).

ومن أمثلة تلك المواضع ما ورد ـ ضمن حوادث حولية ثمانمائة ـ بخصوص فتنة علي باي الخزندار(٥) وما ورد في حوادث حولية احدى وثمانمائة مما تعلق بقتل أمير سيواس(٦). وما ورد بخصوص الابانة عن أولية تمرلنك وغزو رودس آنفي الذكر.

وقد يكون الهدف من الشمول الموضعي لموضوع الحوادث هو توجيهها وجهة نقدية، حيث لا يكون فيها متتبعا لتسلسل عناصره، وانما مفصحا عن حال المتعلق به الحدث، كنحو قوله ـ في حوادث حولية سبع وثمانمائة بخصوص زواج «شيخ المحمودي» من أخت «الناصر فرج» لأمه: «.. وفيها في جمادي الأولى جهزت بنت تمم، وهي أخت الناصر لأمه الى الشام، وتلقاها زوجها ـ نائب الشام ـ شيخ، فدخلت في جمادي الآخرة، فدخل بها وأولدها ومات عنها، وتزوجت بعده بعض الأمراء الصغار، وماتت في

---

(١) نفسه ص ٢/٩.
(٢) نفسه ص ٢/٢٦٤.
(٣) نفسه ص ٢/١٩٩.
(٤) نفسه ص ٢/٢٣٢.
(٥) نفسه ص ١٦ ـ ٢/١٩.
(٦) نفسه ص ٢/٤٠.

عصمته سنة ست وثلاثين »[1] وهو هنا يتتبع حالة ولا يدون خبرا، والا لما ورد الخبر على هذه الصورة بين زفاف فترمل فزواج فموت..

ويماثل ذلك ما ورد في حولية عشر وثمانمائة بخصوص بعض الاستقرارات الوظيفية من قوله: « .. وفي هذه السنة استقر أرغون شاه النوروزي في الاستادارية بدمشق، ولم يزل تنتقل به الأحوال حتى ولي الوزارة بالقاهرة في الدولة المؤيدية ثم ولي الاستدارية في الدولة الصالحية »[2] وما ورد في حوادث حولية أربع وثمانمائة ـ وقد أفصح عن الاضطراب في بعض الاستقرارات الوظيفية ـ من خلال تسجيل استقرار وظيفي قائلا: « .. وفي المحرم استقر شمس الدين البنا ـ شاهد ديوان جكم ـ في نظر الأحباس، ثم مات في سابع صفر واستقر بدر الدين العيني، ثم صرف في أواخر ذي القعدة بشهاب الدين ابن الطناحي فقيه السلطان »[3].

وقد يكون الشمول الموضعي لموضوع الحدث موظفا للابانة عن تعاطفه مع احدى الشخصيات السياسية، والتأثير على مطالع تاريخه وقد تقرر لديه دوافع ذلك استنادا الى مظاهر طبيعية، كنحو قوله في حوادث حولية أربع وثمانمائة: « .. وفي رجب منها ظهر كوكب كبير قدر الثريا له ذؤابة ظاهرة النور جدا، فاستمر يطلع ويغيب، ونوره قوي يرى مع ضوء القمر حتى رؤي في أوائل شعبان، فأوله بعض الناس بظهور ملك شيخ المحمودي فانه نقل في هذه السنة بعد خلاص يشبك الى نيابة دمشق عوضا عن آقبغا الجمالي في ذي القعدة، وقرر في نيابة طرابلس بعد دمرداش، واستقر قدم شيخ بدمشق فلم يزل يترقى بعد ذلك حتى ولي السلطنة، واستمر بعد هذه الحادثة عشرين سنة ـ كما سيأتي تفصيله ـ أميرا وسلطانا.. »[4].

---

(١) المصدر السابق ص ٢/٢٩٨.
(٢) نفسه ص ٢/٣٨٦.
(٣) نفسه ص ٢/٢٠١.
(٤) نفسه ص ٢/٢٠٦.

وهو بهذا لا يسجل أرصادا فلكيا، وانما يوظفه لخدمة غرض نقدي بحت كما يظهر من سياق العبارة، ومن تخير ألفاظها.

وقد يكون الشمول الموضعي متعلقا برواية الأخبار وتتبع الاخبار عنها والتأريخ لها نحو قوله: « .. وكانت الوقعة في خامس عشر ذي القعدة ووصل خبرها الى الشام في ذي الحجة، ووصل الى مصر في أواخرها »[1].

كما أن « ابن حجر » في طريقه الى الشمولية التأريخية قد اتبع طريقة تقليدية لدى الكتاب الحوليين، لم تخرجه عن التنظيم الحولي المعتبر لديهم، وهي الاحالة في التراجم والحوادث على معلومات فائتة أو لاحقة في كل، وهو ما سوف يدرس تفصيلا في العلاقة بين التراجم والحوادث من هذا الفصل.

---

(١) المصدر السابق ص ٢/٣٥٧.

الفصل الثاني

طبيعة الحوادث وأسس انتقاء مادتها

طبيعة الحوادث وأسس انتقاء مادتها

اشتمل « الانباء » على الحوادث الـواقعة في الفترة من سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، الى سنة خمسين وثمانمائة، أي الفترة الأخيرة من حكم السلطان « الأشرف شعبان »، و « الظاهر برقوق »، و « الناصر فرج »، و « المؤيد شيخ المحمودي » و « الظاهر ططر » و « الاشرف برسباي »، وجزء من سلطنة « الظاهر جقمق ».

ولم يقف « ابن حجر » به عند الحوادث السياسية ـ فقط ـ وانما تناول معها الأوضاع السيـاسيـة، والاداريـة، والاقتصـاديـة، والاجتماعيـة، والدينيـة، والثقافيـة.. ليس في مصر والشـام وحـدهما، بـل وفي الحجـاز، والعـراق، واليمن، والمغرب العربي، وسائر بلدان العالم التي كانت لها علاقات بالمجتمع

الاسلامي ـ اذ ذاك ـ أو بدولة المماليك على وقته ، عامدا الى ايجاد نوع من الشمول النوعي ، والشمول المكاني لحوادث حولياته ، وان استأثرت حوادث دولة المماليك ـ في هذه الفترة ـ بالحيز الكبير من كتابه ، باعتبار أنها دولة الخلافة ، وباعتبار أن « ابن حجر » قيد ولد على أرضها ، ونشأ فيها ، وعاش في كنفها . .

كما أنه لم يفرد مكان الصدارة في حولياته لنوع معين من الحوادث ، وانما كان ذلك قسمة مشتركة بين سائر الأنواع الواردة في كتابه ، المشكلة لمادته ، اللهم الا أن تكون لمثل تلك الحوادث المفردة بالصدارة في بعض الحوليات غلبة على عصره أو فكرة ، لما لها من تأثير على الرأي العام في وقته [1] .

واذا نجده يعنى ابتداء بأولى حوليات الكتاب ، وانتهاء بآخر حولياته بايراد قوائم الاستقرارات الوظيفية ، وما يطرأ عليها من تغيرات ، باعتبار أن تلك الوظائف أو المناصب سوف يكون لها تأثير في تحريك الكثير من الحوادث المنسوبة الى شاغليها فكان من تلك الاستقرارات المعني بايرادها مناصب : الخلفاء [2] والسلاطين [3] ومدبري المملكة [4] وأتابك العسكر [5] والدويدارية [6] ونواب السلطنة وولاة الأقاليم [7] وأصحاب (حكام) البلدان الخاضعة للدولة المملوكية ، أو التي لها علاقات بها ، مثل مكة والمدينة ،

---

(١) ابن حجر . انباء الغمر ص ١٣٣ ـ ٢/١٤٠ ، حيث أفرد بالصدارة في حولية اثنتين وثمانمائة غلبة المغول على حلب ودمشق ، ثم أتبع ذلك بباقي الحوادث وقد عنونت بقول : « ومن الحوادث غير قصة تمرلنك . . »

(٢) نفسه ص ١/٦ .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه ص ١/٢٥٧ .

(٦) نفسه ص ١/٦ .

(٧) نفسه ص ١/٦ ، ١/١١ ، ١/٣٣ ، ١/٦٠ ، ١/١٥٠ ، ١/١٩٠ .

واليمن، والعراق، وفاس، والأنـدلس، وتلمسـان، وتـونس، ومـارديـن، وحصن كيفا، وبلاد الشرق، والروم، والعجم، وخراسان.. [1] والوزير [2] والحجاب [3] وموقعي الدست [4] وكاتب السر [5] والنظار على: بيت المال [6] والخزانة الكبرى [7] والمارستـان [8] والأحبـاس [9]، والدولـة [10] والجيش [11] والخاص [12] والأسـواق [13] والمواريـث [14] والأوقـاف [15] والقـدس والخليل [16] وسعيد السعداء [17] ووكلاء بيت المال [18] وشاد الدواوين [19] والحوائج خاناة [20] والشربخانـاة [21].. والكشـاف [22] والقضـاة الشـافعيـة،

---

(١) المصدر السابق ص ٦ - ١/٨

(٢) نفسه ص ١/٩.

(٣) نفسه ص ١/٢٣٤.

(٤) نفسه ص ١/٣٣٣.

(٥) نفسه ص ١/٣٥.

(٦) نفسه ص ١/٦٠.

(٧) نفسه ص ١/٣٦.

(٨) نفسه ص ١/٣٤.

(٩) نفسه ص ١/٣٩٦.

(١٠) نفسه ص ١/١٧٠.

(١١) نفسه ص ١/٨.

(١٢) نفسه ص ١/١٧٥.

(١٣) نفسه ص ١/٣١٥.

(١٤) نفسه ص ١/٢٣٣.

(١٥) نفسه ص ١/١٧٢.

(١٦) نفسه ص ١/٦٠.

(١٧) نفسه ص ١/٤٩٢.

(١٨) نفسه ص ١/١٠٥.

(١٩) نفسه ص ١/٢٦١.

(٢٠) نفسه ص ١/٢٦٢.

(٢١) نفسه ص ١/٣٤.

(٢٢) نفسه ص ١/٢١٤.

والحنفية، والمالكية، والحنابلة[١] وقضاة العسكر[٢] ونواب الحكم[٣] ومفتي دار العدل[٤] والمحتسب[٥] ونقباء الأشراف وشيوخ الخانقاوات، أو سعيد السعداء[٦] وبطرق النصارى[٧] والخطباء والوعاظ[٨] والمدرسين..[٩].

كما أورد الكثير مما تعلق بترقي أو عزل الأمراء والجند[١٠].

ويلاحظ أن «ابن حجر» لم يورد هذه الاستقرارات ـ في كثير من الأحيان مجردة، وانما كان معنيا بالكشف عن ما يعتريها من الاختلال أو الاستقرار والانتظام معللا وناقدا، ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية تسع وثمانمائة: «.. ووقع في هذه السنة، والتي قبلها، والتي بعدها من تلاعب الجهلة بمنصب الحسبة ما يتعجب من سماعه، حتى أنه في الشهر الواحد يليه ثلاثة أو أربعة، وسبب ذلك أنهم فرضوا على المنصب مالا مقررا، فكان من قام في نفسه أن يليله يزن المبلغ المذكور ويخلع عليه، ثم يقوم آخر فيزن ويصرف الذي قبله، واستمر هذا الأمر في أكثر دولة الناصر فرج»[١١].

كما كان حريصا على ذكر ما تعلق بهذه الوظائف من رسوم تقضي باستحداث منصب ـ كنحو قوله في حوادث حولية اثنتين وثمانمائة: «.. وفي الثالث من ذي الحجة أفرد (الظاهر برقوق) للذخيرة والمتجر، وخاص

---

(١) نفسه ص ١/٨.
(٢) نفسه ص ١/١١.
(٣) نفسه ص ١/١٠٦.
(٤) نفسه ص ١/١٥٦.
(٥) نفسه ص ١/١٣٣.
(٦) المصدر السابق ص ١/١٥٥.
(٧) نفسه ص ١/٢٣.
(٨) نفسه ص ١/١٠٥.
(٩) نفسه ص ١/١١.
(١٠) نفسه ص ١/١٣١، ١/١٥٦، ١/٢٣٢..
(١١) نفسه ص ٢/٣٦٠.

الخاص، والمستأجرات والأملاك ـ ناظرا، وهو أول من أفرد بذلك »[1] ـ أو الجمع بين وظيفتين على غير عادة ـ كنحو قوله في حوادث حولية ست عشرة وثمانمائة: « .. وأضيفت الحسبة الى صدر الدين الأدمي، وهو أول من جمع بين القضاء والحسبة »[2] أو تبطيل بعض الوظائف ـ كنحو قوله في حوادث حولية ست وثمانمائة: « .. وفيها رسم بابطال القاضيين: المالكي والحنبلي من القدس، فأبطلا منه، ومن غزة..[3].

لكن مع هذا فانه لا يمكن أن نستخرج قوائم استقرارية مطردة ومنتظمة لتلك الوظائف أو المناصب الواردة في حوادث حولياته فيما عدا منصبي الخلافة والسلطنة.

كما أورد الكثير مما تعلق بالناحية السياسية، سواء فيما يخص علاقات الدولة المملوكية بالمغول[4] والصليبيين (الفرنج)[5] والتركمان[6]

---

(١) نفسه ص ١/٢١٩.

(٢) نفسه ص ١/١١.

(٣) نفسه ص ١/٢٦٧.

(٤) حيث نجده قد اعتنى بالافصاح عن أولية « تمرلنك » وبيان تملكه وغلبته على الكثير من البلدان بعد منازلة وهزيمة أصحابها، وكذا توسعه على حساب العالم الاسلامي عامة، وحروبه مع الدولة المملوكية، خاصة في دمشق وحلب ـ ابن حجر. انباء الغمر ص: ١٧ ـ ٢١، ٣٦، ٢١٨، ٣١٢، ٣١٩، ٣٣٥ ـ ٣٣٧، ٣٤٩، ٣٤٠، ٤٥٠ ـ ٤٥١، ٤٥٧، ٤٧١، ٥٢٢، ١/٥٢٣، ١٣٤ ـ ٢/١٣٩.. على سبيل المثال.

(٥) من ذلك ما ورد بشأن منازلتهم طرابلس وهزيمتهم هناك سنة ثمانين وسبعمائة ـ نفسه ص ١/١٧٤ ـ ومنازلتهم بيروت سنة خمس وثمانين وسبعمائة ـ نفسه ص ١/٢٧٤ ـ واستيلائهم على جربه، وأقارب السلطان الظاهر برقوق، وكذا منازلتهم طرابلس الشام سنة تسعين وسبعمائة ـ نفسه ص ١/٣٥١، ١/٣٥٢، ١/٣٥٣ ـ وما ورد في حوادث حولية خمس وتسعين وسبعمائة بشأن وقعة نستروة ـ نفسه ص ١/٤٥٤ ـ وأخذهم سنة ست وتسعين وسبعمائة مراكب الغلال ـ نفسه ص ١/٤٧٧ ـ ومنازلتهم غرناطة سنة سبع وتسعين وسبعمائة ـ نفسه ص ١/٤٩٠..

(٦) فكثيرا ما تطاولوا على الدولة المملوكية، وأغاروا على تخومها، واستضافوا الخارجين على سلطانها، وكانت لهم مع نواب السلطنة وقعات كثيرة ـ نفسه ص ١/٢٣٥، ١/٢٣٧، =

والحبشة[1] وأولاد الكنز[2] والعراق[3] .. موردا تفصيلات عن هذه النواحي، وما يحدث فيها من تقلبات سياسية وعسكرية، واتصالات بالدولة المملوكية، سواء بالاغارة والحروب أم بالتراسل[4] وتبادل الهدايا والزيارات . .[5].

كما كان معنيا بذكر الكثير مما تعلق بالناحية السياسية داخليا، سواء بالنسبة للتغاير على منصب السلطنة، نتيجة لوفاة سلطان سابق وتقليد سلطان لاحق بعهد منه[6] أو نتيجة لتغلب مدبر المملكة أو أتابك العسكر على

= ١/٢٧٩، ١/٣٠١، ١/٣١٦، ١/٣١٧، ١/٤٠٢، ١/٤٩٠، ١/٤٩٤، ١/٤٩٥، ١/٥٢٦..

(١) نفسه ص ١/٢٣٢، حيث وصولهم الى قرب أسوان سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة وافسادهم في نواحيها.

(٢) نفسه ص ١/١٧٥، حيث اغارة أمير أسوان عليهم سنة ثمانين وسبعمائة وامساكه أحد عشر نفسا من أكابرهم، وقتلهم بالقاهرة، بالاضافة الى مائتي نفس كانوا صحبتهم استرقوا وبيعوا.

(٣) من ذلك ما أورده في حوادث حولية ست وتسعين وسبعمائة من ايواء الظاهر برقوق للسلطان أحمد بن أويس وقد ضاع ملكه، ثم تجهيزه الى العراق لاسترداده.. ـ نفسه ص ١/٤٦٩ وما بعدها.

(٤) من ذلك رسالة تمرلنك الى الظاهر برقوق سنة ست وتسعين وسبعمائة منكرا عليه ايواء السلطان أحمد بن أويس، وما ورد بخصوص جواب السلطان ردا عليه ـ نفسه ص ٤٧٣ ـ ١/٤٧٤.

(٥) من ذلك ما ورد في الحوادث بخصوص هدايا صاحب اليمن ـ نفسه ص ١/٦١، ١/٥٢٦ ـ واصطنبول ـ نفسه ص ١/١٠٦ ـ والروم ـ نفسه ص ١/٥٢٥ ـ وكذا زيارات صاحب حصن أرزان ـ نفسه ص ١/٢٠٠ ـ ورسل صاحب أشبيلية نفسه ص ١/٢٥٦ ـ واصطنبول ـ نفسه ص ١/٣٠١ ـ وماردين ـ نفسه ص ١/٣١٢ ـ وتونس ـ نفسه ص ١/٤٠٠ ـ ودهلك ـ نفسه ص ١/٤٥٢ ـ وصاحب النوبة ـ نفسه ص ٢/٧..

(٦) نفسه ص ٢/٥٠، حيث موت الظاهر برقوق واستخلاف ابنه الناصر فرج بعهد منه.

المنصب [1] أو بخروج بعضهم على سلطانه وحربه، مما يؤدي الى عزله وسجنه [2] أو قتله وتولي غيره [3].

وكذا الافصاح عن اطاعة الأمراء ونواب السلطنة للسلاطين، وعلامة هذه الطاعة [4] أو تأليبهم على السلطان، وتطاولهم عليه، وانتقاضهم من السلطنة المركزية بالعاصمة [5]. مشيرا الى ما يتبع ذلك من التغاير في كثير من المناصب، وانزال الكثير من أنواع العقوبات كالقبض [6] والسجن أو الحبس [7] والاعتقال [8] أو النفي [9] والاهانة [10] والضرب [11] والتقييد بقيد

---

(١) نفسه ص ١/٢٥٧، حيث خلع الملك الصالح حاجي من السلطنة سنة أربع وثمانين وسبعمائة، ومبايعة برقوق بها.

(٢) نفسه ص ١/٣٦٨ وما بعدها، حيث خلع الظاهر برقوق من السلطنة وسجنه بالكرك سنة احدى وتسعين وسبعمائة.

(٣) نفسه ص ٢/٥١١، ٢/٥١٦، حيث قتل الناصر فرج، وسلطنة المؤيد شيخ.

(٤) سواء بالحضور الى مقر السلطنة بالقاهرة مظهرين لهذه الطاعة ـ نفسه ص ١/٢٧٣، حيث حضور يلبغا الناصري نائب السلطنة بحلب الى القاهرة مظهرا الطاعة للظاهر برقوق ـ أو بارسال قود (هدية) الأمراء كدليل على هذه الطاعة ـ نفسه ص ١/١٦، ١/٣٤..

(٥) من ذلك خروج منطاش، ويلبغا الناصري على الظاهر برقوق وخلعه من السلطنة سنة احدى وتسعين وسبعمائة ـ نفسه ص ١/٣٦٤ وما بعدها. وكذا فتنة علي باي الخزندار سنة ثمانمائة ـ نفسه ص ٢/١٦.

(٦) نفسه ص ١/١٥٦..

(٧) نفسه ص ١/١٥٤.

(٨) نفسه ص ١/١٧٠..

(٩) نفسه ص ١/٤٥..

(١٠) نفسه ص ١/١٧٠..

(١١) نفسه ص ١/٢١٦..

ثقيل [1] والتسمير [2] والتوسيط [3] والعصر [4] والتسعيط [5].. فضلا عن الحوطة على الموجود [6] والمصادرات [7]. وهو ما يتبع في مثل هذه الحالات، وفي حالات التقصير والعزل من بعض المناصب في الادارة المملوكية.

---

(١) نفسه ص ١/٢٧٦..

(٢) نفسه ص ١/١٥٨، وهي عقوبة قاسية تدق فيها بعض أعضاء المعاقب في لوح من الخشب أو نحوه بمسامير غلاظ، ثم يوضع على جمل يطوف به تشهيرا وتنكيلا تمهيدا لتوسيطه (قتله) ان لم يكن هناك من يشفع فيه وتقبل شفاعته، ومن الأمثلة الموضحة لذلك ما أورده «ابن صصري» - في الدرة المضية في الدولة الظاهرية ص ١٠٤ - قائلا: «.. وفي الحال أمر (السلطان الظاهر برقوق) بتسميرهم وتوسيطهم، فنزلوا بهم من القلعة وفي أرقابهم الجنازير حفاة الى اسطبل السلطان، وأحضروا في الحال عشرين جملا وعملوا عليهم ... أحضروا المسامير.. وطلع السلطان قعد في الطامة حتى يتفرج عليهم فلما توسط النهار (انتصف) أخرجوهم من اسطبل السلطان مسمرين كلهم تسمير عطب (مما يشير الى وجود طريق آخر لتنفيذ هذه العقوبة وهو تسمير سلامة) وداروا بهم دورة المدينة في ذاك الوحل والزلق وهم يستغيثوا ما يغاثوا.. ثم أنهم نزلوهم من المسامير وساروا يوسطوهم واحد بعد واحد».

(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/١٧٢، وهو نوع من القتل، وطريقته أن يعري المحكوم عليه به من الثياب فيضرب بالسيف بقوة تحت السرة لينقسم الجسم نصفين - ابن منظور. لسان العرب ص ٧/٤٨٣٣، د. محمد مصطفى زيادة. حاشية ص ١/٤٠٤ من كتاب السلوك للمقريزي، د. سعيد عبدالفتاح عاشور. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ٩٩.

(٤) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/١٢، حيث يوضع من حكم عليه بهذه العقوبة بوجهه أو رأسه أو رجله او عقبيه بين خشبتين مربوط احداهما بالاخرى تسميان المعصرة ثم تشد الخشبتان شدا وثيقا، مما يؤدي في كثير من الأحيان الى كسر تلك العظام - د. محمد مصطفى زيادة. حاشية رقم ٣ من كتاب السلوك ص ١/٧٤.، د. سعيد عبدالفتاح عاشور. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ٩٩.

(٥) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/١٢، وهو صب مادة في أنف المعاقب به تكون سعوطا له من نشوق ونحوه - ابن منظور. لسان العرب ص ٣/٢٠١٦.

(٦) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٢١٦..

(٧) نفسه ص ١/١٧٠..

كما أبرز الكثير من أعمال السلاطين تصديا لمثل تلك الحالات [١]، وكذا ما يقع في أيامهم من حروب [٢] أو اغارات العربان على تخوم البلاد وافسادهم فيها [٣] وتصديهم لهم، وما يكون في عهدهم من الفتوحات [٤].

وأبان عن تصرفاتهم ـ وكذا الأمراء والمماليك ـ المتصلة بالشرع والدين من اعزاز لجانبه [٥] أو انتقاص له وتطاول عليه [٦] وما يكون من الجور والفساد والواقع من المماليك [٧] أو أرباب المناصب والولايات [٨] وتشكي الأهالي منهم

---

(١) نفسه ص ٣/٤٩٢ وما بعدها، حيث السفرة الشمالية (سفرة آمد) تمهيداً للبلاد الشمالية.

(٢) نفسه ص ٢/١٣٥، حيث الحروب المغولية المملوكية سنة ثلاث وثمانمائة.

(٣) فكثيرا ما أغار عرب البحيرة والوجه البحري والشرقية والصعيد والكرك.. على البلاد وأفسدوا فيها، مما اضطر السلاطين الى تجريد الأمراء والعسكر لحربهم اخضاعا لهم وتأديبا ـ نفسه ص ١/١٧٧، ١/١٩٠، ١/٢١٣، ١/٢٣٦، ١/٢٥٨، ١/٢٧٦، ١/٣٧٠، ١/٤٢١، ١/٤٥٤، ١/٤٥٥، ١/٥١٢، ١/٥١٣..

(٤) من ذلك ما ورد بخصوص فتح سيس ـ المصدر السابق ص ١/٧٤ ـ وسنجار ـ نفسه ص ١/١٠٥ ـ وغزو رودس ـ نفسه ص ٩/٢٠٠ وما بعدها.

(٥) كالتشديد على أهل اللهو والفساد، وازالة المنكرات، وكسر جرار الخمر ومنع الشخاتير من دخول النيل للفرجة والعبث، والتحفظ على بعض ملبوسات النساء (القمصان الكمشبغاوية)، وخروجهن لزيارة القبور ـ نفسه ص ١/١٦، ١/١٩٣، ١/٣٧٠، ١/٤١٨ ـ أو جلوس السلطان للحكم بين الناس في أيام معلومة انصافا لهم ـ نفسه ص ٢/٤١..

(٦) كحمل الخمر وتوزيعها على الأساري ـ نفسه ص ٢/١٤ ـ أو الاغارة على أموال (مودع) الأيتام، وكذا على الأوقاف ـ نفسه ص ٢/٤٢١..

(٧) كنحو ما ورد في حولية احدى وثمانين وسبعمائة من القبض على مملوكين بدمشق كانا يأخذان النساء قهرا، فصلبا ـ نفسه ص ١/١٥٢ ـ وما ورد في حوادث حولية خمس وثلاثين وثمانمائة من قوله: « .. وفيه ـ في شعبان ـ اشتد فساد المماليك الجلب وأفسدوا حتى منع السلطان الناس من العمل الا باذنه اشفاقا عليهم منهم» ـ نفسه ص ٣/٤٨٠.

(٨) كابادة بعض الموظفين (الفخر الاستادار) معظم أهالي الصعيد ورميه الأصناف على الناس ـ نفسه ص ٣/١٧٣ ـ وتضرر الحاج وتجار قيسارية جركس من تدابير ابن مكانس ـ نفسه ص ١/١٧٧ ـ وظلم ناظرا المتجر للناس ـ نفسه ص ١/٣١٧.

للسلطان[١] أو ثوراتهم عليهم[٢].

وهو مع هذا لا يغفل رد فعل مثل تلك الحوادث السياسية وغيرها لدى الرأي العام (رجل الشارع) ووقعها على أنفس الناس، ويعدا ذلك مصاحبا للحوادث سواء في تلك المقطوعات الشعرية[٣] أو بالكشف عن شعورهم تجاه بعض الحوادث[٤].

كما اهتم بابراز أعمال السلاطين والأمراء فيما يختص بالعمارة والبناء، سواء ببناء المدارس[٥] أو الجوامع[٦] والوكالات[٧] والحمامات[٨] وبعض البيمارستانات[٩] والأبراج[١٠] والأسوار[١١] والجسور[١٢] والقناطر[١٣] والترع[١٤]

---

(١) كنحو ما ورد من شكوى أهل بعلبك من نائبهم ـ نفسه ص ١/١٣٠ وشكوى الناس من المحتسب ـ نفسه ص ١/٣٧٩ ـ وشكوى أهل الخانقاة من شيخهم ـ نفسه ص ٤٣٧، ١/٥٢٩..

(٢) نفسه ص ١/١٩٢، ٣/١٤٤.

(٣) من ذلك ما ورد في صفحات: ١٠، ١١، ٧٥، ١٠٦، ١٥٤، ١٥٥، ١٧٠، ١٧١، ١٩٣، ١٩٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٥٤، ٢٦٢، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٩١، ٣١٣، ٣١٤، ١/٤٩٢ من الانباء، وكذا: الشواهد الشعرية ودورها في تفسير الخبر ونقده من هذا البحث.

(٤) نفسه ص ٢/٥٦، ٢/١٠٦، ٢/٤٥٨، ٢/٥١٢..

(٥) المصدر السابق ص ١/١٥، ١/٢٣٨، ١/٢٩٠، ١/٣٠١، ١/٣١٣، ٢/٣٥٥..

(٦) نفسه ص ٣/٢١٩..

(٧) نفسه ص ١/٤١٦..

(٨) نفسه ص ١/١٥..

(٩) نفسه ص ٣/١٧٣.

(١٠) نفسه ص ١/٢٨٩..

(١١) نفسه ص ١/٣٩٨، ٣/١٣٤..

(١٢) نفسه ص ١/٢٣٦، ٢٥٣ ـ ١/٢٥٤، ١/٣٩٨..

(١٣) نفسه ص ١/٢٦٣..

(١٤) نفسه ص ٣/٥٤..

وما يستجد من العمارة أو اصلاح للقلعة [١] أو تجديد لحكر [٢] ..

وهو من هذا لم يغفل الجانب الخاص من حياة السلاطين، ذاكرا لمرضهم [٣] وتعافيهم [٤] وسرحاتهم (تنزهاتهم) [٥] وخروجهم للصيد [٦] وحضورهم المواكب [٧] والأعياد [٨] والموالد [٩] واقامة الزينات لهم [١٠] وما يقع لهم ولكبار موظفيهم من الزيجات [١١] وما يتبع ذلك من التبشير بانجاب الذكور (الأولاد) [١٢] وعمل المهمات لطهورهم (ختانهم) [١٣] وكذا لعم بالأكرة [١٤] والرمح [١٥] وغيره.. وشربهم المسكرات [١٦] وعيادتهم المرضى من الخاصة [١٧] والعامة بالمارستان.. [١٨]

كما اهتم باثبات الكثير من المراسم الصادرة عن الادارة المملوكية فيما يتعلق

---

(١) نفسه ص ٢/٣٥٥..
(٢) نفسه ص ٢/٤٦٣..
(٣) نفسه ص ١/١٢٧، ١/٥٣٠، ٢/٣٨، ٢/٢٩٩، ٣/٣١٨، ٣/١٥٤..
(٤) نفسه ص ٢/٣١٦، ٣/٢١٧..
(٥) نفسه ص ١/٢٦٢، ٣/١٥، ٣/١٥٥، ٣/٢٠١، ٣/٣٠٠..
(٦) نفسه ص ٣/٤٥٥..
(٧) نفسه ص ١/٥٢٤..
(٨) نفسه ص ٣/٢٠٢..
(٩) نفسه ص ١/٤٨٧، ٣/١٦٢، ٣/٣٠٠..
(١٠) نفسه ص ٢/٩، ٢/٣٧..
(١١) نفسه ص ١/٣١٢، ٢/١٩٩، ٢/٢٣٩، ٢/٥١٥، ٣/١٣..
(١٢) نفسه ص ٣/١٦٢..
(١٣) نفسه ص ١/١٠٣، ٢/١٤..
(١٤) نفسه ص ٢/١٥..
(١٥) نفسه ص ١/٢٣١..
(١٦) نفسه ص ١/٣٥١، ١/٤٨٧..
(١٧) المصدر السابق ص ٥٢٧/٣٨٦.
(١٨) نفسه ص ٣/١٦٣..

بتمايز الأشراف[1] أو ما يستجد من اللباس اكبار الأمراء[2] أو التغاير في اللباس تبعا للاختلاف في الفصول[3] أو تحديد عدد الشهود ونواب الحكم[4] أو استعمال دواب الحمل والانتقال[5] أو شرب مشروب جديد[6] أو تقييد زواج بعض الطوائف[7] أو تبطيل بعض المكوس والضمانات[8] أو تسعير

---

(١) نفسه ص ١٠/١، حيث قوله في حوادث حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة: « .. وفيها أمر السلطان الأشراف أن يمتازوا عن الناس بعصائب خضر على العمائم، ففعل ذلك في مصر والشام وغيرها ».

(٢) كنحو قوله في حوادث حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة: « .. وفيها استجد الملك الأشرف عند طلوعه من سرحة الأهرام أن يلبس الأمراء الكبار أقبية حرير بسمور وطرزة مزركشة عراضا ومن دونهم بأقبية حرير بقماقم، ومن دونهم بسنجاب والجميع باطراز متقاربة ـ نفسه ص ١/١٥.

(٣) كنحو قوله في حوادث حولية خمس وعشرين وثمانمائة: « .. وفي الثامن عشر من برمودة أمر السلطان بلبس الأبيض، فسبق العادة الأولى قدر عشرين يوما » ـ نفسه ص ٣/٢٨٠.

(٤) كنحو قوله في حوادث حولية أربع وسبعين وسبعمائة: « .. وفيها أمر ألا يزيد عدد الشهود في كل مركز عن أربعة، وأن لا يولي أحد من القضاة من غير مذهبه.. » ـ نفسه ص ١/٣٤ ـ وقوله في حوادث حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة: « .. وفي نصف رمضان أمر أن يخفف من نواب القضاة، وأن يكون لكل قاض أربعة نواب الا الحنبلي فلا يزيد على اثنين » ـ نفسه ص ١/٢١٨.

(٥) كنحو قوله في حوادث حولية اثنتين وتسعين وسبعمائة: « .. وفيه منع من يلبس العمامة من ركوب الخيل الا الوزير وكاتب السر وناظر الخاص وأذن لهم في ركوب البغال، ونودي أن الطحانين لا يستعملون الخيل الصحاح، وكذلك الحمارة » ـ نفسه ص ١/٤٠٢.

(٦) كنحو قوله في حوادث حولية تسعين وسبعمائة: « .. وفي شهر صفر ابتدأ الظاهر بشرب التمر، واستمر ذلك كل يوم أربعاء » ـ نفسه ص ١/٣٥١.

(٧) كنحو قوله في حوادث حولية تسع عشرة وثمانمائة: « .. وفي نصف صفر نودي أن لا يتزوج أحد من العقاد أحدا من مماليك السلطان الا باذنه » ـ نفسه ص ٣/٩٠.

(٨) كنحو ما ورد في حوادث حولية أربع وثمانمائة من ابطال ميسم اللحم ـ نفسه ص ٢/٢٠٧ ـ وما ورد في حوادث حولية خمس وثمانمائة من سعي السالمي في ابطال مكس الذبيحة من الغنم والبقر وغيرها ـ نفسه ص ٢/٢٣٨ ـ وما ورد حوادث حولية احدى وتسعين وسبعمائة من الغاء مكس القصب والقلقاس وان اعيد بعد قليل ـ نفسه ص ١/٢٦٦ ـ وما ورد في حوادث حولية خمس وعشرين وثمانمائة من ابطال القدر الذي كان يأخذ ممن يسافر بالأمير المنفصل عن امرته اذا حبس أو نفي ـ نفسه ص ٣/٢٧٠.

بعض السلع [1] أو تحجير بعض الأصناف [2] أو عدم البيع بالنسيئة (بالأجل) [3] أو القيود على بعض الموظفين ـ كمباشرة الديوان، وقد صدر مرسوم بعدم اسنادها الى نصراني [4] ـ أو كيفية الدعاء في خطبة الجمعة للسلطان [5]، بل، وحتى ما يخص مسك الكلاب.. [6]

---

(١) كنحو ما ورد في حوادث حولية أربع وسبعين وسبعمائة من قوله: « .. وفيها قدم بعض الشيوخ الزواكر الى دمشق ومعه مرسوم أن يباع ما معه من التمر، كل تمرة بدرهم، فشق ذلك على الباعة، وأكثروا الشناعة » ـ نفسه ص ٣٦/١ ـ وقوله في حوادث حولية خمس وثمانمائة: « .. وفيه ـ أي في شهر شوال ـ سعر اللحم السليخ بدرهم ونصف، والسميط بدرهم وربع، والبقري بدرهم » ـ نفسه ص ٢٣٨/٢.

(٢) كنحو قوله في حوادث حولية اثنتين وثلاثين وثمانمائة: « .. وفي أول هذه السنة تلفت السلطان الى المتجر باغراء الخزندار له، فأمر بتجهيز مال الى جدة ليشتري به، وحجر على الفلفل أن يشتري لغيره، وألزم جميع التجار أن لا يتوجه أحد ببضاعة الى الشام، ولا غيرها، بل الى القاهرة، ولا يبيع الا بالأسكندرية بعد أن يكتفي السلطان. وألزم الفرنج بشراء الفلفل بزيادة خمسين دينارا عن السعر الواقع.. وفيه حجر على باعة الثياب البعلبكي والموصلي والبغدادي، ثم بطل ذلك. وفيه حجر على السكر مدة ثم بطل ذلك أيضا » ـ نفسه ص ٤٢٣/٣.

(٣) كنحو قوله في حوادث حولية خمس وعشرين وثمانمائة: « .. وفي جمادي الأولى ألزم الأشرف (برسباي) البزازين أن لا يبيعوا شيئا من القماش بالنسيئة ولا يشتروه، فحصل لهم بذلك ضيق كبير، ثم أفرج عنهم وألزموا أن لا يخيروا الشراء بينهما، بل أن كان نقدا فنقدا، وان كان نسيئة فنسيئة » ـ نفسه ص ٢٧٢/٣.

(٤) كنحو قوله في حوادث حولية خمس وعشرين وثمانمائة: « .. وفي الثامن من جمادي الأولى نودي أن لا يباشر نصراني في ديوان أحد من الأمراء ثم انتفى ذلك بعد مدة.. » ـ نفسه ص ٢٧١/٣.

(٥) كنحو قوله في حوادث حولية تسع عشرة وثمانمائة: « .. وفي هذا الشهر ـ ربيع الأول ـ أمر السلطان الخطباء اذا وصلوا الى الدعاء اليه في الخطبة أن يهبطوا من المنبر درجة ليكون اسم الله ورسوله في مكان أعلى من المكان الذي فيه السلطان.. » ـ نفسه ص ٩٢/٣.

(٦) كنحو قوله في حوادث حولية احدى وثمانين وسبعمائة: « .. وفيها أمر بركة بمسك الكلاب ونفيها الى الجنيزة، وقرر على كل أمير وكل صاحب دكان منهم شيئاً » ـ نفسه ص ١٩١/١.

وكذا تسجيل أحوال النيل سواء فيما يتعلق بقراءة مقياسه [١] معتبرا بلوغه حد التمام « ستة عشر ذراعا » [٢] وهو علامة الوفاء [٣] التي عندها يأمن الناس وتأخذ الأسعار في الانحطاط، وما يتبع الوفاء من الاحتفال، حيث ينزل السلطان [٤] أو من ينوب عنه [٥] لتخليق المقياس، وكسر الخليج، كما كان « ابن حجر » كثيرا ما يشير الى الزيادة المفرطة [٦] أو الانخفاض الملحوظ (احتراق النيل) [٧] في مياه النيل، وما يتبع ذلك من المعالجات الدينية، أو التدابير الوقائية..

---

(١) من ذلك قوله في حوادث حولية ثمانمائة: « .. كان أولها يوم الاثنين (سابع) عشرى توت من أشهر القبط، وأخذ النيل في النقص، وانتهت زيادته الى اثني عشر اصبعا من عشرين » ـ نفسه ص ٢/٧.

(٢) د. محمود رزق سليم. النيل في عصر المماليك ص ٤٣، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ١٦.

(٣) عن وفاء النيل يمكن مراجعة: ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٤٢١، ١/٤٣٧، ١/٤٩٤، ١/٥٠٨، ١/٥١٢، ١/٥٢٩.

(٤) من ذلك قوله في حوادث حولية خمس وثمانين وسبعمائة: « .. وفي جمادي الأولى نزل السلطان الى النيل فخلق المقياس وكسر الخليج وفتح السد ولم يباشر ذلك بنفسه سلطان قبله من زمن الظاهر بيبرس » ـ نفسه ص ١/٢٧٣.

(٥) من ذلك قوله في حوادث حولية احدى وثمانين وسبعمائة بشأن نزول بركة لكسر الخليج وتخليق العامود بالمقياس » ـ نفسه ص ١/١٩٢.

(٦) من ذلك قوله في حوادث حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة: « .. وفيها زاد النيل زيادة مفرطة، وثبت الى أيام من هاتور، فاجتمع جماعة بالجامع الأزهر وجامع عمرو وسألوا الله ـ تعالى ـ هبوطه، وكرروا ذلك، فهبط وزرع الناس » ـ نفسه ص ١/١٠ ـ وقوله في حوادث حولية خمس وثمانين وسبعمائة: « .. وفيها زاد النيل زيادة عظيمة الى أن تهدمت بيوت كثيرة وانفتح مقطع بالزريبة، فبادر اليه أيدكار الحاجب وحسين الوالي فأحضروا المراكب وسدوه بأبواب وصواري وأخشاب فلم ينسد الا بعد أيام، ورتب السلطان جماعة من الأمراء والمماليك للاقامة بجوانب البحر والخلجات لحفظ الجسور » ـ نفسه ص ١/٢٧٦.

(٧) من ذلك قوله في حوادث حولية خمس وسبعين وسبعمائة: « .. وفيها توقف النيل عن الزيادة وأبطأ الوفاء الى أن دخل توت أول السنة القبطية ووقع الناروز قبل كسر الخليج، حتى قال بدر الدين بن الصاحب: =

ومما يكون من حالة اقتصادية في مصر والقاهرة [١] والشام [٢] ودمشق [٣] وحلب [٤] والحجاز [٥] .. وغيرها ، اما الى الرخاء وانحطاط الأسعار [٦] واما الى الغلاء المفرط [٧] في كثير من السلع والأصناف كالغلال [٨] خاصة القمح [٩] والشعير [١٠] أو البقول كالفول [١١] أو البرسيم الأخضر [١٢] والنارنج [١٣] والبطيخ [١٤] والزيت الحار [١٥] والجبن الجاموسي [١٦] واللحم بأنواعه [١٧]

= نيروز مصر بلا وفاء بعد صقعها بغير ماء واستمر التوقف الى تاسع توت ، فاجتمع العلماء والصلحاء بجامع عمرو بن العاص واستسقوا ، وكسر ذلك اليوم الخليج عن نقص أربعة أصابع عن العادة ، ثم توجهوا الى الآثار وأخذوها الى المقياس فأقاموا من قبل العصر الى آخر النهار يتوسلون الى الله تعالى ويبتهلون ويستغفرون فلم يزد الأمر الا شدة ثم نودي بصيام ثلاثة أيام وخرجوا في ثالث ربيع الآخر الى الصحراء مشاة وحضر غالب الأعيان ومعظم العوام وصبيان المكاتب ونصب المنبر فخطب عليه شهاب الدين بن القسطلاني ـ خطيب جامع عمرو ـ وصلى صلاة الاستسقاء ودعا وابتهل وكشف رأسه واستغاث وتضرعوا ، وكان يوما مشهوداً ـ نفسه ص ١/٥٩ .

(١) المصدر السابق ص ١/١٥٥ ، ١/٢٥٧ ..

(٢) نفسه ص ١/٣٤٩ ..

(٣) نفسه ص ١/٢١٨ ..

(٤) نفسه ص ١/٧٦ ..

(٥) نفسه ص ١/٢٣٦ ..

(٦) نفسه ص ١/١٥٥ ، ١/٢٥٧ ، ٢/٤٨٥ ، ٢/٩٣ ، ٢/٣٧٨ ، ٢/٣٩٥ ..

(٧) نفسه ص ١/٧١ ، ١/٧٦ ، ١/١٠٤ ، ١/١٠٥ ، ١/١٠٧ ، ١/١٣٢ ..

(٨) نفسه ص ٢/٣٩٥ ..

(٩) نفسه ص ٢/٤٦٣ ..

(١٠) نفسه ص ٢/٣٧٨ ..

(١١) نفسه ص ٢/٢٦٠ ..

(١٢) نفسه ص ٣/٨٦ ..

(١٣) نفسه ص ٣/٣٨ ..

(١٤) نفسه ص ٣/٨ ..

(١٥) نفسه ص ٢/٤٨٧ ..

(١٦) نفسه ص ١/١٥٥ ..

(١٧) نفسه ص ١/٢٧٩ ..

والبيض [١] والدجاج [٢] والأدوية [٣] والكتان [٤] وأصناف القماش [٥] بل ومستلزمات الطبقة الراقية من اللوز القلب والفستق [٦] وأنواع الورود والزهور [٧] .

وما يتبع ذلك من اختلاف وتغاير في أسعار بعض العملات [٨] أو الشروع في تبطيلها [٩] واستجداد عملات أخرى [١٠] أو حدوث زيف فيها يؤدي بها الى الفساد [١١].

وما يكون من مجاعات يعز فيها القوت وتؤكل الميتة، فضلا عن القطط والكلاب [١٢] ويتخطف فيها الخبز من أسطح الأفران [١٣] والغلال من المراكب بالموانىء [١٤] وما تتخذه الدولة، وأهل المروءة من تدابير لمعالجة مثل تلك الحالات، سواء بالنفقة في الفقراء والمحتاجين [١٥] أو يجلب الحبوب من أماكن

---

(١) نفسه ص ١/١٠٧..
(٢) نفسه ص ١/٧١..
(٣) نفسه ص ٢/٢٦١..
(٤) نفسه ص ٣/٧..
(٥) نفسه.
(٦) نفسه ص ٢/١٠٣، ١/٣١٦.
(٧) نفسه ص ٣/٦٤٣.
(٨) نفسه ص ٢/٣٧، ٢/٤٦١، ٢/٤٨٧..
(٩)) نفسه ص ٢/٤٠١..
(١٠) نفسه ص ١/٣٣٥، ٢/٤٠٣، ٣/١٢٥..
(١١) المصدر السابق ص ١/٤٣٩، ٢/٥١..
(١٢) نفسه ص ١/١٠٤، ١/١٣٢..
(١٣) نفسه ص ٣/٦٩..
(١٤) نفسه ص ٣/٧٠..
(١٥) نفسه ص ٥٠٧ - ١/٥٠٨، ٢/٣٨، ٣/٨٥..

توفرها، والالزام ببيعها ولو بالخسران[1] وكـذا الزام المياسير مـن النـاس باطعام المحتاجين، كل حسب ما يحتمل ويطيق[2]، وفك المحبوسين على الديون[3] وتكفين الموتى من الطرحاء والفقراء ودفنهم[4].

وما يصاحب ذلك في بعـض الأحيـان مـن تعـديلات في الاستقـرارات الوظيفية خاصة منصب المحتسب[5] ارضاء للعامة وتسكينا للحال.

واهتم ـ كذلك ـ بذكر بعض النكبات المتسببة عن الفياضانات المفرطة[6]

---

(١) نفسه ص ٣/٧٢، حيث يشير الى ذلك في حوادث حولية ثماني عشرة وثمانمائة قائلا: « .. وتصدي (السلطان) للنظر في أمر القمح بنفسه، وجهز مرجان الخازندار وعبدالرحمن السمسار بمال جزيل الى الصعيد ليشتروا به قمحا ويحضروه بسرعة ليكثر بالقاهرة وتبطل المزاحمة على الخبز»، وقوله في حوادث الحولية التالية ـ ٨١٩ هـ.ـ «وفي أواخره ـ أواخر شهر صفرـ قدم مرجان من الصعيد وعلى يده شيء كثير من الغلال وقد انحط السعر بالقاهرة، فرسم له السلطان أن يبيع ما اشتراه بالسعر الحاضر ولو خسر النصف» ـ نفسه ص ٣/٨٦.

(٢) نفسه ص ١/٧١، حيث يشير في حولية ست وسبعين وسبعمائة الى «أمر السلطان بتفرقة الفقراء على الأغنياء، فكان على الأمير المقدم ألف: مائة فقير، وعلى كل أمير بعدد مماليكه، ونحو ذلك، وعلى الدواوين كل واحد بحسبه، وعلى التجار كذلك، ونودي في البلد بأن من سأل في الأسواق صلب، ومن تصدق عليه ضرب».

(٣) نفسه ص ٢/٢٥٣، حيث ورد في حوادث حولية أربع وثمانين وسبعمائة قوله: « .. وفيها لما كثر الغلاء أمر برقوق الحكام أن لا يحبس أحد على دين لأجل الغلاء، وأفرج عن المحابيس».

(٤) من ذلك قوله في حوادث حولية ثمان وثمانمائة: « .. كان ابن غراب محبوبا الى العامة لما قام به في الغلاء والفناء من اطعامه الفقراء وتكفينه الأموات من ماله» ـ نفسه ص ٢/٣٢٩ ـ وقوله في حوادث حولية ست وثمانمائة: « .. وكان يموت بالجوع والبرد كل يوم فوق الألف، وقام أهل المروءة بدفن من يموت.. خارجا عما يكفن من المرستان ووقف الطرحاء فيقال كان عدة من تكفل ابن غراب بمواراته الى سلخ شوال اثني عشر ألف نفس» ـ نفسه ص ٢/٢٦٠.

(٥) من ذلك قوله في حوادث حولية خمس وسبعين وسبعمائة: « .. وفي صبح هذا اليوم (يوم الاستسقاء) اجتمع العوام بالمصاحف وسألوا أن يعزل علاء الدين بن عرب عن الحسبة فعزل» ـ المصدر السابق ص ١/٥٩.

(٦) من ذلك قوله في حوادث حولية ثمان وسبعين وسبعمائة: « .. وفيها في ربيع الأول غرق =

والحرائق [1] وتهدم بعض المباني والدور [2] وخسوف بعض المدن [3] والطواعين

= الحسينية ـ ظاهر القاهرة ـ فانقطع من الخليج الحاكمي بجوار بيت ابن قايماز، فقطع، فغرقت الحسينية الى أن بلغ الماء جامع ابن شرف الدين، فقيل خربت بذلك نحو ألف دار» ـ نفسه ص ١٢٨/١ ـ وقوله في حوادث حولية احدى وثمانين وسبعمائة: « .. وفيها فاض الخليج الناصري من نجمون الجمالي، فأغرق البساتين وقنطرة الحاجب وكوم الريش والمناخ ومنشية الشيرج وشبرا وانقطعت الطريق» ـ نفسه ص ١٩٣/١ ـ وما ورد في حوادث حولية أربع وسبعين وسبعمائة من زيادة أنها دمشق ـ نفسه ص ٢٣/١ ـ وما ورد في حوادث حولية خمس وسبعين وسبعمائة بخصوص فيضان دجلة وغرق بغداد ـ نفسه ص ٦٢ ـ ٦٣/١ ..

(١) من ذلك ما ورد في حوادث حولية أربع وسبعين وسبعمائة من قوله: « .. وفيها كان الحريق بقلعة الجبل داخل الدور السلطانية، واستمر أياما فقد فيه شيء كثير، ويقال أن أصله من صاعقة وقعت» ـ نفسه ص ٣٥/١ ـ وقوله في حوادث حولية ثمانين وسبعمائة: « .. وفيها كان الحريق العظيم بدار التفاح ظاهر باب زويلة، فعمل في الفكاهين والنقليين والبردعيين ولولا أن السور منع النار النفوذ لاحترق أكثر المدينة، فاهتم بأمره بركة وركب بنفسه، وركب معه دمرداش وأيتمش وغيرهما الى أن خمد بعد ثلاثة أيام وأقام الناس في شيل التراب ثلاثة أيام» ـ نفسه ص ٧٠/١ ـ وما ورد بخصوص حريق دمشق سنة سبع وسبعين وسبعمائة ـ نفسه ص ١٠٥/١ ـ وسنة أربع وتسعين وسبعمائة ـ نفسه ص ٤٣٧/١ ـ وسنة ثمانمائة ـ نفسه ص ١٤/٢ ـ وحريق دار التفاح (الثاني) سنة احدى وثمانمائة ـ نفسه ص ٣٨/٢ ـ وحريق القلعة سنة ست عشرة وثمانمائة ـ نفسه ص ٨/٣ ـ وحريق بيت البرهان المحلي التاجر سنة ست وثلاثين وثمانمائة ـ نفسه ص ٥٠٠/٥٠١/٣ ـ وحريق دمياط سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ـ نفسه ص ٣٤٣/٣ ـ وحريق الحرم النبوي سنة اثنتين وثمانمائة ـ نفسه ص ١٠٧/٢ ..

(٢) من ذلك قوله في حوادث حولية ثماني عشرة وثمانمائة: « .. وفيها سقطت دار من الدور القديمة التي أخذت لتضاف الى المدرسة التي ابتدأ السلطان (المؤيد شيخ المحمودي) في انشائها داخل بابي زويلة فمات تحت الردم أربعة عشر نفسا» ـ نفسه ص ٧٤/٣ ـ وقوله في حوادث سنة تسع وأربعين وثمانمائة: « .. وفي ليلة الجمعة الثامن من المحرم سقطت المنارة التي بالمدرسة الفخرية القديمة في سويقة الصاحب ـ والمدرسة قديمة جدا من انشاء فخرالدين بن عثمان بعد الستمائة ـ وكانت مالت قليلا، فحذر السكان بالرجع الذي يجاورها من سقوطها، وهو موقوف عليها فتهاونوا في ذلك، فسقطت بالعرض على واجهة المدرسة بوجه الربع، فنزل بعض على بعض، وهلك في الردم جماعة، فاجتمع الوالي والحاجب واستخرجوا كثيرا، فالقليل أحياء، ولكن كل مصاب بيد أو ظهر، والنادر منهم، والأكثر من مات» ـ نفسه ص ٢٣٢/٩. =

والأمراض [١] وما يصاحب ذلك من غلاء في أسعار البطيخ وبعض المرطبات، والسكر النبات، والزيت الحار، أو اختفاء وندرة كل باعتبار أنها من الأدوية المستخدمة في العلاج، وكذا تزايد الموتى في الكبار والصغار من الانسان والحيوان [٢] .

كما اهتم بأمر الحاج وما يتبع ذلك من تجهيز الكسوة [٣] وتجديد ثوب

= (٣) من ذلك ما ورد في حوادث حويلة تسع وثمانمائة بشأن خسوف نيسابور ـ نفسه ص ٢/٣٥٩ ..

(١) كنحو قوله في حوادث حولية ست عشرة وثمانمائة: « .. وفيه ـ أي في شهر محرم ـ فشا الطاعون بمصر، وكان أكثر في الأطفال، وكان الحر أكثر من العادة، فبلغ من يموت كل يوم أكثر من مائة نفس.. وفي صفر تزايد الطاعون وبلغ الموتى كل يوم مائة وعشرين، وعز البطيخ الصيفي حتى بيعت واحدة بخمسمائة درهم ـ نفسه ص ٣/٨ ـ وقوله في حوادث حولية ست عشرة وثمانمائة: « .. وفيه « أعنى شهر رجب في آخره ـ ثار بالناس السعال والنزلات والحميات وغيرها من الأمراض ولكنها سليمة، وكذلك بدمشق، وغلا سعر السكر النبات حتى عز وجوده، وكذلك الزيت الحار، وكان الطاعون ببلاد الروم، وامتد الى حلب وحماة » ـ نفسه ص ٣/١٤ ـ ويمكن مراجعة حوادث حولية ثلاث وثمانين وسبعمائة ـ نفسه ص ١/٢٣١ ـ وحولية عشرين وثمانمائة ـ نفسه ص ٣/١٣٩ ـ بشأن طواعين القاهرة، وحولية تسعين وسبعمائة ـ نفسه ص ١/٣٥٠ ـ بشأن طاعون مصر، وحولية اثنتين وسبعمائة ـ نفسه ص ١/٢١٩ ـ وحولية عشرين وثمانمائة ـ نفسه ص ٣/١٣٩ ـ بشأن وباء الاسكندرية، وحولية ثمانمائة ـ نفسه ص ٢/٨ ـ بشأن وباء الوجه البحري، والفناء بالحمى والباردة بالشرقية والغربية ـ نفسه ص ٢/٢١ ـ وحولية اثنتين وثمانمائة ـ نفسه ص ٢/٩٩ ـ بشأن الوباء بالباردة والسعال، وما ورد ـ كذلك ـ بشأن طواعين الشام ودمشق وحلب ـ نفسه ص ١/٢٥٣، ٧٦ ـ ١/٧٧، ١/١٠٥، ١/٤٥٦ ـ على التوالي.

(٢) من ذلك ما ورد في حوادث حولية أربع وتسعين وسبعمائة بخصوص وباء البقر ـ نفسه ص ١/٤٣٧ ـ وما ورد في حوادث حولية عشرين وثمانمائة بخصوص تسمم ما يزيد على العشرين ألف رأس غنم لبعض أهل الصعيد ـ نفسه ص ٣/١٤٣ ـ وما ورد في حوادث حولية خمس وثلاثين وثمانمائة بخصوص فناء الخيل ـ نفسه ص ٣/٤٧٧ ..

(٣) المصدر السابق ص ١/٤٠١، ٣/٢٠٠، وعن كسوة الكعبة والسبب في اختصاص سلاطين المماليك بها يمكن مراجعة: علي بن حسين السليماني، العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ص ٩٩ وما بعدها.

المحمل [١] وادارته [٢] والعادة في ذلك [٣] وتعيين أمير الحاج [٤] وعودة مبشرة [٥] وحج بعض الشخصيات الهامة [٦] وما يصادف الحجيج من مشاق: كالأمطار والسيول [٧] أو العطش والحر [٨] أو النهب في الطريق [٩] أو

---

(١) من ذلك ما ورد في حوادث حولية خمس وثمانين وسبعمائة من قوله: « .. وفي رجب جدد للمحمل ثوب أطلس معدني مرصع، وعمل رنك السلطان، وذلك بعناية الخليلي» ـ نفسه ص ١/٢٧٧.

(٢) كنحو قوله في حوادث حولية ثمان وثلاثين وثمانمائة: « .. وفي الثامن عشر من شوال طيف بالمحمل، وخرج الحاج الى بركة الجب وأميرهم تمرباي الدويدار الثاني، وأمير الأول المحتسب صلاح الدين بن الصاحب بدرالدين ابن نصرالله ورحلوا من البركة في الحادي والعشرين منه» ـ نفسه ص ٣/٥٥١ ـ وعن تنظيم ركب المحمل وادارته يمكن مراجعة: علي بن حسين السليماني. المرجع السابق ص ٧٧ وما بعدها.

(٣) كنحو قوله في حوادث حولية عشرين وثمانمائة: « .. وفي يوم الثلاثاء من شوال أدير المحمل، وقرر أمير الحج يشبك الدويدار الثاني، ولم تكن العادة بادارته الا يوم الاثنين أو الخميس» ـ نفسه ص ٣/١٣٥.

(٤) نفسه.

(٥) كنحو قوله في حوادث حولية خمس عشرة وثمانمائة: « .. وفي السادس والعشرين منه ـ من ذي الحجة ـ وصل المبشر بسلامة الحاج، فقطع المسافة في خمسة عشر يوما، وهذا أسرع ما أدركناه من ذلك» ـ نفسه ص ٣/٢٧٩.

(٦) كنحو قوله في حوادث حولية ست وسبعين وسبعمائة بخصوص حج صاحب حصن كيفا ـ نفسه ص ١/٧٧ ـ وما ورد في حوادث حولية سبع وتسعين وسبعمائة من حج بعض ملوك البربر ـ نفسه ص ١/٤٩٤ ـ وما ورد في حوادث حولية أربع وثلاثين وثمانمائة من حج «خوند جلبان» زوج السلطان ـ نفسه ص ٣/٤٦٠..

(٧) كنحو ما ورد في حوادث حولية ست وسبعين وسبعمائة من قوله: « .. وفيها صادف الحاج سيل عظيم بخليص أتلف شيئا كثيرا في الذهاب ثم صادفهم في الرجعة هواء عاصف» ـ نفسه ص ١/٧٦ ـ وقوله في حوادث حولية تسعين وسبعمائة: « .. وفيها أصاب الحاج في رجوعهم ـ في ليلة التاسع من المحرم ـ عند نعرة حامد سيل عظيم فمات عدد كبير عرف منهم للناس سبعة وثلاثون نفسا، وأما من لم يعرف فكثير جدا، وتلف للناس من الأمتعة شيء كبير جدا». ـ نفسه ص ١/٣٤٧.

(٨) كنحو قوله في حوادث حولية أربع وسبعين وسبعمائة: « .. وفيها اشتد الحر بوادي الأخيضر على الحاج الشامي وهم رجوع فمات منهم جماعة عطشا» ـ المصدر السابق ص ١/٣٣.

(٩) كنحو قوله في حوادث حولية سبع وسبعين وسبعمائة: « .. وفي أواخر هذه السنة نهب =

الازدحام المفضي الى الموت [1] أو لقد مصادفهم هناك من الغلاء المفرط [2]. أو يقع لهم من مضايقات أمير الحاج عينه [3].

كما كان مهتما بالافصاح عن مجهودات الدولة حيال اصلاح طريق الحاج وتجديد عمارة مناسكه [4] وكذا بيان ما قد يحدث من التنازع بشأن كسوة الكعبة [5].. بالاضافة الى تسجيل خروج الركب الرجبي [6].

ولم يخل حوادث حولياته من اثبات ما تعلق بظهور البدع كادعاء أحدهم

= الحاج المصري في رجوعهم.. وجرى للحاج الشامي ـ أيضاً ـ أشد مما جرى (للحاج) المصري» ـ نفسه ص ١٠٦ ـ ١/١٠٧.

(١) كنحو قوله في حوادث حولية أربع وثمانين وسبعمائة: «.. وفيها كان الحاج بمكة كثيرا، بحيث مات من الزحام بباب السلام أربعون نفسا» ـ نفسه ص ١/٢٦٠.

(٢) كنحو قوله في حوادث حولية احدى وثمانين وسبعمائة: «.. وفيها وصل الحجاج الى الازلم فلم يجذوا بها الاقامة على العادة، فوقع فيهم الغلاء الشديد.. وقاسى الحجاج مشقة شديدة وتأخروا عن العادة خمسة أيام» ـ نفسه ص ١/١٩٠.

(٣) كنحو قوله في حوادث حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة: «.. وفيها شكا الحاج من أمير الركب الشامي لنائب الشام فرسم عليه، فدخل الحمام فجب ذكره وأنثييه بالموسى، فحمل مغشيا عليه، فلما رآه النائب أمر باطلاقه الى منزله، فبقى مدة متمرضا ثم أفاق وعاش» ـ نفسه ص ١/١٧.

(٤) من ذلك ما ورد في حوادث حولية احدى وثمانين وسبعمائة بشأن تعمير بركة الميضأة المنسوبة له بمكة، وأمره باصلاح بئر زمزم، وباجراء الماء في القناة من عين الأزرق الى الفساقي في باب المعلاة» ـ نفسه ص ١/١٩٧ ـ وما ورد في حوادث حولية احدى وثمانمائة بخصوص أمر السلطان باصلاح ما تهدم في المسجد الحرام ـ نفسه ص ٢/٤١ ـ وما ورد في حوادث حولية ثمان وثلاثين وثمانمائة بخصوص أمر الملك الأشرف برسباي بعمل سقف جديد للكعبة ـ نفسه ص ٥٣٦، ٣/٥٤٢.

(٥) من ذلك قوله في حوادث حولية ثمانين وسبعمائة: «.. وفيها جهز الأشرف صاحب اليمن المحمل الى مكة ومعه كسوة الكعبة فجال أمير الركب المصري بينهم وبين كسوة الكعبة، وكادت تقع الفتنة، ثم خمدت بلطف الله تعالى وبعناية صاحب مكة» ـ نفسه ص ١/١٧٨.

(٦) كنحو ما جاء في حوادث حولية احدى وثمانمائة ـ نفسه ص ٢/٤١ ـ وما ورد في حوادث حولية خمس وعشرين وثمانمائة ـ نفسه ص ٢/٢٧٥ ـ ويلاحظ أنه لم يكن متواليا، فابن حجر يشير في الموضع الأول الى أنه: «كان لهم من سنة ثلاث وثمانين ما توجهوا في =

النبوة[1] أو ظهور بعض الخوارج[2] أو المستخفين بعقول الناس المغررين بهم[3].

وكذا ما يقع من التنافس على الولايات الدينية[4] والتحاسد بين العلماء الى الحد المؤدي الى الانحطاط والاسفاف[5] وما يتبع ذلك من رمي بالكفر[6]

= رجب»، وفي الموضع الثاني الى أنه: «كان لهم خمس وعشرون سنة لم يخرجوا».

(١) من ذلك قوله في حوادث حولية احدى وثمانمائة: « .. وفيها ادعى شخص فقير أنه محمد بن عبدالله ـ النبي الأمي ـ فقبض عليه وسجن بالمرستان وكان سئل عن معجزته فقال: أن أحرف القرآن تنطق بي، وسئل ـ أيضاً ـ فاعترف بنبوة محمد بن عبدالله رسول الله، وأنه أرسل بعده ليقر شرعه، وأنه وعد بالسلطنة والحكم والعدل، فشهد رؤساء المرستان أن في عقله اختلالا، فقيد زمانا ثم اطلق، وقد رأيته بعد ذلك بمدة طويلة وهو يستعطي الناس فلا يذكر شيئا مما تقدم، ويتأذى ممن يذكر ذلك له» ـ المصدر السابق ص ١/١٩٦.

(٢) من ذلك ما ورد في حوادث حولية ست عشرة وثمانمائة من ظهور الخارجي المدعي أنه السفياني ـ بعجلون ـ نفسه ص ٣/١٠٩، وما ورد في حوادث حولية عشرين وثمانمائة بشأن قتل شيخ الحروفية ـ نفسه ص ١٣٦ ـ ٣/١٣٧.

(٣) من ذلك قوله في حوادث حولية تسع عشرة وثمانمائة بشأن ادعاء أحدهم أنه يصعد الى السماء ويشاهد الله ـ تعالى ـ ويتكلم معه ـ نفسه ص ٣/٩٩.

(٤) من ذلك قوله في حوادث حولية ثمانين وسبعمائة: « .. وفيها ولي ناصر الدين أحمد بن التنسي القضاء بالاسكندرية، وصرف عزالدين بن الريغي ـ وكان استقر بعد موت أبيه ـ ثم صرف بعد قليل وعاد ابن الريغي، ثم صرف وعاد ابن التنسي في ذي الحجة منها، وصارا يتنازعان ذلك مدة الى أن نقل ابن التنسي الى القضاء بالقاهرة» ـ نفسه ص ١/١٧٨.

(٥) من ذلك قوله في حوادث حولية ست وثمانين وسبعمائة: « .. وفيها ورد كتاب من نائب حلب يخبر فيه أن القضاة الأربعة بحلب تخاصموا في شيء فآل أمرهم الى المماسكة بالذقون، ثم وردت منهم أربعة محاضر من كل قاض محضر يتضمن فسق البقية، فقال الظاهر (برقوق): لا يحق تولية الفساق، وأمر بعزل الأربعة» ـ نفسه ص ١/٢٩٠.

(٦) من ذلك ما ورد في حوادث حولية أربع وثمانين وسبعمائة من قوله: « .. وفيها وقع بين الشيخ سراج الدين البلقيني، والشيخ بدرالدين بن الصاحب في الخشابية بجامع مصر.. حيث جرى بينهما كلام كثير وتولد منه شر كبير فكان السراج يجهر بصوته قائلا: يا معشر المسلمين هذا كفر، فيقول ابن الصاحب: يا معشر المسلمين هذا فشر» ـ نفسه ص ١/٢٦٢.

والزندقة [1] وعقد المجالس لبحث الكائنات، واجراء المحاكمات.. [2]

كما أبان عن الكثير مما تعلق بالعوام (الزعر) سواء فيما يختص بعلاقاتهم بالسلطات، حيث نصرتهم لبعض المتخاصمين والمحاربين بانحيازهم لجانبهم والرمي على سواهم ونقض داره ونهبه[3] أو فيما يتعلق بفضولهم في تناقل الأخبار واشاعتها[4] أو ما يكون من خروجهم عن الشرع، كنحو تزوج امرأة برجلين في آن واحد، شارطة لأحدهما الليل والآخر النهار[5] أو اشاعتهم الفساد وتكالبهم عليه في الحفلات العامة، وموالد بعض الصلحاء [6] أو ممارستهم للفسق والفجور في سلم الجامع في جرأة يتعجب منها[7] أو اشاعتهم الفساد وبثهم الزعر والرعب في القلوب نتيجة لما يتخطفونه وقت الفوضى وأيام الانحلال[8] وتخطفهم الأطفال وخنقهم طمعا في ملبوسهم[9] واحتيالهم في اخراج الضائع[10] وكذا التكلم من وراء حائط ايهاما بتحضير

---

(١) من ذلك ما ورد في حوادث حولية ست وسبعين وسبعمائة من شهادة حنابلة دمشق بزندقة المقارعي ـ نفسه ص ١/٧٦.

(٢) من تلك المجالس ما ورد في حوادث حولية ثمانين وسبعمائة من عقد مجلس بأمر السلطان لمحاكمة الشيخ شمس الدين الحنفي الونوي ـ بالمزة ـ لما رفع اليه من أنه يقع في العلماء حتى في الصحابة، ولما لم يثبت عليه شيء اطلق وعظم قدره بعد ذلك ـ المصدر السابق ص ١/١٧٤ ـ والمجلس المعقود للكركي ـ أحد فضلاء المالكية ـ لما وقع بينه وبين أكمل الدين، حيث قام عليه ورفعه الى الحكام مدعيا عليه بما يقدح في العقيدة، وان حقن دمه ونفي الى الشام ـ نفسه ص ١/٩.

(٣) نفسه ص ١/١٩٢، ١/٢٣٦، ١/٢٣٧، ١/٣١٧..

(٤) نفسه ص ١/١٥١، ١/١٩١.

(٥) نفسه ص ١/٢١٨.

(٦) نفسه ص ١/٣٥١.

(٧) نفسه ص ١/٤٩٧.

(٨) نفسه ص ١/٢٣٧، ١/٣١٧..

(٩) نفسه ص ١/٦١.

(١٠) نفسه ص ١/١٣٠.

جان [١] طلبا للرزق بغير الطريق الحلال.

واهتم ـ كذلك ـ باثبات الكثير مما تعلق بأهل الذمة (اليهود والنصارى) من أحكام سواء فيما يختص بهدم بعض كنائسهم أو أديرتهم [٢] أو التضييق عليهم في بعض الأوقات [٣] أو دخولهم الاسلام، ثم ارتدادهم عنه، وما يتبع ذلك من تطبيق أحكام شرعية عليهم [٤] أو انصافهم في قضاياهم وان كان في ذلك اثارة للشعور العام [٥] أو تجاوزهم للحد المسكوت عليه [٦] وما يقوم به بعض رهبانهم من مباريات فكرية مع المسلمين.. [٧] وكذا حفلات عرسهم وأعيادهم [٨].

كما أورد الكثير مما تعلق بترجمته الذاتية من زواج، ورحلة في طلب العلم وحج ومجاورة، وتولى بعض المناصب، والمخاصمة فيه.. على نحو ما مر آنفا [٩].

وكذا الكثير مما تعلق بالظواهر المناخية والطبيعية، كالحر الشديد [١٠] والبرد القارس [١١] والرياح والعواصف [١٢] والأمطار والسيول [١٣] وما يصاحبها من رعد وبرق أو سقوط برد وتزلق طرقات والخوض في الوحل والماء،

---

(١) نفسه ص ١/١٩٨.
(٢) نفسه ص ١/١٧٧.
(٣) نفسه ص ١/٢٢٠، ٢/١٤٢..
(٤) نفسه ص ١/٩، ١/١٩٧، ١/٢١٩، ١/٢٢٠، ١/٢٧٩، ١/٣٣٤..
(٥) نفسه ص ١/٤٨٩.
(٦) نفسه ص ٢٧٣ - ١/٢٧٤.
(٧) المصدر السابق ص ١/٤٥٧.
(٨) نفسه ص ٢٧٣ - ١/٢٧٤، ٣/٢٨٠..
(٩) نفسه في مواضع متفرقة.
(١٠) نفسه ص ١/٣٣، ٢/١٠٥، ٣/٨..
(١١) نفسه ص ١/٣٦٤..
(١٢) نفسه ص ١/٦٢، ١/٢٣٣، ١/٣٥٠، ٣/٥١٢، ٣/٥١٤، ٣/٥٥٠.
(١٣) نفسه ص ١/٢١٧، ١/٢٣٨، ٣/٣٥..

وتصدع الدور، واتلاف الزروع. وكذا كسوف الشمس وخسوف القمر [1]. وظهور أو احتفاء النجوم والكواكب وغيرها من المذنبات [2]. وتحديد بدايات ونهايات الشهور العربية بترائي الهلال.. [3].

ومع ذلك فان «ابن حجر» قد اهتم بذكر بعض الحوادث الغريبة التي لا نعدم لها نظيرا في كتابات سواه من كتاب الحوليات الاسلامية التقليديين: معاصرين وسابقين [4]، يسند بعضها الى مصدره، ناعتا لها بأنها من العجائب أو المستغربات.. من ذلك ما ورد في حوادث حولية ثمانين وسبعمائة من بعث الحياة في ميت بعد ادخاله القبر وصيرورته يحدث الناس بما رأى وعاين [5]. وما ورد في حوادث حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة من انقلاب عابث بامام جماعة وهو يصلي الى خنزير [6]. وما ورد في حوادث حولية عشرة وثمانمائة من شرب رجلين من العوام الخمر وقد أصبحا محروقين، ولم يوجد منهما نار ولا أثر حريق في غير يديهما وبعض ثيابهما وقد مات أحدهما وفي الآخر

---

(١) نفسه ص ١/١٣٠، ١/١٣٨، ١/٥١٢، ٢/٣٩، ٢/٩٣، ٢/١٤٠، ٢/٢٥٩، ٢/٣٣٠، ٣/١٥٨، ٣/١٩٢، ٣/٢٦٦، ٣/٤٩٧..

(٢) نفسه ص ١/١٧٥، ١/٣٣٣، ١/٤٢٠، ٢/٢٠٦..

(٣) نفسه ص ٤٧٥ - ٣/٤٧٦، ٣/٥٢٨..

(٤) من ذلك ما ورد في كنز الدرر - ص ٣٤٢ - ٧/٣٤٣ - لابن أيبك الدواداري مسندا الى رسول ملك التتار من ذكر لبعض العجائب والمستغربات ومنها وجود أقوام ليس لهم رؤوس، وأعينهم وأفهامهم في مناكبهم، بالاضافة الى زراعة بعضهم في الأرض بزرا يتولد منه الغنم كما يتولد دود الحرير، وهذا النوع المتولد لا يعيش سوى شهرين على شاكلة النباتات ولا يتناسل.

وما أورده المقريزي - السلوك ص ٤/٩٢١ - ضمن حوادث حولية سبع وثلاثين وثمانمائة من أنه «طلق رجل من بني مهدي بأرض البلقاء امرأته وهي حامل فنكحها رجل غيره، ثم فارقها، فنكحها رجل ثالث، فولدت عنده ضفدعا في قدر الطفل، فأخذوه ودفنوه خوف العار»..

(٥) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/١٧٨.

(٦) نفسه ص ١/٢١٠.

رمق.. [١] وما ورد في حوادث حولية ست وسبعين وسبعمائة من تحول بنت الى ذكر بعد اكتمال سنها خمس عشرة سنة [٢]. وما ورد في حوادث حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة من قدوم رجل مفرط في الطول، طوله أربعة أذرع بالحديد، وعرضه ذراعان.. وصف للسلطان فتعجب من شكله فأرسل في طلبه فاحضر فوصل الى دمشق في شهر رجب، ثم دخل القاهرة وكان جلدا [٣]. وما ورد في حوادث حولية ثلاث وعشرين وثمانمائة من ذبح جمل بغزة فأضاء اللحم كما تضيء الشموع [٤]. وما ورد في حوادث حولية ست وسبعين وسبعمائة من امطار السماء ـ بشيزر ـ ثعابين [٥]. وفي حوادث حولية ست وعشرين وثمانمائة من وقوع برد في ضواحي حوران على صورة خشاش الأرض والماء كخنفسة ووزغة وحية وعقرب وسرطان وضفدع وغير ذلك.. [٦] وما ورد في حوادث حولية ثمان وعشرين وثمانمائة بخصوص وقعة الفار باللجون من طريق الشام، و « قد كثرت فراخه حتى شاهد بعض الناس كثيرا منها يخرج بأولادها الصغار فيتركونها عند البيوت ويأتونها بالقمح في سنبله فيدخله الأولاد في البيوت، ومن رجع فوجد شيئا من القمح لم يحول الى البيت ضرب ولده الضرب المبرح.. ثم أعقب ذلك أن وقع بين الفيران مقتلة عظيمة، وشاهد الناس منها جملة عظيمة بعضها مقطوع الرجل، وبعضها مقطوع اليد، ومنها الموسط، وصار منها أكوام كثيرة » [٧].

ويلحق بذلك ـ كذلك ـ ولادات غريبة الكيفية شاعت في ثنايا حوادث بعض حوليات الكتاب، ومنها ما ورد في حولية عشرين وثمانمائة من ولادة

---

(١) نفسه ص ١/٤٥٩.
(٢) نفسه ص ٧٣ - ١/٧٤.
(٣) نفسه ص ١/١٦.
(٤) نفسه ص ٣/٢٢٤.
(٥) نفسه ص ١/٧٣.
(٦) نفسه ص ٣/٢٩٨.
(٧) نفسه ص ٣/٣٥١.

جاموس بلقيس لمولود «برأسين» وأربعة أيدي وسلسلتي ظهر ودبر واحد ورجلين اثنتين لا غير وفرج واحد أنثى والذنب مفروق باثنين»[١]. وما ورد في حوادث حولية خمس وعشرين وثمانمائة من ولادة فاطمة بنت القاضي جلال الدين البلقيني ولدا «خنثى له ذكر وفرج أنثى، وقيل ان له يدين زائدتين ثابتتين في كتفه، وفي رأسه قرنان كقرني الثور»[٢]. وما ورد في حوادث حولية سبع وثلاثين وثمانمائة من ولادة امرأة ـ كانت قد طلقت وهي حامل فكتمت حملها وتزوجت ثم طلقها الزوج فتزوجت بثالث ـ مولودا صورته صورة الضفدع في قدر الطفل»[٣].

والملاحظ أن الغالبية العظمى لهذا النوع من الحوادث انما تعبر عن شعور ديني من نوع خاص هو السائد في عصره، فهي تمثل كرامات لبعض المعتقدين[٤] أو عقوبة لفساد ليكون في ذلك عبرة وعظة، أو تستر على فعل جاهل.. وان كان منها ما يرد على سبيل الطرفة والتندر، ومنها ما لا يتوقع حدوثه حتى من بعض معاصريه الذين انتقدوه لا يراد مثل هذه الوقائع العجيبة.

ويبدو أن «ابن حجر» قد أدرك تطرق الشك الى تصديقها، مما دفعه الى العمد في اسنادها الى مصادرها ـ في الغالب الأعم ـ نصا على أنها من العجائب أو مستغربات الحدوث. حتى يبرىء ساحته منها.

ونتيجة لثقافته التاريخية الواسعة، وولعه بالتاريخ منذ صباه ـ على نحو ما أوضحت في ترجمته ـ فانه قد وجد في بعض أحداث عصره مناسبة للمقارنة بينها وبين مثيلاتها في سنوات أخرى فائتة، فاعتمد في ذلك بعض المصادر

---

(١) المصدر السابق ص ٣/١٣٧.
(٢) نفسه ص ٣/٢٦٦.
(٣) نفسه ص ٣/٥١٢.
(٤) نفسه ص ١/٥٠ تر ٣١ فيما يخص الكازروني.

المتقدمة، من ذلك قوله في حوادث حولية ست وسبعين وسبعمائة بشأن بنت تذكرت: « .. وفيها: أحضر عيسى بن باب جك والى الأشمونين وكان يسكن عند جامع آل ملك بالحسينية الى الأمير منجك بنتا له عمرها خمس عشرة سنة فذكر أنها لم تزل بنتا الى هذه الغاية فانسد الفرج وظهر لها ذكر وأنثيان واحتلمت فشاهدها وأمر بالباسها لبس الرجال وسماها محمدا وأمرها بلزوم خدمته، وأقطعها اقطاعا ونشاهدها جماعة من أصحابنا. ورأيت خط ابن دقماق: رأيته غير مرة وتكلمت معه. **وقصتها شبيهة بالقصة التي ذكرها ابن كثير** في أواخر ذيل تاريخه من وقوع نحو ذلك بدمشق، وأنه كلمها بعد أن صارت رجلا ووجد في الكلام أنوثة ووفور الحياء الذي طبع عليه النساء باق. **قلت: ووقع في عصرنا نظير ذلك في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة** »[1]. وهو بذلك يربط بين ثلاث وقائع متماثلة حدثت في أزمنة متفاوتة ساقتها اليه اطلاعاته على مصادرها فأثبتها جريا على معهوده في العمد الى الشمول الموضعي والموضوعي للكثير من مادة كتابه.

ومنها قوله في حوادث حولية أربع وثلاثين وثمانمائة بخصوص الفيضان: « .. .. وأعجب منه أنه زاد ثاني يوم الوفاء نصف ذراع **ولم يحفظ فيما مضى مثل ذلك الا في سنة ست عشرة** فان الملك المؤيد صاحب حماه ذكر في تاريخه بنظير ذلك في هذا العصر أن النيل أوفى تاسع عشري أبيب، وقال انه غريب »[2].

وقوله في حوادث حولية سبع وثلاثين وثمانمائة: « .. ومن حوادث سنة ٣٧ أنه أحصى من في الاسكندرية من الحاكة فوجد فيها ثمانمائة نول، **وكان ذلك وقع في سنة ٧٨٧** فبلغوا أربعة عشر ألف نول بمباشرة جمال الدين محمود الاستادار، ونحو هذا أن كتاب الجيش أحصوا قرى مصر قبليها

(١) نفسه ص ٧٣ - ١/٧٤.
(٢) المصدر السابق ص ٣/٤٥٧.

وبحريها فبلغت عدتها ألفين ومائة وتسعين قرية، **وقد ذكر بعض القدماء في أوائل دولة الفاطميين أن عدتها عشرة آلاف**»[١].

وقد تكون المقابلة بين حادثتين سابقة ولاحقة بينهما فاصل زمني كبير يزيد على قرن من الزمان، ليس بغية الشمول الموضعي أو الموضوعي، أو المجمع بين حادثتين متماثلتين على سبيل الطرفة والتندر، وانما لتوكيد خبر قد يتطرق الشك اليه لاستغراب حدوثه، فضلا عن توثيق مصدره، ومثال ذلك قوله بخصوص برد حوران ـ ضمن حوادث حولية ست وعشرين وثمانمائة: «.. وفي العشر الأواخر من المحرم وقع في ضواحي حوران برد كبار على صورة خشاش الأرض، والماء كخنفسة.. وغير ذلك، هكذا ذكر علاء الدين بن أبي الشوارب الشاد بتلك الناحية أنه شاهد ذلك، **وقد ذكر الحافظ علم الدين البرزالي في حوادثه في سنة عشر وسبعمائة** أنه وقع ببارين ـ من عمل حماة ـ برد كبار على صفة حيوانات مثل حية وسبع وعقرب وطيور مختلفة وصفة رجال في أوساطهم شبه حوائص، وأنه أثبت محضرا على قاضي الناحية واتصل بقاضي حماة»[٢].

كما أن عمده الى تعديل رجال عصره ـ الواردين ضمن وفياتها ـ وتقييمه لثقافتهم وبمعنى أعم: النقد التأريخي في أرحب صوره، جعله يقابل بين عملين أدبيين لما في مخيلته من ثقافة أدبية واسعة أبت عليه الا أن تظهر في بعض الجوانب من كتاباته، ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية ثلاث وثمانين وسبعمائة بخصوص كائنة «ابن القماح البزار» .. وكانت سلامته من القطع[٣] من العجائب، وفي ذلك يقول بدرالدين بن الصاحب مضمنا، وكان بلغه أنه عثر فانكسرت يده:

---

(١) نفسه ص ٣/٥١٦.
(٢) نفسه ص ٣/٢٩٨.
(٣) أي قطع اليد جزاء بما سرق.

قالوا بأن يد القماح قد كسرت   فأعلنت أختها بالميل والغير
تأخر القطع عنها وهي سارقة   فباءها الكسر يستقصي عن الخبر
(من البسيط)

وقد اعتدم ذلك برمته من البيتين السائرين في تاريخ ابن خلكان :

ان العماد بن جبريل أخا علم   له يد أصبحت مذمومة الأثر
تأخر القطع عنها وهي سارقة   فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر »[1]

(١) المصدر السابق ص ١/٢٣٧ ، ويقابلها في المصدر (ابن خلكان. وفيات الأعيان ص ١/٣٤ تر ٧) والبيتان لأبي محمد عبدالحكم بن ابراهيم بن منصور بن مسلم العراقي في العماد بن جبريل المعروف بابن أخي العلم ـ وكان صاحب ديوان بيت المال بمصر، وكان قد وقع فانكسرت يده.

طبيعة التراجم وأسس انتقاء مادتها

أشار « ابن حجر » في مقدمة كتابه الى أنه سوف يفصّل « في كل سنة أحوال الدول من وفيات الأعيان »(١)، وأورد في كل حولية عنوانات تندرج تحتها ترجمات الوفيات مشيرة الى أنها سوف تكون « للأعيان » أو « للأكابر ».. وهو بهذا يشير الى أن أولى خطوات « الانتقاء » هي الشهرة، أيا كانت في المنصب أو الوظيفة أو الحرفة، في العلم أو الجهل به(٢)، في الحفظ وجوده القريحة(٣)، في الرياسة والوجاهة(٤)، في اللعب والتمهر فيه(٥)، في الالتزام بالدين أو في التهتك فيه والخروج عليه..(٦)

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٤.

(٢) كنحو قوله في ترجمة « نصرالله القبطي »: « كان مشهورا بالفقه عارفا بالكتابة » ـ نفسه ص ١/٥٤٣ تر ٥٩ ـ وقوله في ترجمة « أبي بكر البويطي » « برع في معرفة الأوضاع الميقاتية » ـ نفسه ص ١/٥٣٧ تر ٣٢ ـ وعلى العكس من ذلك قوله في ترجمة « حاجي فقيه »: « .. كان عريا من العلم الا أن له اتصالا بالترك كدأب غيره » ـ نفسه ص ٣/٧٨ تر٦.

(٣) كنحو قوله في ترجمة « ابن عماد المصري المقدسي »: « وكان من آيات الله في سرعة الحفظ وجودة القريحة » ـ نفسه ص ١/٥١٩ تر٣٧.

(٤) ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة « محمد بن مقبل الصرغتمشي: « .. ورأيته يجيد لعب الشطرنج » ـ نفسه ص ١/٥٢١ تر٤٧.

(٥) كنحو قوله في ترجمة « علي بن نجم الكيلاني »: « كان وجيها في الدولة » ـ نفسه ص ١/٥٣٨ تر٣٧ ـ وقوله في ترجمة « ابن أحمد القاياتي »: « كان من الرؤساء بالقاهرة » ـ نفسه ص ١/٥٢٠ تر٤٢ وقوله في ترجمة « ابراهيم بن عبدالله الآدمي »: « كانت له وجاهة عند القضاة » ـ نفسه ص ١/٥١٤ تر٢.

(٦) ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة « سعد الدين بن البشيري: « .. وكان جيد الاسلام » ـ نفسه ص ٣/٧٦ تر١ ـ وقوله في ترجمة « ابراهيم بن أحمد الموصلي »: « .. وسلك طريق الورع والنسك.. وكان في غاية الورع والتحري » ـ نفسه ص ٢/٥٢٣ تر١ ـ وعلى العكس =

وتلك نظرة نسبية لا تخضع لمعيار واحد تقاس به، فما يراه «ابن حجر» جديرا بالانتقاء والتسجيل على أنه من المشاهير أو الأعيان، قد رآه غيره هملا بين الناس أو قد يقره عليه، ولذا تفاوتت الترجمات من حيث العدد وتغايرت في الحولية الواحدة المسجلة لدى مصادر معاصرة.

على أنه يمكن أن نميز له في هذا الموضع منهجا في انتقاء الترجمات وايرادها يضيف الى عامل الشهرة عوامل أخرى، وهي:

(١) الشمول النوعي:

بمعنى أنه لم يقصر ترجمات الوفيات على نوع واحد من الأعلام المشاهير سواء في الجنس أو في الأصل أو في الديانة أو في المذهب أو في المنصب أو في الوظيفة، أو في الحرفة، أو في العلم والمعرفة.. ولذا نجده يترجم للرجال وللنساء، لمسلمين وللأقباط، للمشتركين معه في المذهب الشافعي وللمتمذهبين بغيره، وان اختلف معهم في الأهواء والنحلة، للمتمسكين بالدين المحافظين عليه وللماجنين المتهتكين فيه.

بل لقد ترجم لكل فئات الناس - تقريبا - من خلفاء [١] وسلاطين وملوك [٢] ونواب سلطنة وولاة أقاليم [٣] ومتغلبين على البلاد [٤] وكشاف [٥]

= من ذلك قوله في ترجمة «نجم الدين السنجاري»: «كان.. ذا خلاعة ومجون» - نفسه ص ١/٥٣٦ تر٢٨..

(١) المصدر السابق ص ٣/٤٤٥ تر١٩، ٢/٧١ تر٣٤.

(٢) نفسه ص ١/٤٦٧ تر٤٥، ٤٧٨ - ١/٤٧٩ تر٣، ٥٣٠ - ٢/٥٣١ تر٢١، ٥٠٢ - ٣/٥٠٣ تر٢، ٥٢٦ - ٣/٥٢٧ تر١٢، ٣/٥٦٢ تر٣٢..

(٣) نفسه ص ١/٤٦٢ تر٣٢، ١/٥١٩ تر٣٥، ٢/٥٣٧ تر٣٧، ٥٢٣ - ٣/٥٢٤ تر٧..

(٤) نفسه ص ١/٤٧٩ تر٤، ١/٤٨٤ تر٢٧، ١/٤٨٥ تر٢٩، ٣/٥٠٧ تر١٣..

(٥) نفسه ص ١/٢٨٤ تر٢٥..

وأمراء [١] ووزراء [٢] وحجاب [٣] ودويدارية [٤] ونظار [٥] ونقباء [٦] وموقعين [٧] ومباشرين [٨] وغيرهم من أرباب الوظائف في الادارة المملوكية [٩]، بالاضافة الى القضاة [١٠] ونواب الحكم [١١] والشهود أو العدول [١٢]

---

(١) نفسه ص ٤٨٠/١ تر١٢، ٤٨٤/١ تر٢٦، ٥٠١/١ تر٢٨، ٥٠٦/١ تر٤٨، ٥١٦/١ تر١٣، ٥٠٤/٣ تر٦، ٧..

(٢) نفسه ص ٤٦٦/١ تر٤٦، ٤٨٥/١ تر٣٠، ٥٢٠/١ تر٤٠، ٥٣١/١ تر٤، ٥٤٣/١ تر٥٩، ٧٦/٣ تر١، ١٠٤/٣ تر٦، ١١٠/٣ تر٢، ٢٢٨ - ٢٢٩/٣ تر٤..

(٣) نفسه ص ٥٠٧/٣ تر١٢.

(٤) نفسه ص ٤٦٨/١ تر٤٦..

(٥) نفسه ص ٥٣٦/١ تر ٢٨ (ناظر الأوصياء)، ص ٥٢٠/١ تر٤١ (ناظر الجيش)، ص ٥١٧/١ تر٢٤ (ناظر المواريث)؛ ص ٥١٤/١ تر١ (ناظر الضرب)، ص ٥٢٨/٣ تر١٥ (ناظر الأوقاف)، ص ١٠٣/٣ تر١ (ناظر الأحباس)، ص ٢٢٨/٣ تر٣ (ناظر الديوان المفرد)، ص ٢٠٩/٣ تر١٨ (ناظر زبيد)..

(٦) ومنهم «نقباء الحكم» - تر١٧ ص ٥١٦/١ - و «نقباء الأشراف» - تر٢ ص ٤٩٦/١ - و «نقباء المذاهب - تر٤٤ ص ١٢١/٣..

(٧) نفسه تر٢٩ ص ٤٦٣/١، تر٤ ص ٥١٤، تر١٩ ص ٥١٧/١، تر٤٢ ص ٥٢٠/١، تر٢ ص ٥٢٣/٢، تر١٦ ص ٥٢٨/٣..

(٨) نفسه ص ٢٣ - ٢٤/٣ تر١٢، ص ٢٥/٣ تر١٥، ص ١٠٤/٣ تر٥، ص ٨١ - ٨٢/٣ تر١١..

(٩) ومنهم: المهمندار - نفسه ص ٢١١/٣ تر٢٨ - والاستادار - نفسه ص ٥٤٢/١ تر٥٥ - ووكيل بيت المال - نفسه تر١٥ ص ٥٢٨/٣ - وشاد المراكز - نفسه ص ٥٤٠/١ تر٤٦ - وشاد الخاص - نفسه تر١٢ ص ٥٣٣/١ - وشاد الواحات - نفسه تر١٦ ص ٥١٦/١ - وشاد الشربخاناة - نفسه تر١٥ ص ١٠٧/٣ - وشاد الزردخاناة - نفسه ص ١١٤/٣ تر٢٨ - والخزندار - نفسه ص ١٨٢/١ تر١٠ - ومقدم المماليك - نفسه ص ١٠٠/١ تر٩٦، ص ١٢٥/٢ تر٧٦ - ومقدم البريدية - نفسه تر١٠ ص ٣٨٤/١ - والزمام - نفسه تر٣٣ ص ٣٨٨/١..

(١٠) نفسه تر٣٧ ص ٥٠٣/١، تر٣١ ص ٥١٨/١، تر٧ ص ٥٣٢/١، تر٢٤ ص ٥٣٤/١، تر٣٤ ص ٥٣٨/١، تر٤٠ ص ٥٣٩/١، تر٨ ص ٢٠ - ٢٢/٣، تر٣١ ص ٣٢/٣، تر٢٩ ص ٣١ - ٣٢/٣، تر٣ ص ٤٢/٣..

(١١) نفسه ص ٥٠١/١ تر٢٩، ص ٥٢٠ - ٥٢٠/١ تر٤٤، ص ٥٣٢/١ تر٢٩ ص ٥٣٧/١ تر٢٩، ص ٥٣٧/١ تر٣٠، ص ٥٤١/١ تر٥٢، ص ٢٧/٣ تر٢١ ص =

والمحتسبين [١] والفقهـاء [٢] والمحـدثين والمسنـديـن [٣] والمدرسين [٤] والمعبدين [٥] وأئمة المساجد [٦] والخطباء [٧] والقـراء [٨] والمؤذنين [٩] وخـدام الصـوفيـة [١٠] والمعتقـديـن [١١] ومتـولـى عقـود الأنكحـة [١٢] والأطبـاء [١٣]

= ٣/٢٧ تر٢٢، ص ٣/٨٢ تر١٤، ص ٣/١٠٥ تر٨..

(١٢) نفسه ص ١/٤٨٢ تر٢١، ص ١/٥٠٦ تر٤٩، ص ٣/٢٣٢ تر١١..

(١) نفسه تر٣ ص ١/٤٩٦، تر٤٣ ص ١/٤٣٩، تر٢١ ص ١٠٩ - ٣/١١٠، تر٤٠ ص ٣/١٣٠، تر١٢ ص ٣/٢٣٢..

(٢) نفسه ص ١/٤٥٨ تر٣، ص ١/٤٩٩ تر١٩، ص ١/٥٣٨ تر٣٨، ص ٣/٢٠ تر١٧، ص ٣/٤٥ تر١٣، ص ٣/١١٤ تر٣٠، ص ٣/١٢٠ تر٤١، ص ٣/١٢١ تر٤٧، ص ١٤٩ - ٣/١٥٠ تر١٥..

(٣) نفسه تـر٨ ص ١/٥٣٢، تـر٣٣ ص ١/٥٣٧، تـر٣٥ ص ١/٥٣٨، تـر٤١ ص ١/٥٣٩، تر٤٥ ص ١/٥٤٠، تر٦١ ص ١/٥٤٣، تر١٨ ص ٣/١٠٨، تر١٢ ص ٣/١٤٩، تر١٨ ص ٣/٢٣٤..

(٤) المصدر السابق ص ١/٥٠٤ تـر٤١، ص ١/٥٠٦ تـر٤٣، ص ١/٥١٤ تـر٦، ص ١/٥٣٢ تر٩، ص ٣/٢٦ تر١٨، ص ٣/٢٦ تر١٩، ص ٤٦ - ٣/٤٧ تر١٤.

(٥) نفسه ص ١/٥٣٨ تر٣٩..

(٦) نفسه ص ١/٥١٤ تر٥، ص ٣/٢٠ تر٧، ص ٣/٢٠٨ تر١٤..

(٧) نفسه ص ١/٤٥٨ تر٤، ص ١/٤٧٧ تر١، ص ١/٤٨٤ تر٢٤، ص ١/٥١٤ تر١، ص ٣/٢٣ تر١١، ص ٣/٤٣ تر٧، ص ١٠٨ - ٣/١٠٩ تر١٩..

(٨) نفسه ص ١/٤٩٧ تر٦، ص ١/٥٣٠ تر١..

(٩) نفسه ص ٣/١٢٠ تر٤٢..

(١٠) نفسه ص ١/٤٨٢ تر٢٠، ص ١/٥٣٣ تر١٨..

(١١) نفسه ص ١/٤٨٠ تر٧، ص ١/٤٨١ تر١٥، ص ١/٥٠١ تر٢٧، ص ١/٥٠٦ تر٤٤، ٤٥، ص ٢/٥٢٣ تر١، ص ٣/٢٤ تر١٣، ص ٣/٨٤ تر١٧، ص ٣/١٠٦ تر١١، ص ٣/١٤٨ تر٨، ص ٣/١٥٢ تر٢٢، ص ٣/١٥٣ تر٢٦.

(١٢) نفسه ص ٢/٣١٣ تر٢٣..

(١٣) نفسـه ص ١/٤٨١ تـر١٧، ص ١/٤٩٧ تـر١١، ص ٢/٥٣٣ تـر٢٧، ص ٢٩ - ٣/٣٠ تر٢٤، ص ٣/٢٢٣ تر١٥..

والكحالين [١] والعلماء [٢] والأدباء [٣] والشعراء [٤] والمؤرخين [٥] وندماء السلاطين [٦] والمغنين [٧] والنساخ [٨] والوراقين [٩] وأصحاب الحرف والأصناف [١٠] والتجار [١١] والحمالين [١٢].. من ذوي قرباه، أو ممن لا تجمعهم به علاقة [١٣] ممن جمعتهم حوادث عالمه واندرجت وفياتهم تحت السنة التي أرخوا بها.

لكن مع ذلك فانه قد آثر المحدثين والمسندين الكثير كما وكيفا بحكم الانتماء اليهم، ولقد أفصح عن ذلك ابتداء، حيث قال في مقدمة «الانباء» «.. مستوعبا لرواة الحديث، خصوصا من لقيته أو أجاز لي» [١٤].

---

(١) نفسه ص ١/٥١٤ تر٨..

(٢) نفسه ص ١/٥٢١ تر٤٦، ص ٢/٣١٤ تر٣٢..

(٣) نفسه ص ١/٣٦٧ تر٤٣، ص ٣/١٢٢ تر٥١، ص ٣/١٤٧ تر٤..

(٤) نفسه ص ٥٣٢ - ٢/٥٣٣ تر٢٥، ص ٥٢٢ - ٣/٥٢٣ تر٥..

(٥) نفسه ص ١/٤٨١ تر١٦، ص ٢/٣/٣١٣ تر٢٣، ص ٢/٣٦٠ تر١، ص ١٨ - ٣/٢٠ تر٦، ص ٣/٤٢٩ تر١٧..

(٦) نفسه ص ١/٥٣٣ تر١٣..

(٧) نفسه ص ١٦٣ - ١/١٦٤ تر١٩، ص ١/٥٢١ تر٤٥، ص ١/٥٤٢ تر٥٧ ص ٣/١٧٧ تر١..

(٨) نفسه ص ٢/٣١٣ تر٢٤، ص ٣/٤٢ تر٢، ص ٧٧ - ٣/٧٨ تر٢..

(٩) نفسه ص ١/٥١٨ تر٢٦..

(١٠) نفسه ص ١/٤٦٣ تر٢٧، ص ١/٤٩٩ تر١٨، ص ١/٥٣٧ تر٣١، ص ٢/٥٣٦ تر٣٣، ص ٣/١٨ تر٥، ص ٣/٤٤ تر٩، ص ٣/٤٧ تر١٥، ص ٣/١٤٨ تر٩، ص ٣/٢٠٥ تر٤، ص ٣/٢٠٩ تر٢١..

(١١) نفسه ص ١/٥٣١ تر٢، ص ٣/٣٧٩ تر٩.

(١٢) نفسه ص ١/٥٤٣ تر٥٨..

(١٣) راجع: المشاهدة والمشاركة من الفصل الخاص بالمصادر من هذا الباب.

(١٤) المصدر السابق ص ١/٤.

(٢) الشمولي المكاني:

كان لولع «ابن حجر» بالحديث النبوي، وحرصه على تقييد الرواية والسماع، وارتحاله في سبيل ذلك ـ داخليا وخارجيا ـ وظروف عصره التي أوجدت في مصر المملوكية مجمعا من العلماء في كافة المهارات والتخصصات ومن مختلف الجنسيات، واطلاعه على كتابات مؤرخين مختلفي الجنسيات بين مصريين ودماشقة، وحلبيين، ومغاربة، ومكيين.. أثره في نوعيات التراجم الواردة في «الانباء»، حيث لم تكن الترجمة فيه وقفا على المصريين فحسب وانما نجده قد ترجم فيه للغزي (١) والكركي (٢) والمقدسي (٣) والصوري (٤) والبعلبكي (٥) والنابلسي (٦) والأنطاكي (٧) والحلبي (٨) والمزي (١٠) والدمشقي (١٠) والصالحي (١١) والمكي (١٢) والمدني (١٣) والزبيدي (١٤) والهمذاني (١٥) والعجمي (١٦) والدشتي (١٧) والشهرزوري (١٨) والخراساني (١٩)

---

(١) نفسه ص ١/٤٦٠ تر١٢.
(٢) نفسه ص ١/٥١٨ تر٣١.
(٣) نفسه ص ١/٥١٥ تر١٠.
(٤) نفسه ص ١/٥٣٤ تر٢٤.
(٥) نفسه ص ١/٥٣٤ تر٢٤.
(٦) نفسه ص ٢/٥٣٤ تر٣١.
(٦) نفسه ص ١/٤٦٦ تر٤٠.
(٧) نفسه ص ٥٣٦ - ٢/٥٣٧ تر٣٥.
(٨) نفسه ص ١/٥١٥ تر١١.
(٩) نفسه ص ١/٤٧٩ تر٦.
(١٠) نفسه ص ١/٥٣٤ تر٢٢.
(١١) نفسه ص ١/٤٥٩ تر١١.
(١٢) نفسه ص ١/٥٣٢ تر٧.
(١٣) نفسه ص ١/٥٣١ تر٣.
(١٤) نفسه ص ١/٥١٨ تر ٣٠.
(١٥) نفسه ص ١/٤٦١ تر١٧.
(١٦) نفسه ص ١/٥٣١ تر٢.

=

والاسفرايني[1] والكـازروني[2] والتبريـزي[3] والبسطـامـي[4] والمارديني[5] والموصلي[6] والبغـدادي[7] والبنجـالي[8] والرومـي[9] والمالطـي[10] والتركـي[11] والمغـربي[12] والتلمسـاني[13] والتـونسي[14] والأنـدلسي[15] والغرناطي[16] والحبشي[17].. وكل من شهر في حيز العالم الاسلامي ـ شرقه وغربه ـ ما دام قد اطلع على ترجمته وضبط سنة وفاته. بل لقد كان حريصا على ذلك الى حد مراسلة المؤرخين في تلك البلدان لضبط وفيات مشهور بها والوقوف على ترجماتهم[18].

= (١٧) نفسه ص ١/٥١٨ تر٢٥.
(١٨) المصدر السابق ص ١/٥١٦ تر١٦.
(١٩) نفسه ص ١/٥٠١ تر٢٧.
(١) نفسه ص ١/٤٩٩ تر٢٣.
(٢) نفسه ص ٢/٥٣٣ تر٢.
(٣) نفسه ص ١/٤٦٣ تر٢٤.
(٤) نفسه ص ٣/٥٢٨ تر١٤.
(٥) نفسه ص ٣/٥٢٩ تر١٧.
(٦) نفسه ص ٢/٥٢٣ تر١.
(٧) نفسه ص ١/٥٠٤ تر٤٢.
(٨) نفسه ص ٣/٥٣٢ تر٢٦.
(٩) نفسه ص ٣/٥٣٣ تر٢٨.
(١٠) نفسه ص ٣/٥٠٥ تر٩.
(١١) نفسه ص ١/٥٢١ تر٤٩.
(١٢) نفسه ص ١/٤٦٤ تر٣٤.
(١٣) نفسه ص ١/٤٦٧ تر٤٥.
(١٤) نفسه ص ٣/٥٣١ تر٣٤.
(١٥) نفسه ص ١/٥٣١ تر٤.
(١٦) نفسه ص ١/٣٨٥ تر٢٩.
(١٧) نفسه ص ٣/٥٦٢ تر٣٢.
(١٨) راجع الفصل الخاص بالمصادر من هذا الباب للوقوف على المساءلة والمكاتبة وعلاقاتها بذلك..

عناصر الترجمات

أدى التباين في ترجمات « الانباء » بين الطول والقصر، والاقتضاب والاسهاب والاختلاف في نوعية الأعلام المترجم لهم، ومدى توفر مصادر ترجمتهم لدى « ابن حجر » وتوفره على مصادره، وصلته بالمترجم لهم، وطبيعة علاقاته بهم.. الى الاختلاف والتباين في مادة الترجمات.. لكن مع ذلك فانه يمكن التعرف على السمات العامة المقدرة لديه في بناء هذه المادة المشكلة للتراجم في « الانباء » من خلال دراسة ترجمات « الانباء » ككل للوقوف على عناصرها، مع ملاحظة أن تلك العناصر لا تجتمع في موضع واحد ـ غالبا ـ وانما يرد أكثرها في ترجمة، وبعضها في أخرى، كما أن هذا لا يخضع للاسهاب أو الاختصار في مادة الترجمات، فقد تحتوي ترجمة طويلة على عناصر أقل من مثيلتها القصيرة، حيث أن الطول والقصر في الترجمات راجع قبل كل شيء الى التبسط والاسهاب، أو الاقتضاب والامساك في العنصر الوارد فيها وليس الى عدد العناصر الحاوية لها. كما أن هذه العناصر لا ترد ـ عادة ـ مرتبة في سائر الترجمات حسب ورودها هنا.

فاذا ما تقرر هذا، فانه يمكن الاشارة الى أن أهم عناصر الترجمات لديه هي:

(١) الاسم:

وهو غالبا ما يتصدر الترجمة وقد تسلسل ليشمل: اسم المترجم له فوالده فأجداده، كنحو قوله: « أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد بن سيد بن غشم

بن عزوان بن علي بن سرور بن مشرف بن تركي »[١]، وقوله: « أحمد ابن ناصر بن خليفة بن فرج بن عبدالله بن يحيى بن عبدالرحمن »[٢]، أو يرد ثلاثيا، وقد ذكر فيه اسم المترجم له فوالده فجده، كنحو قوله: « أحمد بن علي بن السيس »[٣]، وقوله: « أبو بكر بن يوسف بن أبي الفتح »[٤] وقد يرد ثنائيا ليحتوي على اسم المترجم له فوالده، كنحو قوله: « جابر ابن عبدالله »[٥] وقوله: « أحمد بن الجوبان »[٦]. وقد يقتصر في الاسم على العلم المترجم له فحسب مغفلا اسم الأب والجد، كنحو قوله: « أحمد الخالدي[٧]»، وقوله: « أسنبغا الزردكاش »[٨]، وقوله: « طوغان الحسني »[٩]، وقوله: « نوروز »[١٠]، وقوله: « قانباي »[١١]..

ولعل هذا كان متوقفا على صلته بالمترجم لهم لديه، وتوفره على مصادر ترجماتهم، فالملاحظ أن الترجمات التي وردت الأسماء فيها مطولات وقد تسلسل النسب فيها، من بين هؤلاء الذين أجازوا له، أو لغيره ممن ترجمهم « ابن حجر » عنه.

كما يلاحظ أن « ابن حجر » كان دقيقا في اثبات الاسم وتتبع سلسلة النسب، حتى مع أخذه لمادته عن المترجم له عينه، ومن الأمثلة الدالة على ذلك

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/١٨ تر٦.
(٢) نفسه ص ٣/٢٠ تر٨.
(٣) نفسه ص ٣/٢٠ تر٧.
(٤) نفسه ص ٣/٤٣ تر١١.
(٥) نفسه ص ٣/٢٣ تر١٢.
(٦) نفسه ص ٣/١٨ تر٥.
(٧) المصدر السابق ص ٣/٢٢ تر٩.
(٨) نفسه ص ٣/٧٧ تر٣.
(٩) نفسه ص ٣/٨١ تر٩.
(١٠) نفسه ص ٣/٥٠ تر١٧.
(١١) نفسه ص ٣/٨٢ تر١٣.

قوله في ترجمة « المجد الفيروزبادي » (ت ٨١٧ هـ./١٤١٥ م.): « .. كان يرفع نسبهُ للشيخ أبي اسحق الشيرازي ـ صاحب التنبيه ـ ويذكر أن بعد عمر أبا بكر بن أحمد بن أحمد بن فضل الله بن الشيخ أبي اسحق، ولم أزل أسمع مشايخنا يطعنون في ذلك مستندين الى أن أبا اسحق لم يعقب، ثم ارتقى الشيخ مجد الدين درجة فادعى بعد أن ولى القضاء باليمن مدة طويلة أنه من ذرية أبي بكر الصديق، وزاد الى أن قرأت بخطه لبعض نوابه في بعض كتبه: محمد الصديقي. ولم يكن مدفوعا عن معرفة، الا أن النفس تأبي قبول ذلك »[1].
وقوله في ترجمة « التقي المقريزي » (ت ٨٤٥ هـ./١٤٤٢ م.): « .. وقد رأيت بعض المكيين قرأ عليه شيئا من تصانيفه فكتب في أوله نسبه إلى تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي، عبيد الله القائم بالمغرب قبل الثلاثمائة.. ثم أنه تكشط ما كتبه ذلك المكي من أول المجلد. وكان في تصانيفه لا يتجاوز في نسبه: عبدالصمد بن تميم ووقفت على ترجمة جده عبدالقادر بخط الشيخ تقي الدين بن رافع وقد نسبه أنصاريا، فذكرت ذلك له فأنكر ذلك على ابن رافع وقال: من أنزله ذلك. وذكر لي ناصر الدين أخوه أنه بحث عن مستند أخيه تقي الدين في الانتساب الى العبيديين فذكر له أنه دخل مع والده جامع الحاكم فقال له وهو معه وسط الجامع: يا ولدي هذا جامع جدك »[2].

(٢) اللقب:

كما كان « ابن حجر » حريصا على ايراد الألقاب مع ما يضاف اليها كنحو قوله: « رضى الدين »[3]، « حسام الدين »[4]، « عفيف الدين »[5]،

---

(١) نفسه ص ٣/٤٧ تر٣.
(٢) المصدر السابق ص ٩/١٧٢.
(٣) نفسه ص ٢/٢٣ تر١١.
(٤) نفسه ص ٣/٢٤ تر١٣.
(٥) نفسه ص ٣/٢٥ تر١٧.

« فخرالدين »[١] ، « نورالدين »[٢] ، « جمال الدين »[٣] ، « زيـن الديـن »[٤] ، « وجيـه الديـن »[٥] .. وليس « الرضى »، و « الحسـام »، و « العفيـف »، و « الفخر »، و « النور» و « الجمال »، و « الزين »، و « الوجيه »، كما اعتاد كثير من المؤرخين.

وهو ـ غالبا ـ ما يقتصر على لقب المترجم له فحسب، وان تسلسلت الألقاب في بعض مواضع لترد رباعية، كنحو قوله: « عزالدين بن شرف الدين ابن عزالدين بن بدر الدين »[٦] ، أو ثلاثية، كنحو قوله: « عفيف الدين ابن القاضي تقي الدين بن الشيخ شهاب الدين »[٧] ، أو ثنائية ـ مكتفيا فيها بلقب المترجم لـه ووالده ـ كنحـو قـولـه: « شهـاب الديـن بـن علاء الدين »[٨] ، وقوله: « صدر الدين بن أمين الدين »[٩] .

(٣) الكنيـــة:

وترد الكنية وقد اقتصر فيها على المترجم له فحسب، كنحو قوله: أبو العباس »، و « أبو حامـد »، و « أبـو طـاهـر »، و « أبـو الفتـح »، و « أبـو أحمد »[١٠] مع ملاحظة أن تلك المواضع قليلـة قيـاسـا بـالاحصـاء العـددي لترجمات الانباء..

---

(١) نفسه ص ٣/٢٦ تر١٩.
(٢) نفسه ص ٣/٢٧ تر٢١.
(٣) نفسه ص ٣/٣١ تر٢٩.
(٤) نفسه ص ٣/٤٤ تر١٠.
(٥) نفسه ص ٣/٤٥ تر١٢.
(٦) نفسه ص ٣/١١٥ تر٣٢.
(٧) نفسه ص ٣/٢٥ تر١٧.
(٨) نفسه ص ٣/١٨ تر٦.
(٩) نفسه ص ٣/٢٧ تر٢٢.
(١٠) المصدر السابق ص ٣/١٨ تر٤، ٣/٤٥ تر١٣، ٣/٤٧ تر١٦، ٣/١٢٠ تر٤٣، ٣/١٠٧ تر١٦ على التوالي.

(٤) اسم الشهـرة:

قد يشتهر المترجم له بغير اسمه العلم، وقد تكون شهرته بغير لقبه أو كنيته، وهنا نجد «ابن حجر» **قد أورد اسم الشهرة مسبوقا بقوله «المعروف بـ ..»**، أو «الشهير بـ ..»، أو «الملقب بـ ..»، كنحو قوله: «**المعروف** بالمدني»[١]، وقوله: «المعروف **بحاجي فقيه**»[٢] وقوله: «**الملقب القطعة**»[٣]، وقوله: «الشهير بابن الأديب»[٤].

وقد يأتي هذا الاسم في سياق الكلام دون تنصيص، كنحو قوله: «**محمد** ابن عزيز **بن الواعظ**..»[٥]، وقوله: «**محمد** بن **محمد** بن **محمد** الشافعي الحموي، ناصر الدين **بن خطيب نقرين**»[٦]، وقوله: «**محمد** بن **محمد** ابن عبدالله، شمس الدين **بن مؤذن الزنجبيلية**»[٧]. ويلاحظ أنه في المثال الأول قد أورد اسم الشهرة ضمن اسم المترجم له، بينما نجده في المثالين الثاني والثالث قد أورده قرين اللقب.

كما أنه كثيرا ما يضبط هذا الاسم بالحروف، كنحو قوله: «**المعروف**

---

(١) نفسه ص ٣/١١٨ تر٣٨.
(٢) نفسه ص ٣/٧٨ تر٦.
(٣) نفسه ص ٣/٣١ تر٢٨
(٤) نفسه ص ٣/١٠٦ تر١٢.
(٥) نفسه ص ٣/٤٦ تر١٤.
(٦) نفسه ص ٣/٨٣ تر١٦.
(٧) نفسه ص ٣/١٢٠ تر٤١. و«الزنجبيلية»، ويقال لها: «الزنجارية» من مدارس الحنفية بدمشق. أنشئت سنة ست وعشرين وستمائة - خارج باب توما وباب السلامة - أنشأها الأمير عزالدين أبو عمر عثمان بن علي الزنجاري» - صاحب (الأوقاف المعروفة) باليمن - وانتقل الى الشام في زمن العادل (ابن شداد. الأعلاق الخطيرة - تاريخ مدينة دمشق ص ٢٧٣) وكان بها تربة وجامع. كما كانت من أحسن المدارس (النعيمي. الدارس في تاريخ المدارس ص ١/٥٢٦

بابن زقاعة ـ بضم الزاي، وقد تجعل سينا ونشديد القاف »[1]، وقوله: « المعروف بالوانوغي ـ بنشديد النون المضمونة، وسكون الواو، بعدها معجمة »[2] أو يحرص على تفسيره وتبيين معناه، كنحو قوله: « ابن شنبل ـ بضم المعجمة وسكون النون بعدها موحدة مضمونة ـ وهو مكيال القمح بحمص »[3].

(٥) النسبة:

وتكون بنسبة المترجم له الى القبيلة، كنحو قوله: « المخزومي »[4] و « الكناني »[5] أو بنسبته الى المدينة، كنحو قوله: « الصالحي »[6] و « الغزي »[7]، أو الى المحلة، كنحو قوله: « التباني »[8] و « القرافي »[9]، أو الى معتقه ـ خاصة اذا كان مملوكاً أو أميراً ـ كنحو قوله: « بليغا الناصري »[10] و « طوغان الحسني »[11] أو الى الجنس، كنحو قوله: « الجركسي »[12] و « الجراكسة »[13] و « الرومي »[14] أو الى المذهب، كنحو

(١) المصدر السابق ص ٣/١٧ تر ٢.
(٢) نفسه ص ٣/١١٤ تر ٢٩.
(٣) نفسه ص ٣/١٨ تر ٤.
(٤) نفسه ص ٣/٤٥ تر ١٣.
(٥) نفسه ص ٣/٤٢ تر ٣.
(٦) نفسه ص ٣/١٦ تر ١.
(٧) نفسه ص ٣/١٧ تر ٢.
(٨) نفسه ص ٣/٨٣ تر ١٥.
(٩) نفسه ص ٣/٢٧ تر ١٥.
(٩) نفسه ص ٣/٢٧ تر ٢١.
(١٠) نفسه ص ٣/٥١ تر ١٩.
(١١) نفسه ص ٣/٨١ تر ١٩.
(١٢) نفسه ص ٣/١٠٧ تر ١٥.
(١٣) نفسه ص ٣/١٠٨ تر ١٧.
(١٤) نفسه ص ٣/١٠٧ تر ١٣.

قوله: « الشافعي »[1] و « الحنفي »[2] و « الحنبلي »[3] و « المالكي »[4]، أو الى العقيدة، كنحو قوله: « المعتزي »[5]، أو الى الديانة ـ خاصة اذا كان من غير المسلمين ـ كنحو قوله: « القبطي »[6]..

وهو حريص على ضبط موضع النسبة ـ كذلك ـ وتفسيرها في مواضع كثيرة كنحو قوله: « العواري ـ بفتح المهملة والواو الخفيفة »[7]، وقوله: « المقدسي، الناصري، الباعوني. وناصرة من عمل صفد.. وباعونة قرية بالقرب من عجلون »[8]، وقوله: « الفرخاوي.. وفرخا ـ بالفاء والخاء المعجمتين بينهما راء ساكنة ـ قرية من عمل نابلس »[9]. وقوله: « الصالحي صالحية مصر بالشرقية، هكذا كنت أظن، ثم ذكر لي أخوه ـ شهاب الدين أحمد ـ أنهم ينسبون الى قرية يقال لها: منية أم صالحة بناحية مبلج من الغربية، والى حارة الصالحية بالبرقية داخل القاهرة »[10].

وقد تتوالى النسب الى المواضع، كنحو قوله: « الاسكندراني، ثم المصري »[11]، و « الخليلي، ثم الدمشقي »[12] ليكون المقصود بالانتساب الى الأول تحديد الأصل الذي انحدر منه المترجم له، وبالثاني الموضع الذي ولد ونشأ فيه..

---

(١) نفسه ص ٣/٢٣ تر ١٠.
(٢) نفسه ص ٣/١٦ تر ١.
(٣) المصدر السابق ٣/١٧ تر ٣.
(٤) نفسه ص ٣/٢٦ تر ١٨.
(٥) نفسه ص ٢/٢٤٤ تر ١٦.
(٦) نفسه ص ٣/٢٥ تر ١٥.
(٧) نفسه ص ٣/٣١ تر ٢٩.
(٨) نفسه ص ٣/٢٠ تر ٨.
(٩) نفسه ص ٣/٨١ تر ١٠.
(١٠) نفسه ص ٩/١١٧.
(١١) نفسه ص ٣/٣٢ تر ٣٠.
(١٢) نفسه ص ٣/١٧ تر ٣.

(٦) الموطـــن:

كما كان «ابن حجر» حريصا على ذكر الموضع الذي نزله المترجم له أو استقر فيه ـ لما له من أهمية في ضبط وتقييد السماع [١] ـ ولذا ورد في ترجمات كثيرة من «الانباء ما يفيد ذلك، ومنها قوله: «نزيل المدينة»[٢]، و«نزيل مكة»[٣]، و«نزيل حلب»[٤]، و«نزيل القاهرة»[٥]، و«نزيل جزيرة الفيل»[٦].

(٧) الألقاب العلمية والصفات الأصيلة:

وقد تتبع هذه العناصر أو تتخللها بعض الألقاب العلمية أو الصفات الدالة على أصالة المترجم له وعراقة نسبه، كنحو قوله: «الكاتب المجود»[٧] و«القـــاضي»[٨] و«الخطيـــب»[٩] و«الفقيـــه»[١٠] و«المقـــرىء»[١١] و«الناسخ»[١٢] و«الكتبي»[١٣] و«الشريف»[١٤]..

---

(١) نفسه ص ٣/٢١ تر٨. حيث نجده يحدد مكان اللقاء بشيخه قائلا: «.. وقد اجتمعت به ببيت المقدس».
(٢) المصدر السابق ص ٣/٢٣ تر١٠.
(٣) نفسه ص ٣/٢٤ تر١٤.
(٤) نفسه ص ٣/٤٣ تر٥.
(٥) نفسه ص ٣/١٠٣ تر١.
(٦) نفسه ص ٣/٣٢ تر٣٠.
(٧) نفسه ص ٣/١٨ تر٥.
(٨) نفسه ص ٣/٢٠ تر٨.
(٩) نفسه ص ٣/٢٤ تر١٤.
(١٠) نفسه ص ٣/٢٦ تر١٨.
(١١) نفسه ص ٣/٤١ نر٩.
(١٢) نفسه ص ٣/٤٢ نر٢.
(١٣) نفسه ص ٣/١٠١ تر٢١.
(١٤) نفسه ص ٣/١١٣ تر٢٦.

(٨) المولـــد :

ويأتي في أوائل أو أواخر الترجمات على حد سواء [١] ، وبعد من العناصر الهامة لديه لما له من قيمة في الاستدلال على لقاء الشيوخ والاطمئنان الى الرواية والسماع. ولعل في المثال الآتي ـ وقد أورده « ابن حجر » في « الانباء » ضمن ترجمة « الرواقي » (ت ٨٣٠ هـ./١٤٢٧ م.) ـ ما يدلل على ذلك:

« .. قال القاضي علام الدين: كان صالحا خيرا ناسكا سليكا يستحضر أشياء حسنة عن الصوفية، واجتمعت به بطرابلس فأنشدني، وساق له عن أبي حيان قصيدة.. وهي في نحو العشرين بيتا لا تشبه نظم أبي حيان ولا نفسه، **ولا يتصور لمن ولد سنة سبع وأربعين أن يسمع من أبي حيان الذي مات قبل ذلك بمدة**. ولقد عجبت من خفاء ذلك على القاضي علاء الدين ثم حسبت أن يكون بين الرواقي وأبي حيان واسطة، وقد زعم أنه أنشدها له العلامة جمال الدين عبدالله بن يوسف بن هشام. قال: أنشدنا أبو حيان ـ ولا نعرف أن ابن هشام أخذ عن أبي حيان شيئا، بل كان يجتنبه. قال: وكان الرواقي يقيم بحماة ويأتي طرابلس، ثم بلغني أنه توجه الى القدس فأقام به ومات ما بين ثمان وتسع وعشرين » [٢].

ولذا لا يستغرب مع هذا عناية « ابن حجر » بتقييد تاريخ الميلاد خاصة لدى العلماء والمحدثين.

لكن مع أهمية هذا العنصر وادراك قيمته نجده قد سلك فيه طرقا هي:

أ ـ التأريخ له على وجه الاكتمال بذكر اليوم والشهر والسنة، كنحو قوله: « ولد ليلة التاسع والعشرين من جمادي الآخرة سنة خمس وأربعين » [٣]

---

(١) نفسه ص ٣/٣١٢. حيث نجده قد أورد العنصر الخاص بالتأريخ لمولد المترجم له أواخر ترجمته.

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٦ ـ ٣/٣٨٧ تر٣.

(٣) نفسه ص ٣/٣٩٣ تر١٥.

وقوله: «ولد سنة ثلاث وعشرين، في رابع عشري ربيع الأول منها»[1] ونادرا ما يكون ذلك.

ب ـ التأريخ بالشهر والسنة، كنحو قوله: «ولد في ذي الحجة سنة ٧٦٢»[2]، وقوله: «ولد في جمادي الأولى سنة سبع وثمانين»[3]، وقوله: «ولد في شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة»[4].

جـ ـ التأريخ للمولد اكتفاء بالسنة ـ فقط ـ كنحو قوله: «وكان مولده في سنة ٧٦١»[5]، وقوله: «ولد سنة احدى وخمسين وسبعمائة»[6].

د ـ لكن مع ذلك فانه لا يجزم بالتأريخ في مواضع كثيرة، بل يكون تقديره له على وجه التقريب ناصا على ذلك، كنحو قوله: «ولد سنة ستين تقريبا»[7] أو كما يفهم من روايته، كنحو قوله: «ولد في حدود السنين»[8]، «ولد سنة نيف وأربعين»[9]، «ولد سنة بضع وستين»[10]، «ولد في حدود الخمسين»[11]، «ولد قبل السبعين بيسير»[12]، «ولد سنة أربعين أو قبلها

---

(١) نفسه ص ٢/٢١٦ تر ٢٦.
(٢) نفسه ص ٣/٣١١ تر ٣.
(٣) نفسه ص ٣/٣٣٢ تر ٤.
(٤) نفسه ص ٣/٣٦٣ تر ٢١؛ ومن الطريف أن يعلم أنه قد اتبع ذلك في التأريخ لمولد ابنتيه «رابعة» ـ نفسه ص ٣/٤٢٥ تر ٥ ـ و «زين خاتون» ـ نفسه ص ٣/٤٤٥ تر ١٧
(٥) نفسه ص ٣/٣١٢ تر ٤.
(٦) نفسه ص ٣/٣٢١ تر ٢٨.
(٧) المصدر السابق ص ٣/٣٤٠ تر ٢١.
(٨) نفسه ص ٣/٣٥٢ تر ١.
(٩) نفسه ص ٣/٣٦١ تر ١٩.
(١٠) نفسه ص ٣/٣٦١ تر ١٨.
(١١) نفسه ص ٣/٣٦٠ تر ١٧.
(١٢) نفسه ص ٣/٤٣٠ تر ٢١.

بسنة »[1]، « ولد سنة ثمان أو تسع وأربعين »[2]، « ولد سنة ستين أو في التي بعدها »[3].

كما أنه معنى بتحديد محل الميلاد كلما تيسر له ذلك، ومن أمثلته قوله: « ولد سنة.. بغزة »[4]، وقوله: « ولد في.. بالمدينة »[5] وقوله: « ولد.. بمكة »[6]، وقوله: « .. القطوي. ولد بها »[7] وقوله: « كان أبوه فاضلا فنزل في خانقاة بشتاك الناصري فولد له الشيخ بدرالدين هذا بها »[8].

ويلاحظ أنه كان دائب السؤال عن تاريخ الميلاد لمن يترجم له سواء بسؤال المترجم له عينه، كنحو قوله: « .. لأنه ذكر أن مولده سنة ٧٢٢ »[9]، وقوله: « .. كتب ليّ بخطه أن مولده سنة ٧٢٩ »[10] أو بسؤال أهله وذويه، كنحو قوله: « .. وسألت أخاه شمس الدين ـ أحمد من ينوب بدمياط في الحكم عن النائب بها ـ عن مولده فذكر أنه ولد سنة ٤٣ وأنه أسن من القاضي زين الدين بعشرين سنة. ولست أرتاب في مجازفته في كل ذلك »[11]. وقوله: « .. ذكر ليّ ولده شمس الدين محمد وهو من النجباء أن مولد والده.. »[12]

---

(١) نفسه ص ٣/٣١٧ تر١٨.
(٢) نفسه ص ٣/٣٣٨ تر١٨.
(٣) نفسه ص ٣/٣٢٨ تر١٩.
(٤) نفسه ص ٣/٣٢١ تر٢٩.
(٥) نفسه ص ٣/١٣٥ تر١٠.
(٦) نفسه ص ٣/٣٣٨ تر١٩.
(٧) نفسه ص ٣/٣٧٣ تر١.
(٨) نفسه ص ٣/٣٩٢ تر١٤.
(٩) نفسه ص ٣/٢٧٣ تر٨.
(١٠) نفسه ص ٢/٢٨٧ تر٤٢.
(١١) نفسه ص ٣/٤٨٦ تر٣.
(١٢) المصدر السابق ص ٩/١٥.

ولقد كان كثير التدقيق في ذلك ـ حسبما يستدل من المثال قبل السابق وما يفهم من قوله: « ولد سنة ثمانين ـ على ما كتب بخطه، لكن وجد له حضور فيها، فيحتمل أن يكون ولد في التي قبلها، ولكن وجد بخط البرزالي أن مولده في رجب سنة اثنتين وثمانين. وهذا هو المعتمد، ولعل ذلك أخ له »[1].

(١٩) تقدير عمر المترجم له:

فاذا ما خفي عليه تحديد تاريخ ميلاد المترجم له، فانه ـ غالبا ـ ما يجتهد في تقدير عمره حال الوفاة، كنحو قوله: « مات في صفر وقد جاوز السبعين »[2]، وقوله: « مات مطعونا في شهر ربيع الآخر، وهو في عشر السبعين »[3]، وقوله: « مات في الطاعون عن نحو ستين سنة »[4]، وقوله: « مات ولم يبلغ الثلاثين »[5]، وقوله: « مات في شعبان منها ولم يدخل الكهولة »[6]، وقوله: « وأظنه قارب السبعين »[7]، وقوله: « أظنه جاوز الستين »..[8].

ويتحدد عمر المترجم له على وجه الدقة في مواضع كثيرة كما تشير الى ذلك تعبيراته، ومنها قوله: « مات في رجب وله سبع وخمسون سنة »[9] وقوله: « مات في جمادي الآخرة عن خمس وستين سنة »[10]، وقوله: « مات

---

(١) نفسه ص ١/١٤٣ تر٥٥.
(٢) نفسه ص ٣/١٠٧ تر١٦.
(٣) نفسه ص ٣/١٠٩ تر٢٠.
(٤) نفسه ص ٣/١١٨ تر٣٧.
(٥) نفسه ص ٣/٢٩٥ تر٣٠.
(٦) نفسه ص ٣/٣٣٥ تر٢١.
(٧) نفسه ص ٩/١٩٣.
(٨) نفسه ص ٩/١٧٥.
(٩) نفسه ص ٣/١٥٢ تر٢١.
(١٠) نفسه ص ٣/١٧٩ تر٣.

وقد أكمل الستين »[١] ، وقوله : « عاش خمسا وستين سنة »[٢] .

(١٠) الوفـاة:

لم يكتف « ابن حجر» بايراد الوفيات وقد انتظمها الحوليات دون تأريخ لها ـ في مواضع كثيرة ـ **على سبيل الاكتمال:** باليوم من الاسبوع ومن الشهر والشهر، كنحو قوله: « مات في ليلة الجمعة رابع عشري ربيع الأول »[٣] وقوله: « مات.. في ليلة السبت ٢٨ ربيع الآخر »[٤] ، **أو بذكر اليوم من الشهر فالشهر**، كنحو قوله: مات في حادي عشر شوال »[٥] ، وقوله: « مات في رابع عشري ربيع الأول »[٦] **وقد يكتفي بالتأريخ لها بالشهر مغفلا** ذكر اليوم الواقعة فيه، كنحو قوله: « مات في صفر من هذه السنة »[٧] وقوله: « مات في جمادي الأولى »[٨] ، وقوله: « قتل في شعبان من هذه السنة »[٩] .

وقد ترد الوفيات **مؤرخة بنصف وأواسط وأواخر وسلخ الشهر**، كنحو قوله « مات في نصف ذي الحجة »[١٠]، وقوله: « مات في أواخر المحرم »[١١] وقوله: « مات في العشر الأخير من ربيع الأول »[١٢] ، وقـولـه:

---

(١) نفسه ص ٣/٣١٠ تر٢.
(٢) بنفسه ص ٣/٢١١ تر٢٩.
(٣) المصدر السابق ص ٣/١٢١ تر٤٣.
(٤) نفسه ص ٣/٣١٥ تر١٠.
(٥) نفسه ص ٣/١٠٤ تر٥.
(٦) نفسه ص ٣/١٠٥ تر٧.
(٧) نفسه ص ٣/٧٦ تر١.
(٨) نفسه ص ٣/٧٧ تر٢.
(٩) نفسه ص ٣/٧٧ تر٤.
(١٠) نفسه ص ٣/١٠٤ تر٤.
(١١) نفسه ص ٣/١٠٤ تر٦.
(١٢) نفسه ص ٣/١٢٣ تر٥١.

« مات في سلخ رجب » [1] .

وقد يرد **تأريخ الوفاة على وجه التقريب**، كنحو قوله: « مات في آخر هذه السنة » [2] ، وقوله: « مات في شهر رجب، وقيل في شعبان [3] وقوله: « مات في جمادي منها، وفي رواية في ثالث رجب » [4] ، وقوله: « .. بلغني أنه مات في أول سنة احدى وعشرين بيزد وكان خرج من الحمام فمات فجأة، وأرخه الشريف الفاسي في سنة عشرين، والله أعلم » [5] .

وربما وردت الترجمات في بعض مواضع **غير مؤرخة** اكتفاء بنسبتها الى الحولية الواقعة فيها، كنحو ما فعل بترجمة « أسنبغا الزردكاش » [6] و « طوغان الحسني » [7] أو بالتوكيد على وقوعها في ذات الحولية، كنحو قوله: « مات في هذه السنة » [8].

وقد **يذكر موضع الوفاة** كنحو قوله: « وتحول الى زبيد فمات بها » [9] وقوله: « مات في ذي القعدة بالقدس » [10]، وقوله: « مات.. ببستان الحلى » [11].

وكثيرا ما يعني « ابن حجر » **بتحديد كيفية الوفاة من موت طبيعي**

---

(١) نفسه ص ٣/٢٢٩ تر٥.
(٢) نفسه ص ٣/١٥٠ تر١٥.
(٣) نفسه ص ٣/١٥٣ تر٢٢.
(٤) نفسه ص ٣/٣٨٩ تر٨.
(٥) نفسه ص ٣/١٨٠ تر١٠.
(٦) المصدر السابق ص ٣/٧٧ تر٣.
(٧) نفسه ص ٣/٨١ تر٩.
(٨) نفسه ص ٣/١٢٢ تر٥٠.
(٩) نفسه ص ٣/٨٢ تر١٢.
(١٠) نفسه ص ٣/١٠٧ تر١٣.
(١١) نفسه ص ٣/١٧٧ تر١.

أو قتل[1] **بل والعلة المتسبب عنها الوفاة**، كنحو قوله: « مات.. مطعونا »[2]، « مات في الطاعون »[3]، « مات.. بعلة ذات الجنب »[4]، « اعتل بالقولنج الصفراوي فتمادى به الى أن مات »[5] « مات بالفالج »[6]، « مات.. مبطونا »[7]، « مات مسلولا، ويقال انه سقي السم »[8]، وقوله: « فأخذه أسر البول فتمادى به حتى هلك »[9]. وكذا **حال المترجم له عند موته من حيث: العمل والاشتغال أو التبطيل والعزل**، كنحو قوله: « مات.. بطالا »[10]، وقوله: « مات معزولا »[11]، وقوله: « فلم تطل مدته حتى مات بعد تسعة أشهر من وزارته »[12]، وقوله: « وولي تدريس الحديث بالأشرفية الى أن مات »[13] وقوله: « مات وهو أمير بدمشق »[14]، **أو المكانة**

---

(١) حيث ينص على القتلى في الترجمات ليفرق بين هذه الموته، والموت الطبيعي كنحو قوله ـ المصدر نفسه ص ٣/١١٧ تر٣٥ ـ « مات مقتولا »، وقوله: « قتل صبرا » ـ نفسه ص ٣/٢٥٦ تر ٥ ـ وقوله: « مات تحت الردم » ـ نفسه ص ٣/٤١٣ تر١٦ ـ وقوله: « توجه الى حصار بعض القلاع فأصابه حجر في جبهته فصرعه » ـ نفسه ص ٣/٢٩٣ تر٢٤.

(٢) نفسه ص ٣/١٠٥ تر٥٨.

(٣) نفسه ص ٣/١٠٦ تر١٢.

(٤) نفسه ص ٣/١٢٠ تر٤٠.

(٥) نفسه ص ٣/٢٩٥ تر٣٠.

(٦) نفسه ص ٣/٢٨٣ تر٢.

(٧) نفسه ص ٣/٢٨٨ تر١٧.

(٨) نفسه ص ٣/٢٣١ تر٩.

(٩) نفسه ص ٢/٢٩٩ ـ حوادث.

(١٠) المصدر السابق ص ٣/١٠٧ تر١٣.

(١١) نفسه ص ٣/١٢٠ تر٤٠.

(١٢) نفسه ص ٣/١١٠ تر٢٢.

(١٣) نفسه ص ٣/١٤٩ تر١٢. وكانت مجاورة لقلعة حلب، بناها الملك « الأشرف موسى ابن أبي بكر بن أيوب » وكملت سنة ثلاثين وستمائة للهجرة، وكان رزقها في أيام واقفها متوفرا، ثم اختل بموته، كما اختل الاشتغال بها بعد موت « التقي بن الصلاح » (ت ٦٤٣ هـ./١٢٤٥ م.) ـ الذي فوضه الواقف التدريس والمشيخة بها، فظل في المنصب ثلاث عشرة سنة ـ حيث يشير الى ذلك « أبو شامة » قائلا: « .. مررت بدار الحديث =

لدى الوجهاء والدولة كنحو قوله: «وكان آخر عمره عين الحنابلة»[١]، وقوله: «وانتهت اليه رياسة الفقه ببلده الى أن مات في هذه السنة»[٢] **أو من حيث السفر والاقامة،** كنحو قوله: «فمات متوجها الى الحج في شوال»[٣]، وقوله: «ثم حج فلما رجع مات وهو قافل»[٤] **أو من حيث الاهانة والتغريب،** كنحو قوله: «فأخرج على حمار فمات في أثناء الطريق غريبا طريدا»[٥] **أو من حيث حالته النفسية،** كنحو قوله: «وجاور في آخر أمره فمات بها منطويا»[٦]، **أو من حيث التمرض والضعف أو الموت الفجاءة من غير علة أو خوفا من القهر،** كنحو قوله: «.. ثم قدم القاهرة بآخرة فوعك ومات بالبيمارستان»[٧]، وقوله: «مات بعد مرض طويل»[٨]، وقوله: «مات في عصر يوم السبت بعد أن أقام أكثر من عشرين يوما ملقى على قفاه لاحراك به الا في بعض الأحيان، يحرك يده كالعابث أو ينطق بما لا يفهم، وصار يجرع السويق ونحوه بالسعط فلا ينزل الى جوفه من

= الأشرفية فرأيت ما هي عليه من الشعث والتراب - صورة ومعنى - بسبب قلة الاشتغال بها وخراب وقفها». ويبدو أنها استعادت مجدها بعد ذلك بولاية أبي شامة وغيره لها. (أبو شامة المقدسي. الذيل على الروضتين ص ١٦١ - ٢١٠، الذهبي. العبر في خبر من غبر ص ٥/١٧٨، تذكرة الحفاظ ص ٤/١٤٣٠، ابن خلكان. وفيات الأعيان ص ٣/٢٤٤، السبكي. طبقات الشافعية الكبرى ص ١٣٧ - ٥/١٣٨، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٢٢١ - ٥/٢٢٢، أحمد أحمد بدوي. الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ص ٦٨.

(١٤) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٣٣٥ تر٩.

(١) نفسه ص ٣/١٥٢ تر٢٠.

(٢) نفسه ص ٣/٢٣٥ تر٢٠.

(٣) نفسه ص ٣/١١٤ تر٢٨.

(٤) نفسه ص ٣/١٤٩ تر١٤.

(٥) نفسه ص ٣/٢١١ تر٢٨.

(٦) المصدر السابق ص ٣/٢٠٤ تر١.

(٧) نفسه ص ٣/٢١٠ تر٢٢.

(٨) نفسه ص ٣/٢٣٢ تر١٥.

ذلك الا البسير، وكان قبل ذلك قد أفرط به الاسهال حتى انحطت قوته، ثم عرض له الصرع فأقام في أول مرة زمانا طويلا بحيث أرجف بموته، ثم أفاق منه مختبلا، ثم عاوده بعد سبعة أيام فازداد انحطاطا واستمر يعاوده حتى يئس منه كل من حوله من النساء والرجال والأطباء، وفي كل نوبة من الصرع يرجف بموته ويتهيأ الناس لذلك، ثم يتحرك..»[1]، وقوله: «.. كان خرج من الحمام فمات فجأة»[2] وقوله: «قرأت.. ان سبب موته أنه عقد عند برقوق مجلس بسبب الأوقاف، فتكلم الضياء ـ وهو المترجم له ـ بكلام قوي فغضب منه برقوق وأجابه بجواب خشن خاف منه على نفسه، فلما رجع الى الشيخونية ثم رجع الى بيته مرض واستمر الى أن مات»[3] **أو من حيث ضيق ذات اليد أو اليسر،** كنحو قوله: «مات وعليه ديون كثيرة»[7]، وقوله: «وخلف تركة جيدة ورثها أخوه»[5]، وقوله: «وخلف مالا كثيرا جدا»[6] **أو من حيث تبيان حاله بالنسبة للأهل والاخوة،** كنحو قوله: «وهو آخر اخوته موتا»[7]: «مات الجمال المصري في ذي القعدة وخلف عشرين ولدا ذكرا»[8]، وقوله: «ومات له في حياته أكثر من خمسين ولدا وما مات حتى تضعضع حاله»[9]، وقوله: «وماتت في عصمته.. وهي آخر أولاد الظاهر لصلبه وفاة»[10]. **أو ما يكون قد عرض له في آخرته من**

---

(١) نفسه ص ١٦ - ٩/١٧.
(٢) نفسه ص ٣/١٨٠ تر١.
(٣) نفسه ص ١/١٨٤ تر١٧.
(٤) نفسه ص ٣/٢٨٩ تر١٨.
(٥) نفسه ص ٣/١٣٤ تر٥٢.
(٦) نفسه ص ٣/٢٣٦ تر٢٢.
(٧) نفسه ص ٣/١٨٢ تر١٦.
(٨) نفسه ص ٣/١٥١ تر١٨.
(٩)، المصدر السابق ص ٣/٣٨٨ تر٧.
(١٠) نفسه ص ٣/٣١٥ تر١٠.

آفه الخرف والخلط، أو العمى ـ لما لبيان ذلك من أهمية في تعديل المحدثين وجرحهم ـ ومنه قوله: «وكان قد أضر بآخرة وحصل له خلط ثقل منه لسانه فصار كلامه قد يخفى بعضه بعد أن كان لسانه كما يقال كالمبرد»(١)، وقوله «وكان قد أضر قبل موته»(٢)، وقوله: «وكان بعض من يتعصب عليه ينسبه الى الخرف والتغير، ولم يقع ذلك..»(٣)، وقوله: «ثم حصل له سوء مزاج وانحراف، ولم يتغير عقله»(٤). **أو ما قد يعتريه من الوسواس** كنحو قوله: «وابتلى بالوسواس في الطهارة حتى انحل بدنه وأفسد ذهنه وثيابه، وتأسف هو على ذلك، ولم يزل مبتلي به حتى مات»(٥).

كما أنه كثيرا ما يعني بذكر ما يتبع الوفاة من جنازة ودفن مفصحا عن وقع ذلك في أنفس الناس ونفسه، محددا لموضع الدفن، كنحو قوله: «ودفن عند باب القرافة، وكان الجمع في جنازته حافلا جدا»(٦)، وقوله: «فاتفق أنه فجأة الموت في رابع جمادي الأولى، وأسف الناس عليه، وكانت جنازته حافلة»(٧)، وقوله: «وكانت جنازته حافلة ودفن بالصوفية»(٨)، وقوله «ومشى الناس في جنازته من منزله ـ بالخراطين ـ الى الرملة، ولم يصل السلطان عليه لأنه كان في غاية الضعف آنذاك»(٩)، وقوله: «مات ودفنت في المدرسة التي استجدها (الأشرف برسباي) بالحريرين، وصلى عليها أمام باب الستارة، وتقدم الشافعي للصلاة عليها والسلطان والأمراء وغيرهم خلفه.

---

(١) نفسه ص ٢/٢٣ تر٢.
(٢) نفسه ص ٢/٣٧٦ تر٤٦.
(٣) نفسه ص ٣/٢٣ تر١٠.
(٤) نفسه ص ٣/٧٧ تر٢.
(٥) نفسه ص ١/٤٩ تر٣٠.
(٦) نفسه ص ٣/١٠٩ تر١٩.
(٧) نفسه ص ٣/١٨١ تر١٢.
(٨) نفسه ص ٣/٢٠٩ تر١٦.
(٩) نفسه ص ٣/٢٣٣ تر١٦.

وكانت جنازته حافلة، وقرىء عليها ليلا ونهارا »[1]، وقوله: « رجع الى بلده فمات به، وأسفنا عليه ـ رحمه الله تعالى »[2]، ومرثيته في الزين العراقي..[3]

أو على العكس من ذلك، ما يكون حدث لجثته من تمثيل أو تنكيل، كنحو قوله: « مات مقتولا بالقاهرة، وحشى جلده تبنا، وحمل الى صفد في ذي الحجة »[4].

وكذا ما يتبع الوفاة من تصرف في تركته ـ على نحو ما مر ـ أو تصرف في وظائفه، كنحو قوله: « ولما مات قررت وظائفه ـ كلها ـ بيد ولده علي وهو صغير جدا، فاستنيب عنه خاله جلال الدين بن الملقن »[5].

(١١)النشأة والتكوين:

وتختلف المادة المكونة لهذا العنصر تبعا للاختلاف في نوعية المترجم لهم، وطبيعة صلة « ابن حجر » بهم، حيث تكون المكونات الأولى للعلماء والمحدثين ونحوهم مغايرة لها لدى الأمراء والسلاطين..

---

(١) المصدر السابق ص ٣/٣٣٨ تر١٧.

(٢) نفسه ص ٣/٣١٦ تر٦.

(٣) نفسه ص ٢٧٨ - ٢/٢٧٩ تر١٩، ومنها قوله:

مصاب لم بنفس الخناق ... أصار الدمع جارا للمآقي
فروض العلم بعد الزهو ذاو ... وروح الفضل قد بلغ التراقي
وبحر الدمع يجري في اندفاق ... وبدر الصبر يسري في المحاق
وللأحزان بالقلب اجتماع ... ينادي الصبر: حيّ على افتراق
وكاد الصب أن يدفع بصبر ... يهون عليه مع رجوى التلاقي
فأما بعد يأس من تلاقي ... فهذا صبره مر المذاق
لقد عظمت مصيبتنا وجلت ... بسوق أولى العلم الى السياق

(الوافر)

(٤) نفسه ص ٣/١١٧ تر٣٥.

(٥) نفسه ص ٣/٢٨٤ تر٤.

وللوقوف على ذلك، فانه يمكن الاشارة الى أنه قد ترجم بعض أعلام الصنف الأول قائلا ـ بخصوص نشأة وتكوين «البرهان التنوخي» (ت ٨٠٧ هـ./١٤٠٥ م.): «.. أجاز له اسماعيل بن مكتوم، وأبو بكر ابن عبدالدائم وعيسى بن عبدالرحمن المطعم، وأبو نصر الشيرازي، والقاسم ابن عساكر ومحمد بن مشرف، وست الفقهاء بنت شكر، وجمع كبير يزيدون على الثلاثمائة ثم طلب الحديث بنفسه فسمع الكثير من أبي العباس الحجار، وعبدالله بن الحسين بن أبي التائب، والحافظين: البرزالي والمزي، والبندنيجي وخلق كثير يزيدون على المائتين. وعنى بالقراءات فأخذ عن البرهان الجعبري وابن نصحان والبرقي، ثم رحل فأخذ عن ابن أبي حيان وابن السراج وأبي العباس المرداوي، ومهر في القراءات وكتب هؤلاء له خطوطهم بها. وتفقه على البارزي بحماة، وابن النقيب بدمشق، وابن القماح بالقاهرة، وغيرهم. وأذنوا له، وأفاد وحدث قديما»[1].

وكذا بخصوص نشأة وتكوين «السراج البلقيني» (ت ٨٠٥ هـ./١٤٠٣ م.) قائلاً: «.. حفظ القرآن وله سبع سنين ـ ببلده ـ وحفظ المحرر والكافية لابن مالك، ومختصر ابن الحاجب الأصلي، والشاطبية، وقدم مع أبيه القاهرة في طلب العلم سنة ست وثلاثين، وعرض على القزويني والسبكي بعض محفوظاته، ثم قدمها سنة ثمان وثلاثين فاستوطنها، وأخذ عن نجم الدين الأسواني، وشمس الدين بن عدلان ومشايخ العصر.. وسمع الحديث من جماعة من مشايخ عصره كمحمد بن غالي، وأحمد بن كشتغدي، واسماعيل التفليسي، وشمس الدين بن القماح، وابن عبدالهادي، والميدومي وغيرهم وأجاز له المزي والذهبي والجزري وابن نباتة وآخرون. وأخذ النحو عن ابن حبان وأذن له في اقرائه وأطراه فيما كتبه له، وأخذ الأصول عن الأصبهاني، ولازم ابن عقيل»[2].

---

(١) المصدر السابق ص ٢/٢٢ تر٢.
(٢) نفسه ص ٢٤٥ ـ ٢/٢٤٦ تر٢١.

كما ورد هـــذا العنصر في تـــرجمة «الزيـــن العـــراقـــي» (ت ٨٠٦/ هـ./١٤٠٤ م.) على النحو التالي: « .. حفظ التنبيه في الفقه، واشتغل بالفقه والقراءات، ولازم المشايخ في الرواية، وسمع في غضون ذلك من عبدالرحيم بن شاهد الجيش وابن عبدالهادي وعلاء الدين التركماني، وقرأ بنفسه على شهاب الدين بن البابا، وتشاغل بالتخريج، ثم تنبه للطلب بعد أن فاته السماع من مثل يحيي بن المصري آخر من روي حديث السلفي عاليا بالاجازة، ومن الكثير من أصحاب ابن عبد الدايم والنجيب وابن عارف ولكنه أدرك أبا الفتح الميدومي فأكثر عنه، وهو من أعالي مشايخه اسنادا وسمع أيضا من ابن الملوك، وابن القطرواني، ثم رحل الى دمشق فسمع من ابن الخباز، ومن أبي العباس المرداوي، ونحوهما. وعني بهذا الشأن ورحل فيه الى دمشق وحلب والحجاز.. »(١).

بينما نجده قد أورد هذا العنصر في ترجمة «بهرام بن عبدالله الدميري» (ت ٨٠٥ هـ./١٤٠٣ م.) على النحو التالي:

« .. أخذ عن الشيخ خليل وغيره »(٢).

وفي تـــرجمة «ســـارة بنـــت علي بـــن عبـــدالكـــافي السبكـــي» (ت ٨٠٥ هـ./١٤٠٣ م.) على النحو الآتي:

« .. اسمعت من أحمد بن علي الحريري، وزينب بنت الكمال وغيرهما وسمعت علي أبيها أيضا »(٣).

وبدراسة هذه النماذج الخمسة يدرك الآتي:

أولا ـ أن «ابن حجر» قد ذكر الشيوخ تارة بأسمائهم، وتارة بما

---

(١) المصدر السابق ص ٢/٢٧٦ تر١٩.
(٢) نفسه ص ٢/٢٤٢ تر٩.
(٣) نفسه ص ٢/٢٤٣ تر١١.

اشتهروا به من أسماء كنحو قوله: « اسماعيل بن مكتوم » و « أبو بكر ابن أحمد بن عبدالله الدايم » و « عيسى بن عبدالرحمن المطعم » و « أحمد بن كشتغدي ».. وقوله « البرزالي » و « المزي » و « البندنيجي » و « القزويني » و « السبكي » و « الجزري » و « الميدومي » و « ابن نباتة » و « الشيخ خليل ». مستندا الى معرفة أصحاب الفن بهم، ومفترضا في المطالع لتاريخه معرفتهم، ومن ثم ادراكهم.

ثانيا ـ أنه قد تبسط في ذكر الشيوخ في مواضع كما في المثال الأول والثاني واقتضب في مواضع أخرى، كنحو قوله في المثال الرابع: « أخذ عن الشيخ خليل ». مع ملاحظة أنه يقتصر في ايراد الشيوخ على المشاهير منهم متبعا ذلك بقوله: « .. وجمع كبير يزيدون على الثلاثمائة »، و « خلق كثير يزيدون على المائتين » و « مشايخ العصر »، و « غيرهم »، « وآخرون »، و « الكثير من أصحاب.. » و « نحوهما »، « وغيرهما »، « وغيره »..

ثالثا ـ أنه قد عني ـ في بعض مواضع ـ بذكر المكان المأخوذ فيه علم المترجم له، كنحو قوله في المثال الأول: « وتفقه على البارزي بحماة وابن النقيب بدمشق، وابن القماح بالقاهرة »، وفي المقال الثاني « ثم رحل الى دمشق فسمع من.. »، وقوله: « وعني بهذا الشأن ورحل فيه الى دمشق وحلب والحجاز ».

رابعا ـ أنه قد يذكر عمر المترجم له حال الحفظ أو الاشتغال والتفقه، كنحو قوله في المثال الثاني: « حفظ القرآن وله سبع سنين.. وقدم مع أبيه القاهرة في طلب العلم سنة ست وثلاثين.. ثم قدمها سنة ثمان وثلاثين.. ».

خامسا ـ أنه قد يذكر بعض محفوظاته أو مسموعاته، كنحو قوله في المثال الثاني: « حفظ القرآن.. وحفظ المحرر والكافية لابن مالك ومختصر ابن الحاجب الأصلي والشاطبية »، وفي المثال الثالث « حفظ التنبيه ».

سادسا ـ الاعتناء بذكر بعض صيغ التحمل والسماع ـ لما لها من أهمية

لدى المحدثين ونحوهم، ومن ذلك قوله:

«أجاز له»، «أذنوا له»، «أذن له»، «(«سمع»، «سمعت»)»، «اسمعت»، «عوض»، «قرأ بنفسه على..»، «أخذ»، «لازم»، «كتب هؤلاء خطوطهم بها»..

سابعا ـ التدليل على ما قد يكون فات المترجم له من سماع، وتبيين ما لسماعه من قيمة، كنحو قوله في المثال الثالث: «وتشاغل بالتخريج، ثم تنبه للطلب بعد أن فاته السماع من مثل يحيي بن المصري ـ آخر من روي حديث السلفي عاليا بالاجازة ـ ومن الكثير من أصحاب ابن عبد الدايم والنجيب وابن عارف. ولكنه أدرك أبا الفتح الميدومي فأكثر عنه، وهو من أعلى مشايخه اسنادا».

ثامنا ـ ذكر أهم العلوم والفنون التي تتشكل منها ثقافته، كنحو قوله في المثال الأول: «طلب الحديث بنفسه.. وعني بالقراءات.. وتفقه»، واشارته في المثال الثاني الى اعتناء المترجم له بالفقه والحديث والأصول والنحو، وفي المثال الثالث الى اشتغال «الزين العراقي» بالفقه والقراءات والحديث..

تاسعا ـ الابانة عن مقدار هذا العلم وتمكنه منه، كنحو قوله في المثال الأول «مهر في القراءات، وكتب هؤلاء له خطوطهم بها»، وقوله في المثال الثاني: «وأخذ النحو عن ابن حبان وأذن له في اقرائه وأطراه فيما كتبه له.. وانتهت اليه الرياسة في الفقه والمشاركة في غيره..

ويلاحظ أن هذه التفصيلات ترد مجتمعة في عنصر الترجمة في موضع وترد متفرقة في مواضع أخرى.

أما الصنف الثاني، وهم السلاطين والأمراء، فان المعلومات الواردة بخصوص طبيعة تكوينهم ونشأتهم قليلة ـ قياسا بما ورد في ترجمته للعلماء والمحدثين، ومن أمثلة ذلك قوله بخصوص ترجمة «العجل بن نعير» (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.): نشأ في حجر أبيه، ثم لما بلغ العشرين فارقه

ومال الى جكم، ولما وقع بين جكم وبين ابن صاحب الباز حضر نعير في نصر ابن صاحب الباز، والباز وابنه مع جكم.. »[1] وقوله بخصوص ترجمة « المؤيد شيخ المحمودي » (ت ٨٢٤ هـ./١٤٢١ م.): « كان قدومه القاهرة على ما أخبرنا به في السنة التي قدم فيها أنص والد برقوق، فعرض على برقوق قبل أن يتسلطن فرام من صاحبه بيعه فاشتط في الثمن، وكان ابن اثنتي عشرة سنة، ولكن كان جميل الصورة، فاتفق موت الذي جلبه فاشتراه محمود تاجر المماليك بثمن يسير وقدمه لبرقوق فأعجبه واستمر ينسب لمحمود وتربى في المماليك الكتابية، ثم جعل خاصكيا ثم جعل من السقاة، ونشأ ذكيا، فتعلم الفروسية في اللعب بالرماح ورمى النشاب والضرب بالسيف والصراع، وغير ذلك. ومهر في جميع ذلك.. »[2].

(١٢) منزلة المترجم له ومكانته:

وتتحدد هذه المنزلة للمترجم له بعبارات ناعتة نقلها عن مصادره، كنحو قوله: « قال شهاب الدين الزهري في حياة شرف الدين الشربيني وغيره: ليس في البلد من أخذ العلوم على وجهها غيره » - فيما نقله عنه في ترجمته للشهاب الملكاوي[3] (ت ٨٠٣ هـ./١٤٠١ م.) - أو في مواضع أخرى بعبارات وملحوظات له، خاصة في ترجمته لهؤلاء الذين أخذ عنهم أو اتصل بهم وشاهدهم، أو شاركهم في بعض المناصب العلمية والوظائف الدينية كنحو قوله: « سمع منه شيخه الحافظ الذهبي »[4] بشأن الترجمة لشيخه « البرهان التنوخي » (ت ٨٠٠ هـ./١٣٩٨ م.)، وقوله في ترجمته لشيخه « السراج البلقيني » (ت ٨٠٥ هـ./١٤٠٣ م.): « وانتهت اليه الرياسة في الفقه

---

(١) المصدر السابق ص ٣/٢٦ تر٢٠.
(٢) نفسه ص ٣/٢٥٦ تر٦.
(٣) نفسه ص ٢/١٥٣ تر٩.
(٤) المصدر السابق ص ٢/٢٣ تر٢.

والمشاركة في غيره، حتى كان لا يجتمع به أحد من العلماء الا ويعترف بفضله ووفور علمه وحدة ذهنه.. وكان معظما عند الأكابر، عظيم السمعة عند العوام، اذا ذكر البلقيني خضعت الرقاب حتى كان الشيخ جمال الدين الاسنوي يتوقى الافتاء مهابة له لكثرة ما كان ينقب عليه في ذلك»[1]. وقوله في ترجمته «لابن الشاهد المنجم» (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.): «انتهت اليه الرياسة في حل الزيج وكتابة التقاويم»[2]. وقوله في ترجمة «فاطمة بنت المنجا التنوخية» (ت ٨٠٣ هـ./١٤٠١ م.) «أجاز لها أبو بكر الدستي، والتقى سليمان، وعيسى المطعم، واسماعيل ابن مكتوم، ووزيرة بنت المنجا، وأبو بكر بن عبد الديام، وتفردت بالرواية عنهم في الدنيا»[3]. وقوله في ترجمة «القرداح» (ت ٨٤١ هـ./١٤٣٨ م.): «كان طيب النغمة عارفا بالموسيقى، يجيد الأعمال ويتقنها.. ومهر في علم الميقات»[4]. وأشياء ذلك مما سوف يدرس تفصيلا في القسم الخاص بالنقد التاريخي من هذا البحث.

أما من حيث المكانة لدى العامة والخاصة في الدولة فقد وردت له بعض تعبيرات منها: «له عند العامة بدمشق قبول زائد»[5] وهو في حق «ابن الأقرع» (ت ٨٠٠ هـ./١٣٩٨ م.)، وقوله في ترجمة «أبي عبدالله الكركي» (ت ٨٠٠ هـ./١٣٩٨ م.): «..وصحب السلطان في الكرك فارتبط عليه واعتقده، ثم قدم عليه فعظمه جدا، وكان يسكن في مخزن في اصطبل الأمير قلمطاي الدويدار، واذا ركب الى القلعة ركب على فرس بسرج ذهب وكنبوش ذهب من مراكيب السلطان»[6]، وقوله في ترجمته «لخلف ابن عبدالله الطوخي» (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.): «وكان كثير التلاوة، ملازما

---

(١) نفسه ص ٢/٤٢٦ تر ٢١.
(٢) نفسه ص ٢/٧٧ تر ٥٩.
(٣) نفسه ص ٢/١٨٠ تر ٨٩.
(٤) نفسه ص ٩/١٥.
(٥) نفسه ص ٢/٢٩ تر ٣٢.
(٦) نفسه ص ٢/٢٩ تر ٣٤.

لذاته والخلق يهرعون اليه، وشفاعته مقبولة عند السلطان ومن دونه»[1]. وقوله في ترجمة «المشبب» (ت ٨٠١ هـ./١٣٦٩ م.): «..وللملك الظاهر وغيره فيه اعتقاد كبير»[2]. وقوله في ترجمة «يوسف الهذباني الكردي» (ت ٨٠٢ هـ./١٤٠٠ م.): «..وكان يكثر شتم الأكابر على سبيل المزاح ويحتملون ذلك له»[3]..

(١٣) وظائفـه:

كما كان «ابن حجر» معنيا في كثير من الترجمات بتتبع وظائف المترجم له وتنقله فيها، كنحو قوله في ترجمته لأحد الخلفاء: «..ولي الخلافة في أيام تنبك بعد قتل الأشرف عوضا عن المتوكل، ثم خلع، ثم أعاده الظاهر بعد القبض على المتوكل في سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، ثم صرف في جمادي الأولى سنة احدى وتسعين فلزم داره الى أن مات»[4]. وقوله بخصوص أحد السلاطين: «كان من مماليك الظاهر، ثم صار في خدمة ابنه الناصر الى أن خرج الى البلاد الحلبية بسبب جكم، فلما رجع الناصر الى مصر استمر ططر مع جكم ثم لما قتل جكم استقرأ أميرا بحلب - وتمريغا المشطوب يومئذ النائب بحلب - فاستمر فيها مدة طويلة وهو في أثناء ذلك ينتمي لتوروز الى أن وقع بين شيخ وبين نوروز وانكسر نوروز واستمر مع المؤيد، فلما اقتسما البلاد بعد قتل الناصر قدم مصر مع المؤيد واستمر في خدمته الى أن تسلطن وحاصره مع النوروزية وهو يظهر خدمة المؤيد ويداريه ويبالغ في ذلك الى أن أمره طبلخاناة، ثم أمره تقدمة. ثم لما توجه لقتال قانباي استنابه بالاسطبل، ثم لما

---

(١) المصدر السابق ص ٢/٧٠ تر٣٥.
(٢) نفسه ص ٢/٧١ تر٣٢.
(٣) نفسه ص ٢/١٣٢ تر٧٤.
(٤) نفسه ص ٢/٧١ تر٣٤، وهو «أبو يحي المعتصم بالله العباسي» (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.).

مات المؤيد استقر نظام الملك.. ثم تسلطن »[1] . وقوله بخصوص أحد الأمراء: « .. فلما قتل الأشرف أمر بحلب نائبا، ثم عمل بدمشق تقدمة ثم نيابة حماة، ثم عمل نيابة الشام سنة ثمانين، ثم ناب في صفد، ثم طرابلس وتنقلت به الأحوال، وعمل نيابة طرابلس مدة، ثم قبض عليه وسجن بها، ثم أفرج عنه يلبغا الناصري وتوجه معه لمصر وولاه نيابة حلب.. فلما استقر الظاهر في السلطنة الثانية أحضره الى القاهرة وقدمه واستمر أتابك العساكر، ثم غضب عليه في أول سنة ثمانمائة واعتقله بالاسكندرية الى أن مات في رمضان »[2] وقوله بخصوص بعض العلماء: « ولي قضاء غزة، ثم قضاء حلب، ثم قضاء العسكر بالقاهرة، ثم قضاء القدس، ثم مات بالقاهرة »[3] وقوله: « ناب في الحكم وهو شاب، ودرس وأفتى وولي افتاء دار العدل وتدريس الشيخونية المنصورية.. ثم ولي قضاء الشافعية استقلالا »[4].

كما كان كثيرا ما يقيس الوظيفة بالمترجم له، كنحو قوله: « وكان بيده عمالة المودع الحكمي فشانته هذه الوظيفة »[5] أو يقيسه بالوظيفة، كنحو قوله: « .. كان متساهلا في أحكامه »[6]. وما الى ذلك مما سوف يدرس تفصيلا في الفصل المعقود للمصادر التاريخية من هذه الدراسة.

(١٤) أعماله:

ويقتصر « ابن حجر » على اثبات أهم الأعمال، وهي تختلف ـ كذلك تبعا للتباين في الوظائف، واختلاف النوعيات المترجم لها لديه، ومن ذلك ما اثبت

---

(١) نفسه ص ٣/٢٥٧ تر ٧، وهو « الظاهر بن عبدالله الظاهري » (ت ٨٢٤ هـ./١٤٢١ م.).

(٢) المصدر السابق ص ٢/٨١ تر ٧١، وهو كمشبغا الحموي.

(٣) نفسه ص ٢/٣٧٧ تر ٥٠، وهو « موفق الدين الرومي » (ت ٨٠٩ هـ./١٤٠٧ م.).

(٤) نفسه ص ٢/١٨١ تر ٩٢، وهو « صدر الدين المناوي » (ت ٨٠٣ هـ./١٤٠١ م.)

(٥) نفسه ص ٢/٣٧٤ تر ٤١، وهو « تقي الدين الدجوي » (ت ٨٠٩ هـ./١٤٠٧ م.)

(٦) نفسه ص ٣/٢٠٦ تر ٦، وهو « علم الدين بن المنجا » (ت ٨٢٢ هـ./١٤١٩ م.)

في ترجمة « أمير علي » (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.)، وكان طبيبا معالجا من قوله: « ويقال عالج ثماني مائة وعشرة أرطال »[١]، وفي ترجمة « علي ابن أيبك » (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.) وقد كان شاعرا من قوله: « ..وقد يقع له المقطوع النادر كقوله مضمنا:

مليح قام يجذب بان فمال الغصن منعطفا عليه
وميل الغصن نحو أخيه طبع وشبه الشيء منجذب اليه[٢]

(من الوافر)

وقوله في ترجمة « كمشبغا بن عبدالله الحموي » (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.) وهو أمير تنقل في الوظائف حتى استقر أتابكا للعسكر: « ..وهو الذي جدد سور حلب وأبوابها، وكانت خرابا من وقعة هولاكو »[٣] وقوله في ترجمة « شيخ ابن عبدالله المحمودي » (ت ٨٢٤ هـ./١٤٢١ م.) وكان سلطانا: « وكان ممن سجن من مماليك الظاهر في فتنة منطاش بخزانة شمائل فنذر ان نجاه الله منها أن يجعلها مسجدا، ففعل ذلك في سلطنته »[٤]. وقوله في « قرا يوسف » (ت ٨٢٣ هـ./١٤٢٠ م.) وكان متغلبا على بلدان الشرق « ..استولى بعد اللنك على عراق العرب والعجم، ثم ملك تبريز وبغداد وماردين وغيرها من البلاد واتسعت مملكته حتى كان يركب في أربعين ألف نفس.. »[٥] وقوله في ترجمة « السراج البلقيني » (ت ٨٠٥ هـ./١٤٠٣ م.) وقد كان من فقهاء العلماء: « ..ولم يكمل من مصنفاته الا القليل، لأنه كان يشرع في الشيء فلسعة علمه يطول عليه الأمر حتى كتب من شرح البخاري على نحو من

---

(١) نفسه ص ٢/٧٥ تر٥١.
(٢) نفسه ص ٢/٧٥ تر٥٢.
(٣) المصدر السابق ص ٢/٨١ تر٧١.
(٤) نفسه ص ٣/٢٥٦ تر٦.
(٥) نفسه ص ٣/٢٣٠ تر٨.

عشرين حديثا مجلدين، وكتب على الروضة عدة مجلدات، وعلق بعض طلبته من خطه حواشي شيخه بالروضة خاصة مجلدين »[١] وقوله في ترجمة « الزين العراقي » (ت ٨٠٦ هـ./١٤٠٤ م.) وكان المنظور اليه في علم الحديث: « .. وصنف تخريج أحاديث الاحياء، وأكمل مسودته الكبرى قديما، ثم بيضه في نحو نصفه، ثم اختصره في مجلد واحد، وبيضه وكتب منه النسخ الكثيرة، وشرع في اكمال شرح الترمذي لابن سيد الناس ونظم الألفية في علم الحديث لابن الصلاح وشرحها، وعمل عليها نكتا وصنف أشياء أخرى كبارا وصغارا »[٢]. وهكذا..

ويلاحظ أن « ابن حجر » لم يكتف باثبات أبرز أعمال المترجم له، بل وتتبع مؤلفاته أو أجزاءها ودراستها في كثير من الأحيان، ومن ذلك قوله في ترجمة « تاج الدين الحميدي » (ت ٧٨٨ هـ./١٣٨٦ م.): « .. ورأيت بخطه تذكرة في نحو الستين مجلدة، وعبارته عامية وخطه رديء جدا »[٣] وقوله « ورأيت بخطه نسخة في مجلدة واحدة من صحيح البخاري في غاية الحسن »[٤] ناعتا لاحد أعمال « شمس الدين الموصلي » (ت ٧٧٤ هـ./١٣٧٣ م.) وقد شاكل ذلك مما سوف يفصل في موضعه من هذا البحث[٥].

(١٥) السجايا والصفات:

ويعني فيه بذكر ما يتصل بهيئة المترجم له من شكل ذميم أو صورة حسنة أو وجه مليح أو منظر بهي.. وملبس حسن أو هيئة رثة، أو ما يتصل

(١) نفسه ص ٢/٢٤٦ تر ٢١.
(٢) نفسه ص ٢/٢٧٦ تر ١٩.
(٣) نفسه ص ١/٣٢١ تر ٤.
(٤) نفسه ص ١/٥٣ تر ٣٩.
(٥) سوف يرد ذلك تفصيلا في الفصل المعقود للمصادر من هذا البحث.

بأخلاقه من اتصاف بالشهامة والشجاعة ووفور العقل والسكون وحسن الخلق والجد الذي لا يعرف الهزل أو ما كان عكس ذلك، أو ما يتصل بطبائعه من اتلاف للمال واسراف فيه أو حب له وضن به، ومن الرجوع الى الحق والعدل أو الجور وشدة الطيش.. وما الى ذلك[1].

(١٦) علاقاته بالأهل والأقران:

كما أن «ابن حجر» كثير العناية بالتنبيه على أهله ومن تجمعهم به علاقة سواء ممن يكون قد ترجم لهم في الانباء سابقا أو لاحقا أو من غيرهم كمحو قوله في ترجمة «السراج البلقيني» (ت ٨٠٥ هـ./١٤٠٣ م.): «لازم ابن عقيل وتزوج بنته سنة اثنتين وخمسين»[2]. وقوله في ترجمة «الفخر الكركي» (ت ٨٠٣ هـ./١٤٠١ م.): «..ثم دخل مصر فأقام بها مدة وتزوج بنت العلامة جمال الدين بن هشام»[3] وقوله في ترجمة «أبي المعالي الشيباني» (ت ٨١٧ هـ./١٤١٥ م.): «وقد تقدم ذكر أخيه جار الله بن صالح»[4] وكان قد ترجمه في حولية خمس عشرة وثمانمائة[5]. مع ملاحظة أنه في هذه الترجمة المشار اليها ـ ترجمة جار الله بن صالح ـ قد أشار الى متعلق بها في ترجمة سواه قائلا: «وهو الذي قال فيه صدر الدين الأدمي البيتين المشهورين، وسنذكرهما في ترجمته»[6] والبيتان هما:

يا متهمي بالصبر كن منجدي   ولا تطل رفضي فاني عليل
أنت خليلي فبحق الهوى   كن لشجوني راحما يا خليل
(من السريع)

---

(١) ورد ذلك تفصيلا في الفصل المعقود للنقد التاريخي من هذا البحث.
(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٢٤٦ تر٢١.
(٣) نفسه ص ٢/١٧٠ تر٦٨.
(٤) نفسه ص ٣/٤٣ تر٧.
(٥) نفسه ص ٢/٥٢٧ تر١٠.
(٦) نفسه ص ٢/٥٢٧ تر١٠.

وقد وردا في ترجمته للصدر الآدمي ضمن وفيات حولية ست عشرة وثمانمائة [١].

ومن ذلك قوله في ترجمة «ابن العديم الحنفي» (ت ٨١٩ هـ./١٤١٧ م.) «.. تقدم نسبه في ترجمة أبيه سنة احدى عشرة» [٢] مشيرا بذلك الى ترجمة «الكمال الحلبي»، وقد ورد النسب فيها متسلسلا على النحو الآتي: «عمر بن ابراهيم بن محمد بن عمر بن عبدالعزيز ابن محمد بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيي بن زهير ابن هارون بن موسى بن عيسى بن عبدالله بن أبي جرادة، محمد بن عامر العقيلي» [٣]. وقوله في ترجمة «جوهر القنقبائي» (ت ٨٤٤ هـ./١٤٤١ م.): «.. ثم اتصل بالملك الأشرف بواسطة جوهر اللالا الذي تقدم ذكر وفاته سنة ٢٤» [٤] والتنبيه الى صلة المترجم بذوي قرباه، كنحو قوله في ترجمة «الناصري البكري» (ت ٧٧٦ هـ./١٣٧٥ م.): «.. أخو صاحبنا عبدالوارث.. وقد تقدم ذكر أبيه في سنة ٧٧٤» [٥]. وقوله في ترجمة أبي الخير المالكي (ت ٧٧٦ هـ./١٣٧٥ م.): «.. تقدم ذكره مع أبيه» [٦] محيلا الى ترجمة أبيه وقد وردت في الحولية عينها. وقوله في ترجمة «ابن عثمان الشرمساخي» (ت ٧٧٩ هـ./١٣٧٨ م.): «.. وهو عم صاحبنا عزالدين ابن أبي طلحة» [٧].

---

(١) المصدر السابق ص ٣/٢٨ تر٢٢.
(٢) نفسه ص ٣/١١٨ تر٣٩.
(٣) نفسه ص ٢/٤١١ تر٢٥.
(٤) نفسه ص ٩/١٤٢.
(٥) نفسه ص ١/٨٩ تر٥٧.
(٦) نفسه ص ١/٩٨ تر٨٤.
(٧) نفسه ص ١/١٦٥ تر٢٤.

(١٧) علاقات ابن حجر بالمترجم لهم:

كما أن «ابن حجر» لا يغفل اثبات علاقاته بالمترجم لهم، مبينا رأيه فيهم، جرحا وتعديلا، أو نقدا وتقويما، ورأى «هؤلاء» فيه ـ كذلك ـ وهو مادرس تفصيلا في موضوعي المشاهدة والمشاركة، والنقد التاريخي من هذا البحث. ومن أمثلته قوله: «..وقدم القاهرة مرارا آخرها في الرسلية عن الملك المؤيد ـ قبل سلطنته ـ سنة ثمان، وحصل نسخة من تعليق التعليق وشهد لي في عنوانها بالحفظ وكتب خطه في أصلي»[١]. ـ وقد ورد في ترجمته «لابن حجي الحسباني» (ت ٨١٦ هـ. /١٤١٤ م.)، وقوله في ترجمة «الزين العراقي» (ت ٨٠٦ هـ. /١٤٠٤ م.): «ولم نر في هذا الفن ـ الحديث النبوي ـ أتقن منه، وعليه تخرج غالب أهل عصره.. لازمت شيخنا عشر سنين تخلل في أثنائها رحلاتي الى الشام وغيرها، وقرأت عليه كثيرا من المسانيد، وبحثت عليه شرحه على منظومته وغير ذلك، وشهد لي بالحفظ في كثير من المواطن، وكتب خطه بذلك مرارا، وسئل عند موته: من بقي في الحفاظ؟ فبدأ بي وثنى بولده، وثلث بالشيخ نورالدين.. ثم سأله الشيخ نورالدين الرشيدي على ما أخبرني بذلك ـ بعد ذلك ـ فقال: في فلان الكفاية، وذكر أنه عناني بذلك»[٢].

ولعل هذا العنصر من أهم عناصر الترجمات لدى الدارسين لابن حجر ومنهجه التاريخي، لما له من دور كبير في ابراز ذاتية كاتبه بالكشف عن علاقاته بالمترجم لهم ـ لديه ـ وارتباطه بهم بالقراءة أو الرواية أو الاسناد وكذا اتصاله بالأحداث واطلاعه على أحوال الدول وأسرارها، حيث لم تكن علاقاته منحصرة في دائرة الطلب والاشتغال، وانما كانت له علاقات أكيدة بالسلاطين ومن دونهم من الأمراء والوجهاء، على نحو ما هو بين في ترجمته من هذا البحث.

---

(١) المصدر السابق ص ١٩/٣ تر٦.
(٢) نفسه ص ٢٧٦ - ٢٧٧/٢ تر١٩.

التوازن الزماني

.. ومع ذلك فاننا لا نجد توازنا زمانيا بين حوليات الكتاب ـ أحداثه وترجماته لأن « ابن حجر » لم يكن من بين هؤلاء الذين يأخذون بالشكليات ـ على نحو ما هو مبين قبل ـ ولأن ديدنه في الالتزام بمنهج يلح به على تقرير شمولي لأحوال عصره فضلا عن أن هناك من الأسباب ما يجعل نشدان التوازن بين الحوليات متعذر الحدوث، كطبيعة الحوادث الواقعة ـ في كل حول ـ وجدارتها بالتسجيل أو الاهمال والحروب والطواعين والأوبئة وما ينتج عنها من كثرة القتلى والمتوفين..

لكن للافصاح عن منهجه في هذا الموضوع يمكن الاشارة الى أنه قد أورد في حوادث حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة قوله ـ بخصوص غلبة تمرلنك على اقليم خوارزم: « .. واستولى اللنك على خوارزم **فخربها كدأبه في غيرها من البلاد** »[١]. ثم عمد بعد ذلك الى توكيد هذه الخصيصة الملازمة « لتمرلنك » كلما سنحت له الحوادث بذلك، فقال في حوادث حولية ثمانمائة: « .. وفيها نازل تمرلنك الهند فغلب على دلي ـ كرسي المملكة ـ وقتل وفتك على عادته وخرب.. »[٢] ثم ألح على توكيد ذلك بقوله في حوادث حولية ثلاث وثمانمائة: « .. وهجم عسكر تمرلنك البلاد فأضرموا فيها النار وأسروا النساء والصبيان وبذلوا السيوف في الرجال والأطفال حتى صار المسجد الجامع كالمجزرة »[٣]، « .. وجافت النواحي من كثرة القتلى منهم وكادت الأرجل

---

(١) المصدر السابق ص ١/٢١.
(٢) نفسه ص ٢/٩.
(٣) نفسه ص ٢/١٣٥.

لا تطأ الا على جثة انسان، وبنى من رؤوس القتلى عدة مآذن منها ثلاثة في رابية ابن خجا»[1]، وقوله: «.. **ومات في هذا الشهر - أي الذي تغلب فيه تمرلنك على الشام - من لا يحصى عدده الا الله - تعالى - فمنهم من مات حريقا، ومنهم من عجز عن الهرب فمات جوعا، ومنهم من توجه هاربا فمات اعياء، ومنهم من كان ضعيفا فاستمر الى أن مات**»[2].

وهذا لا يتقرر الا بايراد شاهد له، والشواهد كثيرة، لكن أبلغها أثرا وتقريرا في نفس المطالع لتاريخه - قائمة الوفيات الواردة تلو حوادث حولية ثلاث وثمانمائة وقد احتوت على هذا التصنيف للموتى[3].

ترى لو عمد الى الموازنة بين عدد الترجمات فيها قياسا بغيرها من حوليات الكتاب يصيب مرماه؟.. انها نظرة مبتكرة في التأريخ، نظرة شمولية تبدو فيها الحوادث والتراجم وقد تعاونتا في تقرير منهجه والالحاح عليه، فالهدف اذا ليس شكليا تلزم فيه الحقيقة بارتداء لباس من التنسيق الفني.

---

(١) نفسه ص ١٣٥ - ٢/١٣٦.
(٢) نفسه ص ٢/١٣٩.
(٣) راجع: العلاقة بين التراجم والحوادث من هذا الباب.

الفصل الثالث

العلاقة بين التراجم والحوادث في الكتاب

توطئة: العلاقة من حيث الزمن. العلاقة من حيث الموضوع: الترجمة بالاحالة الكلية على الحوادث - الاحالة الى الحوادث في تضاعيف الترجمات - الاحالة الى تراجم الوفيات في الحوادث - الترجمة لبعض الوفيات في الحوادث - التكامل بين الترجمات والحوادث - علاقة السببية. تشكيل الحوادث لمادة التراجم. دور الترجمات في النقد التاريخي للحوادث. التراجم والبعد التاريخي لمادة الكتاب. العلاقة بين مادة الكتاب ومصادره كما تعكسها الترجمات. عمد «ابن حجر» الى التأريخ بالحدث والترجمة معا ودوافعه اليه..

العلاقة بين التراجم والحوادث

موضوع العلاقة بين التراجم والحوادث في موسوعاتنا التاريخية التراثية ـ من هذا النوع الذي نعرض له بالدراسة والنقد ـ من الموضوعات التي تناولتها أقلام كثيرة وأثارت حولها جدلا لا حدود له. ولا يهمنا في هذا الصدد تتبع هذه الظاهرة ومناقشتها تفنيدا أو اثباتا، وانما غايتنا أن نقرر حقيقة لا مجال للشك فيها، لكونها مبنية على دراسة عميقة لأغوار الكتاب الذي نعرض له بالدراسة والنقد والتقويم مفادها أنه توجد علاقات وثيقة بين مادة الكتاب: أحداثه وترجماته، وأن هذه العلاقات لم تأت عفوية أو ارتجالية، وانما كان وراءها أصبع «ابن حجر» التي وجدت في مناسبة الوفاة فرصة لاستخدامها في تحقيق هذه الغاية.

ومن الممكن أن نتتبع العلاقة بين التراجم والحوادث لديه على الأوجه الآتية:

أولا ـ العلاقة الزمانية بينهما:

توجد بين التراجم والحوادث في حيز الحولية الواحدة علاقة زمانية لاشتراكهما من حيث الوقوع والحدث في حيز زماني واحد، وهو الحول الواقع فيه كلاهما. باعتبار أن الوفاة ذاتها حدث تاريخي. فالعلاقة بينهما علاقة اثبات وتوزيع لحوادث ذوات نوعيات مختلفة من حيث التوصيف، الأولى: تحتوي

على أخبار متنوعة بين سياسية وادارية وثقافية.. والثانية: ذات تنوع مماثل ـ تقريبا ـ من حيث التوصيف، بيد أنها تتفوق عليها من حيث المنهج لحملها سمة مشتركة هي: الاخبار عن الوفاة ومفارقة الحياة المألوفة، مما جعلها تجتمع في حيز مكاني واحد، يلي ـ غالبا ـ الأحداث المذكورة في الحولية الواحدة، ويكون ذيلا عليها. وان تناثرت بعض ترجمات الوفيات واخبارها في صدر الحوادث أو خلال سردها.

ثانيا ـ العلاقة من حيث الموضوع:

وهذه العلاقة السالفة اقتضت من «ابن حجر» توزيع معلوماته التاريخية الواردة في مؤلفه على جزءي الكتاب: أحداثه وترجماته متبعا خطوات، وسالكا مسالك منها:

(أ) الترجمة بالاحالة الكلية على الحوادث:

وفيها يرد اسم المترجم له في الوفيات مجردا ـ في الغالب الأعم ـ من اية معلومات، اكتفاء بالاحالة الى الحوادث، التي غالبا ما تكون سابقة على ترجمته. ومن أمثلة ذلك ما ورد في ترجمة «الجاي اليوسفي» ضمن وفيات حولية خمس وسبعين وسبعمائة، حيث ذيل على اسمه بالعبارة التالية: «تقدمت ترجمته في الحوادث»[1] وما ورد في حولية ثمان وسبعين وسبعمائة، حيث ترجم للملك «الأشرف شعبان» بقوله: «.. مات مقتولا في ذي القعدة، وقد تقدم ذكره في الحوادث. عاش أربعا وعشرين سنة»[2] وفي حولية تسع وسبعين وسبعمائة يكتفي في ترجمته «لابن الكاسي» وزير صاحب فاس بالاحالة الى الحوادث قائلا: «.. تقدم ذكره في آخر الحوادث»[3] والشيء

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٦٤.
(٢) نفسه ص ١/١٤٠.
(٣) نفسه ص ١/١٦٢.

نفسه يفعله - تقريبا - في ترجمته « لقارا بن مهنا » أمير عرب آل فضل ضمن وفيات حولية احدى وثمانين وسبعمائة قائلا : « .. تقدم ذكره في الحوادث »[1] وفي ترجمته « لجركان الجركسي » ضمن وفيات حولية ثلاث وثمانين وسبعمائة قائلا : « ذكر في الحوادث، وقد تقدم في السنة التي قبلها »[2] وفي ترجمته « لعلي بن شعبان » قائلا : « .. تقدم في الحوادث »[3]، كما يكتفي بالترجمة « لابن الرويهب » - ضمن وفيات حولية أربع وثمانين وسبعمائة - بالعبارة التالية : « ولي الوزارة ثلاث مرات، وغيرها . وقد تقدم شرح حاله في الحوادث »[4] وفي وفيات حولية خمس وثمانين وسبعمائة يترجم « لقرط بن عمير الكاشف » بالعبارة التالية : « تقدم في الحوادث »[5]، والشيء نفسه يفعله - تقريبا - في ترجمته « لمحمد ابن محمد بن أقبغا آص » - ضمن وفيات حولية خمس وتسعين وسبعمائة - قائلا : « تقدم ذكره في الحوادث »[6] وفي ترجمته « لمنطاش التركي الأشرفي » قائلا : « تقدم ذكره في الحوادث »[7] وفي ترجمته « لابن التركية » - ضمن وفيات حولية ست وتسعين وسبعمائة - قائلا : « .. كان شجاعا بطلا، وقد ذكر في الحوادث، مات في ربيع الآخر»[8] وفي ترجمته « لمحمود بن علي بن أصفر عينه السودوني » - ضمن وفيات حولية تسع وتسعين وسبعمائة - قائلا : « .. تقدم ذكره في الحوادث مفصلا »[9] ويترجم « لعبدالله بن أحمد بن ابراهيم المريني » - صاحب فاس وبلاد المغرب - ضمن وفيات حولية ثمانمائة مكتفيا بقوله : « .. وقد تقدم ذكره في

---

(١) نفسه ص ١/٢٠٥ .
(٢) نفسه ص ١/٢٤٥ .
(٣) نفسه ص ١/٢٤٧ .
(٤) نفسه ص ١/٢٧١ .
(٥) نفسه ص ١/٢٨٤ .
(٦) نفسه ص ١/٤٦٤ .
(٧) نفسه ص ١/٤٦٥ .
(٨) المصدر السابق ص ١/٤٨٠ .
(٩) نفسه ص ١/٥٤٢ .

الحوادث »[1] وفي ترجمته « لطوغان » الذي كان نقيبا للأحمدية قوله: « .. وقد تقدم ذكره »[2] وان كرر له ترجمة في وفيات الحولية عينها[3]. وفي وفيات حولية خمس وثمانمائة يترجم « لسودون طاز » بالعبارة التالية: « .. تقدم ذكره في الحوادث، وكان مسجونا فمات بقلعة المرقب. مات في هذه السنة »[4] وفي وفيات حولية ست وثمانمائة يترجم « لدمشق خجا بن سالم الدوكاري » قائلا: « ... تقدم ذكره في الحوادث، قتل في رمضان من هذه السنة »[5] وفي ترجمته « لابن غراب » ـ ضمن وفيات حولية ثمان وثمانمائة ـ يكتفي بقوله: « .. مضى ذكره في الحوادث »[6] وفي ترجمته « لعبدالله ابن عبدالرحمن العلوي » قائلا: « .. تقدم ذكره في الحوادث »[7] ويكتفي بالاحالة الى الحوادث في ترجمته « لآقبغا القديدي » و « تمراز الناصري » و « جانم » و « حاجي الأشرف شعبان » ـ ضمن وفيات حولية أربع عشرة وثمانمائة ـ قائلا: « .. تقدموا في الحوادث »[8] وفي ترجمته « لخاير باك »[9] و « قزدمر الحسني »[10] و « يشبك الموساوي »[11] يكتفي بالعبارة التقليدية « تقدم في الحوادث » وفي ترجمته « لقطلوبغا الخليلي » ـ ضمن وفيات حولية احدى وعشرين وثمانمائة ـ قائلا: « .. وقد تقدم له ولأبيه ذكر في الحوادث

---

(١) نفسه ص [illegible] .
(٢) نفسه ص [illegible] .
(٣) نفسه ص ٥ [illegible] .
(٤) نفسه ص ٣[illegible] .
(٥) نفسه ص ٧٤[illegible]٢ .
(٦) نفسه ص ٢/٣٣٠ .
(٧) نفسه ص ٢/٣٣٨ .
(٨) بفسه ص ٢/٤٩٧ .
(٩) نفسه ص ٢/٤٩٨ .
(١٠) نفسه ص ٢/٥٠٢ .
(١١) نفسه ث ٢/٥٠٤ .

ومات في نصف ذي الحجة، ولم تطل مدته في السعادة »[1] وفي ترجمته « لمسعود الكججاني » ـ الواقعة ضمن وفيات حولية اثنتين وعشرين وثمانمائة ترد العبارة التالية: « .. كان ولي نظر الأوقاف وقد مرت سيرته في الحوادث، وهي من أقبح السير. مات في ثاني عشر جمادي الأولى »[2] وفي حولية ثلاث وعشرين وثمانمائة يكتفي في الترجمة « لابراهيم بن السلطان المؤيد » ضمن وفياتها بالعبارة التالية: « تقدم في الحوادث »[3] وفي ترجمته « لابن عطاء الله الهروي » الواقعة ضمن وفيات حولية تسع وعشرين وثمانمائة يكتفي بالعبارة التالية: « .. وقد تقدمت أخباره مفصلة في سنة ثماني عشرة وفي سنة احدى وعشرين، وفي سنة سبع وعشرين، وكان قد حج في سنة ثمان وعشرين، ثم رجع الى القدس فمات وهو شيخ الصلاحية »[4] وفي ترجمته « لزين الدين الكوم ريشي » الحنفي ـ ضمن وفيات حولية اثنتين وثلاثين وثمانمائة ـ يكتفي بقوله: « .. مات في هذه السنة وقد تقدم خبره في حوادث سنة عشر وثمانمائة »[5] وفي ترجمته « للبهلوان » ـ ضمن وفيات حولية ست وثلاثين وثمانمائة ـ يكتفي ـ كذلك ـ بقوله: « .. مات في شوال بآمد، وخرج اقطاعه باسم الأمير آقبغا الجمالي الذي ولى الأستادارية مرتين، وتقدم ذكره في الحوادث »[6].

---

(١) المصدر السابق ص ٣/١٨٥.
(٢) نفسه ص ٣/٢١٠.
(٣) نفسه ص ٣/٢٢٧.
(٤) نفسه ص ٣/٣٣٧.
(٤) نفسه ص ٣/٣٣٧.
(٥) نفسه ص ٣/٤٢٥. ويلاحظ أن نسخة السعيدية هي الوحيدة المتفردة بالاحالة الى هذه الحولية، أما باقي النسخ فتحيل مجانبة الصواب الى حولية « ست عشرة وثمانمائة ».
(٦) نفسه ص ٣/٥٠٤.

(ب) الاحالة الى الحوادث في تضاعيف الترجمات:

وفيها يحيل في تضاعيف ترجماته الى الحوادث، مكتفيا فيها بهذه الاحالات، أو يلخص ما يتعلق بشخصية المترجم له محيلا الى تفصيلاتها في الحوادث. من ذلك ما ورد في حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة بخصوص ترجمة «ابن عرام» من احالة الى الحوادث قائلا: « .. تقدم ذكر قتله في الحوادث »[1] يريد بذلك خبرا أشار فيه الى تسميره وانزاله، وضرب مماليك «بركة» له بالسيوف، ثم تعليق رأسه بعد مقتله على باب زويلة، نتيجة لاتهامه بقتل «بركة» بغير اذن له، وان أظهر خط الأمراء بذلك[2]. والشيء نفسه يفعله بترجمته «لجار الله» قائلا: « .. وقد تقدم في الحوادث ما اتفق له من ارادة اقامة المودع للحنفية »[3] محيلا على خبر ورد في حولية احدى وثمانين وسبعمائة، وهو: « .. وفيها تكلم جار الله قاضي الحنفية في اعادة ما كان السراج الهندي سعي فيه من احداث مودع للحنفية، وفي استنابة القضاة في البر وفي لبس الطرحة في المواكب وكل ذلك مما جرت به العادة القديمة بانفراد الشافعي به، واتفق أن السراج أجيب الى ذلك فشغله الضعف عنه الى أن مات، فأجيب سؤال جار الله الى ذلك، ولبس خلعة لذلك، وعين شخصا يكون أمين الحكم، ومكانا يكون مودعا، فشق ذلك على برهان الدين بن جماعة وسعي في ابطاله، وساعده الشيخ أكمل الدين وغيره.. فنفر برقوق من ذلك وأمر بابطال ذلك »[4] والملاحظ أن هذا الخبر مرتبط بخبر يسبقه يدخل في بابه، وقد تضمنه الخبر المحال اليه[5]. كما يحيل الى الحوادث في ترجمته «لمنكلي بغا البلدي» ضمن وفيات سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة قائلا: « ..

---

(١) المصدر السابق ص ١/٢٢٧.
(٢) نفسه ص ١/٢١٥.
(٣) نفسه ص ١/٢٢٩.
(٤) نفسه ص ١٩٣ - ١/١٩٤.
(٥) نفسه ص ١/١٤.

وقدم في رمضان سنة ثمانين بطالا، ثم ولي نيابة صفد في المحرم سنة احدى وثمانين، ثم نقل في شعبان منها الى طرابلس، ثم الى حلب في ربيع الأول، كما تقدم في هذه السنة »[1]. حيث ورد في تضاعيف حوادث حولية اثنتين وثمانين وثمانمائة ـ المشار اليها ـ قوله: « .. وقرر نائب طرابلس منكلي بغا الأحمدي في نيابة حلب الى أن مات في جمادي الآخرة.. »[2] وان عاد الى مضمون ذلك مكررا في الحولية نفسها قائلا: « .. وفيها اعيد منكلي بغا البلدي الى نيابة حلب.. »[3] كما يحيل الى الحوادث في تضاعيف ترجمته « لبركة بن عبدالله » قائلا: « .. تقدم في الحوادث »[4] وهي احالة الى مواضع كثيرة فائتة »[5]. وفي ترجمته « لحسين بن أويس بن حسين » صاحب تبريز وبغداد ـ ضمن وفيات حولية ثلاث وثمانين وسبعمائة ـ يحيل الى لاحق من الحوادث قائلا: « .. واستقر بعده أحمد في السلطنة وقيل كان ذلك في ربيع الآخر من السنة التي بعدها وسيأتي »[6] يريد بذلك ما ورد في تضاعيف حوادث حولية أربع وثمانين وسبعمائة من قوله: « .. وفيها قتل حسين بن أويس، اغتاله أحمد ابن أويس ـ أخوه ـ سلطان بغداد ـ وكان استنابه على البصرة، وتوجه الى تبريز فمالأ أحمد الأمراء عليه حتى قتل، واستقل أحمد بالسلطنة »[7] ويلاحظ أن « ابن حجر » قد تأرجح في تأريخ وفاته، كما يلاحظ أنه ترجم له في حوادث حوليته تلك[8] وفي حولية خمس وثمانين وسبعمائة في ترجمته لابراهيم بن رمضان التركماني، حيث قال: « .. كان مقدما على العساكر لما واقعهم

---

(١) نفسه ص ١/٢٣٠.
(٢) نفسه ص ١/٢١٢.
(٣) نفسه ص ١/٢٢٠.
(٤) المصدر السابق ص ١/٢٢٢.
(٥) نفسه صفحات: ١٥٠، ١٥٢، ١٥٤، ١٧٨، ١٧٩، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٠، ٢١١، ١/٢١٥.
(٦) نفسه ص ١/٢٤٦.
(٧) نفسه ص ١/٢٦٣.
(٨) نفسه ص ٢٦٥ - ١/٢٦٦.

عسكر حلب مع يلبغا الناصري، كما مضى في الحوادث..»[1] يريد بذلك ما ورد بخصوصه في تضاعيف حولية خمس وثمانين وسبعمائة من قوله: «.. وفيها سار يلبغا الناصري بالعساكر الحلبية وبعض الشامية الى جهة التركمان فنازلوا أحمد بن رمضان التركماني فتواقعوا عند الجسر على الفرات، فانكسر التركمان واسر ابراهيم بن رمضان وابنه وأمه، فوسطهم يلبغا الناصري..»[2] وفي حولية ست وثمانين وسبعمائة في ترجمته «لمحمد بن مكي العراقي» يحيل الى الحوادث قائلا: «.. وقد تقدم ذكره في حوادث سنة احدى وثمانين والله أعلم»[3] يريد بذلك ما ورد في حوادث حولية احدى وثمانين وسبعمائة من أنه «فيها قتل محمد بن مكي الرافضي بدمشق بسبب ما شهد به عليه من الانحلال واعتقاد مذهب النصيرية واستحلال الخمر الصرف، وغير ذلك من القبائح، في جمادي الأولى وأرخه بعض أصحابنا في سنة ست وثمانين والله أعلم»[4] والملاحظ هنا أنه ترجمه في الحوادث مرة، وفي الوفيات أخرى، محيلا على الحوادث، وان ظهر تأرجحه في تأريخ وفاته. وفي حولية تسع وثمانين وسبعمائة يحيل الى الحوادث في تضاعيف ترجمته «لكبيش بن عجلان» قائلا: «.. قتل في الوقعة التي تقدم ذكرها في الحوادث»[5] رادا ذلك الى خبر ورد في الحولية نفسها هو: «.. وفيها جمع كبيش العربان ونهب جدة، وأخذ منها للتجار ثلاثة مراكب، وتقاتل هو وعنان أمير مكة فقتل كبيش في المعركة بعد أن كاد يتم له النصر، وذلك بأذاخر بالقرب من مكة»[6]..

---

(١) نفسه ص ١/٢٨٠.
(٢) نفسه ص ١/٢٧٩.
(٣) نفسه ص ١/٢٩٩.
(٤) المصدر السابق ص ١/٢٠٠.
(٥) نفسه ص ١/٣٤٣.
(٦) نفسه ص ١/٣٣٢.

(جـ) الاحالة في الحوادث الى ترجمات الوفيات:

وتتجلى هذه العلاقة بين «الترجمات» و «الحوادث» من خلال تتبع بعض الاحالات الواردة في «الحوادث» ردا على «الترجمات» ومنها ما ورد في حوادث حولية تسع وثمانين وسبعمائة في معرض الاخبار عن السبب في عزل أبي البقاء من القضاء من قوله: «.. وقرأت بخط القاضي تقي الدين الزبيري أن سبب عزل أبي البقاء ما تقدم من قصة أمين الحكم..»[1]، والقصة المشار اليها وردت في ترجمة «أحمد بن محمد الزركشي» أمين الحكم بالقاهرة، الواردة ضمن ترجمات وفيات حولية ثمان وثمانين وسبعمائة مسندة الى المصدر عينه ـ حيث يقول: «.. وضاع للأيتام عنده أموال عظيمة، قرأت بخط تقي الدين الزبيري أنها تزيد على ثلاثمائة ألف درهم تكون نحوا من خمسة عشر ألف دينار، فبيع موجودة فكان دون النصف. قلت والذي تحرر لي أن المقاصة وقعت على ربع وسدس عن كل درهم وبلغ السلطان ذلك فأسرها في نفسه على القاضي حتى عزله في السنة التي بعدها»[2]. وفي أحداث حولية اثنتين وتسعين وسبعمائة يشير الى مقتلة أهل بانقوسا وحلب وانتصار كمشبغا عليهم: «.. وقتل قاضي حلب وغيره صبرا كما سيأتي في الوفيات»[3] وفي حولية سبع وتسعين وسبعمائة يذكر في الحوادث مكايدة اللنك لابن عثمان حتى طرقه وأسره مشيرا الى أنه سيذكر «شيئا من أخباره وسيرته في سنة وفاته..»[4] وفي حولية خمس وثمانمائة يشير الى الشيخ بدرالدين الجيلاني «رسول صاحب ماردين» الى «دمشق» بكتاب تمرلنك ـ في الحوادث ـ محيلا الى ترجمة أبيه قائلا: «.. وقد تقدم ذكر أبيه في سنة خمس وسبعين»[5]

---

(١) نفسه ص ١/٣٣١.
(٢) نفسه ص ١/٣٢٢.
(٣) نفسه ص ١/٣٩٨.
(٤) المصدر السابق ص ١/٤٩٢.
(٥) نفسه ص ٢/٢٢٩.

حيث ترجم له ضمن وفيات الحولية المشار اليها تحت اسم « حسين بن محمد ابن شبشق بن محمد بن عبدالعزيز بن الشيخ عبدالقادر الجيلاني »[1] وفي حولية ثلاثين وثمانمائة يشير الى استقرار بهاء الدين بن حجي في قضاء الشام محيلا الى ترجمة والده « .. سيأتي ذكر قتل أبيه في ترجمته »[2] حيث عقد ترجمة « لنجم الدين بن حجي » في الحولية عينها مشيرا الى أن مقتله مرده الى تسلط الشريف عدوه عليه واذلاله له كثيرا » .. فعمل عليه الى أن قتل في منزله غيلة وذهب دمه هدرا[3].

(د) الترجمة لبعض الوفيات ضمن الحوادث:

وتظهر العلاقة بين « التراجم » و « الحوادث » في الترجمة لبعض الوفيات في الحوادث، مع ادراك « ابن حجر » لذلك ونصه عليه في أكثر من موضع بعبارات منها: « تقدمت ترجمته في الحوادث » « تقدم ذكره في الحوادث »، « تقدم في الحوادث »، « وقد ذكر في الحوادث »، « مضى ذكره في الحوادث »..

ومن نماذج الترجمات الواردة ضمن الحوادث ما ورد بخصوص « ابن غراب » في حوادث حولية ثمان وثمانمائة، حيث قال: « .. وفي العشرين منه (من رمضان) مات ابن غراب - سعدالدين ابراهيم بن عبدالرزاق بن غراب - وكان جده غراب أول من أسلم من آبائه وباشر بها الى أن اتهم أنه كان ممن دل الفرنج - لما هجموا الاسكندرية - على عورات المسلمين، فقتل ابن غراب سنة سبع وستين وسبعمائة، ونشأ ابن عبدالرزاق الى أن ولي نظر الاسكندرية، ومات في نحو الثمانين، وخلف ولدين صغيرين أكبرهما يسمى ماجدا وأصغرهما ابراهيم، فلما تمكن محمود من الظاهر دخل الاسكندرية فآوى اليه

---

(١) نفسه ص ١/٦٥.
(٢) نفسه ص ٣/٣٨٤.
(٣) نفسه ص ٣/٣٩١.

ابراهيم وهو يومئذ يكتب في العرضة تحت كنف أخيه ماجد الذي تلقب بعد ذلك فخر الدين وتسمى محمدا فقربه محمود ودربه وخرجه الى أن مهر بسرعة وجادت كتابته وحمد محمود ذهنه وسيرته فاختص به وتمكن منه بحيث صار يدري بجميع أموره وتعلم لسان الترك حتى حذق فيه فاتفق أنه عثر عليه بخيانة، فخاف ابن غراب من سطوته بل استدرك نفسه وانضوى الى ابن الطبلاوي - وهو يومئذ قد قرب من قلب الظاهر في ولاية القاهرة فلم يزالا به حتى بطش بمحمود وآل أمره الى استنفاد أمواله وموته بحبس أولى الجرائم، وتقلب ابن غراب في ماله فيما يستحي من ذكره لكثرته، ولازم خدمة ابن الطبلاوي الى أن قبض عليه بأمر الظاهر، ثم كان من أوصياء الظاهر، ثم اختص بيشبك وتنم وغيرهما من أكابر الظاهرية، ثم تشتت شمل أكثر الباقين. وتمكن ابن غراب حتى استحضر أخاه فخرالدين فقرره وزيرا ثم لما استقر في كتابة السر ونظر الجيش أضاف اليه نظر الخاص، ثم لبس الأستادارية وتزيا بزي الجند، وضربت على بابه الطبول وعظم جدا، حتى انه لما مرض كان الأمراء يعودونه قياما على أرجلهم وكان هو السبب في فرار الناصر وتركه المملكة واقامته عنده تلك المدة مختفيا حتى تمكن مما أراد من ابعاد من يود الناصر وتقريب من يبغضه، فلما تكامل له جميع ما أراد لحظته عين الكمال بالنقص فرض مدة طويلة بالقولنج الى أن مات.

فلما عاد الناصر الى المملكة بتدبير ابن غراب ألقي اليه بالمقاليد فصار يكثر الامتنان على جميع الأمراء بأنه أبقى لهم منهجهم وأعاد اليهم ما سلبوه من ملكهم، وامدهم بماله عند قتلهم، وكان يصرح بالتمكين أنه أزال دولة وأقام أخرى، ثم أعاد الأولى من غير حاجة الى ذلك، وأنه لو شاء لأخذ الملك لنفسه من غير مانع، وأهان كاتب السر فتح الله وصادره، ولبس مكانه، ثم ترفع عن كتابة السر فولاها كاتبا عنده يقال له الفخر بن المزوق، وكانت جنازته مشهودة. مات ضحوة يوم الخميس التاسع عشر من رمضان، وبات في قبره ليلة سبع وعشرين من رمضان، ولكن كان ابن غراب محبوبا

الى العامة لما قام به في الغلاء والفناء مع اطعامه الفقراء وتكفينه الأموات من ماله وكان يحب الانفراد بالرياسة، مليح الشكل، جميل الصورة، شديد للزهو، يظهر التعفف، شديد العجب، مفضالا وهابا وافر الحرمة كثير البذل والله يسامحه. وكان قد بلغ من المملكة ما لم يبلغه أحد مات بعلة القولنج الصفراوي بعد أن صار أميرا بتقدمة ألف، وتنقل في الولايات من نظر الخاص والجيش والأستادارية وكتابة السر وغير ذلك على ما سلف من الحوادث، وكان يدري اللغة التركية مع الدهاء والمكر والمعرفة التامة بأخلاق أهل الدولة.

ولقد تلاعب بالدولة ظهرا وبطنا، وخدم عند الأضداد، وعظم قدره حتى شاع أنه لا بد أن يلي السلطنة، ولم يوجد له كثير من المال بل مات عليه من الديون ما لا يدخل تحت الحصر»[1].

وطبيعي أن يلي اسمه ضمن وفيات حولية ثمان وثمانمائة ـ بعد هذه الترجمة المطولة التي يندر مثيلاتها في تراجم الوفيات ـ خلوا من أية معلومات عنه، اللهم الا احالة كلية الى الحوادث حيث قال: «ابراهيم بن عبدالرزاق بن غراب. معنى ذكره في الحوادث»[2].

وأمثلة هذه النوع من العلاقة بين التراجم والحوادث كثيرة الشيوع في الكتاب لا تحتاج الى اشارة أو تنبيه بأكر من هذا.

(هـ) التكامل بين الترجمات والحوادث:

ومما يظهر العلاقة بين «التراجم» و «الحوادث» ما تميز به الكتاب موضع الدراسة من جمع لحشد كبير من المعلومات التاريخية التي حاول مؤلفه ايداعها

---

(١) ...ر السابق ص ٣٢٨ - ٢/٣٣٠.
(٢) ... ص ٢/٣٣٠.

فيه مجتزئا فأتت موزعة على « الحوادث » و « الترجمات »، وكان بذلك يؤرخ بالحدث والترجمة معا.

وسوف أقتصد في هذا الموضع في ايراد الأمثلة منعا للتطويل مكتفيا بايراد مثالين أحدهما يتعلق بخبر لا يمكن تقديره واكتماله الا بمتعلق له في ترجمة احدى الوفيات، وهو « ضمان المغاني » والثاني يتعلق بعلم لا تعد ترجمته مكتملة في بابها مدركا قيمتها ـ على الوجه المرجو ـ الا يتتبع ما ورد بخصوصها في الحوادث، وهو « برهان الدين بن جماعة »، حيث أن « ابن حجر » لم يكن يؤرخ للاحداث المتعلقة به البتة، وانما كان يتتبع جوانب حياته بالترجمة والبسط مهيئا نفس المطالع لتقبل المعلومات الواردة في ترجمته في سنة الوفاة.

أما بخصوص « ضمان المغاني » فلقد وردت معلومات عنه في مواضع ثلاثة هي حوادث حولية « خمس وسبعين وسبعمائة » حيث قال: « .. وفيها في صفر أبطل الملك الأشرف ضمان المغاني ومكس القراريط التي كانت في بيع الدور، وقرىء بذلك مرسوم على المنابر، وكان ذلك بتحريك الشيخ سراج الدين البلقيني، وأعانه أكمل الدين وبرهان الدين بن جماعة، ويقال: ان السلطان توعك فأشاروا عليه بذلك فاتفق أنه عوفي فأمضى ذلك واستمر »(١) وفي حولية ثمان وسبعين وسبعمائة حيث ورد في حوادثها ما نصه: « .. فيها تمرض السلطان ثم تعافى ثم انتكس.. وفي أثناء ذلك كان ابن آقبغا آص تكلم في اعادة ضمان المغاني، فبلغ ذلك برهان الدين بن جماعة فغضب وامتنع من الحكم فتكلم الشيخ سراج الدين البلقيني وغيره مع السلطان في ذلك فأنكره وأمر بابطال ذلك من مصر والشام وقبض بعد مدة يسيرة على ابن أقبغا آص ونفي الى الشام وصودر. وكان ضمان المغاني من القبائح الشنيعة ما كان أحد يقدر يعمل عرسا حتى يغرم قدر عشرين الى ثلاثين مثقال ذهب، وكانوا

(١) المصدر السابق ص ٥٨ ـ ١/٥٩.

بمصر والقاهرة لا تغيب مغنية عن بيتها ـ ولو الى زيارة أهلها ـ الا ان أخذ منها الضامن لها رشوة. وأما ببلاد الريف فكان للمغاني حارة مفردة يعمل فيها من الفساد جهرا ما يقبح ذكره ومن اجتاز بها غلطا ألزم بأن يزني بخاطئة فان لم يفعل فدى نفسه بشيء »[١].

المفهوم ـ اذن من هذين الموضعين ـ أن ضمان المغاني كان من الأشياء مستقبحة الحدوث، وأن الذي ساعد على ابطاله اعانة بعض العلماء للسلطان على ابطاله في ساعة ضعف وتمرض يعانى السلطان فيها وينتكس.

لكن هذا المفهوم يعد ناقصا ـ تماما ـ بدون اضافة بعد جديد له لا يوجد الا في تراجم الوفيات، حيث ورد في ترجمة « دنيا بنت الأقباغي » المغنية الدمشقية ـ ضمن وفيات حولية تسع وسبعين وسبعمائة ـ ما نصه: « .. وهي كانت من أعظم الأسباب في اسقاط مكس المغاني، سألت السلطان في ذلك فأجاب اليه، ثم أراد ابن أقبغا آص اعادته فتكلم ضياء الدين والشيخ سراج الدين البلقيني مع الأشرف وهو ضعيف فأنكر على ابن أقبغا آص ذلك واستمر ابطاله »[٢].

ويبدو أن ضمان المغاني قد استمر ابطاله في مصر والقاهرة وحدهما لأن « ابن حجر » سوف يشير في موضع آخر الى ابطال « برقوق » لضمان المغاني في الشام.

وهكذا لا يمكن اعتماد الحوادث وحدها في هذا الموضع وأمثلته بدون الرجوع الى التراجم لاستكماله وتتبع خيوطه وابعاده.

أما بخصوص العلم المشار اليه وهو « برهان الدين بن جماعة » فاننا نجدنا مع « ابن حجر » وقد ترجم لهذه الشخصية الفذة من خلال تدوينه للأحداث

---

(١) نفسه ص ١/١٢٧.
(٢) المصدر السابق ص ١/١٦٤.

المتعلقة به ـ عن عمد وقصد الى ذلك ـ والا لأتت تلك الحوادث مجردة كمثيلاتها في مواضع كثيرة من كتابه.. حيث نطالع في اولى حوليات كتابه ـ سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وحتى سنة تسعين وسبعمائة حلقات من جوانب ترجمته «لبرهان الدين بـن جماعة» تشبه الى حد كبير حلقات مسلسلة في حبكة قصصية تبرزه أمامنا فارسا ذا شخصية تاريخية متفردة في عصره، والسر في تفردها هو اتيانها بما لا يعد مألوفا في عصرها وان كان مألوفا أن يرد منها مثل ذلك..

أشار «ابن حجر» في حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة الى خبر هذا نصه:

«.. وفيها استقر القاضي برهان الدين بن جماعة في قضاء الشافعية عوضا عن أبي البقاء السبكي.. واستمر المنصب شاغرا الى أن وصل الخطيب برهان الدين بن جماعة في خامس جمادي الآخرة»[1].

يمكننا أن نعتبر هذا الخبر مفيدا في موضعه، تاما لمقصده، فهو مماثل لمثل ما ورد عن غيره في مثل هذه الحالة من الاستقرارات الوظيفية، وكان فيه كفاية لو أن «ابن حجر» كان يبتغي من ايراده الأخبار مجردة عن ذوات القائمين بها، لكنّه عمد الى ما هو أبعد من ذلك.. الى الترجمة لابن جماعة بسرد أخباره، ولذا نجده يذيل على هذا الخبر وفي نفس الموضع بقوله: «.. وكان برهان الدين ـ حين عزل أبو البقاء ـ بدمشق زائرا لأهله مَن ربيع الأول ورجع بعد خمسين يوما بعد أن فوض له النائب نظر القدس والخليل فخالفه البريدي في الطريق، فأمره النائب بلحاقه الى القدس فلحقه، فخطب في السادس عشر من جمادي الأولى خطبة بليغة تعرض فيها لتوديعهم فأبكاهم وتوجه على البريد فلما اجتمع بالسلطان عرض عليه المنصب، فاشترط شروطا كثيرة فالتزم له السلطان بها، ولبس الخلعة وركب في حشمة عظيمة وأبهة

(١) نفسه ص ١٢ ـ ١/١٣.

زائدة، فراح الناس الى تهنئته حتى القاضي المعزول فرحا منه به لعلمه برياسته وحسن سياسته »[1].

ليس الهدف اذن لدى « ابن حجر » محصورا في ايراد خبر عن استقرار وظيفي من مئات الأخبار الواردة بخصوص ذلك في سائر جوانب الكتاب، ولكن من وراء ذلك بعد آخر هو التعريف تباعا على هذه الشخصية حتى تكتمل اعمالها فلا يكون بعدها الا التعريف بأبرز مكوناتها، لقد ذيل على هذا الخبر الخاص بالاستقرار الوظيفي بأمور أبرزت الآتي:

(١) موضع الآتي وأصله، حيث وجوده في دمشق « زائرا لأهله.

(٢) وظائفه فيما قبل توليه قضاء الشافعية « الخطابة » بالاضافة الى « نظر القدس والخليل ».

(٣) شعبيته في موضعه، وفي الموضع المنقول اليه: « فخطب.. خطبة بليغة تعرض فيها لتوديعهم فأبكاهم »، « فراح الناس الى تهنئته ».

(٤) عزمه وقوة ارادته وغلبة شخصيته « فلما اجتمع بالسلطان عرض عليه المنصب فاشترط شروطا كثيرة فالتزم له السلطان بها ».

(٥) مكانته في نفوس الخاصة والعامة « ولبس الخلعة وركب في حشمة عظيمة وأبهة زائدة » وفرح الناس به بالاضافة الى خروج القاضي المعزول لتلقيه « فرحا منه به ».

(٦) بيان ما يتمتع به من سمعة علمية فخطبته « بليغة » كما أن له « رياسة وحسن سياسة ».

هكذا أفصح عن خبر وهو الاستقرار الوظيفي، ثم قرنه بمعلومات لا بأس

---

(١) المصدر السابق ص ١/١٣.

بها عن هذه الشخصية في أولى جوانب التعريف بها.

ونترك هذه الحولية، وهذا الموضع لنجدنا مرة ثانية مع «ابن جماعة» في حولية ست وسبعين وسبعمائة، حيث يطالعنا «ابن حجر» عنه بخبر مفاده: «وفي رابع عشري ذي الحجة عزل القاضي برهان الدين بن جماعة» نفسه من القضاء بسبب تثقيل بعض الأمراء عليه في أمر بعض الموقعين فراسله السلطان فامتنع فأرسل اليه بهادر ـ أمير آخور ـ فحلف عنده بالطلاق أن السلطان حلف بالطلاق أنه ان لم يجب الى العود نزل اليه الى بيته وألزمه به فلم يزل به الى أن ركب معه الى القلعة فاجتمع بالسلطان فسأله أن يعود وألح عليه فكان آخر كلامه الامهال الى أن يستخير الله ـ تعالى ـ في ليلته، فلما أصبح طلع الى القلعة في الخامس والعشرين من ذي الحجة واشترط شروطا أجابه السلطان اليها ونزل في أبهة عظيمة الى الغاية وازدادت مهابته وتصميمه في الأمور»[1].

في هذا الموضع ـ كذلك ـ لم يأت الخبر مجردا، وانما ربط «ابن حجر» بينه وبين شخصية «ابن جماعة» بعد أن تتبعه في يومين متتاليين أفصح في الاخبار عنها بالآتي:

تصميم «ابن جماعة» في الأمر، فهو لا يقبل «تثقيل بعض الأمراء عليه في أمر بعض الموقعين» فاندفع يعزل نفسه والسلطان يراسله فيمتنع ويرسل اليه مغلظا الايمان في العود فلا يكون طلوعه اليه الا بعد جهد معه «.. فلم يزل به الى أن ركب معه الى القلعة» والسلطان يسأل ملحا في العود و «ابن جماعة» لا يكون منه الا الإرجاء و «الامهال الى أن يستخير الله ـ تعالى ـ في ليلته» كل هذا لا ينزل من مكانته لدى الناس، حتى ولو كان منعم السلطان «فلما أصبح طلع الى القلعة.. واشترط شروطا أجابه السلطان اليها» وانما يكون معه الاجلال والتعظيم له حيث «نزل في أبهة عظيمة الى الغاية» وكذا

---

(١) المصدر السابق ص ١/٧٣.

زيادة مكانته في نفوس الناس، وزيادة اعتداده بعلمه «وازدادت مهابته وتصميمه في الأمور».

وكان «ابن حجر» قبلها قد أورد له دورا في ابطال «ضمان المغاني» و «مكس القراريط»، فأظهر له ولرجال الدين دورا في رفع المعاناة عن الناس وصونا لهم من القبائح.

ثم نجدنا مع ابن جماعة في موضع آخر من الحوادث وقد ترسخت مكانته في الأذهان، حيث ورد بخصوصه في حوادث حولية تسع وسبعين وسبعمائة ما نصه: «.. وفي شعبان عزل القاضي برهان الدين بن جماعة نفسه عن القضاء لوقوع هذه الفتن، وكان قد انقطع عن حضور المواكب»[1].

وهنا يتضح مدى اعتداده بنفسه وبوظيفته، ونجدنا للمرة الأولى مع «ابن حجر» وقد اورد خبرا عن «ابن جماعة» مجردا، ولعل السر في ذلك مرده الى ترسيخه قبلها في الاذهان لطبيعة «ابن جماعة» وتصرفاته، مما جعله ليس في حاجة الى تذييل أو تعليق - في هذا الموضع.

ولا يتركنا نبحث عن مصيره، ولكن يشير بعد برهة الى قوله: «.. وتوجه ابن جماعة الى القدس على الخطابة والتدريس كعادته»[2]. مع حط البلقيني عليه، وهو ما سوف يعود ابن حجر اليه في ترجمته لابن جماعة - كرد فعل لمكظوم.

وفي حولية احدى وثمانين وسبعمائة نجدنا مع «ابن جماعة» في خبر هو: «.. وفيها توجه فخرالدين أياس في طلب برهان الدين بن جماعة لشكوى الناس من سيرة ابن أبي البقاء، فوصل في أواخر صفر، فخرج لملتقاه وطلع صحبته الى برقوق.. ثم طلب صبيحة قدومه الى القلعة وخلع عليه ونزل في موكب حافل في ثلاثة عشر من الأمراء الكبار فارتجت له القاهرة بحيث كان

(١) المصدر السابق ص ١/١٥٦.
(٢) نفسه.

أعظم من يوم المحمل وباشر بحرمة ومهابة أعظم من المرة الأولى..»[1]

وفي هذا الموضع -أيضاً- أفصح «ابن حجر» عن مكانة «ابن جماعة» لدى السلطة والناس في عصره، حيث اعادته السلطة الى القضاء وقد عزل برغبته لا برغبتها، ثم تتجمل معه في تكريمه تجملا زائدا، حيث يحفه الأمراء وقد خلع عليه، ويكون من الناس ما لا يعهد مع مثله حتى مع السلطان «بحيث كان أعظم من يوم المحمل» وكل هذا لا يثنيه عن مباشرة عمله «بحرمة ومهابة أعظم» وفي ذلك ابراز لجوانب مهمة من حياته وسماته وعلاقاته بأحداث وشخصيات عصره. مضافة الى الاخبار عن علاقاته بالسراج البلقيني.

ثم نجدنا مع «ابن جماعة» في موضع آخر في صراعه مع القاضي الحنفي، وفي غيره عن ترتيبات «ابن جماعة» مع نوابه.. الى أن نجد «ابن جماعة» وقد عزل نفسه من القضاء حرصا منه على كرامته، وذلك في حولية أربع وثمانين وسبعمائة، حيث يشير الى امتناع «ابن جماعة» عن الحكم على اثر خلاف مع برقوق الذي كان قد افتعل ذلك معه لأنه «كان يعرف قوة نفس برهان الدين بن جماعة فخشي ألا يوافقه اذا رام أن يتسلطن، ويعارضه فلا ينتظم أمره فعمل على عزله وتولية من لا يخالفه لكونه هو الذي أنشأ ولايته»[2] ثم يشير بعد ذلك الى استقراره في قضاء الشام بعد موت أبي البقاء، ودخول «ابن جماعة» دمشق قاضيا.. حتى يصل بنا الى أحداث حولية تسعين وسبعمائة لنجدنا أمام خبر هو:

«.. وفيها استقر سري الدين بن المسلاتي.. في قضاء الشافعية عوضا عن برهان الدين بن جماعة، وحمل اليه التقليد الى دمشق في أواخر شعبان..»[3] هكذا مجردا.

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٠/١.
(٢) نفسه ص ٢٥٤ - ١/٢٥٥.
(٣) نفسه ص ١/٣٥١.

وهنا نتساءل: أين ذهب «برهان الدين بن جماعة»؟ ولم استقر غيره في منصبه؟ وهل توجه على عادته الى الخطابة والتدريس بالقدس؟

لا يتركنا «ابن حجر» لكل هذه التساؤلات، وانما يطالعنا في نفس الحولية وفي أولى ترجمات وفياتها بترجمة متممة لاخباره عنه مكملة لهذا الخبر[1]. لقد مات «ابن جماعة» فلا أقل من التعرف على مكونات هذه الشخصية الفذة التي تعاطف معها «ابن حجر» وبهر بمواقفها مطالعيه. ولذا فان ترجمته له تحتوي على العناصر التالية:

(١) سلسلة النسب.
(٢) المولد والوفاة تأريخا.
(٣) مناهل علمه.
(٤) وظائفه، ومكانته العلمية.
(٥) شغفه بجمع الكتب ومصائرها بعد وفاته. وان وردت أخبارها ـ كذلك ـ في أخبار وترجمات غيره[2].
(٦) قرضه للشعر، مع ايراد شاهد له دلالته على حالته النفسية يوم غادر مصر، وانطباعه عنها، وعلاقاته بالبلقيني.
(٧) امتداح أهل عصره له.

وبمضاهاة عناصر هذه الترجمة، وما ترجم «لابن جماعة» في أحداث حوليات الكتاب يمكننا أن نستخلص الآتي:

(١) ادراك «ابن حجر» للعلاقة بين «التراجم» و«الحوادث» مما جعله يجتزىء معلوماته ويوزعها على أحداث وترجمات الوفيات في حولياته، حيث وجدناه في حقيقة الأمر يترجم لابن جماعة حيث يورد أخباره.

---

(١) المصدر السابق ص ١/٣٥٥.
(٢) نفسه ص ٣/٢٩٩، ٣/٣٥٦.

(٢) عمد بأسلوب وطريقة عرضه لمعلوماته الى شحن القارىء عاطفيا ليتجاوب مع هذه الشخصية حتى تساير مراحل كتاباته عنها كي يصل الى غرضه من الحبكة التاريخية، ولذا وجدنا أنفسنا مع «ابن حجر» وقد أورد «لابن جماعة» بادىء ذي بدء استقرارا وظيفيا بحكم عزل غيره، ووجدنا أنفسنا في آخر الحوليات المتعلقة «بابن جماعة» معه في استقرار وظيفي لغيره في موضع علمه ـ مجهول السبب لتكون الترجمة «لابن جماعة» في ذيل الحولية عينها بمثابة الخبر المتمم لسائر الحوادث على اعتبار أن الوفاة حدث تاريخي ـ كما أشرت. ويكون بذلك قد جعل من ايراد الوفاة مترجمة في هذا الموضع خبرا متمما ومكملا لسائر الاخبار الدائرة حول هذه الشخصية، تماما كما جعل من مواضع الحوادث جوانب للصورة الكلية لشخصية المترجم له لا تكتمل الا بترجمته ضمن الوفيات لافصاحها عن دوافع هذه الشخصية، والسبب في توجيهها هذه الوجهة وهو مع ذلك، وفي دقة متناهية لا يكرر نفسه، اللهم الا في موضع توضيح وتقدير من مؤرخنا له: «.. ثم خطب الى قضاء الديار المصرية فوليه مرتين بصرامة وشهامة وقوة نفس وكثرة بذل وعزل نفسه مرارا ثم يسأل ويعاد حتى هم السلطان في بعض المرات أن ينزل اليه بنفسه ليترضاه»[1].

(و) علاقة السببية:

وتظهر العلاقة بين «التراجم» «والجوادث» ـ في هذا الجانب ـ متمثلة في ذكر الأوبئة والطواعين، أو الفتن والحروب وما يعقبها من سرد لوفيات تكون مترتبة عليها، وتكون الحوادث متسببة فيها وتكون الوفيات تبعا لذلك توكيدا لمثل هذا النوع من الحوادث، وتقريرا لها.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في حوادث حولية تسع عشرة وثمانمائة، حيث

---

(١) المصدر السابق ص ١/٣٥٥.

أشار الى وباء الطاعون قائلا: « .. وابتدأ الطاعون بالقاهرة فبلغ في نصف صفر كل يوم مائة نفس، ثم زاد في آخره الى مائتين وكثر ذلك حتى كان يموت في الدار الواحدة أكثر من فيها، وكثر الوباء بالصعيد والوجه البحري حتى قيل ان أكثر أهل هو - احدى بلدان الصعيد زارها ابن حجر - هلكوا (وكثر) في طرابلس حتى قيل انه مات بها في عشرة أيام عشرة آلاف نفس. وبلغ عدد الأموات بالقاهرة في ربيع الأول ثلاثمائة في اليوم، ثم في نصفه بلغوا خمسمائة، وفي التحقيق بلغوا الألف لأن الذين يضبطون انما هم من يرد الديوان، وأما من لا يرد الديوان فكثير جدا.. وتزايد الموت بدمشق، وكان ابتداؤه عندهم في ربيع الأول فبلغت عدة من يموت في ربيع الآخر في اليوم ستين نفسا، ثم بلغ مائتين في أواخره، ثم كثر في جمادي الآخرة بها. وكذلك وقع في القدس وصفد وغيرها..»(١)

ويتقرر مفهوم ذلك بما ورد في ذيل الحولية نفسها من ايراد سرد التراجم الوفيات تتلاحق في خواتمها - غالبا - عبارات: «مات مطعونا»، «مات في الطاعون»، «مات بالطاعون».. ومن هؤلاء الذين ماتوا بالطاعون: أحمد بن القاضي أصيل الدين الأشليمي وابن الأديب الشافعي، وأبو بكر بن عثمان بن محمد الجيتي، وعبدالرحمن بن يوسف الكردي الدمشقي، وأمين الدين الطرابلسي، وجلال الدين بن عبدالله الخشبي المدني، ومحمد بن علوي الحسباني وعزالدين بن جماعة، وشمس الدين بن القطان، وأبو الفتح نجم الدين الحنبلي، ومحمد بن محمد الكوم ريشي، ومحمد بن قلاف الدين الحلوائي، ومحمد قطب الدين الأبرقوهي، ومساعد بن ساري الهواري ومقبل بن عبدالله الطواشي الأشقتمري الرومي، ويوسف بن عبدالله المارديني..(٢)

ولا يخفي ما لهؤلاء من ذوات وشخصيات وملكات متنوعة، بالاضافة الى

---

(١) المصدر السابق ص ٣/٧٨.
(٢) نفسه ص ١٠٥ - ٣/١٢٤.

تباين أصقاعهم، ومنهم من «اشتد أسف الناس عليه، ولم يخلف بعده مثله»، كما أن منهم من كان مشكور السيرة نبيها في فنه «.. مما يوضح فداحة الخسارة، والخطب الجلل».

ومن الأمثلة على ذلك ـ كذلك ـ ما ورد في حولية ثلاث وثلاثين وثمانمائة، حيث ورد في الحوادث ما نصه: «.. واشتهر أمر الطاعون في الوجه البحري، فيقال: مات بالمحلة خمسة آلاف نفس وبالنحرارية تسعة آلاف، ومات في الاسكندرية في كل يوم مائة وخمسون الى غير ذلك.. فلما استهل ربيع الآخر كان عدة من يموت بالقاهرة اثني عشر نفسا، وفي آخره قاربوا الخمسين. وفي أول يوم من جمادي الأولى بلغوا مائة فنودي في الناس بصيام ثلاثة أيام وبالتوبة والخروج الى الصحراء في اليوم الرابع.. فضجوا وبكوا ودعوا وانصرفوا قبل الظهر فكثير فيهم الموت أضعاف ما كان، وبلغ في اليوم ثلاثمائة في القاهرة خاصة سوى من لا يرد الديوان.. وفي رابع جمادي الأولى بلغت عدة الموتى بالقاهرة خاصة في اليوم ألف نفس ومائتي نفس، ووقع الموت في المماليك السلطانية حتى زاد في اليوم على خمسين نفسا منهم. وانتهى عدد من صلى عليه في اليوم خمسمائة وخمسة أنفس، وضبط جميع المصليات في يوم واحد فبلغت ألفي نفس ومائتين وستة وأربعين نفسا.. ووصل في الكثرة حتى شاهدت النعوش من مصلي المؤمنين الى باب القرافة كأنها الرخم البيض تحوم على القتلى، وأما الشوارع فكانت فيها كالقطارات يتلو بعضها بعضا..»[1] ثم يلي الحوادث سرد لوفيات تتلاحق فيه الوفيات بالطاعون، حيث نرى أن «ابراهيم بن ناصر الدين الصقري» قد «مات في ثامن عشر جمادي الآخرة مطعونا» و «ابراهيم بن وفاء الشاذلي» قد «مات في هذه السنة مطعونا» و «ابراهيم بن وفاء الشاذلي» قد «مات في هذه السنة مطعونا» و «الشريف شهاب الدين الحسيني الدمشقي» قد «مات بالطاعون»

---

(١) المصدر السابق ص ٤٣٧ - ٣/٤٣٨.

و « بردبك السيفي » قد « مات.. بالطاعون » و « زين خاتون » وهي بكر أولاد « ابن حجر » قد « ماتت وهي حامل بالطاعون فجمعت لها شهادتان » و « سرداح بن مقبل الينبعي » قد « مات.. بالطاعون »، وأمير المؤمنين « المستعين » قد « مات بالطاعون شهيدا »، و « عبدالغني بن جلال الدين المرشدي » قد « مات مطعونا »، و « علي بن عنان بن مغامس » قد مات « مطعونا » وأن « محمد بن أحمد الأذرعي » قد « توجه الى مصر في آخر عمره، فعند وصوله طعن فمات غريبا شهيدا »، كما يشير الى وفاة « ابن محمد السنقاري » و « تاج الدين البطرني المغربي » و « محمد بن فرج بن برقوق » و « محمد بن المالك الأشرف برسباي » و « محمد بن ططر » و « ابن مزهر » و « الشيخ ناصر البسطامي » و « جلال الدين الروياني العجمي » و « هابيل بن قرايلك » و « ياقوت الأرغنشاوي » و « نظام الدين السيرامي » و « تقي الدين الكرماني » و « يشبك » أخو السلطان ـ قد ماتوا مطعونين[1].

كما تظهر بعض الحالات الفردية المتعلقة بالطواعين والأوبئة في حوليات ست وسبعين وسبعمائة، وثلاث وثمانين وسبعمائة، وأربع وثمانين وسبعمائة، وثمان وثمانين وسبعمائة، وخمس وتسعين وسبعمائة، وثمانمائة، وأربع عشرة وثمانمائة، وثلاث وعشرين وثمانمائة وخمس وعشرين وثمانمائة، وست وعشرين وثمانمائة..

أما ما يتعلق بالوفيات التي تكون الفتن والنكبات السياسية والحربية سببا فيها، فمنها ما ورد بخصوص طروق « المغول » للشام وتغلبهم عليها، حيث ورد في حولية ثلاث وثمانمائة ما نصه: « .. فلما بلغ ذلك تمرلنك نازل حلب.. والتقى الجمعان.. وتمت الهزيمة على العسكر الاسلامي.. وهجم عسكر تمرلنك البلد فأضرموا فيها النار وأسروا النساء والصبيان، وبذلوا السيوف في الرجال والأطفال حتى صار المسجد الجامع كالمجزرة.. ثم تعدى

---

(١) نفسه ص ٤٤١ ـ ٣/٤٥٣.

أصحابه الى نهب القرى المجاورة والمتقاربة والافساد فيها بقطع الأشجار وتخريب الديار وجافت النواحي من كثرة القتلى منه، وكادت الأرجل ألا تطأ الا على جثة انسان وبنى من رؤوس القتلى عدة مآذن منها ثلاثة في رابية خاجا، وهلك من الأطفال الذين أسرت أمهاتهم، ومن الجوع أكثر ممن »[1] كان ذلك في حلب، وله مثيل في دمشق[2]. ثم نجدنا مع وفيات الحولية ذاتها وقد انعكست على ترجماتها هذه الأخبار، حيث أشار في ترجمته «لابراهيم بن علي التادلي»، قاضي المالكية بدمشق الى أن موته كان «بعد أن حضر الوقعة مع اللنكية وجرح جراحات فحمل فمات قبل سفر السلطان من دمشق..»[3] وفي ترجمة «ابراهيم بن مفلح» يشير الى دوره في النكبة قائلا: «.. ولما طرق اللنك الشام كان ممن تأخر بدمشق فخرج الى اللنك وسعى في الصلح وتشبه بابن تيمية مع غازان، ثم رجع الى دمشق، وقرر مع أهلها أمر الصلح فلم يتم له أمر، وكثر تردداه الى اللنك ليدفع عن المسلمين فلم يجب سؤاله وضعف عند رجوعهم.. ومات بعد الفتنة بأرض البقاع»[4] وهذه العبارة تضفي بعدا تاريخيا على حدث ورد بخصوص دوره في الحوادث هو: «.. فأغلق أهل دمشق أبوابها، وركبوا أسوارها وتراموا مع اللنكية فقتل منهم جماعة، فأرسل تمرلنك يطلب من أهل البلد رجلا عاقلا يتكلم معه في أمر الصلح، فأرسلوا اليه القاضي برهان الدين بن الشيخ شمس الدين ابن مفلح، فرجع وأخبر أنه تلطف معه في القول، وسأله في الصلح فأجابه، فأطاعه كثير من الناس، وأبى كثير منهم فأصبحوا.. وقد غلب رأي من أراد الصلح.. فكتب لهم أمانا قرىء على المنبر يتضمن من أنهم آمنون على أنفسهم وأهاليهم، وفتح الباب الصغير واستحفظ عليه بعض أمراء تمرلنك لئلا ينهب

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٤ - ٢/١٣٦.

(٢) نفسه ص ١٣٧ - ٢/١٣٩.

(٣) نفسه ص ٢/١٥٠.

(٤) نفسه ص ١٥٠ - ٢/١٥١.

التتار البلد .. فتزايد البلاء على أهل البلد ، وندموا حيث لا ينفع الندم »[١] .

كما يشير في ترجمته « للشريف أبي جعفر عزالدين » نقيب الأشراف الذي باشر الخانقاة العديمية بحلب ونزل بعض المدارس فيها الى أنه تحول عنها « في الكائنة العظمى الى تيزين » من أعمال حلب[٢] وفي ترجمته « للمكاوي » يشير الى أنه : « .. انفصل من الوقعة وهو متألم ، وحصل له جوع فتغير مزاجه وتعلل الى أن مات »[٣] وفي ترجمته « لحميد الضرير » يشير الى أنه كان قد سكن حلب واستوطنها « ثم توجه منها في الفتنة العظمى فمات »[٤] وفي ترجمته للشيخ « شرف الدين الداديخي » يشير الى أنه « مات في الكائنة العظمى اللنكية »[٥] كما يشير في ترجمته « لشرف الدين بن النجيب » الذي كان مستخدما في ديوان « دمرداش » نائب حلب في الوقعة العظمى الى أنه « كان فيمن فر من حلب الى قلعة الروم »[٦] كما يشير في ترجمته « لابن القمر » سبط الحافظ الذهبي الى أنه « مات في الكائنة »[٧] وفي ترجمته « لعلي بن صقر الكلبي الحلبي » يشير الى أنه « مات في الكائنة العظمى في هذه السنة بحلب »[٨] وفي ترجمته لأحد أعيان الحلبيين وهو « نورالدين الحسيني » ، سبط زين الدين علي ـ يشير الى أنه قد « جرت له في اللنكية أعجوبة وهو أنهم أمسكوه ليعاقبوه فملأوا سطل نحاس ماء وملحا ليسقوه اياه وهو مربوط ، فجاء ثور وشرب السطل ، فلما رأوا ذلك أطلقوه ولم يتعرضوا له بعد ذلك »[٩] كما يشير في

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٧ - ٢/١٣٨ .
(٢) نفسه ص ٢/١٥٢ .
(٣) نفسه ص ٢/١٥٤ .
(٤) نفسه ص ٢/١٥٦ .
(٥) نفسه ص ٢/١٥٩ .
(٦) نفسه ص ٢/١٦٦ .
(٧) نفسه ص ٢/١٦٩ .
(٨) نفسه ص ٢/١٧١ .
(٩) نفسه ص ٢/١٧٤ .

ترجمته « لعمر بن براق الدمشقي » الى أنه « .. كان ممن أوذي في الفتنة وأخذ ماله وأصيب في أهله وولده فصبر واحتسب »[1] كما يشير في تـرجمتـه « لعمر بن عبدالله الكفري » الى أنه « قتل في الفتنة التمرية »[2] وفي ترجمته « لمحمد بـن ابراهيم السلمي المناوي « يشير الى أنه » أسر مع اللنكية، فلم يحسن المداراة مع عدوه، فأهانه وبالغ في اهانته حتى مات معهم وهو في القيد غريبا، غرق في نهر الفرات في شوال بعد أن قاسى أهوالا .. وكان بعض اللنكية أسره فلما جازوا نهر الفرات خاض الأمير في النهر هو وأتباعه لأجل ازدحام غيرهم على القنطرة فغرق القاضي لتقصيرهم في حقه »[3] وفي ترجمته « لناصر الدين أغا يشير الى أنه « فقد في الشام حين الكائنة العظمى مع من فقد »[4] وفي ترجمته « لمحمد بن أحمد بن الفضل الهاشمي »، عماد الدين شيخ الشيوخ بحلـب، يشير الى أنـه « مـات في الكـائنـة العظمـى مـع اللنكيـة في الأسرة »[5] وفي ترجمة « شمس الدين بن الركن » يشير الى أنه « مات في الكائنة العظمى »[6] كما أن شمس الدين البابي الحلبي « عدم في الكائنة العظمى »[7] وفي ترجمته « لمحمد بن منصور الفارقي السلاوي « يشير الى أن زوج أمه كان « وجيها عند تمر فصار لهذا وجاهة في هذه الأيام، فلما رحل تمرلنك عن البلد أخذ هذا وعوقب »[8] وفي ترجمته « لابن المنصفي » يشير الى أنه « مات في شعبان بعد أن عوقب واستمر متألما حتى مات »[9] وفي ترجمته « لمحمد بن سليم بن كامل الحوراني » يشير الى أنه « مات في رجب بعد أن

---

(١) المصدر السابق ص ٢/١٧٨.
(٢) نفسه.
(٣) نفسه ص ١٨١ - ٢/١٨٢.
(٤) نفسه ص ٢/١٨٢.
(٥) نفسه ص ٢/١٨٣.
(٦) نفسه.
(٧) نفسه ص ٢/١٨٤.
(٨) نفسه ص ٢/١٨٥.
(٩) نفسه ص ٢/١٨٦.

عوقب بأيدي اللنكية وقد قارب الستين »[1] وفي ترجمته « لبزريق » يشير الى أنه « مات ولم يكمل الخمسين أسفا على ولده أحمد في رمضان ـ وكان اللنكية قد أسروه وهو شاب وله نحو العشر »[2] وفي ترجمته « لشمس الدين بن هريرة الكفر بطناوي » يشير الى أنه قتل بالعقوبة حيث « أخذه العسكر التمري فعوقب ثم قتل »[3] وفي ترجمته « لمحمد بن أبي الكتائب العجمي » يشير الى أنه « قدم مع العسكر لقتال التتار، فلما فر السلطان عن الشام توصل الى أن ولي كتابة السر عن اللنكية، ثم عوقب الى أن مات في شهر رجب في العقوبة »[4] كما يشير الى فرار « محمد بن الخباز الدمشقي » وهربه أيام الفتنة ثم رجوعه « ومعه مال فصار يشتري المتاع برخص فكسب كسبا جزيلا »[5] وفي ترجمته « لموسى بن جمعة الأنصاري » يشير الى أنه « اسر مع من أسر من اللنكية، فلما عاد اللنك الى بلاده أمر باطلاق جماعة هو منهم، فأطلق من أسرهم في شعبان، فتوجه الى أريحا وهو متوعك فمات بها »[6] كما أن « يوسف بن عبدالله الأذرعي » نزيل حلب قد مات « في الكائنة العظمى »[7]

.. وهكذا فان تراجم الوفيات تنعكس على مادتها جوانب متعددة من الأحداث اللنكية في الشام حيث أتت الوفيات مسببة عن غزو التتار وتعذيبهم لذواتها، كما أنها أضافت بعدا آخر لتلك الحوادث، فمن الناس من فر خوفا من الوقعة، ومنهم من عوقب فمات تحت العقوبة أو اثرها وان تعددت العقوبات، ومنهم من اعد للعقاب فنجاه الله ببعير ليعتقل ويخلى سبيله، ومنهم من أسر فقتل غرقا أو صبرا أو قتلا، ومنهم من فك أسره وأطلق، ومنهم

(١) نفسه.
(٢) نفسه ص ٢/١٨٧.
(٣) المصدر السابق ص ٢/١٨٨.
(٤) نفسه ص ٢/١٨٩.
(٥) نفسه ص ٢/١٩١.
(٦) نفسه ص ٢/١٩٥.
(٧) نفسه ص ٢/١٩٦.

من ابتلي في ماله وأهله وولده، ومنهم من تعامل مع العدو فحصل له سعود أو نحوس، ومنهم من كانت النكبة سببا في غناه وتكثير ثروته.

ثالثا ـ مادة التراجم:

كما يلاحظ أن مادة «التراجم» غالبا ما تشكلها «الحوادث» الواردة في الحوليات: اختصارا وتركيزا، أو اعادة، أو اضافة. بل ربما تكون بعض الترجمات مبنية بكليتها على الحوادث، ومن ذلك ما ورد في ترجمته «لمبارك شاه الطازي» أحد الأمراء، حيث قال: «.. كان من أعيان أتباع طاز، وأول ما تأمر أربعين في شوال ثمان وستين، ثم أمر تقدمة في سنة خمس وسبعين، ثم كان ممن أعان على قتل الأشرف واستقر في أول سنة تسع وسبعين رأس نوبة، ثم قبض عليه مع قرطاي وسجن بالاسكندرية، ثم أطلق وأعطى نيابة البلستين، ثم نقل الى نيابة غزة في أول سنة ثمانين، ثم أعيد الى البلستين فقتل في صفر»[1]. وأمثلة ذلك كثيرة الذيوع في مؤلفه.

وخلاصة القول أن «ابن حجر» قد جعل وشائج صلة بين «حوادث» و«ترجمات» حولياته باعتبار أنه يتوخى التأريخ بالحدث والترجمة معا، وساعده على ذلك أمور لعل أهمها:

(١) أنه كان يكتب حولياته بعد انقضاء أمد بعيد من حدوثها، ربما امتد سنوات طوالا، مما جعل الرؤية للاحداث كلها مكتملة تحت ناظريه، على العكس من هؤلاء الذين يكتبون الحوادث في ذات السنة من وقوعها مما جعلها تأتي متراصة في شكل يوميات.

(٢) مشاركته في هذه الأحداث واتصاله بها وبكثير من الشخصيات المشاركة فيها مما جعله يربط بينها وبين الحوادث.

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٥/١.

(٣) حرصه على الشمول الموضعي لأحداث حولياته، حيث لم ترد أخباره في مواضعها مجردة، وانما أتت مقرونة بعلاتها ومسبباتها مما اضطره أن يورد جوانب عديدة من تراجم الأفراد والشخصيات فيها، فوجد نفسه في كثير من الترجمات ـ كترجمته المشمس الهروي وغيره مما أشرت اليه ـ أنه ليس بمكنته الاتيان بجديد في اخباره عن وفياتهم، فلم يترجم لهم الا احالة الى تلك الجوانب التي شابت أحداثهم في مواضع الأحداث أو عمد الى تكرير الأخبار في موضع الترجمة توكيدا وتركيزا، أو فصل بين جانبين من حياتهم، الجانب الأول متعلق بمشاركتهم في الحوادث وتسييرها، حيث أشار أو أحال الى تلك المواضع في ترجماتهم والجانب الثاني متعلق بمكوناتهم الشخصية والمؤثرات الثقافية والبيئية وغيرها..

(٤) فضلا عن أن «ابن حجر» ليس بمكنته الفصل بين «التراجم» و «الحوادث» باعتبار أن أصحابها هم الذين شاركوا في الحوادث تأثيرا وتأثرا. فالعلاقة اذن طبيعية فيما بينهما.

على أنه توجد علاقة بين التراجم والحوادث باعتبار أن الوفاة أتت عن سببية في الحوادث ـ كما أشرت في ارتباط بعض الوفيات بالطواعين والفتن، التي راح ضحيتها الكثيرون، كما أنه توجد علاقة من حيث الزمن باعتبار أن الوفاة حدثت في حيز الحولية التي ترد فيها هذه الحوادث. كما يلاحظ أنه قد شاب التراجم ما شاب الحوادث من ايراد حوادث لاحقة في الترجمة لا تمت اليها بصلة اللهم الا في الاستقرارات الوظيفية التي تكون لاحقة للمتوفي نتيجة لشغور منصبه [١] كما عرفنا أن التراجم قد تنوعت تنوع الحوادث، وأن معظم شخصيات الكتاب قد أسهمت في الحوادث تأثيرا وتأثرا، ونضيف الى ذلك أمورا منها:

---

(١) المصدر السابق ص ٢/٦٤ تر١٤، ٣/١٨٥ تر٢١، ٣/٥٠٤ تر٦.

(١) أنه قد استغل كثيرا من «الترجمات» لاجراء النقد على ألسنتها في قضايا الحوادث توكيدا أو افصاحا[١].

(٢) أن بعض الترجمات قد أتت بابعاد تاريخية لمادة الكتاب، حيث امتدت جذورها الى سنوات أبعد بكثير من الحولية المتصدرة للكتاب وهي سنة «ثلاث وسبعين وسبعمائة».

(٣) كما توجد علاقة أخرى بين «التراجم» و «الحوادث» متمثلة في العلاقة بين مادة الكتاب ومصادره، باعتبار أن «ابن حجر» قد ترجم لأصحاب هذه المصادر في موضعهم من الوفيات، كترجمته «لابن حبيب» (ت ٧٧٩ هـ./١٣٧٨ م.)[٢] و «ابن الفرات» (ت ٨٠٧ هـ./١٤٠٥ م.)[٣] و «صارم الدين بن دقماق» (ت ٨٠٩ هـ./١٤٠٧ م.)[٤] و «ابن حجي الحسباني» (٨١٦ هـ./١٤١٤ م.)[٥] و «التقي الفاسي» (ت ٨٣٢ هـ./١٤٢٩ م.)[٦] و «التقي المقريزي» (ت ٨٤٥ هـ./١٤٤٢ م.)[٧].. وغيرهم.

---

(١) نفسه في مواضع متفرقة من ترجمات الوفيات، يراجع الفصل المعقود في هذه الدراسة للشواهد الشعرية ودورها في تفسير الخبر ونقده، وكذا: محمد عبدالله عنان. مؤرخو مصر الاسلامية ومصادر التاريخ الاسلامي ص ١١٢.
(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ١٦٢ - ١/١٦٣.
(٣) نفسه ص ٢/٣١٣.
(٤) نفسه ص ٢/٣٦٠.
(٥) نفسه ص ١٨ - ٤/٢٠.
(٦) نفسه ص ٣/٤٢٩.
(٧) نفسه ص ١٧٠ - ٩/١٧٢.

الفصل الرابع

مصادر مادة «الانباء»

أولا ـ أنواع المصادر
ثانيا ـ الاسناد الى المصادر
ثالثا ـ طرق النقل
رابعا ـ نقد المصادر
خامسا ـ الدقة في النقل

أولا ـ أنواع المصادر

(١) المشاهدة والمشاركة:

كان لأخذ «ابن حجر» عن عدد ـ لا بأس به ـ من العلماء والمحدثين والمشتغلين.. وغيرهم، وتوليه العديد من المناصب الهامة في ظل الادارة المملوكية، ومجالسته للسلاطين والخلفاء والرؤساء ومن دونهم من رجالات الدولة والشخصيات المرموقة في عصره ـ خاصة فيما بعد سنة اثنتين وثمانمائة للهجرة ـ[1] أثره في مادة الكتاب، حيث اتيحت له فرصة جمع مادة واسعة

(١) أشار «ابن حجر» في ترجمته «للشمس الاخنائي السعدي» تر ٣١ ص ٣٢ - ٣/٣٣ الى أنه حتى سنة اثنتين وثمانمائة لم يكن يدمن الاجتماع بأحد من الرؤساء.

النطاق، محتوية على جملة لا يستهان بها من النصوص الجيدة التي وصلت الينا ممزوجة بذاتية موردها، على اعتبار أن عنصر المشاهدة وابراز الذات من خلالها واضح فيها، بين للعيان، ولعل هذا كان مدركا لدى كاتبها مرتبط ـ لديه كذلك ـ بمنهج دقيق في ايراد الموارد، واضح القسمات بين الجوانب والأغراض، والا لما عمد الى تصدير تلك النصوص بألفاظ دالة على المعاصرة ومداها [1] ملحة على الربط بينها وبين ذاتية موردها [2] كنحو قوله في الكثير من تراجم الوفيات: «رأيته» [3]، «شاهدته» [4] «لقيته» [5]، «اجتمعت به» [6]، «اجتمع بي» [7]، «رافقني» [8] «رافقنا» [9]، «لازمني» [10]، =

(١) اعتنى «ابن حجر» في الغالب الأعم ببيان المعاصرة ومداها معتمدا في ذلك على عبارات منها:
«رافقني كثيرا»، «لازمت شيخنا عشر سنين»، «لازمته من سنة ستين الى أن مات»، «زرته وأنا صغير»، «لازمته طويلا»، «رأيته بزبيد في الرحلة الأولى»، «اجتمعت به مرارا»، «لقيته وسمعت منه قليلا»، «اجتمعت به مرة».. مما يشير الى كون علاقاته بهم كانت أكيدة أو عابرة كما أنه قد نص في بعضها على موضع اللقاء ومكانه «بزبيد» أو «بدمشق» أو «بالأسكندرية» أو «في بيت أحدهم» أو في «داره»..

(٢) يلاحظ ذلك ابتداء بوفيات حولية ثمان وسبعمائة للهجرة.

(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٣٢١ تر٦، ١/٣٢٤ تر١٥، ١/٤٤٣ تر١٧، ١/٤٦٣ تر٢٧، ١/٤٨٠ تر٧، ١/٤٨٥ تر٢٨، ١/٥٠٣ تر٣٧، ١/٥٢١ تر٤٨، ١/٥٣٣ تر١٧، ١/٥٣٤ تر٢٤، ١/٥٣٧ تر٣٠، ٢/٧٠ تر٢٧، ٢/٧٣ تر٤٣، ٢/١٢٩ تر٦٨، ٢/٢٢٠ تر٢٩، ٢/٣١٢ تر٢٠، ٢/٣٦٨ تر٢٣، ٢/٤٠٧ تر١٤، ٢/٤١٢ تر٢٨، ٢/٤٤٢ تر١١، ٣/١٥٣ تر١٢، ٣/٢٨٨ تر١٤، ٣/٣٠٣ تر٩.

(٤) نفسه ص ٣/٥٠٧ تر١٤.

(٥) نفسه ص ٢/١٥١ تر٣، ٢/٣٠٠ تر٢، ٢/٤١٢ تر٢٧، ٣/٤٤ تر٩، ٣/٣٧٩ تر٨.

(٦) نفسه ص ١/٣٢١ تر٦، ١/٤٠٩ تر٢٦، ١/٤٦٣ تر٢٦، ١/٤٨١ تر١٧، ١/٥٢١ تر٤٨، ٢/٣٠ تر٣٤، ٢/٣١ تر٤٠، ٢/٧١ تر٣٣، ٢/٧٦ تر٥٨، ٢/٨١ تر٧٠، ٢/٨٢ تر٧٣، ٢/١٢١ تر٣٨، ٢/٢١٢ تر١١، ٢/٢٤٠ تر٥، ٢/٢٤٥ تر١٩، ٢/٢٧٤ تر١٢، ٢/٣٣٨ تر١٥، ٢/٣٦٠ تر٢، ٢/٤٤١ تر١٠، ٢/٤٦٩ تر٦، ٢/٥٢٤ تر٣، ٢/٥٢٥ تر٤، تر٥، ٣/١٧ تر٢، ٣/٣٣ تر٣١، ٣/٤٨ تر١٦، ٣/٨١ تر٨، ٣/١١٤ تر٢٩.
=

(٧) نفسه ص. ٢/٤١٤ تر٣٠.

« لازمنا »[1] ، « صحبته » [2] « وكانت بيننا مودة » [3] ، « وكان يودني وأوده » [4] ، « قرأت عليه »[5] ، « قرأت عليها » [6]، « قرأ عليّ » [7] ، « أكثرت عنه » [8] « أكثرت عليه » [9] ، « أكثرت عليها »[10]، « أخذت عنه »[11] « ذكر لي »[12]، « قال لي »[13]، « رأيت.. » [14] ، « سألته » [15] « روى لنا » [16]، « روت لنا » [17] ، « حكى لي » [18]، « على ما أخبرني

= (٨) نفسه ص ١/٥١٩ تر٣٧، ٢/١٨٧ تر١٠٩، ٢/٣٧٠ تر٢٨، ٢/٤٧٧ تر٣٠، ٣/٢٠٧ تر٨، ٣/٥٥٦ تر٩.

(٩) نفسه ص ٣/٢٦ تر١٩، ٣/٢٠٧ تر٨، ٩/١٥١، ٩/١٩٣.

(١٠) نفسه ص ٣/٢٦٣ تر١٧، ٣/٤٨٩ تر١٣، تر٣٣.

(١) نفسه ص ٣/٢٩٢ تر٢٣.

(٢) نفسه ص ١/٤٠٧ تر١٨.

(٣) نفسه ص ١/٤٤٤ تر١٨، ٢/٢١٠ تر٤، ٢/٤٦٩ تر٦، ٢/٤٩٧ تر١٢، ٢/٥٠١ تر٢٠، ٢/٥٠٣ تر٢٧، ٣/١٠٩ تر١٩، ٣/٣٣٨ تر١٩.

(٤) نفسه ص ٢/٣٣٩ تر١٧.

(٥) المصدر السابق ص ١/٣٨٦ تر٢٢، ١/٤٦٦ تر٤٠، ١/٤٩٦ تر٤١، ٢/٢٣ تر٢، ٢/٢٧ تر٢١، ٢/١١٢ تر٥، ٢/١٥٥ تر١٤، ٢/١٦٥ تر٥٣، ٢/١٨٠ تر٨٩، ٢/١٨١ تر٩٠، ٢/٢٥٤ تر٤١، ٢/٣١٠ تر١٧، ٢/٣٦١ تر٦، ٣/١٨٧ تر٢٥.

(٦) نفسه ص ٢/١٨٠ تر٨٩، ٢/١٨١ تر٩٠، ٢/٢٥٤ تر٤١.

(٧) نفسه ص ٣/٣٩٠ تر١٠، ٩/٢٨.

(٨) نفسه ص ٢/٢٧ تر٢١.

(٩) نفسه ص ٢/١٥٩ تر٢٦.

(١٠) نفسه ص ٢/١٦٢ تر٣٩.

(١١) نفسه ص ٢/١٥٣ تر٧، ٢/٢١١ تر٨، ٣/١٧ تر٢، ٣/١١٥ تر٣٢.

(١٢) نفسه ص ٣/١٧ تر٢، ٣/٤٣ تر٦، ٣/٤٨ تر١٦، ٣/٢٨٦ تر٩، ٣/٢٨٨ تر١٤، ٣/٤٤٤ تر١٣، ٢/٥٣٢ تر٢٥، ٨/٤٣٤.

(١٣) نفسه ص ٣/٤٨ تر١٦.

(١٤) نفسه ص ٣/٥١ تر١٨، ٣/٧٧ تر٤.

(١٥) نفسه ص ٣/٣٥٣ تر٢.

(١٦) نفسه ص ٢/١٥٩ تر٢٧.

(١٧) نفسه ص ٢/١٧٩ تر٨٧، ٨٨، ص ٢/٢١١ تر٩.

(١٨) نفسه ص ٣/٢١ تر٨.

به » [1] ، « حدثنا » [2] ، « حدثني » [3] « أنشدني » [4] ، « سمعت منه » [5] « سمعت قراءته » [6] ، « سمعت بقراءته » [7] ، « سمعت من لفظه » [8] « سمعت كلامه » [9] ، « سمعنا بقراءته »[10]، « سمعت عليه »[11]« سمعت عليها »[12]، « سمعت عنه »[13]، « سمعت كلا منهما من لفظه »[14]، « سمعتها

---

(١) نفسه ص ٣/١٥١ تر١٨.
(٢) نفسه ص ٣/٤٥ تر١٠.
(٣) نفسه ص ٣/٤٦ تر١٣.
(٤) نفسه ص ٢/٤١٢ تر٢٨.
(٥) نفسه ص ١/٥٠٠ تر٢٤، ١/٥٣٩ تر٤٣، ٢/٢٩ تر٣١، ٢/٣٢ تر٤٥، ٢/١١٢ تر٥، ٢/١٢٠ تر٣٢، ٢/١٢٧ تر٦٠، ٢/١٥١ تر٣، ٢/١٥٣ تر٩، ٢/١٥٦ تر١٦، ٢/١٦٨ تر٦١، ٢/١٧١ تر٧٠، ٢/١٨١ تر٩٢، ٢/١٨٦ تر١٠٥، ٢/١٨٧ تر١١٠، ٢/١٩١ تر١١٧، ٢/١٩٣ تر١٢١، ١٢٢، ٢/٢١٢ تر١٣، ٢/٣١٣ تر١٧، ٢/٢٢١ تر٣٢، ٢/٢٤٤ تر١٥، ٢/٢٥٠ تر٢٦، ٢/٢٥٢ تر٣٥، ٢/٢٧٠ تر١، ٢/٢٧١ تر٥، ٢/٢٨٣ تر٣٤، ٢/٢٨٧ تر٤٢، ٢/٢٩٩ تر١، ٢/٣٠٠ تر١١، ٢/٣٠٧ تر١٢، ٢/٣١٧ تر٢٥، ٢/٣٦٩ تر٢٧، ٢/٣٧٠ تر٢٩، ٢/٣٧٣ تر٣٥، ٢/٣٧٤ تر٤١، ٢/٣٧٥ تر٤٢، ٢/٣٩٠ تر٥، ٢/٤١٤ تر٣٠، ٢/٤٧٣ تر١٧، ٢/٤٧٧ تر٣٠، ٢/٤٩٧ تر١٢، ٢/٥٠٠ تر١٩، ٢/٥٢٤ تر٣، ٣/٤٦ تر١٣، ٣/١٤٩ تر١٢.
(٦) نفسه ص ٢/٧١ تر٣٣، ٣/١١٣ تر٢٩.
(٧) نفسه ص ٣/٤١٤ تر١٧.
(٨) نفسه ص ١/٤٤٤ تر١٨، ٢/٢٦ تر١٥، ٣/٢٠٨ تر١١.
(٩) نفسه ص ٢/٢٤٥ تر١٩، ٢/٣٣٨ تر١٥، ١/٣٢٢ تر١٥، ١/٣٢٤ تر١٥، ١/٤٦٠ تر١٦، ١/٥٣٤ تر٢٤، ١/٥٠٣ تر٣٧، ٢/٣٠ تر٣٤.
(١٠) نفسه ص ٢/٣٠٦ تر١١.
(١١) نفسه ص ١/٣٥٩ تر١٨، ١/٣٨٦ تر٢٣، ١/٥١٩ تر٣٧، ٢/٢٧ تر٢١، ٢/٣١ تر٤٠، ٢/٥٨ تر٨٢، ٢/١١٥ تر١٦، ٢/١٦٦ تر٥٥، ٢/١٦٩ تر٦٤، ٢/١٧٩ تر٨٤، ٢/١٨٥ تر١٠١، ١٠٤، ٢/٣٤٦ تر٣١، ٣/٣٣٧ تر١٦، ٣/٢٣ تر١٠.
(١٢) نفسه ص ٢/١٦٤ تر٤٧، ٤٨.
(١٣) نفسه ص ١/٥٠٤ تر٣٩.
(١٤) نفسه ص ٣/١٧ تر٢.

عليه » [١] ، « سمعتها منه » [٢] ، « سمعت من فوائده » [٣] ، « سمعت فوائده » [٤] ، « سمعت فوائده ونوادره » [٥] « سمعت من فوائده ونظمه » [٦] ، « سمعت من نظمه ونوادره » [٧] ، « سمعنا منها » [٨] ، « سمعت منها » [٩] ، « سمع مني » [١٠] ، « سمع علي » [١١] « سمع معنا » [١٢] ، « سمع معي » [١٣] ، « كتب عني » [١٤] ، « اجتمعت به وصليت خلفه مرارا » [١٥] ، « اجتمعت به وسرني كثيرا لأنه كان صديق خالي قديما وبالغ في الاحسان الي » [١٦] ، « .. وقد زرته وأنا صغير وسمعت كلامه ودعا لي » [١٧] ، « .. وكنت أظن أنه لا يفهم الاتحاد حتى اجتمعت به فرأيته يفهمه ويقرره ويدعو اليه » [١٨] ، « .. وحضرت جنازته والصلاة عليه في نحو سبعة أنفس لا غير » [١٩] ، « .. سمعت

---

(١) نفسه ص ٢/٦٠ تر١٠، ٣٢/٢٧١ تر٢.
(٢) نفسه ص ٢/٨٢ تر٧٣.
(٣) المصدر السابق ص ٢/٣٠٠ تر٢، ٢/٣٣٢ تر٦، ٢/٣٣٣ تر٧، ٢/٣٦٠ تر٢، ٣/١١٨ تر٣٧، ٣/١٤٩ تر١٣، ٣/٣٧٩ تر٨.
(٤) نفسه ص ١/٤٨١ تر١٧.
(٥) نفسه ص ١/٣٢١ تر٦.
(٦) نفسه ص ٢/١١ تر٣، ٢/٢٣٩ تر٢.
(٧) نفسه ص ١/٣٦١ تر٢٩، ٣/٥٥٦ تر٨، ٣/٢٣ تر١١.
(٨) نفسه ص ٢/٢٤٣ تر١١.
(٩) نفسه ص ٢/٥٢٦ تر٧.
(١٠) نفسه ص ٣/٢٣ تر١١، ٣/٢٨٦ تر٩.
(١١) نفسه ص ٢/١٢١ تر٣٨، ٢/٢٧٠ تر١، ٨/٤١٠، ٨/٤٣١.
(١٢) نفسه ص ٣/٢٠٧ تر٩، ٣/٢٩٣ تر٢٥، ٩/١٥٢.
(١٣) نفسه ص ٢/٣٠٠ تر٣، ٣/١٤٩ تر١٢، ٣/٢٠٧ تر٩، ٣/٢٩٣ تر٢٥، ٨/٤٠٨.
(١٤) نفسه ص ٢/٣٠٠ تر٣، ٨/٤٣١، ٩/١٠٩.
(١٥) نفسه ص ١/٤٦٣ تر٢٦، ١/٥٣٧ تر٣٠.
(١٦) نفسه ص ١/١٧٦ تر٧٧.
(١٧) نفسه ص ٢/٢١٥ تر٢٢.
(١٨) نفسه ص ٢/٢٧٢ تر٧.
(١٩) نفسه ص ٢/٣٣٣ تر٧.

منه وكتب لي تقريظا حسنا على بعض تخاريجي »[1] ، « .. وحضر معنا المجلس المعقود للهروي »[2] « .. رأيته يجعل الكتاب في كمه ويقرأ ما فيه من غير أن يكون شاهده »[3] ، « .. ثم جهز معه المحمل في سنة ثمانمائة فرافقته وسلمنا من العطش »[4] ، « .. اجتمعت به وصليت خلفه مرارا ، وكان أعرج .. »[5] ، « .. سمعت بمنزله على بعض شيوخنا »[6] ، « .. اجتمعت به مرة في دعوى فأنكرت على أصحابه ايماءهم الى جهته بالسجود »[7] ، « .. لازمت شيخنا عشرين سنة »[8] ، « .. وقدم القاهرة مرارا آخرها في الرسلية عن الملك المؤيد قبل سلطنته سنة ثمان وحصل نسخة من تعليق التعليق وشهد لي في عنوانها بالحفظ وكتب خطه في أصلي »[9] « .. اجتمعت به في زبيد ، وفي وادي الخصيب وناولني جل القاموس ، واذن لي مع المناولة أن أرويه عنه ، وقرأت عليه من حديثه عدة أجزاء ، وسمعت منه المسلسل بالأولية بسماعه من السبكي ، وكتب لي تقريظا على بعض تخريجاتي ، ابلغ فيه وانشدني لنفسه .. »[10] ، « .. وكان الناصر بن الأشرف ترك القضاء شاغرا هذه المدة ينتظر قدومي عليه بزعمه .. »[11] ، « .. ثم قدم سنة ثمان وتسعين فلازمنا في الأسمعة ، وسافر صحبتي الى مكة فجاورنا بها .. ورافقني في السماع في سنة اثنتين وثمانمائة بدمشق ورجع معي الى القاهرة ، ثم حج في

---

(١) نفسه ص ٣/١١٦ تر٣٢.
(٢) نفسه.
(٣) المصدر السابق ص ٢/١٦٠ تر٣١.
(٤) نفسه ص ١/١٢٦ تر٥٧.
(٥) نفسه ص ١/٤٦٣ تر٢٦.
(٦) نفسه ص ١/٤٨٤ تر٢٦.
(٧) نفسه ص ٢/٣٠٨ تر١٦.
(٨) نفسه ص ٢/٢٧٧ تر١٩.
(٩) نفسه ص ٣/١٩ تر٦.
(١٠) نفسه ص ٣/٥٠ تر١٦.
(١١) نفسه ص ٣/١٧٨ تر٢.

سنة أربع وجاور سنة خمس فلقيته في آخرها »[1] . « .. ثم نزلت له عنه (عن مشيخة الحديث) في سنة تسع عشرة فدرس به »[2] ، « .. وقد طارحني غياث الدين بمقاطيع عديدة وألغاز وترافقنا في السفر »[3] ، « .. وكانت بيننا مودة أكيدة اتصلت نحوا من ثلاثين سنة وبيننا مطارحات والغاز، وسمعت من لفظه أكثر منظومه ومنثوره »[4] ، « .. ذكر لي قبل أن يتسلطن في ليلة المولد النبوي في ربيع الأول من هذه السنة (سنة ٨٢٤ هـ.) أنه كان في آخر الدولة المؤيدية في الليلة التي مات في صبحها المؤيد قد ضاقت يده.. وأمرني أن أكتب هذه الواقعة في التاريخ فانها أعجوبة »[5] « .. لقيته بزبيد وبتعز في الرحلتين وحصل لي به أنس وحدثني »[6] ، « .. مات فجأة، فانه اجتمع بي في يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم مهنئا اليّ بالقدوم من الحج ورجع الى الجيزة في آخر نهار الأربعاء فمات الخميس.. »[7] ، « .. ورافقني في السماع كثيرا بمصر والشام واليمن وغيرها ، وكنت أوده وأعظمه واقوم معه في مهماته ولقد ساءني موته واسفت على فقد مثله »[8] ، « .. وكنت عدته في نصف رمضان فوجدته صحيح العقل والبدن »[9] ، « .. وقد سمعت منه قليلا من حديثه ومن نظمه ، وكانت بيننا مودة »[10] ، « .. وظن ابن الديري ان السلطان لا يخرج عنه القضاء ، فجاء الأمر بخلاف ظنه ، فلما قرره في المشيخة

---

(١) نفسه ص ٣/١٨٨ تر١٠.
(٢) نفسه ص ٣/١٨٥ تر٢٣.
(٣) نفسه ص ٣/١٨٦ تر٢٤.
(٤) نفسه ص ٣/٢٠٨ تر١١.
(٥) المصدر السابق ص ٣/٢٥٨ تر٧.
(٦) نفسه ص ٣/٢٨٦ تر٩.
(٧) نفسه ص ٣/٢٩١ تر٢١.
(٨) نفسه ص ٣/٤٢٩ تر١٧.
(٩) نفسه ص ٣/٣١٣ تر٩.
(١٠) نفسه ص ٣/٣٣٨ تر١٩.

قال له ونحن نسمع .. »[1]، « .. سمعت من نظمه، وطارحني مرارا، وكتب عني كثيرا »[2] « .. وحضر عندي في الاملاء، وأوقفني على شرح البردة له »[3]، « .. فاجتمعت به بالقاهرة ومصر وسمعنا من فوائده »[4]، « .. سمعت من نظمه كثيرا، وسمعت عليه معظم شرحه على بديعيته، وجملة من انشائه، ولقيته بحماة سنة ست وثلاثين ذهابا وايابا، وبيننا مودة أكيدة »[5]، « .. اجتمعت به في حلب فذكر لي أن مولده سنة خمس وخمسين ومدحني بقصيدة رائية وأجبته عنها »[6]، « .. رأيته وصليت خلفه مرارا »[7]، « .. اجتمعت به مرارا وسمعت قراءته وصليت خلفه وما سمعت أشجى من صوته في المحراب »[8]، « .. وله نظم حسن أنشدني منه بدمشق »[9]، « .. امتدحته لما قدمت بلده فأثابني »[10]، « .. وكان حج معنا من القاهرة في سنة خمس عشرة وتوجه من ثم الى اليمن »[11]، « .. وقد اجتمعت به ببيت المقدس وأنشدني من نظمه، وسمعت عليه جزءاً سمعه من أحمد الأيكي صاحب الفخر، ثم اجتمعت به بالقاهرة »[12]، « .. ومن نظمه ما أنشدني لنفسه، وكنت اقترحت عليه أن يعمل على نمط قولي.. فعمل ذلك في سنة سبع وتسعين، وأنشدني عنه جماعة، ثم لقيته فأنشدني لنفسه »[13]، « .. فحضر

---

(١) نفسه ص ٣/٣٣٩ تر٢٠.
(٢) نفسه ص ٣/٥٠٨ تر١٧.
(٣) نفسه ص ٣/٥٠٨ تر١٧.
(٤) نفسه ص ٣/٥٠٨ تر١٩.
(٥) نفسه ص ٣/٥٢٣ تر٥.
(٦) المصدر السابق ص ٣/٥٢٩ تر١٧.
(٧) نفسه ص ١/٥٣٧ تر٣٠.
(٨) نفسه ص ١/٧١ تر٣٣.
(٩) نفسه ص ٢/٢٧٣ تر٩.
(١٠) نفسه ص ٢/١٥٨ تر٢٤.
(١١) نفسه ص ٣/١٨ تر٥.
(١٢) نفسه ص ٣/٢١ تر٨.
(١٣) نفسه ص ٣/٢٨ تر٢٢.

عندي وشكا اليّ ما له فبررته »[1]، « .. مات في شهر ربيع الأول وصليت عليه صلاة الغائب بالجامع الأزهر في أواخر جادي الأولى »[2]، « .. حضر عليّ سماع الحديث، فسمع بقراءتي كثيرا »[3]، « .. سمعنا بقراءته صحيح البخاري في عدة سنين بالقلعة، وسمعنا من مباحثه وفوائده ونوادره وما جرياته »[4] « .. وطارحني بأبيات وهو في بيت المقدس فأجبته وأنشدني لغزا في المسك وسألني جوابه ففعلت.. »[5]، « .. وهو من قدماء معارفنا، وأهل الاختصاص بنا »[6]، « .. ورافقنا في السفر الى حلب، ثم الى البيرة، ثم رجع معنا الى حلب باذن الأشرف، وذلك آخر عهدي به الى أن مات غريبا »[7]..

وأشباه ذلك مما هو كثير الذيوع في مؤلف «ابن حجر».

(٢) المشافهة:

وطبيعي أن ترد لدى « ابن حجر » منقولات عن طريق المشافهة منسوبة الى بعض السلاطين والملوك، وأرباب الدولة في مصر والشام، وكذلك عن شيوخه ورفقته وصحبه، على اعتبار أن بينه وبينهم تعاملا، وأن المشتغل بالتأريخ لا يعفيه اطلاعه على المصادر المكتوبة وان كثرت من تمحيص الخبر بالتقاط كل ما من شأنه توضيح مبهم، أو اكمال عنصر سكتت عنه هذه المصادر، أو حتى توكيد مادة كتاباته بمقابلتها بمصادر أصلية تحملها اليه المشافهة من صاحب الترجمة عينه أو شاهد عيان لواقعة تاريخية حضرها

---

(١) نفسه ص ٣/٢٥٩ تر٨.
(٢) نفسه ص ٣/٢٦٤ تر١٨.
(٣) نفسه ص ٣/٢٨٩ تر١٨.
(٤) نفسه ص ٣/٢٩١ تر٢١.
(٥) نفسه ص ٩/٢٨.
(٦) نفسه ص ٩/١١٢.
(٧) المصدر السابق ص ١٥٢ - ٩/١٥٣.

و «ابن حجر» عنها غائب، أو اتصال المشاهد بالخبر أو المترجم له، على اعتبار أنه معاصر له محتك به، مشارك في الحدث، أو لكونه من قرابة المتوفي المترجم له ضمن وفيات حولياته، فضلا عن أن طبيعة «ابن حجر» الحافظ الذي لا يضارع في سعة الحفظ وشموليته وثباته قد اقتضت منه الاعتماد بصورة موسعة على المشافهة كمصدر لمادة كتابه ـ أحداثه وترجماته ـ لأن العالم بمفهوم عصره لا يكون عالما كبيرا ما لم يكن حافظا، ومادة الحفظ ـ غالبا ـ ما تكون المشافهة ولذا فان «ابن حجر» لم يكتف بما توفر لديه من مشاركة في الحوادث ـ على نحو ما مر ـ ومن مادة مكتوبة، وانما عمد الى الروايات الشفهية التي شاعت في كتابه، بل لقد كان منها ما هو منسوب الى بعض أصحاب التواريخ المكتوبة كابن الفرات [١] وابن خلدون [٢] والصلاح الاقفهسي [٣] وابن خطيب الناصرية [٤] وتقي الدين المقريزي [٥] والبدر العيني [٦].. وغيرهم. ولو أنه استحقى نفسه من هذه القاعدة لكان له في كتاباتهم غنية عن المشافهة.

ولذا نجده يورد مادة موسعة عن شخص المترجم له على لسانه حتى ولو كان سلطانا كالمؤيد شيخ المحمودي [٧] والظاهر ططر [٨] ومن دونه من أعيان عصره أو عن أرباب الدولة في عصره كأبي بكر بن نقيب الأشراف، وكان يباشر كتابة السر [٩] ونقيب الأشراف بطرابلس بدرالدين بن جمال الدين

---

(١) نفسه ص ١/٣٩٠.
(٢) نفسه ص ١/٤٩٢، ٣/٣١٩.
(٣) نفسه ص ٢/٨٨.
(٤) نفسه ص ٢/٢١٠، ٢/٢٩٠.
(٥) نفسه ص ٢/٦٢، ٣/٥١، ق٢٥٤ ب/٢، ص ٩/١٧٢.
(٦) نفسه ص ٣/١٧٠.
(٧) المصدر السابق ص ٣/٢٥٦.
(٨) نفسه ص ٢٥٧ - ٣/٢٥٨.
(٩) نفسه ص ٣/٤٣٩.

البلدي[١] ومسعود الكبجاتي[٢] وكريم الدين بن عبدالعزيز ناظر الجيش[٣] وعلاء الدين بن أبي الشوارب الشاد بماردين[٤] وكاتب السر كمال الدين[٥] وموقع الحكم بحماة شرف الدين بن المغيزيل[٦] والصاحب بدرالدين بن نصرالله[٧] والقاضيين ناصر الدين البارزي[٨] وشمس الدين البساطي[٩] والمحتسب دولت حجا[١٠].. أو عن شيوخه فيما نقلوه عن سواهم، وما عرفوه عنهم كالزين العراقي[١١] وابن القطان[١٢] والسراج البلقيني[١٣] والعز ابن جماعة[١٤] وقاسم بن علي المالقي[١٥] وأبي عبدالله محمد بن أبي بكر[١٦].. وغيرهم، أو عن رفاقه وصحبه على اختلاف تخصصاتهم مثل: «البدر البشتكي»[١٧] و «ابن الفركاح»[١٨] و «شمس الدين الفيومي الكتبي»[١٩]،

---

(١) نفسه ص ٢/٩٤.
(٢) نفسه ص ٢/٢٤٤.
(٣) نفسه ص ١/٤٨، ٢/٤٤٧.
(٤) نفسه ص ٣/٢٩٨.
(٥) نفسه ص ٣/٤١١.
(٦) نفسه ص ١/٥٥.
(٧) نفسه ص ٢/٤٧٧.
(٨) نفسه ص ٣/٢٥٤.
(٩) نفسه ص ٣/٤٧١.
(١٠) نفسه ص ٩/١٠.
(١١) نفسه ص ١/٤٩، ١/١١٢، ١/١١٨، ١/٥٣٥، ٢/٢٣.
(١٢) نفسه ص ١/٣٨.
(١٣) نفسه ص ١/١٣٥.
(١٤) نفسه ص ١/٢٤٢.
(١٥) نفسه ص ١/٢٤٩.
(١٦) نفسه ص ٩/٢٣٩.
(١٧) المصدر السابق ص ١/٥٠.
(١٨) نفسه ص ٦٥ /١.
(١٩) نفسه ص ١/٣٥٥.

و « الجمال المصري »[١] ، و « تاج الدين بن الظريف »[٢] ، و « عيسى بن حجاج »[٣]، و « نورالدين الرشيدي »[٤]، و « برهان الدين بن رفاعة »[٥]، و « ابن زقاعة »[٦] ، و « جمال الدين بن العراقي »[٧] ، و « عزالدين السنباطي »[٨] ، و « ابن النبيه »[٩] ، و « شرف الدين التباني »[١٠] ، و « ابن الفصيح »[١١]، و « صلاح الدين بن نصرالله »[١٢] ، و « عبدالرحمن التبريزي »[١٣] ، و « شمس الدين الاسيوطي »[١٤] ، و « نورالدين الانباري »[١٥] ، و « نجم الدين البالسي »[١٦] ، و « أحمد القصير »[١٧] ، و « البقاعي »[١٨]، و « عبدالرحمن البشتكي »[١٩]، و « البكري »[٢٠]، و « ظهير الدين الطرابلسي »[٢١].. ومنهم الكاتب، والشاعر، والأديب، والمحدث،

(١) نفسه ص ١/٤٠٨.
(٢) نفسه ص ٢/١١٧.
(٣) نفسه ص ١/٤٩٨.
(٤) نفسه ص ٢/٢٧٧.
(٥) نفسه ص ١/٢٣٠.
(٦) نفسه ص ٤٣ /٣.
(٧) نفسه ص ٢/٧٠٩.
(٨) نفسه ص ٣/١٠٦.
(٩) نفسه ص ٣/١٤٦.
(١٠) نفسه ص ٣/٣٠٠.
(١١) نفسه ص ١/٢٦٥.
(١٢) نفسه ص ٣/٤١٠.
(١٣) نفسه ص ٢/٤٠٩.
(١٤) نفسه ص ١/٢٠٣.
(١٥) نفسه ص ٢/٥٢٤.
(١٦) نفسه ص ١/٥٠.
(١٧) نفسه ص ١/٤٥.
(١٨) المصدر السابق ص ٣/٥٠١.
(١٩) نفسه ص ٣٩٦ - ٨/٣٩٧.
(٢٠) نفسه ص ١/٥٣٦.
(٢١) نفسه ص ٩/٧٧.

والحرفي..، كما أن منهم المصري، والشامي، والتبريزي، والعراقي مما يلقي الضوء على أهمية مثل هذا المصدر في كتابات «ابن حجر» التاريخية.

كما أنه عمد في ترجمة وفيات حولياته الى قرابة المتوفي[1] المترجم له لالتقاط ما يتعلق بعناصر ترجمته سواء كان الملتقط عنه ذلك ابنه[2] أو أخاه[3] أو ابن أخته[4] أو يباشر وظيفة عنده[5] أو من مصادر جلبه ـ خاصة اذا كان مملوكا ـ كما فعل في ترجمته «للظاهر برقوق»[6].

(٣) المساءلة والمكاتبة:

وتكون بسؤال «ابن حجر» عن مسألة ما بصورة شخصية استنادا الى معرفة المسئول ـ فيما يظن ـ بموضوع المساءلة، ومن أمثلة ذلك قوله: «.. وسئل مرارا عن ذلك فقيل ليّ أن..»[11]، وقوله: «.. وسألت أخاه شمس الدين ـ أحد من ينوب بدمياط في الحكم عن النائب بها ـ عن مولده فذكر أنه ولد سنة ٤٣، وأنه أسن من القاضي زين الدين بعشرين سنة..»[8].

ويلاحظ أن «ابن حجر» كان دائب السؤال للكثيرين ممن ترجم لهم ضمن وفيات حولياته فيما يتعلق بمولدهم، ونسبهم، وثقافتهم..[9]

---

(١) نفسه ص ٢/٧٧.

(٢) نفسه ص ١/٢٤٠، ١/٢٩٩، ١/٣٥٨، ١/٤٩٨، ٢/٤٤٠، ٢/٥٣٦، ٣/٥٥٧، ٩/١٥، ٩/١٣٧، ٩/١٧٢.

(٣) نفسه ص ٣/٤٨٦، ٨/٤٤٠، ٩/١١٧.

(٤) نفسه ص ٣/٣٣٦.

(٥) نفسه ص ١/٢٦٥ نقلا عن «ابن الفصيح» وكان نقيبا عند المترجم له في هذا الموضع، و ص ٣/٤٢٧ نقلا عن خادمه «فاتن الطواشي الحبشي» وكان المترجم له في هذا الموضع هو الجالب له، و ص ٣/٤٨٩ نقلا عن صحبه ومريديه.

(٦) نفسه ص ٢/٦٦، نقلا عن «الخواجا عثمان» الذي أحضره من بلاد الجوكس.

(٧) نفسه ص ٩/٧٩.

(٨) نفسه ص ٣/٤٨٦.

(٩) المصدر السابق ص ١/١٤١، ١/١٤٣، ٢/١٩٦، ٢/٢١١، ٢/١١٥، ٢/٢١٧،

وقد تكون المساءلة عن طريق المكاتبة، حيث كانت الاتصالات جارية بين العلماء سيما المعنيين منهم بالتواريخ والتراجم فيما يختص بارسال المعلومات من بلد لآخر بغية الوقوف على الحوادث ومتابعة أخبار العلماء أول بأول [1]، ولقد استفاد «ابن حجر» من ذلك كثيرا وأفاد [2] ومن الأمثلة المعبرة عن ذلك قوله في صدر كتابه معددا مصادره: «.. وغالب ما أودعته فيه ما شاهدته أو تلقيته ممن أرجع اليه..» [3] وقوله في ترجمته للسلطان «أويس» ضمن وفيات حولية ست وسبعين وسبعمائة: «.. وكتب اليّ المؤرخ حسن بن ابراهيم المنشيء الحصني..» [4] وقوله في ترجمة «أبي عبدالله بن القماح التونسي» ضمن وفيات حولية سبع وثلاثين وثمانمائة: «.. وكتب الي بوفاته الشيخ عبدالرحمن البشتكي من تونس قال..» [5] وقوله في ترجمته للشمس المصري ضمن وفيات حولية تسع وثلاثين وثمانمائة: «.. نقلت غالب ترجمته من كتاب القاضي تقي الدين الأسدي اليّ أبقاه الله تعالى» [6]، وقوله في سياق حوادث حولية اثنتين وأربعين وثمانمائة: «.. وقرأت كتابا كتبه اليّ القاضي علاء الدين بن خطيب الناصرية من حلب يذكر فيه قصة تغري برمش نائب حلب ملخصه..» [7].

= ٢/٢٧٣، ٢/٢٨٦، ٢/٤١٢، ٢/٤٧٦، ٢/٥٣٢، ٨/٣٩٥، ٨/٣٩٧، ٩/٨٣..

(١) بشار عواد معروف. الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام ص ٣٨٨، المنذري وكتابه التكملة لوفيات النقلة ص ٢٧٩ وما بعدها.

(٢) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية، حيث يشير الى مراسلة «ابن حجر» له بالوفيات ضمن ترجمة «العز بن جماعة» ق ١٩٣ أ، و «ابن القطان» ق ١٩٥ أ، و «البرهان البيجوري» ق ١٩٨ أ، و «ناصر الدين الجهني» ق ٢٠٨ أ.

(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٤.

(٤) نفسه ص ١/١٨٣.

(٥) نفسه ص ٣/٥٣١.

(٦) نفسه ص ٨/٤١٠.

(٧) نفسه ص ٧٣ /٩.

(٤) الاجازات والسماعات:

كان لحصول «ابن حجر» على عدد وفير من الاجازات العلمية أثره في حوليات كتابه، لاحتوائها على مادة كتبت بخط المجيز تتضمن - عادة - معلومات دقيقة عن اسمه ونسبه، ومولده، وشيوخه.. استفاد «ابن حجر» منها كثيرا في تراجم حولياته كما استفاد - كذلك - من الاجازات القديمة التي كتبت لغيره، ومن الأمثلة على ذلك قوله: «.. هكذا نقلت نسبه بخطه وأملاه عليّ بعض الموقعين»[1]، وقوله: «.. ولد سنة ثمانين على ما كتب بخطه»[2]، وقوله: «.. كذا وجدته بخطه»[3]، وقوله: «.. قرأت بخطه أن مولده سنة ست وعشرين وسبعمائة»[4] وقوله: «.. لأنه ذكر أن مولده..»[5].

كما أنه في بحثه عن تقويم رجال عصره - المترجم لهم لديه - وفي عمله على جرحهم وتعديلهم قد بحث واطلع على سماعاتهم وأسانيدهم فانعكس ذلك - أيضا - على مادة كتابه، حيث اتخذ من تلك السماعات والأسانيد مصدرا له، ومن الأمثلة على ذلك قوله: «.. رأيت بخط المجد (الفيروز ابادي) في طبقة سماع عليه..»[6]، وقوله: «.. رأيت له بجلب اسنادا»[7].. وهكذا.

(٥) الوثائق والخطوط:

كما أفاد ابن حجر توليه العديد من المناصب الهامة في عصره واتصاله بالشخصيات المرموقة - آنذاك - في اطلاعه على العديد من الوثائق - التي

---

(١) المصدر السابق ص ٣/٤٤٣.
(٢) نفسه ص ١/١٤٣.
(٣) نفسه ص ١/٢٢٨.
(٤) نفسه ص ١/٤٩٧.
(٥) نفسه ص ٢/٢٧٣.
(٦) نفسه ص ٣/٢٨٦.
(٧) نفسه ص ٣/٥١٧.

ضاعت أصولها ـ أو التي استكتبها من أصحابها أنفسهم[1] مضمنا كل ذلك كتابه « الانباء » نصا أو تلخيصا، ومن أمثلة ذلك قوله: « .. ورأيته اذا عزل نائبا وقرر آخر كتب بخطه تذكرة في نحو الستين مجلدةِ وعبارته علمية وخطه رديء جدا »[2]، وقوله: « .. ما طرق سمعي أحسن من قوله في الرسالة التي كتبها للبشتكي لما صاد السمكة وهي رسالة طويلة جاء فيها .. »[3]، وقوله في ترجمته للشيخ « برهان الدين الشامي » ـ ضمن وفيات حولية ثمانمائة: « .. سمع منه شيخ الحافظ الذهبي.. وكان شيخنا أخبرني بذلك، فكنت أتعجب منه حتى رأيت الطبقة، ثم وجدته حدث عنه في ترجمة أبي العباس المرداوي في سير النبلاء .. ثم رأيت الجزري نقلها في معجمه عن شيخنا »[4]، وقوله: « .. قد سبق بالتأليف في المنع (في اقامة خطبة بالمنصورية) تقي الدين السبكي، فجمع فيه عدة تواليف صغار، ووقفت على أربعة منها، ووقفت بعد ذلك على جزء جمعه القاضي برهان الدين بن جماعة في المنع »[5]، وقوله ضمن حوادث حولية أربع وسبعين وسبعمائة: « .. خرج له (للقاضي عماد الدين الشافعي) الحافظ أبو زرعة مشيخة سمعتها عليه »..[6].

كما ينسحب ذلك على العديد من النصوص والشواهد الشعرية المصاحبة لوفيات حولياته.

(٧) مجامع الشيوخ والطلبة:

عادة ما كان يجمع الشيوخ والصحاب ما يستفيدونه في مجالس الاملاء أو

---

(١) د. حسن حبشي. مقدمة تحقيق الانباء ص ١/٢٢.
(٢) المصدر السابق ص ١/٣٢١.
(٣) نفسه ص ١/٤٤٤.
(٤) نفسه ص ٢/٧٨ تر٦٢.
(٥) نفسه ص ١/٣٦.
(٦) نفسه ص ٢/٦٠.

ما ينتخبونه من التصانيف التي يطلعون عليها [١] ويدونون ما يلحظونه من حوادث مجتمعهم أو يفيدون عن وفيات عصرهم[٢] في كراسات لم يصلنا معظمها بعد، وان وصلتنا نقول بعض المؤرخين عنها، ومنهم «ابن حجر» الذي اتخذ منها مصدرا لحولياته ومن الأمثلة الدالة على ذلك قوله: «.. وذكرت بما قال ابن الصايغ ما قرأت بخط الفارقي التاجر الزبيدي..»[٣]، وقوله: «.. قال الشيخ بدرالدين الكلستاني في حقه ومن خطه نقلت..»[٤]، وقوله: «.. قرأت ذلك بخط القاضي نورالدين على قاضي المسلمين والخطيب أبي اليمن النويري..»[٥]، وقوله: «.. قرأت بخط ابن القطان وأجازنيه..»[٦]، وقوله: «.. قرأت في مجموع لطيف بخط بعض رفاقنا..»[٧].

والملاحظ أنه لم يطلق عليها اسم كتاب، ولكنها وردت قرين اسم: «مجموع» أو «خط» مما يشير الى أنها ليست مؤلفات مستقلة ذات عنوانات خاصة، وان كان قد أطلق على بعض الكتاب المنقول عنها لديه لفظة «خط» للدلالة على انها بخطوط مؤلفيها توثيقا لها.

---

(١) من النماذج الباقية للدلالة على ذلك مجموع «ابن خطيب الناصري» مخط. الخالدين بالقدس - رقم ٣١ تراجم، ويحتوي على نقول وفوائد له انتزعت أو التقطت من كتب شتى منها: «المورد العذب»، و«شرح الأحكام للعراقي»، و«تاريخ ابن العديم»، و«تاريخ مصر لابن عبدالنور الحلبي»، و«ذيل العراقي على الذهبي»، و«ذيل ولده عليه»، و«درة الأسلاك لابن حبيب»، و«الوافي بالوفيات للصفدي»، و«تاريخ ابن خلدون»..

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٩٩.

(٣) المصدر السابق ص ١/٩٦.

(٤) نفسه ص ١/٣٨٣.

(٥) نفسه ق ٢٥٤أ/٢.

(٦) نفسه ص ٢/١٩٢.

(٧) نفسه ق ٢٥٦ب/٢.

(٨) المؤلفات السابقة:

تعد المؤلفات السابقة البنية الاساسية لكتابه، والمورد الرئيس لمادته ـ خاصة في الفترة المبكرة منه الممتدة بين سنتي ثلاث وسبعين وسبعمائة، وحتى سنة اثنتين وثمانمائة للهجرة[١] بالاضافة الى كونها من الموارد المهمة للحوليات اللاحقة لاعتمادها في تدوين الكثير من أحداث حولياته وعناصر ترجماتها. فلقد كتب من بعضها «ما ليس عنده»[٢] وما وجده بخط من يثق به من مشايخه ورفقته[٣] مما لم يحضره[٤] أو للمقارنة بين أحداث عصره وما يقابلها من أحداث فائتة[٥] ولذا نجده قد استوعب الكثير منها أو شاع نقله عنها في مؤلفه.

على أن قائمة الموارد التي صدر بها كتابه[٦] لا تعطينا صورة حقيقية لموارد الكتاب المكتوبة، وان مثلت أهم تلك الموارد كما وكيفا. ولذا فانه لا يمكن حصر هذه المصادر ـ ولو بصورة تقريبية ـ الا من خلال جرد مادة الكتاب: أحداثه وترجماته ومقابلتها بالمصادر المشابهة لتتمثل في:

ـ ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ./١٢٨٢ م.)[٧]

---

(١) نفسه ص ٣/٣٣، حيث أشار الى أنه حتى هذه السنة لم يكن يدمن الاجتماع بأحد من الرؤساء.

(٢) نفسه ص ١/٥.

(٣) نفسه ص ١/٤.

(٤) نفسه ص ١/٥.

(٥) راجع ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥ من هذا البحث.

(٦) ابن حجر. انباء الغمر ص ٤ ـ ١/٥.

(٧) هو «شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الربعي الشافعي» ـ صاحب كتاب «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» ـ له ترجمة في: الصفدي. الوافي بالوفيات ص ١٢١ ـ ٦/١٢٤ أبي الفدا. المختصر في أخبار البشر ص ٤/١٧، الذهبي. دول الاسلام ص ٢/١٨٤، اليافعي. مرآة الجنان ص ١٩٣ ـ ٤/١٩٧، ابن شاكر الكتبي فوات الوفيات ص ١٠٠ ـ ١/١٠٨، السبكي. =

- المؤيد صاحب حماه (ت ٧٣٢ هـ./١٣٣٩ م.)[1]

- العلم البرزالــي (ت ٧٣٩ هـ./١٣٣٩ م.)[2]

طبقات الشافعية الكبرى ص ١٤ - ٥/١٥، ابن كثير. البداية والنهاية ص ١٣/٣٠١، ابن تغري بردي.

النجوم الزاهرة ص ٣٥٣ - ٧/٣٥٤، دائرة المعارف الاسلامية ص ١/١٥٧، خير الدين الزركلي. الأعلام ص ٢١٢ - ١/٢١٣، عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين ص ٥٩ - ٢/٦٠، الخوانساري. روضات الجنات ص ٧٨ - ٧٩.

لم ينقل «ابن حجر» عنه الا في موضع واحد من الانباء - ص ١/٢٣٧ - ويقابله لدى مصدره ط. بيروت ص ١/٣٤.

(١) هو «اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماه» - له ترجمة في: ابن الوردي. تاريخ ص ٢/٢٩٧، ابن شاكر الكتبي. فوات الوفيات ص ٢٨ - ١/٣٢، السبكي طبقات الشافعية الكبرى ص ٨٤ - ١/٨٦، ابن كثير. البداية والنهاية ص ١٤/١٥٨، ابن حجر. الدرر الكامنة ص ٣٧١ - ١/٣٧٣، ابن تغري بردي.

النجوم الزاهرة ص ٢٩٢ - ٩/٢٩٤، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٩٨ - ٦/٩٩، خيرالدين الزركلي. الاعلام ص ١/٣١٧، عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين ص ٢٨٢ - ٢/٢٨٣، بالإضافة الى مقدمة تحقيق كتاب تقويم البلدان ط. ليدن.

نقل عنه ابن حجر في الانباء في موضع واحد - من كتابه المختصر في أخبار البشر (مط.) - ص ٣/٤٥٧.

(٢) هو «القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يداس البرزالي» له ترجمة في: ابن الوردي. تاريخ ص ٢/٢٣٧، ابن شاكر الكتبي. فوات الوفيات ص ٢٦٢ - ٢/٢٦٤، اليافعي. مرآة الجنان ص ٤/٣٠٣، الذهبي تذكرة الحفاظ ص ٤/١٤٨٨، السبكي. طبقات الشافعية الكبرى ص ٢٤٦ - ٦/٢٤٧، ابن كثير. البداية والنهاية ص ١٤/٨٥، ابن حجر. الدرر الكامنة ص ٣/٢٣٧، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ص ٩/٣١٩، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ١٢٢ - ٦/١٢٣، الشوكاني. البدر الطالع ص ٢/٥١، كحالة. معجم المؤلفين ص ٢٢٨ - ٦/٢٢٩، فهرست مخطوطات الظاهرية ص ٢٢٨ - ٦/٢٢٩..

جمع شيوخه في معجم حافل بلغ بضعا وعشرين مجلدة عن أكثر من ثلاثة آلاف شيخ، امتدحه الذهبي قائلا:

ان رمت تفتيش الخزائن كلها   وظهور أجزاء بدت وعوالي

ـ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ./١٣٤٨ م.)(١)
ـ التقي بن رافع (ت ٧٧٤ هـ./١٣٧٢ م.)(٢)

= ونعوت أشياء في الوجود وما روا طالع أو اسمع معجم البرزالي
(من الكامل)

كما متدحه ابن حبيب بقوله:

يا طالبا نعت الشيوخ وما رووا ورأوا على التفصيل والاجمال
دار الحديث انزل تجد ما تبتغي لك بارزا في معجم البرزالي
(من الكامل)

وهذا المؤلف ينقل عنه ابن حجر في ثلاثة مواضع من الانباء هي ص ١/٤٣، ١/٤٤، ٣/٣٩٨.

(١) هو الحافظ «شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي» ـ له ترجمة في: ابن أيبك الصفدي. الوافي بالوفيات ص ١٦٣ ـ ١٦٨، نكت الهميان ص ٢٤١ ـ ٢٤٤، ابن شاكر الكتبي. فوات الوفيات ص ٢/١٨٣، ابن الوردي. تاريخ ص ٢/٣٤٩، السبكي. طبقات الشافعية الكبرى ص ١٠٠ ـ ٩/١١٦، الاسنوي. طبقات الشافعية ص ٥٥٨ ـ ١/٥٥٩، ابن كثير. البداية والنهاية ص ١٤/٢٢٥، اليافعي. مرآة الجنان ص ٣٠٨ ـ ٤/٣٣٠، الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء ص ٣/٧١، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ٨٥، ابن حجر. الدرر الكامنة ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧، البدر العيني. عقد الجمان ق ٣٧، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ص ١٨٢ ـ ١٠/١٨٣، سبط ابن حجر. رونق الألفاظ ص ١٨٠ ـ ١/١٨٣، السيوطي. طبقات الحفاظ ص ٥١٧ ـ ٥١٩، الشوكاني. البدر الطالع ص ٢/١١٠..

ترك في التاريخ عدة مؤلفات منها «المعجم المختص الذي ينقل عنه ابن حجر في الانباء صفحات: ١٠٢، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١٢٢، ٢٤٤، ٢٩٧، ١/٤٠٩، وأبان الذهبي في آخر كتابه تذكرة الحفاظ عن محتواه قائلا، «.. وقد ألفت معجما لي يختص بمن طلب هذا الشأن ـ أي علم الحديث النبوي ـ من شيوخي ورفاقي فاستوعبت من له أدنى عمل، وبينت أحوالهم» ـ ص ٤/١٥٠٠، وذكره ابن حجر في الدرر الكامنة قائلا: «.. وخرج لنفسه المعجم الكبير والصغير والمختص بالمحدثين، فذكر فيه غالب الطلبة من أهل عصره وعاش الكثير منهم بعده الى نحو أربعين سنة، وخرج لغيره من شيوخه ومن أقرانه ومن تلامذته» ـ ص ٣/٤٣٧ ـ وهو ما يزال مفقودا، كما نقل ابن حجر في الانباء ـ صفحات: ٤٩، ١١٤، ١/١١٥ ـ عن مؤلف آخر له هو «المعجم الكبير» وهو ما زال مخط. (مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم: ٤٦٢).

(٢) هو «محمد بن رافع بن أبي هجرس بن محمد بن شافع بن محمد بن نعمة بن قديان بن منير بن كعب السلامي، تقي الدين أبو المعالي بن رافع الصمدي الحوراني الأصل المصري المولد

- ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ./١٣٧٣ م.)[1]
- ابن الخطيب السلماني (ت ٧٧٦ هـ./١٣٧٤ م.)[2]

= والمنشأ، نزيل دمشق» ـ له ترجمة في: الحسيني. ذيل طبقات الحفاظ ص ٥٣ ـ ٥٤، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق١٥٣ب ـ ١٥٤أ، ابن حجر. الدرر الكامنة تر١١٧٦ ص ٤٣٩ ـ ٣/٣٤٠، انباء الغمر ص ٤٧ ـ ١/٤٩ تر٣، السيوطي. طبقات الحفاظ تر١١٧٠ ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٦٦، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٢٣٤ ـ ٦/٢٣٥، حاجي خليفة. كشف الظنون

ترك مؤلفات عديدة في التاريخ منها معجمه في أربع مجلدات، أشار كل من الحسيني وابن قاضي شهبة وابن حجر الى أنه «في غاية الاتقان والضبط مشحون بالفوائد، ويشتمل على أزيد من ألف شيخ»، وذيلا على تاريخ بغداد لابن النجار الدبيثي في ثلاث مجلدات أو أربع، كما جمع كتابا في الوفيات ذيل به على تاريخ البرزالي من سنة ٧٧٣ هـ. ـ أشار ابن حجر الى أنه كثير الفائدة.

ويبدو أن مؤلفاته التاريخية قد ضاعت كلها باستثناء هذا الذيل حيث يشير ابن قاضي شهبة وابن العماد الحنبلي الى ذلك قائلين: «.. وصنف ذيلا على تاريخ بغداد لابن النجار (في) أربع مجلدات، وقد عدم هو والمعجم في الفتن»، كما يشير د. بشار عواد الى ذلك قائلا: «.. ولا يعرف لهذا الذيل وجود اليوم سوى عدد من التراجم انتخبها التقي الفاسي تمثل ٢٠١ ترجمة نشرها عباس العزاوي»، أما ذيله على البرزالي فموصوف في فهرست الكتبخانة.

ويبدو أن ابن حجر كان دائب النقل في الانباء عن معجمه.

(١) هو «اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي» له ترجمة في: الذهبي. تذكرة الحفاظ ص ١/١١، ابن حجر. انباء الغمر ص ٣٩ ـ ١/٤٠، الدرر الكامنة ص ٣٧٣ ـ ١/٣٧٤، ابن تغري بردي.

النجوم الزاهرة ص ١٢٣ ـ ١١/١٢٤، طاش كبري زادة. مفتاح السعادة ص ٢٠٤ ـ ١/٢٠٥، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٢٣١ ـ ٦/٢٣٢، الشوكاني. البدر الطالع ص ١/١٥٣..

ذكر ابن حجر أنه ذيل على البداية والنهاية وأنه ينقل عنه، وهذا الذيل المكمل للكتاب لم أره.

(٢) هو «محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبدالله بن سعيد بن أحمد بن علي السلماني اللوشي، أبو عبدالله، لسان الدين، ابن الخطيب» ـ له ترجمة في: ابن الخطيب. الاحاطة في أخبار غرناطة ص ٤/٤٣٨ وما بعدها ابن خلدون. التاريخ ص ٣٣٢ ـ ٧/٣٤٣، ابن حجر. الدرر الكامنة ص ٤٦٩ ـ ٣/٤٧٤ تر١٢٦١، المقري. نفح الطيب ق ٢ مج: ٥ ص ٧ =

- الحسن بن حبيب (ت ٧٧٩ هـ./١٣٧٧ م.) وولده[1].
- محب الدين الحنبلي (ت ٨١٥ هـ./١٤١٢ م.)[2]
- ابن الفرات الحنفي (ت ٨٠٧ هـ./١٤٠٥ م.)[3]

= وما بعدها أزهار الرياض في أخبار عياض ص ١/٢٠٤ وما بعدها، ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب ص ٢٤٤ - ٦/٢٤٧، الشوكاني. البدر الطالع تر ٤٦١ ص ٩١ - ٢/٩٤..

ترك زهاء الستين مؤلفا في التاريخ والجغرافيا والأدب والشعر والتصوف والفلسفة والطب.. - وينقل ابن حجر عنه في الانباء من كتابه «الاحاطة في أخبار غرناطة» أثناء ترجمته لابن خلدون في الانباء - راجع الاسناد الى المصادر من هذا الفصل.

(١) هو «الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب بن عمر بن شريح بن عمر الدمشقي الأصل الحلبي، أبو محمد بدرالدين» - له ترجمة في: ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ق ٢٦١ ب - ٢٧٠ أ، ابن حجر. الدرر الكامنة تر ١٥٤٣ ص ٢٩ - ٢/٣٠، انباء الغمر تر ١٦ ص ١٦٢ - ١/١٦٣، المجمع المؤسس ق ١٩٠، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٦/٢٦٢.

له مؤلفات متعددة في التاريخ، اعتمد ابن حجر منها في الانباء - «درة الأسلاك في دولة الأتراك» - مط. - وذيل ولده طاهر عليه - مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٣٠١١.

(٢) هو «محمد بن المحب عبدالله بن أحمد بن المحب عبدالله بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أحمد بن عبدالرحمن المقدسي، ثم الصالحي الحنبلي» - له ترجمة في: الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء ص ١٧٤ - ٢/١٧٥ تر ٣١٤٥، ابن حجر. انباء الغمر تر ١٩ ص ٣٤٣ - ١/٣٤٤، الدرر الكامنة تر ١٢٤٩ ص ٣/٤٦٥، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٦/٣٠٩.

نقل عنه ابن حجر في مواضع متفرقة من الحوليات المتقدمة من الانباء غير محدد للكتاب المنقول عنه أو موضع النقل بالنسبة اليه، ومؤلفاته ما تزال مفقودة حتى الآن.

(٣) هو «محمد بن عبدالرحيم بن علي بن الحسن بن محمد بن عبدالعزيز بن محمد الحنفي، ناصر الدين، المعروف بابن الفرات المصري».

له ترجمة في: ابن حجر. ذيل الدرر الكامنة تر ٢٣٢ ق ١٨٧، المجمع المؤسس ق ١٧٠، انباء الغمر ص ٢/٣١٣ تر ٢٣، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٤٢، السخاوي. الضوء اللامع ص ٨/٥١، السيوطي. حسن المحاضرة ص ١/٥٥٦، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/٧٢.

أشار ابن حجر في غير موضع من مؤلفاته التاريخية الى أن ابن الفرات كان لهجا بالتاريخ فكتب تاريخا كبيرا جدا بيض بعضه فأكمل منه المائة الثامنة ثم السابعة ثم السادسة. =

- ابن خلـــدون (ت ٨٠٨ هـ./١٤٠٦ م.)[1]
- ابن دقمـــان (ت ٨٠٩ هـ./١٤٠٦ م.)[2]

= ثم شرع في الخامسة، وفرغ من تبييض المائة الرابعة فأدركته الوفاة. والى أنه ـ أي ابن حجر ـ «قد انتفع بما تضمنت المجلدات المبيضة في الاطلاع على كثير من الوقائع والتراجم، وان كان في عبارته قصور».

كما أشار في مقدمة كتابه «الانباء» الى اعتماده عليه في حولياته.

وهو تاريخ موسع اعتمد ابن الفرات فيه على من سبقه من المؤرخين ـ خاصة ابن دقماق ـ، وعنى فيه بتسجيل الكثير من نصوص الوثائق التي اطلع عليها بالاضافة الى المكاتبات وما التقطه من الروايات الشفهية أو شاهده من مجريات الدولة مما اكسبه تفوقا كبيرا جعله معتمد المقريزي وابن قاضي شهبة والبدر العيني في مؤلفاتهم التاريخية المعاصرة. جيث شاع النقل عنه لديهم ولدى ابن حجر نصا أو تلخيصا.

(١) هو «عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبدالرحيم الحضرمي المغربي المالكي» ـ له ترجمة في: ابن حجر. انباء الغمر تـر١٨ ص ٣٣٩ ـ ٢/٣٤٠، ذيـل الدرر الكـامنـة تـر٢٤٧، رفـع الاصر ص ٣٤٣ ـ ٢/٣٤٨، المجمع المؤسس ق٢٣٥ ب ـ ٢٣٦ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٤٥ ـ ٤/١٤٩ تر٣٨٧، السيوطي. حسن المحاضرة تر٩٠ ص ١/٤٦٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧٦ ـ ٧/٧٧.

نقل ابن حجر عن كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» المعروف بتاريخ ابن خلدون في موضع واحد من الانباء ص ١/١٩٣ ـ أثناء الترجمة للسان الدين بـن الخطيب، كما نقل عنه مشافها في موضع آخر ـ ص ١/٤٩٢ من الانباء.

(٢) هو «ابراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقماق، صارم الدين القاهري الحنفي» له ترجمة في: ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٣٦٠ تر١، ذيـل الدرر الكـامنـة تـر٢٦٣، المجمـع المؤسس ق ٢٠٠، ابن تغري بردي. المنهل الصافي ص ١٢٠ ـ ١٢١، ابن الصيرفي. نزهة النفوس والأبـدان ص ٢/٢٣٧، الشمس السخـاوي. الضـــوء اللامـــع ص ١٤٥ ـ ١/١٤٧، السيـوطـي. حســن المحـاضرة ص ١/٥٥٦، ابـن العماد الحنبلي. شـذرات الذهـــب ص ٨٠ ـ ٧/٨١..

له مؤلفات كثيرة في التاريخ اعتمد ابن حجر في النقل والتأريخ منها للكثير من الحوليات المتقدمة من الانباء كتابه «نزهة الأنام في تاريخ الاسلام»، وما تزال الأجزاء المعاصرة ـ المنقول عنها لديه ـ مجهولة المكان.

- التقي الزبـــيري (ت ٨١٣ هـ./١٤٠٦ م.) (١)
- محب الدين بن الشحنة (ت ٨١٥ هـ./١٤١٢ م.) (٢)
- ابن حجي الحسباني (ت ٨١٦ هـ./١٤١٣ م.) (٣)

---

(١) هو «عبدالرحمن بن محمد بن عبدالناصر بن هبة الله بن عبدالرحمن التقي أبو محمد القرشي الزبيري المحلي ثم القاهري الشافعي، المعروف بابن تاج الرياسة».
له ترجمة في: ابن حجر. انباء الغمر تر ١١ ص ٢/٤٧٠، المجمع المؤسس ق ٩٧ ب - ٩٨ أ، ذيل الدرر الكامنة تر ٣٣٣، رفع الاصر ص ٣٣٦ - ٢/٣٣٨، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٣٨ - ٤/١٣٩ تر ٣٦٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/١٠١..
أشار ابن حجر الى أنه «عمل تاريخا حسنا» وهو الذي ينقل عنه في كثير من حوليات الانباء، بيد أنه ما زال مفقودا.

(٢) هو «محمد بن محمد بن محمود بن غازي بن أيوب التركي الحسباني الأصل الحلبي الحنفي، محب الدين أبو الوليد».
له ترجمة في: ابن حجر. انباء الغمر تر ٣٢ ص ٥٣٥ - ٢/٥٣٦، السخاوي. الضوء اللامع تر ٥ ص ٣ - ١٠/٦، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ١١٣ - ٧/١١٤، الشوكاني. البدر الطالع ص ٢٦٤ - ٢/٢٦٥ تر ٥١٧.
له مؤلفات في التاريخ منها: تاريخ اختصر فيه تاريخ أبي الفداء، المؤيد صاحب حماة، مع التذييل عليه الى زمنه على طريق الاختصار، أسماه «روض المناظر في علم الأوائل والأواخر» - أشار في مقدمته الى أنه جعل له «كالباب مفتاحا ومصراعين وخاتمة، أما المفتاح ففي بدء خلق الدنيا وأما المصراع الأول ففي مدة ما بين هبوط آدم - عليه السلام - الى الهجرة والثاني الى آخر مدة يقدرها الله، والخاتمة تشتمل على ما هو كالعيان مما يكون في آخر الزمان».
ويلاحظ انتهاء المصراع الثاني بسنة ٨٠٦ هـ.
وتوجد لهذا الكتاب نسخة خطية محفوظة بمكتبة سراي أحمد الثالث بتركيا رقم: ٢٩٠٢ (١) كتبت سنة ٨٧٥ هـ.، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٧٠ تاريخ.
وهذا الكتاب نقل ابن حجر عنه في مواضع يسيرة من الانباء - راجع الاسناد الى المصادر من هذا البحث.

(٣) هو «أحمد بن حجي - بكسر المهملة والجيم الثقيلة - بن موسى بن أحمد بن سعيد بن عشم ابن عزوان بن علي بن سرور بن مشرف بن تركي الحسباني شهاب الدين».
له ترجمة في: ابن حجر. انباء الغمر ص ١٨ - ٣/٢٠، المجمع المؤسس =

ـ الشريف الاقفهسي (ت ٨٢١ هـ./١٤١٨ م.)[(١)]

= ق ٢٠٩ ـ ٢١٠ أ، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٨٢ ب ـ ١٨٣ أ ابن الغزي. بهجة الناظرين ق ٦١ ـ ٦٢، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ص ٧/٣٥٧، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٦٩ ـ ١/٢٧١، ابن طولون. القلائد الجوهرية ص ١٧٨ ـ ١/١٨٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ١١٦ ـ ٣/١١٨..

أشار ابن حجر وتلميذه السخاوي الى أنه «جمع فوائد في علوم متعددة في كراسات كثيرة، وترك مؤلفات منها: أسماء مشايخه مجردا في بعض مجاميعه على حروف المعجم، وكتابا سماه الدارس من أخبار المدارس يذكر فيه ترجمة الواقف وما شرط، ومن درس بالمدرسة الى آخر وقته»، وأشار ابن قاضي شهبة الى أنه «كتاب نفيس يدل على كثرة اطلاع»، كما كتب ذيلا على تاريخ ابن كثير بدأ فيه من سنة احدى وأربعين وسبعمائة، يذكر فيه حوادث الشهر ثم من توفي فيه، وهو مفيد جدا كتب منه ست سنين ثم بدأ من تسع وستين وسبعمائة فكتب الى قبيل وفاته بكثير. وكان قد أوصاني ـ أي ابن قاضي شهبة والحديث له ـ بتكميل الخرم المذكور فأكملته وأخذت التاريخ المذكور وزدت عليه حوادث وتواريخ المصريين وغيرهم بقدر ما ذكر الشيخ وتراجم أكثر من التي ذكرها بكثير. وبسطت الكلام في ذلك في سبع مجلدات كبار اختصرتها في نحو نصفه».

ويبدو أن التاريخ المذكور قد فقد مع بعض كتبه في غزو المغول لدمشق، ولم يبق ما يشير اليه الا ما نقل عنه في تاريخ ابن قاضي شهبه، الذي غالبا ما ترد فيه عبارات ابن حجي مسندة اليه.

كما أنه لا يمكن مع هذا التحقق من أن ابن حجر قد اقتصر في النقل في الانباء عن هذا التاريخ ـ تاريخ ابن حجر ـ وليس عن غيره كذلك.

(١) هو «خليل بن محمد بن محمد بن عبدالرحيم بن عبدالرحمن الاقفهسي، غرس الدين وصلاح الدين أبو الصفا».

له ترجمة في: ابن حجر. انباء الغمر تر ١٠ ص ١٧٩ ـ ٣/١٨٠، ذيل الدرر الكامنة تر ٤٧٢، المجمع المؤسس ق ٣٢٤ ب ـ ٣٢٥ أ، ابن فهد المكي لحظ الألحاظ ص ٢٧٢، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٠٢ ـ ٣/٢٠٤، السيوطي حسن المحاضرة ص ١/٢٠٦، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٧٥، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/١٥٠.

أشار ابن حجر الى أنه كانت بينه وبين الاقفهسي ـ هذا ـ صحبة في بعض أسفارهما للسماع بمكة ودمشق، كما أشار السخاوي الى أنه كانت بينهما مطارحات والى أن كلا منهما سمع على الآخر أو قرأ عليه.

ولقد بلغ من اعتداد ابن حجر به حدا جعله يشير في ترجمته الى أنه «أمثل رفقتنا مطلقا».

كما يشير الى أن الاقفهسي قد كتب ثبتا انتفع ابن حجر به في تاريخه وهو مما لا يعرف =

- الشريف الفاسي (ت ٨٣٢ هـ./١٤٢٨ م.)(١)
- البرهان الحلبي (ت ٨٤١ هـ./١٤٣٧ م.)(٢)
- ابن خطيب الناصرية (ت ٨٤٣ هـ./١٤٤٠ م.)(٣)

= موضعه حتى الآن.

(١) هو «محمد بن أحمد بن علي بن أبي عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن عبدالرحمن بن سعيد بن عبدالملك، التقي، أبو عبدالله وأبو الطيب الفاسي المكي المالكي».
له ترجمة في: ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٤٢٩ تر١٧، المجمع المؤسس ق٢٥٨ ب - ٢٥٩ أ، السخاوي. الضوء اللامع تر٣٣ ص ١٨ - ٧/٢٠، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/١٩٩.
أشار ابن حجر الى أنه «رافقه في السماع جدا بمصر والشام والسمن وغيرها والى أنه كان يوده ويعظمه ويقوم معه في المهمات»، بل لقد وصلت الصداقة بينهما الى الحد الذي جعل ابن حجر يذيل على ترجمته بقوله: «.. ولقد ساءني موته وأسفت على فقد مثله، فلله الأمر».
اعتنى بأخبار بلاده وترجم أعيانها، وكتب في ذلك عدة تواريخ منها شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين كما ذيل على سير أعلام النبلاء للذهبي، ويشيع النقل في الانباء عن المؤلفين المذكورين قبل هذا الذيل دون تنصيص.

(٢) هو «ابراهيم بن محمد بن خليل، برهان الدين أبو اسحق، المعروف بسبط ابن العجمي».
له ترجمة في: ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ق٣٧ ب - ٣٨ ب، ابن حجر. المجمع المؤسس ق١٩٩ أ - ٢٠٠ أ، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣١٤، ابن تغري بردي. المنهل الصافي تر٦٩ ص ١٣١ - ١/١٣٨، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٢٣٧ - ٧/٢٣٨، الشوكاني البدر الطالع ص ٢٨ - ١/٣٠ تر١٦.
أشار السخاوي الى أنه كتب «ثبتا كثير الفائدة.. فيه المام بتراجم شيوخه، ونحو ذلك، بل رأيته ترجم جماعة ممن قرأ عليه ورحل اليه».
ويبدو أن هذا المؤلف هو الذي ينقل ابن حجر عنه في الانباء، وهو الذي يشير ابن حجر اليه بقوله: «.. قد أفرد له مشيخة ذكر فيها أحوال شيوخه ومروياتهم ليستفيدها الرحالة». وهو ما زال مفقودا لعصرنا، غير مدرك مكانه.

(٣) هو «علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي بن علي بن عمر بن اسماعيل بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب بن علي بن هبة الله بن ناجية الطائي الحلبي الشافعي، علاء الدين أبو الحسن».
له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ص ٣٠٣ - ٥/٣٠٧، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/٢٤٧، الشوكاني. البدر الطالع ص ٤٧٦ - ١/٤٧٧..
ومن مؤلفاته «الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب» أشار في مقدمته الى أنه جعله =

ـ التقي المقريـزي (ت ٨٤٥ هـ./١٤٤١ م.)[1]

= « ذيلا مختصرا » على « ابن العديم »، ورتبه على خمسة فصول الأول في حلب وأسمائها ومن بناها وألقابها، والثاني في ذكر حدودها وأعمالها، والثالث في ذكر فضلها وخصائصها، والرابع في فتحها، والخامس في نهرها وقنيها ومسجدها ومعابدها.. تتلوها تراجم « من هو منها أو من بلادها أو اجتازها من الرواة والعلماء والفضلاء والرؤساء، ومن كان بها من الصالحين والعباد، ومن نزلها واجتازها أو بمعاملها من أهل الشعر والانشاد، ومن دخلها أو ملكها من السلاطين أو وليها من الأمراء والنواب والقضاة، ومن وفد اليها أو الى معالمها من فضلاء غيرها من البلاد ومن كان به مباشرة من الأعيان أو وقعة اشتهرت عنه.. ابتداء بمن كانت وفاته سنة ثمان وخمسين وستمائة الى زمنه مرتبا لهم على حروف الهجاء في الاسم واسم الأب والجد.. ليكون أسهم للكشف.. ذاكرا للملاحم باسم من اشتهرت به، وكذلك النوازل والنوادر في ترجمة من توفي في السنة التي وقعت فيها » ـ الدر المنتخب ق ١/٢. ويقع في مجلدتين فقدت ثانيتها.

ويلاحظ أن ابن حجر كان دائب النقل عنه.

وكما أن « ابن حجر » كثير النقل عنه، فان ابن خطيب الناصرية قد جعل ابن حجر مصدرا له ـ ص ٣٩ أ.. وغيرها ـ كما أنه ترجم لابن حجر في تاريخه، وأشار الى أخذ كل منهما عن الآخر سواء في قدوم « ابن حجر » لحلب في سفرة آمد مع السلطان الأشرف، أو في قدوم ابن خطيب الناصرية القاهرة ونزوله على ابن حجر (ق ١٠٦ ب ـ ١٠٩ أ)، كما أن ابن حجر يذكر في مقدمة الانباء « أنه طالع تاريخ ابن خطيب الناصرية ـ في شهر رمضان سنة ست وثلاثين وثمانمائة » كله من المبيضة، ثم من المسودة »، وأنه ألحق فيه أشياء كثيرة، وسمع من صاحبه وسمع هو منه ـ انباء الغمر ص ١/٥.

(١) هو « أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن تميم بـن عبدالصمد، تقي الدين ».

له ترجمة في: ابن حجر. انباء الغمر ق ٢/٢٥٨، المجمع المؤسس ق ٢١٤، ابن تغري بـردي. المنهـل الصـافي ص ٣٩٤ ـ ١/٤٠٤، السخـاوي الضـوء اللامـع تـر ٦٦ ص ٢١ ـ ٢/٢٥، السيوطي. حسـن المحـاضرة ص ١/٣٢١ ابـن العماد الحنبلي. شـذرات الذهب ص ٢٥٤ ـ ٧/٢٥٥، الشوكاني. البدر الطالع ص ٧٩ ـ ١/٨١..

ترك جملة من المؤلفات التاريخية كالخطط « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار »، وعقد الجواهر والأسفاط في ملوك مصر والفسطـاط، والمقفـى، والسلـوك لمعـرفـة دول الملوك، والعقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة..

وعن هذين المؤلفين الأخيرين ينقل ابن حجر في الانباء حيث يشير ابن حجر الى ذلك، والى وجود علاقة وطيدة بينهما وصلت الى حد المزاورة بل واستفسار المقريزي منه عن ما غمض عليه. =

- ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ./١٤٤٨ م.)[١]
- البدر العيني (ت ٨٥٥ هـ./١٤٥١ م.)[٢]
.. وغيرهم.[٣]

= كما أن ابن حجر قرظه في بعض مؤلفاته ـ حيث أشار في معجمه وذيل تاريخه المسمي (ذيل الدرر الكامنة) الى أن له «تصانيف باهرة وخصوصا في تاريخ القاهرة، فانه أحيا معالمها وأوضح مجاهلها، وجدد مآثرها وترجم أعيانها»، وفي الانباء قوله: «.. ونظر في عدة فنون وأولع بالتاريخ فجمع منه شيئا حسنا».

(١) هو «أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبدالوهاب بن محمد بن ذؤيب الأسدي، الدمشقي، الشافعي».

له ترجمة في السخاوي. الضوء اللامع ص ٢١ - ١١/٢٤ تر ٦١، السيوطي نظم العقيان ص ٩٤، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٧/٢٦٩، الشوكاني. البدر الطالع ص ١/١٦٤ تر ١٠٧.

ترك كثيرا من المؤلفات التاريخية منها طبقات الشافعية، والتاريخ الكبير الذي ابتدأ فيه من سنة مائتين الى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة، كما ذيل على تاريخ من سبقه ابتداء بسنة احدى وأربعين وسبعمائة الى سنة نيف وعشرين وثمانمائة في ثمان مجلدات، ثم اختصره في مجلدتين ثم اختصر المختصر في مجلدة، كما كتب حوادث زمانه الى قبيل وفاته.

ويلاحظ أن ابن حجر قد أخذ عن التقي ابن قاضي شهبة في الانباء نقلا من التاريخ الكبير، وطبقات الشافعية.

(٢) هو «محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود أبو الثناء، وأبو محمود، العيني العينتابي».

له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٧٥، الضوء اللامع ص ١٣١ - ١٠/١٣٥ تر ٥٤٥، السيوطي. نظم العقيان ص ١٧٤ - ١٧٥ حسن المحاضرة ص ١/١٧٠، بغية الوعاة ص ٣٨٦، ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب ص ٢٨٦ - ٧/٢٨٨، البدر الشوكاني. البدر الطالع ص ٢٩٤ - ٢/٢٩٥ تر ٥٣٨.

برع في عدة علوم كالفقه والتفسير والحديث واللغة والنحو والتصريف والتاريخ الذي ترك فيه مؤلفات منها «عقد الجمان»، وهو تاريخ كبير رتب على السنين في عشرين مجلدا، ثم اختصره في ثلاث مجلدات، والتاريخ الصغير في ثمان مجلدات.

اعتمده ابن حجر في التأريخ لكثير من حوادث وترجمات حولياته، كما أنه كان دائب النقد له.

(٣) كالشريف الأسيوطي (ت ٨٥٩ هـ./١٤٥٥ م.)، وعلي بن ابراهيم الآمدي (ت ٨٥٩ هـ./١٤٥٥ م.)، وجمال الدين بن السابق (٨٧٧ هـ./١٤٧٣ م.). =

ثانيا ـ الاسناد الى المصادر

(١) الاشارة الى المصادر:

اعتنى « ابن حجر » بذكر مصادره سواء في صدر كتابه[١] أو من خلال حولياته: أحداثها وترجماتها، مسندا منقولة عنها ـ في الغالب الأعم اليها ـ على الرغم من غزارة مادتها وكثرة المنقول منها.. لكنه كان في معظم الأحيان يسند المنقول الى المؤلف مع اغفال ذكر كتابه، كنحو قوله: « قال القاضي تقي الدين الشهبي.. »[٢]، أو: « قال القاضي تقي الدين الأسدي.. »[٣]، أو « ذكره ابن قاضي شهبة »[٤]، وقوله: « قرأت بخط الشيخ تقي الدين المقريزي.. »[٥] أو « .. ترجمة الشيخ تقي الدين المقريزي »[٦]، وقوله: « قال العينتابي.. »[٧].. ولا يخفي ما لهؤلاء من مؤلفات متعددة في التاريخ الحولي، والطبقات، والتراجم، مما لا يتحدد معه المصدر المنقول عنه بسهولة، خاصة وان « ابن حجر » لم يعمد الى النقل الحرفي لمادة مصادره ـ في غالبية الأحيان ـ على نحو ما سوف يرى ـ وانما كان دائب التصرف في منقوله الذي ربما نقله فكرة دون تقيد بالقالب التعبيري المصاحب لها، بل ربما نسب المنقول الى مبهم لا يترجح رده الى مصدره على وجه الدقة، ولكن تخمينا

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٤ ـ ١/٥.
(٢) نفسه ص ١٩، ٣/٢٢.
(٣) نفسه ص ٢٠٤، ٢٦١، ٣٧٥، ٣/٥٣٠.
(٤) نفسه ص ٣١٧، ٣/٤٢٤.
(٥) نفسه ص ٣٠، ٤٨٥، ٥١٢، ٣/٥٤٥.
(٦) نفسه ص ٢٢٨، ٣/٢٩٦.
(٧) نفسه ص ٤٣، ٥١، ٣/٧٧.

كقوله: « .. قال القاضي.. »[1] وهو ما لا يفهم منه أي القضاة يعني.. قاضي الحنابلة محب الدين أم قاضي حلب علاء الدين بن خطيب الناصرية، أم القاضي العثماني الصفدي المعروف بابن القوت، أم القاضي تقي الدين الزبيري، أم القاضي تقي الدين الأسدي المعروف بابن قاضي شهبة، والكل قد نعتهم في كتابه بالقاضي.. لكن يرجح نسبته الى ابن خطيب الناصرية بمقابلته بمنقول آخر ورد في « الانباء » أشار فيه الى ما يؤيد ذلك، حيث قال: « .. قال القاضي في الذيل.. »[2] يعني بذلك ذيل تاريخ حلب المسمى « الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب »، له، ونظير ذلك الاسناد الى المبهم، والمحتاج الى ترجيحه على وجه التخمين قوله: « .. أرخه مؤرخ الشام »[3]، ولعل المقصود به « ابن قاضي شهبة »، كما لا يتحدد المقصود بقوله في موضع آخر: « .. هكذا قريبه قريبه »[4] الا بمقابلته بما ورد في الضوء اللامع « للسخاوي »[5] ليكون « عبدالرحمن القلقشندي ».

هذا عن نسبة المنقول الى المؤلف دون أن يحدد كتابه، خاصة اذا كان المؤلف قد صنف أكثر من كتاب ـ على نحو ما مر.

على أنه قد اتبع ذلك ـ أيضاً ـ مع صاحب المؤلف الواحد، وهو ما يجعل البغية في الاهتداء الى المصنف بعيدة المنال خاصة اذا كان البحث عن ترجمة له مما يقابله الاخفاق، ومن أمثلة ذلك قوله: « .. ذكر جمال الدين الاذرعي.. »[6] وقوله: « .. قال محب الدين البصروي.. »[7]، وقوله: « ..

---

(١) نفسه ص ٣/٣٣٢.
(٢) المصدر السابق ص ٣/٣٩٦.
(٣) نفسه ص ٣/٤٦٣.
(٤) نفسه ص ٣/٣٩٥.
(٥) السخاوي. الضوء اللامع ص ٩/٢٠٢.
(٦) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٢٦٤.
(٧) نفسه ص ٣/٢٨٣.

قرأت بخط الشريف صلاح الدين الأسيوطي.. »[١]، وقوله: « قرأت بخط عبدالرحمن الحلالي الشافعي القزويني.. »[٢]، وقوله: « قرأت في كتاب علي بن ابراهيم الآبي الزبيدي نزيل حلب.. »[٣]، وقوله: « .. نقلته من خط الامام جمال الدين بن السابق »[٤]، وقوله: « قرأت في كتاب صاحبنا شهاب الدين الجرهي.. »[٥]، وقوله: « قال الحافظ أبو المعالي بن عشائر.. »[٦]، وقوله « قال الشيخ شهاب الدين الملكاوي.. »[٧]، وقوله: « ذكر الشيخ محمد العصباني.. »[٨]، وقوله: « قال الشيخ شهاب الدين بن النقيب.. »[٩]

وربما نقل عن مؤلف دون نسبة الكتاب اليه بعنوانه الموضوع له مكتفيا بذكر كلمة « تاريخه » أو « ذيله »، كما فعل مع « البدر العيني » أو « العينتابي » و « ابن خطيب الناصرية »، حيث المقصود بتاريخ العينتابي: « عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان »، وبذيل ابن الخطيب، أو ابن خطيب الناصرية، أو تاريخ حلب أو تاريخ ابن الخطيب « الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب ».

ومع ذلك فانه قد اهتم بنسبة بعض منقوله الى مصادره على وجه قريب من الاكتمال كنحو قوله: « قال لسان الدين بن الخطيب في تاريخ غرناطة.. »[١٠] قاصدا بذلك كتابه: « الاحاطة في تاريخ غرناطة »، وقوله: « .. ذكره محمد بن عبدالرحمن العثماني قاضي صفد في طبقات الفقهاء »[١١]،

---

(١) نفسه ص ٣/٥٠٠.
(٢) نفسه ص ٣/٥٠٦.
(٣) نفسه ص ٣/٥١٤.
(٤) نفسه ص ٣/٣٦٣.
(٥) المصدر السابق ص ٣/٥١٥.
(٦) نفسه ص ١/٣٢.
(٧) نفسه ص ٢/٢٢٣.
(٨) نفسه ص ١/٩٣.
(٩) نفسه ص ١/٩٣.
(١٠) نفسه ص ٢/٣٤٠.
(١١) نفسه ص ١/٣٢.

وقوله: « .. نقلت ذلك من تاريخ اليمن للجنيد تـذييـل الشيـخ حسين بـن الأهدل » [1].

ويبدو أن هذه الطريقة في ايراد المصادر كانت مألوفة على عصره، فضلا عن أن ما يعمى علينا الاهتداء الى تحديده لعله كان ذائع الصيت على عصره.

(٢) الاشارة الى موضع النقل:

لا يعني ذلك اشارة «ابن حجر» الى رقم الصفحة أو السطر المنقول عنه لأن هذه الطريقة في الاسناد الى المصادر ليست الا من معطيات المنهج العلمي المعمول به حديثا، فضلا عن أن هذا العمل كان متعذر الحصور في عصر لم تعرف فيه الطباعة ولم تشع فيه الكتب بطبعاتها المختلفة، بل يكون شيئا من العبث ومضيعة للوقت في عصر المخطوطات التي يتحكم في عدد صفحاتها واقتنائها، بل والاطلاع عليها امكانيـات متملكهـا وكـاتبهـا ومـادة الورق وأدوات الكتـابـة مما يجعـل الوقـوف على الصفحـة ـ المعتبرة حسـب هـذه الامكانات ـ صعب المنال اذا ما حددت.. ناهيك عن مشقة الحصول على المصدر عينه، وانما المعنى بذلك هو الموضوع المحدد المنقول عنه ـ في أي حولية أو ترجمة من التراجم، بحيث يمكن تحديده بسهولة لكل من كان عارفا بتنظيم المصدر ومنهجه، ولذا نجد «ابن حجر» ليس في حاجة الى تحديد موضع النقل بالنسبة لتراجم الوفيات اذا ما عرفت سنة الوفاة لوجود تطابق بينه وبين المصدر في هذا الجانب، وان كان قد نص على ذلك الموضع في التراجم التي اختلف مع مصادرها في تحديد سنة الوفاة، ونبه على أوهامها فيما يختص بذلك، كنحو قوله: « .. وأرخه الشريف الفاسي في سنة عشرين » [2]، وقوله: « .. وذكـره ابـن حجـي في تـاريخه في حـوادث سنـة ثمان وثمانين

(١) نفسه ص ٢/٤١١.
(٢) المـصدر السابق ص ٣/١٨٠.

قال.. »[١] وقوله: « .. وقد ذكر البرزالي فيمن كان بمصر من المسندين في سنة تسع وعشرين وسبعمائة »[٢]، وقوله: « .. فقرأت بخط محمد بن يحيى ابن سعيد في شيوخ حلب سنة ثمان وأربعين أن.. »[٣].

أما فيما يختص بالأحداث فانه قد حدد موضع المنقول اذا ما كان هناك فارق زمني بين الخبر وما يصاحبه من زمن وبين الحولية التي تنتظمه، كنحو قوله: « .. وقصتها شبيهة بالقصة التي ذكرها ابن كثير في أواخر ذيل تاريخه من... »[٤]، وقوله: « .. وقد ذكر الحافظ علم الدين البرزالي في تاريخه في حوادث في سنة عشر وسبعمائة.. »[٥]، وقوله: « ذكر لي كاتب السر كمال الدين في سنة خمس وأربعين.. »[٦]، وقوله: « .. ولم يحفظ فيما مضى مثل ذلك الا في سنة ست عشرة فان الملك المؤيد صاحب حماة ذكر في تاريخه.. »[٧].

وقد يحدد موضع النقل في موضع التطابق الزمني للخبر مع الحولية المنتظمة له في كتابه ومصدره معا، نحو قوله في حوادث حولية ثمان وثمانمائة « وقد بسط العينتابي وأظهر التعصب فيها لجكم لأنه كان ينتمي اليه، فقال في حوادث ذي الحجة سنة ثمان.. »[٨].

(٣) بداية النقل وانتهاؤه:

أشار « ابن حجر » الى بدايات ونهايات نقوله بعبارات واصطلاحات

(١) نفسه ص ٢/٣١٢.
(٢) نفسه ص ١/١١٤.
(٣) نفسه ص ١/٤٣.
(٤) نفسه ص ٧٣ - ١/٧٤.
(٥) نفسه ص ٣/٢٩٨.
(٦) نفسه ص ٣/٤١١.
(٧) نفسه ص ٣/٤٥٧.
(٨) المصدر السابق ص ٢/٣٢٧، ويقابلها لدى العيني. عقد الجمان ق ٨١ ب - ٨٢ أ/١٩.

معبرة عن ذلك أتت لصيقة المنقول وسابقة له نحو قوله: « قال »، « ذكر »، « أرخه »، « هذا بخلاف قول »، « قرأت بخط »، « قرأت في كتاب »، « وكتب عنه »، « ذكر في تاريخه قال »، « قال.. ومن خطه نقلت ».. الخ مما يشير الى أن المتبوع نقلا عن مصدر بعينه، كما أود نصوصا متبوعة بما يشير الى أخذها عن مصدر بعينه مما يتحدد معه دون أدنى لبس مصدرها ابتداء وانتهاء، نحو قوله: « .. رأيت ذلك بخط القاضي برهان الدين بن جماعة »[١]، « .. قاله ابن حجي »[٢]، « .. نقلت تاريخ وفاته من تاريخ العيني »[٣]، « .. هكذا رأيته بخطه »[٤]، « .. نقلت هذا من خط الشيخ تقي الدين المقريزي »[٥]، « ... نقلته من ذيل تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية »[٦]، « .. هكذا ذكره علاء الدين ابن أبي الشوارب »[٧]، « .. نقلت ترجمته من ابن قاضي شهبة »[٨].

كما كان يورد منقولات محصورة بين تعبيرين اصطلاحيين يفيد أولهما أن المتبوع من مصدر بعينه فيتحدد بذلك بداية، بينما يشير الثاني الى انتهاء النقل صراحة أو ضمنا، من ذلك قوله: « .. ذكره الذهبي في المعجم المختص فقال.. انتهى »[٩] « وقد ذكر الذهبي في المعجم المختص وقال.. انتهى »[١٠]، « قرأت بخط تقي الدين الزبيري وأجازنيه: .. انتهى »[١١]،

---

(١) نفسه .ص ٢٣ /٢.
(٢) نفسه ص ٧٤ /٢.
(٣) نفسه ص ٢/١٥٦.
(٤) نفسه ص ٣/١٢٢.
(٥) نفسه ص ٣/٢٩٦.
(٦) نفسه ص ٣/٢٦٣.
(٧) نفسه ص ٣/٢٩٨.
(٨) نفسه ص ٣/٤١٣.
(٩) نفسه ص ١/١١٧.
(١٠) نفسه ص ١/٢٤٤.
(١١) المصدر السابق ص ١/٢٧٧.

وقوله: « رأيت في كتاب بعض من يذكر الحوادث.. قرأت ذلك بخط الشيخ تقي الدين المقريزي »[1]، « قال العينتابي في ترجمة ابن خلدون.. كذا قال »[2].

أو يفصل بين منقول مسند الى مصدره وبين ما سوف يتبعه من قوله هو، كنحو قوله: « قرأت بخط ابن القطان وأجازنيه قال.. قلت.. »[3]، وقوله: « قرأت بخط ابن القطان وأجازنيه.. قلت.. »[4]، وقوله: « قرأت بخط الشيخ تقي الدين ابن قاضي شهبة قال.. قلت.. »[5]، وقوله: « قرأت بخط القاضي برهان الدين بن جماعة.. قلت.. »[6]، وقوله: « قال البرهان المحدث بحلب ومن خطه نقلت.. قلت.. »[7].

أو يفصل بين منقول وآخر بايراد النصوص المتتابعة الاسناد في صدرها أو عجزها الى المصادر، وهي غالبا ما تكون قصيرة، نحو قوله: « .. نقلت ترجمته من ابن قاضي شهبة، ونقلت من خط غيره.. »[8].. وهكذا.

كما أنه كثيرا ما تقابلنا كلمة « قال » متخللة للمنقول مقطعة له مشيرة بدورها الى أن مصدر النقل ما زال ملازما، كنحو قوله: « .. **قال** القاضي تقي الدين الشهبي: كان يكاتب السلطان فيما يريده، فيرجع الجواب بما يختار، وانضبطت الأوقاف في أيامه، وجعل للفقهاء مالا كانوا لا يصلون اليه قبله، وانتزع شيخة الشيوخ من أبي الطيب كاتب السر. **وقال ـ أيضا ـ** وقعت له

---

(١) نفسه ص ٣/٥١٢.
(٢) نفسه ص ٢/٣٤٠.
(٣) نفسه ص ١١٢ - ١/١١٣.
(٤) نفسه ص ١/١٤٨.
(٥) نفسه ص ١/٢٤٢.
(٦) نفسه ص ١/٣٢٨.
(٧) نفسه ص ٣/٢٦٤.
(٨) نفسه ص ٣/٤١٣.

أمور تغير خاطر برقوق عليه منها ـ وكان طلب اقتراض مال للأيتام فامتنع ـ فعزل في جمادي الآخرة سنة ست وتسعين بعدما باشر سنتين وشهرا، وعقدت له بعد عزله مجالس ولفقوا عليه قضايا فلم نسمع عليه مع كثرة من تعصب عليه أنه ارتشى في حكم ولا أخذ من قضاة البر شيئا، ثم أنه بعد ذلك ولي خطابة القدس مدة، ثم ولاه الناصر خطابة دمشق والمشيخة، ثم أضاف اليه القضاء في صفر سنة اثنتي عشرة، ثم صرفه شيخ بعد ثلاثة أشهر، **قال**: وكان خطيبا بليغا له اليد الطولى في النظم والنثر والقيام التام في الحق، وكتب بخطه كثيرا وجمع أشياء..»[1].

وتكرير كلمة «قال» في سياق منقوله عن مصدره لا تشير الى اختصار أو استخراج ما سوف يتبعها منه، أو الحفاظ على حرفية المنقول من لفظ مصدره، أو حتى تجميع هذا الجانب من ترجمة «أبي العباس الباعوني» من متفرقات أتت في مصدره دونما جمع ـ كما قد يتبادر للوهلة الأولى لذهن المطالع لها، حيث أن النص المنقول متتابع لدى مصدره ومنقول من موضع واحد، وها هو ذا النص المقابل لمنقول «الانباء» ليتضح ذلك:

«.. وكان يكاتب السلطان بما يريد، فيرجع الجواب بما يختاره، وانضبطت الأوقاف في أيامه، وحصل للفقراء معاليم كثيرة، ودرس التفسير والفقه في مدارس القضاة وغيرها، وولي مشيخة الشيوخ، انتزعها من كاتب السر ابن أبي الطيب ـ في شهر ربيع الأول سنة أربع وتسعين ـ ثم وقعت له أمور أوجبت تغير خاطر السلطان عليه، منها: أنه طلب منه أن يقرضه من أموال الأيتام شيئا فامتنع فعزله بعدما باشر سنتين ونصفا في جمادي الآخرة سنة ست وتسعين، وكشف عليه، وعقدت له مجالس وحصل في حقه تعصب، واتفقت عليه قضايا باطلة الله تعالى براءته منها، ولم يسمع عنه مع أكثر أعدائه أنه ارتشى في حكم من الأحكام، ولا أخذ شيئا من قضاة البر ـ كما فعله من

(١) المصدر السابق ص ٣/٢٢.

بعده من القضاة ـ ثم ولي خطابة القدس مدة طويلة، ثم خطابة دمشق ومشيخة الشيوخ غير مرة، ثم ولاه الناصر القضاء في صفر سنة اثنتي عشرة وثمانمائة فلم يمكنه اجراء الأمور على ما كان عليه أولا، لتغير الأحوال واختلاف الدول، ثم صرفه الأمير شيخ عند استيلائه على دمشق في جمادي الآخرة من السنة، وفي فتنة الناصر ولي قضاء الديار المصرية من بعد الحصار، ثم انتقض. وكان خطيبا بليغا له اليد الطولى في النظم والنثر مع السرعة في ذلك، وكان من أعظم أنصار الحق وأعوانه ـ أعز الله تعالى به الدين، وكف به أكف المفسدين ـ وكان ظاهر الديانة، كثير البكاء وكتب الكثير بخطه وجمع أشياء.. »[1].

.. وهكذا فان تخلل لفظة « قال » للنص ليس المراد منها الا الاعلام بأن النص المنقول ما زال متتابعا، وأن مصدره ما زال ملازما.

وينسحب ذلك على كثير من النقول الشائعة في مؤلفه، والتي اتبع فيها نفس الطريقة[2].

لكن مع هذا لا تزال بداية النقل وانتهاؤه تشكل منزلقا للدارسين في تراثنا العربي الاسلامي من هذا النوع المبحوث فيه، فلقد وردت نصوص وعبارات مطولات لدى « ابن حجر » في « الانباء » دون نسبة الى مصدر بعينه في موضع يترجح معه ـ للوهلة الأولى ـ أنها ليست الا من بنات فكره، خاصة اذا ما قورنت بما عرف من دقة كاتبها ـ على هذا النحو ـ في الانتساب الى المصادر، ويبدو أن هذه طريقة كانت مألوفة ومتبعة في عصره، وأنها من غير المعيب لديهم. ومن الأمثلة الموضحة ـ على طولها ـ ما ورد في « الانباء » بخصوص ترجمة « ابن خلدون » الواردة ضمن وفيات حولية ثمان

---

(١) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٨٥ ب.

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٤٨، ٥٢، ٨١، ٩٥، ١١٢ - ١١٣، ٣٦٠ - ١/٣٦١، ١٩٧، ١٩٨، ٢٤٧، ٣٣٤، ٢/٣٥٦..

وثمانمائة حيث وردت ترجمته لديه موزعة على ثلاثة أقسام من حيث الانتساب الى المصادر: القسم الأول دونما نسبة الى مصدر، والقسم الثاني مسند الى صاحب كتاب «الاحاطة»، بينما القسم الثالث والأخير قد أتى منسوب الأول والآخر الى «البدر العيني» هكذا: «.. قال العينتابي في ترجمة ابن خلدون.. وكذا قال»[1] مما يحصر منقوله عن العيني - جريا على هذه القاعدة - في العبارة المحصورة بينهما. بيد أن الدراسة المقارنة تظهر خلاف ذلك، حيث أن النص الأول الذي أتى غفلا من الانتساب الى أي مصدر قد نقل بكامله - تقريبا - على التتابع عن «الاحاطة»، و «عقد الجمان»، وها هو ذا نص «ابن حجر» في هذا الموضع مقابلا بمصدره:

يقول ابن حجر: «عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبدالرحيم الحضرمي المغربي المالكي المعروف بابن خلدون، ولد سنة ٧٣٣، وسمع من الواداياشي وغيره، وقرأ القرآن على أبي عبدالله بن سعد بن بزال افرادا وجمعا، وأخذ العربية عن أبيه وأبي عبدالله الحصائري، وأبي عبدالله بن بحر، وأخذ الفقه عن محمد بن عبدالله الحياني وقاضي الجماعة بن عبدالسلام، وأخذ عن عبد المهيمن الحضرمي، ومحمد بن ابراهيم الأبلي - شيخ المعقول بالمغرب - وبرع في العلوم، وتقدم في الفنون وبهر في الأدب والكتابة»[2].

ويقابل ذلك لدى صاحب الاحاطة: «عَبْدالرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبدالرحمن بن خلدون الحضرمي.. قرأ القرآن ببلده على المكتب ابن برزال، والعربية على المقري الزواوي وابن العربي، وتأدب بأبيه، وأخذ عن المحدث أبي عبدالله بن جابر الواد آشي وحضر مجلس القاضي أبي عبدالله بن عبدالسلام، وروى عن

---

(١) نفسه ص ٢/٣٣٩.

(٢) نفسه ص ٢/٣٣٩.

الحافظ عبدالله السطي والرئيس أبي محمد عبدالمهيمن الحضرمي، ولازم العالم الشهير أبا عبدالله الآيلي وانتفع به..»[1].

وهكذا فان صدر النص قد أخذ عن «ابن الخطيب» وان كان «ابن حجر» قد تصرف فيه، أما عجزه فقد أخذه عن «البدر العيني»، وهو: «.. وولي كتابة السر بمدينة فاس لأبي عثمان، ولأخيه أبي سالم، ودخل غرناطة في الرسلية سنة أربع وستين. وكان ولي بتونس كتابة العلامة، ثم ولي الكتابة بفاس، ثم اعتقل سنة ثمان وخمسين نحو عامين، ودخل بجاية بمراسلة صاحبها فدبر أموره، ثم رحل ـ بعد أن مات ـ الى تلمسان باستدعاء صاحبها فلم يقم بها، ثم استدعاه عبدالعزيز بفاس فمات قبل قدومه فقبض عليه، ثم خلص فسار الى مراكش، وتنقلت به الأحوال الى أن رجع الى تونس سنة ثمانين فأكرمه سلطانها فسعوا به عند السلطان الى أن وجد غفلة ففر الى المشرق، وذلك في شعبان سنة أربع وثمانين، ثم ولي قضاء المالكية بالقاهرة، ثم عزل وولي مشيخة البيبرسية، ثم عزل عنها، ثم ولي القضاء مرارا، كان آخرها في رمضان من هذه السنة (٨٠٨ هـ.) فباشره ثمانية أيام فأدركه أجله. وكان ممن رافق العسكر الى تمرلنك فأعجبه كلامه وبلاغته وحسن توسله الى أن خلصه الله من يده. وصنف التاريخ الكبير في سبع مجلدات ضخمة ظهرت فيه فضائله وأبان فيه عن براعته، ولم يكن مطلعا على الأخبار على جليتها، لا سيما أخبار المشرق، وهو بين لمن نظر في كلامه وكان لا يتزيا بزي القضاة، بل هو مستمر على طريقته في بلاده. مات في خامس عشري رمضان»[2].

ويقابله لدى مصدره قوله: «.. قاضي القضاة ولي الدين عبدالرحمن ابن محمد بن محمد بن محمد بن جابر الحضرمي المغربي المالكي المعروف بابن خلدون، **توفي ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من رمضان فجأة**، وكان

(١) ابن الخطيب. الاحاطة في أخبار غرناطة ص ٤٩٧ - ٣/٤٩٨.
(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣٣٩ - ٢/٣٤٠.

قد تولى القضاء قبل موته بثلاثة أيام، وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة. أدرك جماعة من العلماء الكبار وولي كتابة السر بمدينة فاس، ودخل غرناطة في الرسلية، ثم ولي بتونس كتابة العلامة ثم ولي الكتابة بفاس، ثم جرى عليه أمر فاعتقل سنة ثمان وخمسين نحو سنتين، ثم تخلص ودخل بجاية بمراسلة صاحبها، ثم رحل الى تلمسان بعد أن مات صاحب بجاية ثم استدعاه عبدالعزيز بفاس فمات قبل قدومه، وقبض عليه، ثم خلص وسار الى مراكش وتقلبت به الأحوال الى أن رجع الى تونس سنة ثمانين وسبعمائة فأكرمه سلطانها فسعوا به عنده الى أن وجد عليه فهرب الى المشرق وذلك في شعبان سنة أربع وثمانين وسبعمائة، ودخل الديار المصرية، ثم ولي القضاء بالقاهرة، ثم عزل وتولى مشيخة البيبرسية، ثم عزل عنها، ثم ولي القضاء مرارا كان آخر التولية له في رمضان من هذه السنة فباشر ثلاثة أيام فأدركه الموت. وكان رجلا فاضلا صاحب أخبار ونوادر ومحاضرة مليحة، وله تاريخ في سبع مجلدات أمعن فيه ما يتعلق ببلاده، ولم يطلع على الأمور التي وقعت في بلاد الشرق على جليتها، يظهر ذلك لمن ينظر في كلامه، وكان سافر مع الناصر الى محاربة تمرلنك وهو معزول، واجتمع في دمشق بتمرلنك فأعجبه كلامه حتى خلي سبيله مكرما، وعاد الى القاهرة، ومع هذا كله **كان يتهم بأمور قبيحة**. سامحه الله تعالى »[1].

تلك ترجمة « ابن خلدون » لدى « البدر العينيَ » يتضح بمقابلتها بترجمته في « الانباء » أن النص المذكور مأخوذ عنها، حيث التشابه الى حد التطابق في الألفاظ والمحافظة على النسق الترتيبي باستثناء عنصرين وردا بخصوص تقويم علومه، ونقد كتابه في التاريخ، حيث أجل الثاني الى آخر النص، بينما أتى الأول في عجز الترجمة منسوبا الى مصدره. كما أن « ابن حجر » لم يضف الى النص من عنده الا قوله « .. وكان لا يتزيا بزي القضاة بل هو مستمر على

(١) العيني. عقد الجمان ق ١٨٢ أ، ب/١٩.

طريقته في بلاده» وقد كان المنتظر منه ـ فضلا عن الابانة عن مصدره ـ أن يأتي في ترجمته «لابن خلدون» بالكثير عنه على اعتبار أنه من مشايخه الذين أجازوه [1].

ونحو ذلك ترجمته «للتاج العجمي» ـ ضمن وفيات حولية سبع وثمانمائة ـ بقوله:

«تاج بن محمود (العجمي) الأصفهيدي، الشيخ تاج الدين العجمي نزيل حلب. قدم من بلاد العجم حاجا، ثم رجع فسكن في حلب بالمدرسة الرواحية وأقرأ بها النحو، ثم انثالت عليه الطلبة فلم يكن يتفرغ لغير الاشتغال، بل يقرىء من بعد صلاة الصبح الى الظهر بالجامع (الأموي)، ومن الظهر الى العصر بجامع منكلي بغا، ويجلس من العصر الى المغرب بالرواحية للافتاء.

وكان عفيفا، ولم يكن له حظ، ولا يطلع على أمر من أمور الدنيا، وأسر مع اللنكية فاستنقذه الشيخ ابراهيم صاحب شماخي وأحضره الى بلد مكرما فاستمر عنده الى أن مات في ربيع الأول.

أخذ عنه غالب أهل حلب وانتفعوا به، وقد شرح المحرر في الفقه وأقرأ الحاوي.

قرأت بخط القاضي علاء الدين في تاريخه: سألته عن مولده في سنة احدى وثماني مائة فقال: لي الآن اثنتان وسبعون سنة» [2].

المطالع لهذه الترجمة يترجح لديه أن منقول «ابن حجر» عن «ابن خطيب الناصرية» ينحصر في ذيل الترجمة المسند الى المصدر تبعا لقول «ابن حجر»: «.. قرأت بخط القاضي علاء الدين في تاريخه..» لكن الدراسة المقارنة تثبت

---

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٣٥ ب، محمد عبدالله عنان. ابن خلدون حياته وتراثه الفكري ص ١٠٧ ـ ١٠٨، حيث استدعاء ابن حجر لابن خلدون واجازته له في منتصف شعبان سنة سبع وتسعين وسبعمائة ـ نقلا عن: «التذكرة الجديدة» جـ٦.

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٣٠١ تر٥.

خلاف ذلك، حيث أن الترجمة بكاملها مأخوذة عن «ابن خطيب الناصرية» وان تصرف «ابن حجر» في مصدره بابدال بعض ألفاظ النص، وتعديل النسق الترتيبي له في موضع واحد، وهو المتعلق بذكر مؤلفات المترجم له.

وهذا هو نص «ابن خطيب الناصرية» ليتضح ذلك:

«تاج الدين بن محمود العجمي الأصفهندي الشافعي الملقب: تاج الدين شيخنا ـ ورد من بلاد العجم الى حلب، ثم توجه الى الحجاز، ثم عاد الى حلب فسكن بها بالمدرسة الرواحية، وولي تدريس النحو بها، وكان اماما عالما ورعا صنف وأفتى وشغل الطلبة بجامعي الأموي ومنكلي بغا، وكان يشغل في علوم كثيرة وله على المحرر شرح، وألف شرحا على ألفية ابن مالك في النحو، لكنه ليس بطائل وغير ذلك.

كانت أوقاته مستغرقة بالعبادة من بكرة النهار الى وقت الظهر ـ في الغالب ـ يشغل بالجامع الأموي، ومن الظهر الى العصر بجامع منكلي بغا، ومن العصر الى المغرب يجلس للافتاء بالمدرسة الرواحية..

وكان عزبا، ونفسه عفيفة، لم يكن له مطمع الى الدنيا، واستمر على ذلك الى حين مجيء التتار الى حلب قاصدا سيرا الى تمرلنك، ثم أن الشيخ ابراهيم ـ صاحب شماخي ـ طلبه من تمرلنك واستدعاه الى بلاده مكرما فتوجه معه اليها، واستمر هناك الى أن توفي بشماخي في أثناء شهر ربيع الأول سنة سبع وثمان مائة، وكان رحمه الله تعالى أحد مشايخي الذين قرأت عليهم، وكنت كثير الاجتماع به.

سألته عن مولده ـ في سنة احدى وثمان مائة ـ فلم يستحضره، وقال: لي الآن اثنتان وسبعون ـ رحمه الله تعالى»[1].

.. وهكذا فان طرقه في نسبة منقوله الى مصادره وان تحددت معها هذه

---

(١) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ق ١٩٢ أ/١.

اللمع والنقول المنسوبة لا تكفي في حصر كل منقولة عن مصادره، فضلا عن تحديد بداية النقول ونهاياتها، وبالتالي لا يمكن الاعتماد على مثل تلك النقول في بناء هيكل تركيبي لتلك المؤلفات الضائعة التي استوعبها أو نقل عنها في «الانباء» على اعتبار أنه قد تصرف فيها سواء من حيث النسق الترتيبي أو التعبيري زيادة واختصارا على نحو ما سوف يأتي.

(٤) دلالات النقل عند عدم التصريح به:

على انه في حالة عدم اسناد المنقول الى مصدره بأي من الطرق السالفة يمكن أن نتلمس لدى كثير من النصوص الواردة في «الانباء» بعض العبارات والألفاظ الاصطلاحية الدالة على المصدر المنقول عنه، وهي غالبا ما تعبر عن مصدر واحد وتنحصر في قوله: «أرخه..»، «ترجمه..»، «كتب عنه..»، «ذكره..»، «نوه به..»، أثنى عليه..»، «أخذ عنه.. وكان يطريه»..

ومن أمثلة ذلك قوله: «.. سمع منه شيخنا العراقي وهو الذي أرخه»[(١)]، أو «.. سمع منه شيخنا وأرخه»[(٢)]، «.. أرخه طاهر بن حبيب»[(٣)]، «.. أرخه البرهان المحدث وأثنى عليه»[(٤)]، وقوله: «.. أخذ عنه القاضي بدر الدين العيني وهو الذي ترجمه»[(٥)]، «.. عمل لها ولدها الشيخ تقي الدي (المقريزي) ترجمة جيدة وحدث عنها عن أبيها من شعره»[(٦)]، وقوله: «.. وكتب عنه ابن حجي وأرخ وفاته في المحرم»[(٧)]،

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٢٩.
(٢) نفسه ص ٥٠ /١.
(٣) نفسه ص ١/١٦٤.
(٤) نفسه ص ٢/٣٠٠.
(٥) نفسه ص ١/٥٢١.
(٦) نفسه ص ٣٣ /٢.
(٧) نفسه ص ١/٤١٧.

« .. وكتب عنه الشيخ برهان الدين من فوائده »[1]، وقوله: « .. ذكره القاضي علاء الدين في تاريخه »[2]، « .. ذكره ابن حجي »[3]، وقوله: « .. وكان قد صحب التاج السبكي فنوه به »[4]، وقوله: « .. وأثنى عليه القاضي علاء الدين في تاريخ حلب »[5]، « .. أثنى القاضي علاء الدين في تاريخه على خيره ودينه »[6]، « .. أثنى عليه ابن حبيب »[7]، « .. أثنى عليه ابن حجي »[8].

وللدلالة على صدق ذلك يمكن مقابلة بعض النصوص والتراجم الواردة في « الانباء » متبعا فيها هذه الطريقة بالمصدر المشار اليه، والمرجوح الأخذ عنه ـ حسب هذه القاعدة ـ حيث نجد أن « ابن خطيب الناصرية » قد ترجم « أحمد المقرىء الحلبي » على النحو التالي: « أحمد الحموي المقرىء نزيل حلب، رجل صالح دين ورع، أقام بحلب عدة سنين يقرىء الناس القرآن وهو مقبل على التلاوة والعبادة والورع غير ملتفت الى الدنيا بالكلية، وكان من عباد الله الصالحين الورعين، وهو شيخي في قراءة القرآن، سكن في المسجد الكائن بجوارنا ـ بالقرب من مدرسة شاذ بخت النوري ـ ثم انتقل الى الخانقاة الشمسية فسكنها الى أن رحل منها ـ قبل واقعة تمرلنك ـ الى بيت المقدس فسكنه، ثم انتقل الى طرابلس، ثم الى دمشق، ولم يكن تزوج الى ذلك الوقت ـ فيما علمت ـ ثم أنه رجع الى طرابلس وتزوج بها، وتوفي وجاء الخبر بوفاته الى حلب في شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة، وصلي عليه بجامع حلب

---

(١) نفسه ص ٢/٣٣٢.
(٢) المصدر السابق ص ١/١٨٣، ٢/١٢٧، ٣/٧٧.
(٣) نفسه ص ١/٥١٤.
(٤) نفسه ص ٢٤ /٢.
(٥) نفسه ص ٦٥ /١.
(٦) نفسه ص ٤٢ /٣.
(٧) نفسه ص ٤٤ /١.
(٨) نفسه ص ١٥٨، ١/٥٢١، ٢/١٩٧.

صلاة الغائب ـ رحمه الله تعالى »[1] فلما ترجمه « ابن حجر» في « الانباء » ضمن وفيات حولية سبع عشرة وثمانمائة عمد الى « ابن خطيب الناصرية » أخذا في الترجمة عنه انتقاء، دون زيادة على مصدره قائلا: « أحمد بن أحمد المقرىء الحلبي اعتنى بالقرآن، وكان يقرىء بمسجد يجاور الشاذبختية بحلب مدة، ثم تحول من حلب الى القدس قبل الواقعة العظمى، وانتقل الى دمشق وأقام بها، ثم الى طرابلس فأقام بها، واستمر الى أن مات في شوال سنة ٨١٧ ـ **أثنى القاضي علاء الدين في تاريخه على خيره ودينه/**[2].

ومن ذلك قوله في ترجمة « ابن خاص التركي » ـ ضمن وفيات حولية تسع وثمانمائة: « أحمد بن قاضي الترك الحنفي، شهاب الدين أحد الفضلاء المتميزين من الحنفية مات في هذه السنة بالقاهرة، **وأخذ عنه بدرالدين العيني المحتسب وكان يطريه** »[3]. ويقابل ذلك لدى مصدره قوله: « الشيخ شهاب الدين أحمد بن خاص التركي الحنفي كان مشتغلا بالفقه والحديث ليلا ونهارا، وكتب كثيرا، ودرس وجمع. ومات في هذه السنة بالقاهرة »[4]. وهو ما يشير الى أن « ابن حجر» قد ترجمه عن « العيني » على الرغم من افتقار مصدره ـ في هذا الموضع ـ الى بسطه في القول، وأنه لم يفد الى جانب ترجمته لدى مصدره الا كون « العيني » من تلامذته.

وينسحب ذلك على ترجمته « لزين الدين السنجاري » ـ ضمن وفيات حولية أربع وسبعين وسبعمائة ـ حيث نقل ما تعلق بعناصر ترجمته عن « ابن حبيب » انتقاء وان كان قد خالفه في تقدير عم المترجم له حال الوفاة[5].

---

(١) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ق ١٤٩ ب/١.

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٤١ - ٤٢/٣.

(٣) نفسه ص ٣٦١/٢.

(٤) العيني. عقد الجمان ق ٨٨ أ/١٩.

(٥) ابن حجر. انباء الغمر ص ٤٤/١، ويقابلها لدى ابن حبيب. درة الأسلاك في دولة الأتراك ق ٤٧٣/٣.

(٥) الاهتمام بموارد المصادر التي ينقل عنها:

عمد «ابن حجر» الى اثبات منقوله مسندا الى مصادره الأصلية في موارده توثيقا لها وللمادة كتابه ـ كذلك ـ ولعل في ذلك ادراكا منه بأهمية هذا العمل في توضيح أو تعليل أفضلية المصدر الذي ينقل عنه على السواء وخصوصيته وان تعاصرا، ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية ثلاث وثمانمائة بخصوص طروق المغول للشام: « .. وذكر القاضي محب الدين ابن الشحنة عن حافظ الخوارزمي أنه أخبره أن ديوان اللنك اشتمل على ثمانمائة ألف مقاتل..»[١]، ويقابل ذلك في المصدر المنقول عنه قوله: « .. أخبرني الخوارزمي أنه المدونون من عساكره (أي من عساكر تيمورلنك) المحصون ثمانمائة ألف..»[٢].

وقوله في حوادث حولية ست وسبعين وسبعمائة نقلا عن «ابن حجي» بخصوص طاعون دمشق: « .. فذكر الشهاب بن حجي أن يعقوب الدلال بسوق الخيل أخبره أنه رأى الجن عيانا على خيل كالجراد المنتشر وبأيديهم رماح في بعض أزقة الصالحية وطاعنهم وطاعنوه، وصار يتحدث بذلك ويحلف والناس بين مصدق ومكذب فطعن هو ومات عن قرب ورئي في بدنه أثر طعنات. قال: أخبرني بذلك من ولي غسله»[٣].

وهو هنا يورد الخبر مصاحبا لمصادر توثيقه لدى المصدر المنقول عنه سواء بنسبته لدلال بسوق الخيل، أو لمن ولي غسله لا توثيقا للخبر في حد ذاته فحسب، بل وتبرئة لساحة «ابن حجي» وتوثيقا له. وقد كانت بينهما صحبة ومزاورة.

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/١٣٦.
(٢) ابن الشحنة. روض الناظر في علم الأوائل والأواخر ق ١٤٠ أ.
(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ٧٦ - ١/٧٧.

وقوله في ترجمة « شمس الدين بن الصائغ » ـ ضمن وفيات حولية ست وسبعين وسبعمائة »: « .. أخبرني ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم الحنفي اذنا وكتبته من خطه قال: أخبرني الشيخ شمس الدين بن الصائغ أنه شاهد بمصر بجامع عمرو بن العاص أكثر من خمسين متصدرا يقرأ عليهم الناس العلوم.. »[1].

وقوله في ترجمة احدى وفيات حولية خمس وعشرين وثمانمائة[2] ما نصه:

« .. نقلت هذا من خط الشيخ تقي الدين المقريزي عن نقله من بعض من يثق به من المغاربة القادمين الى الحج »[3].

وقوله في ترجمة الشيخ « زين الدين الحلالي » ـ ضمن وفيات حولية ست وثلاثين وثمانمائة ـ نقلا عن « ابن خطيب الناصرية »: « .. قاله القاضي علاء الدين قال: واجتمعت به فرأيته عالما بالفقه والمعاني والبيان والعربية وله صيت كبير في بلاده، وكان عالما، قرأت بخط عبدالرحمن بن محمد الحلالي الشافعي القزويني أنه يروي البخاري عن قاضي المدينة عن الحجار ولم يسمعه، وأنا أظنه شيخنا زين الدين بن حسين »[4].

وفي المحافظة على مصدر مصدره هنا اقتضاء لمعهود « ابن حجر » من الأمانة العلمية مضافة الى المحافظة على اجتهاد مصدره في نقطة عميت عليه في المصدر الأصلي بشأن تقدير ما يحمله المترجم له وتقدير اشتغاله. ان

---

(١) نفسه ص ١/٩٥.
(٢) هو « يعقوب بن عبدالله الخاقاني الفاسي ».
(٣) نفسه ص ٣/٢٩٦.
(٤) نفسه ص ٣/٥٠٦ تر ١٠، ويراجع بشأن التثبت من أن اصطلاحات القول هي للمصدر الأصلي ـ الضوء اللامع ص ٤/١٥٥، وحاشية د. حسن حبشي رقم: ٦ ص ٣/٥٠٦ من الانباء.

أصاب في اجتهاد فلا بأس، وان أخطأ فالعهدة عليه فيما أورده، وليس على «ابن حجر» ويؤيد ذلك عبارته في غير هذا الموضع قرين منقوله عن بعض مصادره: « .. والعهدة فيه عليه»[1].

(١) ابن حجر. أنباء الغمر ص ٢/٤٧٣.

ثالثا - طرق النقل

عالج «ابن حجر» منقوله عن مصادره المكتوبة بطرق شتى يمكن حصرها في الآتي:

(١) الالتزام الحرفي بمادة مصادره - قدر امكانه.

(٢) التصرف في النص من حيث اللفظ - تعديلا وابدالا، زيادة واختصارا - مع الحفاظ عن النسق الترتيبي للمورد الأساسي للمنقول.

(٤) الالتزام بالحرفية للألفاظ - قدر امكانه - مع تغيير النسق الترتيبي وتعديله.

(٥) التصرف في اللفظ والنسق الترتيبي معا.

(٦) النقل بالفكرة مع اغفال العبارة الأصلية لمصدره.

وهو - بذلك - شأنه شأن جل المصادر القديمة - لا يعاب الا بقدر الدقة والاخلال بها من حيث نقل المعلومة الصحيحة من مصدره الأصلي.

ويضاف الى ذلك أنه قد اتبع في الافصاح عن منهجه - هذا - أسلوبا لا يبين في الغالبية العظمى - من المنقولات - عن تصرفه في مصدره، فعلى حين عنايته ببيان أن المنقول - في بعض النصوص - قد تصرف فيه انتقاء أو اختصارا أو نقله نصا [1] نراه لا يشير في الغالبية العظمى منها الى ذلك. ولعل في الأمثلة الآتية ما يوضح ذلك:

---

(١) كنحو قوله في حوادث حولية خمس وثمانمائة: «.. وقرأت بخط الشيخ برهان الدين المحدث بحلب ما نصه..» - انباء الغمر ص ٢/٢٢٩، وقوله: في ترجمة كمشبغا الحموي (ت ١. ظ هـ.): «.. قال العينتابي.. انتهى ملخصا» - نفسه ص ٢/٨٢.

(١) الالتزام الحرفي بمادة مصادره قدر امكانه:

وفيه يعمد « ابن حجر » الى مصدره ينقل منه حرفيا ، مع الحفاظ على النسق الترتيبي للمعلومة المنقولة في « الانباء » ، أو يعمد الى منقول بينه وبين ما في « الانباء » تشابه كبير من حيث اللفظ والنسق الترتيبي للفكرة.

من ذلك ما ورد في ترجمته لأبي نعيم العامري الغزي ـ ضمن وفيات حولية اثنتين وعشرين وثمانمائة من قوله:

« .. قال القاضي تقي الدين الأسدي: جرت له محنة سنة خمس وتسعين وحج وجاور ثلاث مرات ، وناب في الحكم بعد الفتنة اللنكية واستمر ، وباشر المرستان والجامع فانحط بسبب ذلك ، وكان فصيحا ذكيا جريئا مقداما وبديهته أحسن من رؤيته وطريقته جميلة ، وباشر الحكم على أحسن وجه »[١].

ويقابل مقولته في المصدر الأصلي لها قول ابن قاضي شهبة:

« .. ثم حصلت له محنة في شهر رمضان سنة خمس وتسعين ، وحج وجاور بمكة ثلاث مرات ، وناب بعد الفتنة في القضاء واستمر مدة طويلة ، وناب في المارستان ، وباشر في الجامع فانحط بسبب ذلك ، وكان ذكيا فصيحا جريئا مقداما ، بديهته أحسن من رؤيته ، وطريقته جميلة. وباشر القضاء على أحسن وجه »[٢].

ويلاحظ ـ هنا ـ الشبه الكبير بين النصين ، حيث المحافظة على النسق الترتيبي للنص مع الابدال الطفيف لبعض الكلمات أو التخفف من بعض الألفاظ ، حيث أبدل حصلت بجرت ، والحكم بالقضاء ، مع اسقاط بعض الألفاظ التي لا يتغير المعنى باسقاطها مثل قوله: شهر رمضان ، بمكة ، ناب في. كما أنه قد أدخل على النص كلمة هي « اللنكية » نسبة للفتنة ، وغير

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٢٠٤.

(٢) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ٢٠٠ أ.

ترتيب الصفات فسبقت فصيحا ذكيا..

ويماثل ذلك ـ كذلك ـ قوله بخصوص ترجمة «الشهاب الطنتدائي» الواردة ضمن وفيات حولية اثنتين وعشرين وثمانمائة: «.. ذكره ابن قاضي شهبة وقال: حفظ ما ينيف على خمسة عشر ألف بيت رجز في عدة علوم منها تفسير الشيخ عبدالعزيز الديريني، ونظم المطالع للموصلي»[1].

ويقابله لدى مصدره قوله:

«.. وحفظ ما ينيف على خمسة عشر ألف بيت رجز في عدة علوم منها تفسير الشيخ عبدالعزيز الديريني، ونظم المطالع للموصلي»[2].

وليس خفيا وجه التطابق بين النصين.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك قوله في ترجمته لتغري بردي الكمشيغاوي (ت ٨١٥ هـ.) «.. قال القاضي علاء الدين في تاريخه: كان عنده عقل وحياء وسكون، ثم قال أيضا كان كثير الحياء والسكون، حليما عاقلا مشارا اليه **بالتعظيم** في الدولة»[3].

ويقابل ذلك لدى مصدره قوله:

«.. وكان عنده عقل وحياء وسكون.. وكان ـ رحمه الله تعالى ـ كثير الحياء والسكون حليما عاقلا مشارا اليه في الدولة ـ رحمه الله تعالى»[4].

ويكاد النصان يتطابقان لولا ادخال «ابن حجر» كلمة «بالتعظيم» على النص وأسقاطه عبارتي الترحيم.

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٤٢٤.

(٢) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ٢٠٠ ب.

(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٥٢٧.

(٤) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ق ٢٩٤ ب - ٢٩٥أ/١.

(٢) انتقاء المنقول مع الحفاظ على ألفاظ المصدر الأصلي:

وفيه يعمد «ابن حجر» الى احداث اسقاطات في النص نشدانا للاختصار، مع الحفاظ على ألفاظ المصدر الأصلي والنسق الترتيبي للمنقول.

ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة «ابن خلدون» الواردة ضمن وفيات حولية ثمان وثمانمائة:

«قال لسان الدين بن الخطيب في تاريخ غرناطة: رجل فاضل، جم الفضائل، رفيع القدر، أصيل المجد، وقور المجلس، عالي الهمة، قوي الجأش، متقدم في فنون عقلية ونقلية، متعدد المزايا، سديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التصور، بارع الخط، حسن العشرة، مفخرة من مفاخر المغرب، قال هذا كله في ترجمته والمذكور في حد الكهولة»[١].

وبالرجوع الى المصدر الأصلي يتضح أن «لسان الدين بن الخطيب» قد ترجم «ابن خلدون» في «الاحاطة» فيما يقارب العشرين صفحة[٢] مضمنا العناصر التالية:

نسب ابن خلدون وأوليته ـ حاله وصفاته ـ تكوينه العلمي وشيوخه ـ انصرافه عن افريقية منشئه ودخوله المغرب ـ دخوله غرناطة ومراسلاته لابن الخطيب واجابة ابن الخطيب عنها ـ مؤلفاتها ـ مقطوعات شعرية له ـ وصوله الى بجاية، ثم انصرافه عنها وتحوله الى بسكرة ـ مولده.

ولم يقع اختيار «ابن حجر» الا على العنصر المتعلق ببيان حاله وصفاته وهو:

«.. هذا **الرجل الفاضل**، حسن الخلق، **جم الفضائل**، باهر الخصل،

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٣٤٠ تر١٨.

(٢) ابن الخطيب. الاحاطة في أخبار غرناطة ص ٤٩٧ ـ ٣/٥١٦.

رفيع القدر، ظاهر الحياء **أصيل المجد**، **وقور المجلس**، خاصي الزي،**عالي الهمة** **عزوف** عن الضم، صعب المقادة، **قوي الجأش**، طامح لقنن الرياسة، خاطب للحظ، **متقدم في فنون عقلية ونقلية**، **متعدد المزايا**، **سديد البحث**، **كثير الحفظ**، **صحيح التصور**، **بارع الخط**، مغري بالتجلية، جواد الكف، **حسن العشرة**، مبذول المشاركة مقيم لرسوم التعين، عاكف على رعي خلال الأصالة، **مفخرة من مفاخر التخوم المغربية**»[1].

وبالدراسة المقارنة للنص لدى «ابن الخطيب» ومنقول «ابن حجر» عنه يتضح الآتي:

أولاً ـ أنه قد حافظ على ألفاظ النص الأصلي الا في موضعين لايضار النص بتعديلها وهما: «رجل فاضل» ويقابلها في النص الأصلي: «الرجل الفاضل» ـ أي مع حذف أداة التعريف «الـ» في كليهما ـ وقوله: «من مفاخر المغرب» ويقابلها في النص الأصلي المنقول عنه: «من مفاخر التخوم المغربية».

ثانيا ـ أنه أسقط جملا تتخلل بين الجمل الواردة في عبارته عن المصدر الأصلي في ثمانية مواضع تحتوي على بعض الصفات التي لا يغنى عن ايرادها سائر الجمل الأخرى الواردة في المثبت لديه وهي: «حسن الخلق، باهر الخصل ظاهر الحياء، خاص الزي، عزوف عن الضيم، صعب المقادة، طامح لقنن الرياسة، خاطب للحظ، مغري بالتجلية، جواد الكف، مبذول المشاركة، مقيم لرسوم التعين، عاكف على رعي خلال الأصالة». أي ما يعادل منقوله من النص. ولعل دافعه الى ذلك ـ مضافا الى جريه على طريقته في الاختصار ـ توهمه أن المقصد من عبارته المصدر الأصلي اسداء المديح للمترجم له، وفي المنقول ما يبين ذلك، فضلا عن بيان حال الرجل وتقويم مصدره له.

---

(١) المصدر السابق ص ٤٩٧ - ٣/٤٩٨.

ثالثا - على الرغم من اختصاره للنص على هذه الصورة، فانه لم يشر الى ذلك على عادة بعض المؤرخين التقليديين كالذهبي وغيره من قولهم في حالة انتقاء أو اختصار النص الأصلي المنقول عنه: « .. لخصت ترجمته من..» أو « .. هذا معنى ما ذكره..» وغيرها(١).

وانما أسنده الى مصدره قائلا: « .. قال لسان الدين بن الخطيب في تاريخ غرناطة:..»، معقبا عليه بقوله: « .. قال هذا كله في ترجمته» وهو ما لا يفهم منه أنه قد عمد الى الاسقاطات من النص الأصلي، وان لم ينتف كون المنقول مسندا الى القائل على وجه الدقة باعتبار أنه قد حافظ على لفظ «ابن الخطيب» باستثناء تغيير طفيف في موضعين - وبمعنى آخر، على اعتبار أنه لم يضف على النص من عنده ما يجعله يقوله ما لم يقله.

(٣) التصرف في النص من حيث اللفظ - تعديلا وابدالا، زيادة واختصارا مع الحفاظ على النسق الترتيبي للمورد الأساسي للمنقول:

وعلى العكس تماما مما فعله بنص «ابن الخطيب» في ترجمته «لابن خلدون» نجدنا مع «ابن حجر» وقد عالج مصدرا آخر نقل عنه في ترجمته للمشار اليه بطريقة أخرى وهو «عقد الجمان» للبدر العيني، حيث قال في ترجمته لابن خلدون ما نصه:

« .. قال العينتابي في ترجمة ابن خلدون: مات فجأة بعد أن أعيد الى القضاء بثلاثة أيام، وكان دينا فاضلا، صاحب أخبار ونوادر ومحاضرة حسنة، وله تاريخ مليح، وكان يتهم بأمور قبيحة - كذا قاله»(٢).

وبمطالعة هذا المنقول المثبت لدى «ابن حجر» عن «البدر» يتضح الآتي:

أولا - أن الوارد هنا وهو قرابة الثلاثة أسطر من ترجمة البدر لابن

---

(١) بشار عواد معروف. الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام ص ٤٣٥.
(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٣٤٠.

خلدون فيما يقارب الـ ١٥ سطرا ـ هو جزء من مقولته في ابن خلدون حسب نص ابن حجر: «قال العينتابي في ترجمة ابن خلدون:..»، وبمعنى آخر، وهو ما يشير الى أنه سوف يعمد الى اقتضاب النص على صورة من صور الاقتضاب.

ثانيا ـ أن اردافه المقولة المسندة الى البدر بقوله: «كذا قال» وقد أتت ذيلا على مقولة لغيره في المترجم له ـ ابن الخطيب ـ يفهم منه أن «ابن حجر» قد أدرك التباين بين المقولتين: الأولى في موضع المدح المفرط والمسرف ـ أحيانا ـ والثانية الخالطة بين المديح والقدح في شخص المترجم له، ويفهم منه ـ كذلك ـ أنه لم يكن مؤيدا له أو على وجه الدقة معلقا لرأيه فيه تاركا للقارىء المقابلة واعتناق ما يريد على سبيل المحايدة وكتمان الرأي أو الامتناع عن ابدائه.

لكن بالدراسة المقارنة بين مادة القول المسندة لدى «ابن حجر» الى «البدر» وبين ما ورد فعلا في ترجمة «العيني» لابن حجر[١] تتضح أمور أخرى تتعلق بمنهج «ابن حجر» في النقل عن مصادره وهي:

أولا ـ أن «ابن حجر» لم يهتم بتحري الدقة في النقل عن مصدره في هذا الموضع، حيث عمد الى تبديل بعض الألفاظ أو اضافة ألفاظ أخرى على النص وان قاربت الألفاظ الأصلية في التعبير عن بغية الكاتب الأصلي في المصدر المنقول عنه كنحو قوله: «مات فجأة بعد أن أعيد الى القضاء بثلاثة أيام»، ويقابلها في النص الأصلي: «توفي.. فجأةً وكان قد تولى القضاء قبل موته بثلاثة أيام»، وقوله: «.. وكان دينا فاضلا، صاحب أخبار ونوادر ومحاضرة حسنة، وله تاريخ مليح» ويقابلها في النص الأصلي المنقول عنه:

---

(١) العيني. عقد الجمان ق ١٩/١٨٢، والنص مثبت في هذا الفصل تحت عنوان: «بداية النقل وانتهاؤه».

« .. وكان رجلا فاضلا صاحب أخبار ونوادر ومحاضرة مليحة، وله تاريخ في سبع مجلدات.. »

وهنا نلحظ أن « ابن حجر » قد أدخل على النص تعديلات حيث نسب الى البدر قوله: « دينا » نعتا لابن خلدون، وقوله: « مليح » نعتا لتاريخ ابن خلدون، وهما مما لم يقله، بينما استبدل وصف البدر لأخبار ونوادر ومحاضرات ابن خلدون « مليحة » بلفظة « حسنة » وهي مرادف لها يؤدي المعنى المطلوب لا شك.

ثانيا ـ أن هذا القول المنسوب الى العينتابي لم يرد في مصدره على هذه الصورة، ولكن « ابن حجر » قد لفق بين جمله لتأتي على هذه الصورة المثبتة لديه.

ثالثا ـ أنه في نسبته لهذه المقولة الى البدر بقوله: « قال العينتابي في ترجمة ابن خلدون » ما يشير الى أن ما أورده ليس كل ما قاله البدر فيه وهذا صحيح.

رابعا ـ أن هذا النص على وجازته يوهم أن كل منقوله عن البدر منحصر في هذا الموضع المشار اليه والمسند الى البدر، لكن بمقارنة المادة المكتوبة في ترجمة ابن خلدون لدى « البدر » ومثيلتها لدى « ابن حجر » يتضح أن « ابن حجر » قد استوعب ترجمة « البدر » تماما ـ على نحو ما مر.

وهكذا فان « ابن حجر » قد تصرف في النص من حيث اللفظ ـ تعديلا وإبدالا زيادة واختصارا مع الحفاظ على النسق الترتيبي لمادة مصدرية.

(٤) الالتزام بالحرفية للألفاظ ـ قدر امكانه ـ مع تغيير النسق الترتيبي وتعديله:

وفيه يوجد تشابه كبير بين ألفاظ منقوله وبين مصدره ولكن مع تعديل النسق الترتيبي للمصدر الأصلي.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في ترجمته لسبط العلائي ـ ضمن وفيات حولية عشرين وثمانمائة ـ من قوله:

« .. قال ابن قاضي شهبة في طبقاته: وكتب بخطه على فتوى تدل على كثرة استحضاره وجودة تصرفه، ولما سكن الهروي هناك اتصل بينهما شرور كثيرة ومرافعات وقوى الهروي عليه. مات في آخر هذه السنة عن نحو خمسين سنة »[1].

ويقابل ذلك في مصدره قوله:

« .. ولما سكن الهروي هناك حصل بينهما شرور كثيرة ومرافعات وقوى الهروي عليه، وقد رأيت خطه على فتوى وهو يدل على كثرة استحضار موجودة تصرفه.. توفي في آخر سنة عشرين وثمانمائة عن نحو خمسين سنة »[2].

وهو ـ هنا ـ يورد نص مصدره وقد حافظ على لفظه مع تغيير طفيف اقتضاه المقام وان عدل النسق الترتيبي المصاحب له.

ويمثل ذلك ـ كذلك ـ قوله في حوادث حولية أربع عشرة وثمانمائة بخصوص موت السلطان الملك المنصور:

« .. قال العينتابي: كان شديد البأس على جواريه لسوء خلقه من غلبة السوداء عليه، ولم يزل مشغولا باللهو والسكر »[3].

والذي في تاريخ العينتابي قوله:

« .. ولم يزل مشغولا بالسكر والملاهي الى حين وفاته، وكان شديد البأس على حاشيته خصوصا على جواريه(*) وكان يقتلهن قتلا عظيما لسوء خلقه

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/١٥٠.
(٢) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق٢٠٣ ب.
(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٤٨٩.
(*) في الأصل: جواره.

وغلبة السوداء عليه »[1].

وقوله في ترجمته لعبدالله بن طيان ـ الواردة ضمن وفيات حولية خمس عشرة وثمانمائة:

« .. وقال القاضي تقي الدين الشهبي: شرع في جمع أشياء لم تكمل، واختصر شرح الغزي على المنهاج، وضم اليه أشياء من شرح الاذرعي، وقد درس بالركنية والعذراوية والظاهرية والشامية »[2].

ويقابل ذلك لدى مصدره قوله:

« .. ثم أنه في آخر أمره أقام بالشام يشغل ويفتي ويصنف، ودرس بالركنية والعذراوية والظاهرية والشامية الجوانيتين، وولى خدامة الخانقاة السيميساطية وشرع في جمع أشياء لم تكمل، واختصر شرح الشيخ شرف الدين الغزي على المنهاج ولم يشتهر لغلاقة لفظه واختصاره »[3].

(٥) التصرف في اللفظ والنسق الترتيبي معا:

ويمثله قوله بخصوص « اقبغا القديدي »:

« .. وقتل قنباي، وأقبغا القديدي ـ المعروف بدويدار يشبك ـ كان مقدما عند يشبك، ثم استقر عند الناصر دويدارا صغيرا وأمره عشرة، وكانت له وجاهة ومعرفة ويقتدي برأيه في كثير من الأمور. قال العينتابي: كان يدعي الحكمة ووفور العقل مع خبث ومكر وحب لجمع المال، ولم يشتهر عنه خير، وحصل في أيام يشبك مالا جما ثم لم يزل في ازدياد الى ان مات في ليلة الخميس ثالث عشر شوال، وخلف شيئا كثيرا جدا تمول بعده منه جماعة

(١) العيني. عقد الجمان ق١١٨أ/١٩.
(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٥٢٩ - ٢/٥٣٠.
(٣) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق١٨٦ ب.

واستولى السلطان على غالبه »[1].

والذي في « عقد الجمان » نصه:

« .. الأمير أقبغا القديدي ـ دويدار يشبك الشعباني ـ كان توفي ليلة الخميس الثالث عشر من شوال منها، ودفن صبيحة غده في تربته التي أنشأها بالصحراء قريبا من تربة الظاهر برقوق، وخلف موجودا كبيرا، واستولى الناصر على أكثره، وكان رجلا يدعي المعرفة والحذاقة راضيا بعقله ومستحسنا فعل نفسه صاحب خبث ودهاء، ولم يشتهر عنه معروف، وكان حريصا على جمع الأموال، وجمع كثيرا لما كان دوادار يشبك ثم أعطى امرة عشرة وتولى الدوادارية الصغرى للناصر الى أن توفي »[2].

وقوله في ترجمته لمحمود القيسراني (ت ٧٩٩ هـ.):

« ..قرأت في تاريخ البدر أن جمال الدين أول ما قدم نزل في الصرغتمشية قال: وكان بحالة املاق الى الغاية، ثم وصل الى ما وصل اليه حتى قال: انه سمعه يقول: هذا الذي حصل لي غلطة من غلطات الدهر. قال: وكان عنده دهاء مع حشمة زائدة وسخاء، وكان فصيحا بالعربية والتركية والفارسية، وكان كثير التأنق في ملبسه ومأكله »[3].

والظاهر من هذا النص أن « ابن حجر» يشير الى أن المقولة الأولى مستخلصة من القراءة، بمعنى أن الصياغة ليست للمصدر الأصلي، على حين ما يليلها من لفظ المؤلف الأصلي، خاصة وأنها مسبوقة بكلمة « قال ».. لكن يظهر اجتهاد « ابن حجر» في صياغة النص في سائر العبارة بألفاظ مقاربة، وقد انتقد البدر في صدر كتابه لعجمته. حيث أن منقوله عنه لا يتطابق مع لفظه وهو:

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٤٩٠.

(٢) العيني. عقد الجمان ق ١١٧ أ/١٩.

(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٥٤٢.

« .. وكان رجلا خلوقا ذا أدب وحشمة، سخي الكف على الطعام وعلى العطاء لمن يعتني به، وكان عنده ذكاء، ولكن كان قليل المادة، فبقوة ذكائه كان يشارك الناس في البحث، وكان يتكلم بالتركي والعجمي والعربي، قدم الديار المصرية في الدولة الأشرفية، وأقام في مدرسة صرغتمش مدة من جملة الطلبة، وكان على فقر عظيم.. فالذي اتفق لهذا ما اتفق لغيره من أبناء جنسه، ولذا سمعته يقول: هذا الذي حصل لي من غلطات الدهر.. وكان يتكلف في المواكيل الطيبة والملابس الحسنة »[١].

(٦) النقل بالفكرة مع اغفال العبارة الأصلية لمصدره:

ومن أمثلة ذلك قوله بخصوص ترجمة « نوروز » (ت ٨١٧ هـ.):

« .. قال العينتابي: كان جبارا ظالما غشوما بخيلا ـ كذا قال »[٢].

وهي جملة استنتاجية من مقولة « البدر » فيه ونصها:

« .. ولكن كان ماسك اليد لأهل العلم والفقراء، وكان عنده تجبر عظيم وشم هائل، ولم يشتهر عنه معروف »[٣].

وقوله في ترجمته لأسنبغا الزردكاش (ت ٨١٨ هـ.):

« .. قال العينتابي: كان ظالما غاشما لم يشتهر عنه الا الشر »[٤].

والذي في مصدره قوله:

« .. ولم يشتهر له معروف »[٥] ـ فقط.

---

(١) العيني. عقد الجمان ق ٥ ب، ٦ أ/١٩.
(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٥١.
(٣) العيني. عقد الجمان ق ٣٥ أ/١٩.
(٤) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٧٧.
(٥) العيني. عقد الجمان ق ١٤٢ أ/١٩.

وقوله بخصوص وباء البقر ـ الوارد ضمن حوادث حولية أربع وتسعين وسبعمائة نقلا عن « ابن الفرات » الذي اتخذه مصدرا لحوادث الحولية كلها:

« وفي شعبان وقع الوباء في البقر حتى كاد اقليم مصر أن يفني منها »[١].

والذي في مصدره قوله:

« .. وفي شهر رمضان المذكور حصل للبقر التي بالزرايب بالقاهرة المحروسة وظواهرها مرض فصارت البقرة بمجرد ما يصيبها تضطرب وتقع ميتة، وبلغ الأمر في ذلك أن ابيع كل بقرة كانت تساوي قديما خمسمائة درهم بعشرين درهم، ثم تناهي الى أن ابيعت بقرة بخمسة دراهم، ولم يوجد من يشتريها، وسمعت بعض الناس يذكر أن بقرة ابيعت بدرهم، وخلي غالب الزرايب التي بظاهر القاهرة من البقر وجافت الحارات التي بالقرب من الزرايب لكثرة موت البقر ورميها على أبواب الزرايب. وكذلك في الأرياف، وبطل الطباخين بيع الطبيخ باللحم البقري، وصار الناس لا يشتروا لحم بقري ولا يأكلوه. فسبحان الفعال لما يريد »[٢].

وقوله في حوادث حولية سبع وتسعين وسبعمائة ـ نقلا عن ابن الفرات ـ وقد اتخذه مصدرا لغالبية حوادثها:

« .. وفيه (شعبان) أحضر من دمياط قطعة من مخ سمكة يدخل في كل عين منها رجل ضخم »[٣].

والذي في مصدره قوله:

« .. وفيه شاهدت من مخلوقات الله العجيبة ما أحضر من ثغر دمياط المحروس قطعة عظم من مخ سمكة تشتمل على ميقى العينين وبينهما متصل بها

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٤٣٧.

(٢) ابن الفرات. تاريخ ص ٩/٣٠٨.

(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٤٩٣.

قطعة من الخرشوم يدخل في كل ميق منها رجل ضخم الى الغاية أو رجلين، والعظمة محمولة على جمل وما يطيق المشي بها الا بتكلف..»[1]

والمستخلص من كل هذا أن «ابن حجر» قد عالج مادة مصادره: سواء فيما يختص بالحوادث - على الرغم من تنوعها - أو بالتراجم بطرق شتى وان كشفت عن شخصيته المصاحبة لكل منقول مدون لديه فانها لا تعبر - في الغالبية العظمى منها عن العبارة الأصلية المنقول عنها الا بالفكرة الحاملة لها، حيث ظهر جليا تصرفه في النسق التعبيري والترتيبي لمصادره.

---

(١) ابن الفرات. تاريخ ص ٩/٤١٠.

رابعا ـ نقد المصادر

على الرغم من أن « ابن حجر » قد اعتمد كثيرا من المصادر في بناء مادة، كتابه بل ونقل الكثير من عباراتها الناقدة الى حولياته محافظا عليها ، ناسبا منقوله عنها في الحدث أو الترجمة اليها [1] فانه كانت له نظرة في تلك الأخبار المنقولة عنها ، عامل بها الحوادث والتراجم على أنها جزئيات تخضع لتصديق العقل اياها أو لرده وتقنيده [2] كما كانت له نظرة شمولية ـ كذلك ـ على

---

(١) كنحو قوله في ترجمة « ابن لاجين الرشيدي » (ت ٨٠٣ هـ./١٤٠١ م.) « .. قال القاضي تقي الدين الشهبي: وقفت على شرحه، وفيه أوهام عجيبة» ـ انباء الغمر ص ٢/١٦٨.
وقوله في ترجمة « جمال الدين المالكي (ت ٨٠٧ هـ./١٤٠٥ م.): « .. قرأت بخط قاضي البلاد الحلبية القاضي علاء الدين في تاريخها كان اماما فاضلا فقيها يستحضر كثيرا من التاريخ.. وكان يحب العلم وأهله..» ـ انباء الغمر ص ٢/٣٠٦.

(٢) كنحو قوله في ترجمة « محمود الكلستاني» (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.): « .. ووصفه العيني ـ كما تقدم ـ بالطيش والبخل والعجب، وبالغ في ذمه، وليس كما قال، فقد أثنى عليه طاهر بن حبيب في ذيل تاريخ والده ووصفه بالبراعة في الفنون العلمية، وقد قرأت بخطه لغزا في العلم في غاية الجودة خطا ونظماً..» ـ انباء الغمر ص ٢/٩٠.
وقوله في ترجمة « ابن ملاعب الفلكي» (ت ٨٢٤ هـ./١٤٢١ م.): « .. وسمعت القاضي ناصر الدين البارزي يبالغ في اطرائه، ووصفه غيره بقلة الدين وترك الصلاة والانحلال العقيدة». ـ انباء الغمر ص ٢٥٤ ـ ٣/٢٥٥.
وقوله في ترجمة « شهاب الدين المتبولي المالكي» (ت ٨٣٠ هـ./١٤٢٧ م.): « ..قال القاضي علاء الدين.. وساق له عن أبي حيان قصيدة.. وهي في نحو العشرين بيتا لا تشبه نظم أبي حيان، ولا نفسه ولا يتصور لمن ولد سنة سبع وأربعين أن يسمع من أبي حيان الذي مات قبل ذلك بمدة، ولقد عجبت من خفاء ذلك على القاضي علاء الدين..» ـ انباء الغمر ص ٣٨٦ ـ ٣/٣٨٧.

المصدر ككل، سواء فيما أورده في صدر كتابه [١] أو في الترجمة لمصدره [٢] اذا ما صادفت وفاته الفترة الزمانية لحوليات كتابه، أو في عبارات ناعتة للمصدر تأتي غالبا لصيقة المنقول عنه.. [٣]

---

(١) كنحو قوله في صدر كتابه: « .. وطالعت عليه تاريخ القاضي بدرالدين محمود العيني، وذكر أن الحافظ عماد الدين بن كثير عمدته في تاريخه وهو كما قال، لكن منذ قطع ابن كثير صارت عمدته على تاريخ ابن دقماق حتى يكاد يكتب الورقة الكاملة المتوالية، وربما قلده فيما يهم فيه حتى في اللحن الظاهر مثل: أخلع على فلان، وأعجب منه أن ابن دقماق يذكر في بعض الحادثات ما يدل على أنه شاهدها فيكتب البدر كلامه بعينه بما تضمنه، وتكون تلك الحادثة وقعت بمصر وهو بعيد في عينتاب..» ـ انباء الغمر ص ٤ ـ ١/٥.

(٢) كنحو قوله في ترجمة « ابن الفرات الحنفي » (ت ٨٠٧ هـ./١٤٠٥ م.): « .. وكان لهجا بالتاريخ، فكتب تاريخا كبيرا جدا بيض بعضه.. وتاريخه في هذا كثير الفوائد الا أنه بعبارة عامية جدا » ـ انباء الغمر ص ٢/٣١٣.

(٣) وهي غالبا ما تكشف عن شخصية صاحب المصنف المنقول عنه، كنحو قوله: « قرأت بخط قاضي البلاد الحلبية علاء الدين..»، « أرخه الحافظ »، أو « حافظ العصر..»، أو « أرخه مؤرخ الشام..» الخ.

خامسا - الدقة في النقل

على الرغم من تحري «ابن حجر» الدقة في النقل عن مصادره، وشيوع مظاهر ذلك في جوانب كتابه، فانه قد جانبه الصواب في مواضع كثيرة منه، حيث أغفل التأريخ التام لبعض الحوادث الواردة تامة التأريخ لدى مصادره[1] وأخطأ التأريخ لبعض الحوادث في مواضع أخرى، وقد وردت على وجه الصواب في مواضعها من مصادره[2] بالاضافة الى نقله - سهوا -

---

(١) كنحو قوله: «.. وفي آخر ربيع الآخر عزل ناصر الدين بن البرجي عن الحسبة، وأعيد نجم الدين الطنبدي» - انباء الغمر ص ١/٤٣٤ - على حين ورد الخبر لدى مصدره تام التأريخ - هكذا: «.. وفي آخر يوم الأربعاء خامس عشري شهر ربيع الآخر - المذكور - اشيع أن السلطان الظاهر أخلع على القاضي نجم الدين الطنبدي وأعاده الى حسبة القاهرة والوجه البحري عوضا عن القاضي بهاء الدين بن البرجي بعد عزله» - تاريخ ابن الفرات ص ٩/٣٠١ - وقوله: «.. وفي شوال أمطرت السماء مطرا غزيرا حتى خاض الناس في المياه، وذلك في أول يوم من توت، والشمس في برج السنبلة» - انباء الغمر ص ١/٤٥٢ - ويقابل ذلك لدى مصدره قوله: «.. وفي عشية الجمعة الموافق ليوم النوروز - أول توت من الأشهر القبطية - ليلة السبت حادي عشري شوال المذكور أمطرت السماء بالقاهرة مطرا كثيرا كأفواه القرب حتى خاض الناس في الماء والوحل» - تاريخ ابن الفرات ص ٩/٣٤٤ - كما أشار مصدره - ابن الفرات ص ٩/٣٧٥ - الى أن «المناوي» قد عزل عن الحكم في «رابع عشر ربيع الآخر (سنة ٧٩٦ هـ.)»، على حين كان تأريخ ابن حجر لذلك «في ربيع الآخر» - انباء الغمر ص ١/٤٦٩.

(٢) من ذلك: تأريخه لواقعة وادي شقحب - بين العسكر المصري والظاهر برقوق - بحادي عشر المحرم (سنة ٧٩٢ هـ.) - انباء الغمر ص ١/٣٩١ - على حين وردت لدى مصدره - نقلا عن ابن دقماق - في «يوم الأحد رابع عشر المحرم» - تاريخ ابن الفرات ص ٩/١٨٦. بالاضافة الى جعله دخول الظاهر برقوق الى غزة في آخر المحرم - انباء الغمر ص ١/٣٩٢ - على حين أن الوارد لدى مصدره - تاريخ ابن الفرات ص ٩/١٨٨ - في مستهل صفر، كما أن «ابن حجر» قد أشار الى وباء البقر على أنه وقع في «شعبان» سنة =

حوادث من حولية الى أخرى غير التي وقعت فيها[١] ناهيك عن التفاوت العددي بين المثبت لديه وبين مصدره ـ بالنسبة للأفراد والمنقولات المكونة لعناصر الخبر، أو العزوف كلية عن تحديده[٢].

= ٧٩٤ هـ. ـ انباء الغمر ص ١/٤٣٧ ـ بينما أرخه ابن الفرات ـ التاريخ ص ٩/٣٠٨ ـ بشهر رمضان من السنة..

(١) من ذلك: اشارته الى أن استيلاء الفرنج على جزيرة جربة كان سنة ٧٩٠ هـ. (أنباء الغمر ص ١/٣٥١) على حين أن هذا الخبر في الحولية التالية لها، وقوله بأن السلطان قد عرض أجناد الحلقة فتشفعوا لديه بالسراج البلقيني، وابن رفاعة سنة ٧٩٠ هـ. (انباء الغمر ص ١/٣٤٧) وهذا الخبر وارد لدى مصدره في الحولية السالفة، وتأريخه لضرب أمين الدين السمسطائي ـ أمين الحكم ـ بين يدي السلطان واهانته بسنة ٧٩٠ هـ. وقد كان ذلك سنة ٧٨٩. (انباء الغمر ص ١/٣٥٣)، وتأريخه لزيادة المحتسب في الأذان بسنة ٧٩١ هـ. (انباء الغمر ص ١/٣٧٨) وصوابه سنة ٧٩٠ هـ. ونقله خبرا عن مقاهرة القرشي لبرقوق واقتصاص الثاني منه من حولية ٧٩١ هـ. الى الحولية التالية لها (انباء الغمر ص ١/٣٩٥)، وتأريخه لأمر صادر بمنع المعممين من ركوب الخيل الا أن يكونوا من الوزراء أو كتاب السر أو نظار الخاص ـ بسنة ٧٩٢ هـ. (انباء الغمر ص ١/٤٠٢) وقد صدر هذا المرسوم سنة ٧٩٣ هـ.، وتأريخه لعزل الباعوني بابن أبي البقاء بسنة ٧٩٧ هـ. (انباء الغمر ص ١/٤٨٦) وصوابه سنة ٧٩٦ هـ. .. والجميع نقلا عن ابن الفرات مع الخطأ في تأريخ ابن حجر له.

(٢) من ذلك ما ورد في حولية أربع وتسعين وسبعمائة من قوله: « .. وفيه (في صفر) هجم على بطا النائب بدمشق **خمسة أنفس**.. فقتلوه وأخرجوا من في الحبس..» ـ انباء الغمر ص ١/٤٣٢ ـ ويقابل ذلك لدى مصدره ـ ابن الفرات. تاريخ ص ٩/٢٩٧ ـ « .. وفي أواخر صفر ـ المذكور ـ حضر بريدي من دمشق وأخبر بأن جماعة من المماليك **نحو الخمسة عشر نفرا** حضروا مشاة الى باب قلعة دمشق، فلما وصلوا الى الباب كانت سيوفهم مخبأة فأظهروا وهجموا باب القلعة..»، كما يشير ابن الفرات في ذيل الخبر الى أن الذين أفلتوا من العقاب من هؤلاء المتآمرين « **خمسة أنفس** ما عرف كيف هربوا »، على حين لم يهتم « ابن حجر » بذلك قائلا: « .. ومسكوا الثائرين، فلم يبقوا منهم الا من هرب». كما يشير « ابن حجر» ـ انباء الغمر ص ١/٤٧٠ ـ الى أن المبلغ الذي بذله « البدر بن أبي البقاء » من مودع الأيتام ـ للظاهر برقوق ـ في سعيه على المناوي « كان ستمائة ألف »، على حين أن الوارد لدى مصدره ـ تاريخ ابن الفرات ص ٩/٣٧٧ ـ هو: « .. وفي يوم الأحد العشرين من شهر ربيع الآخر ـ المذكور ـ أرسل الوزير ناصر الدين محمد بن كلفت من =

كما أنه كرر كثيرا من الأخبار المنقولة عن مصادره في ذات الحولية التي تنتظمها وبنفس العبارة، أو بعبارات متقاربة المعنى[1] تكشف ـ لا ريب ـ

= يقبض من المودع الحكمي ما اتفق عليه الحال بينه وبين قاضي القضاة بدرالدين بن أبي البقاء الشافعي من قرض أموال الأيتام، فأشيع أنهم قبضوا من المودع خمسمائة **ألف درهم وستين ألف** درهم»، ومن مظاهر اهماله التحديد العددي ما ورد في حولية خمس وتسعين وسبعمائة بخصوص قتل نائب الكرك (انباء الغمر ص ١/٤٥٥) من قوله: «.. وفي ذي الحجة شكا بعض التجار لنائب الكرك **يوسف القشتمري أن جماعة من العشير** أخذوا له **مالا من الغنم وغيرها**، فركب وتحدث معهم وسألهم أن يعيدوا ما أخذوه **فأخذوا البعض**، فطلب البقية، فذكروا أنهم لم يأخذوا الا ذلك، **فجمع مشايخهم** ليحلفهم، **فاجتمعوا**، فقبض عليهم فغضب الباقون فوقعوا فيه فقتلوه، وكان في **نادي قلائل**». ويقابل ذلك لدى مصدره (تاريخ ابن الفرات ص ٩/٣٤٩) قوله: «وفيه جاء ناس تجار الى الأمير شرف الدين **يوسف القشتمري** ـ نائب السلطنة بالكرك ـ وذكروا أن قوما من العشير أخذوا لهم **ثلاثة آلاف رأس غنم**، فركب ونزل اليهم وطلبهم وتحدث معهم فأحضروا له ألف وسبعمائة رأس غنم، فقال لهم: بقي **ألف وثلثمائة رأس** فحلفوا أنهم ما أخذوا الا هذا القدر، فقال يحضروا مشايخكم يحلفوا، فلما حضروا من مشايخهم **عشرة أنفس** قبض عليهم ورماهم في زنجير، وكان قد ركب في **عشرة أنفس لا غير**، ولم يعلم أحد من العسكر بركوبه فلما أرمى مشايخ العشير في الزنجير غضب أهل البلد ورماه أحدهم بسهم نشاب فجرحه، ثم رماه آخر فقتله».

وبمقابلة النصين ببعضهما تتضح أمور هي:

(١) اغفال «ابن حجر» اثبات العدد في الخبر بأكمله واستبداله بعبارات مسقطة له كنحو قوله: «مالا من الغنم وغيره» عوضا عن قول مصدره «ثلاثة آلاف رأس غنم»، وقوله: «فأخذوا البعض» عوضا عن قول مصدره «ألف وثلثمائة رأس»، وقوله: «فجمع مشايخهم» عوضا عن قول مصدره: «حضر من مشايخهم عشرة أنفس»، وقوله: «وكان في ناس قلائل» عوضا عن قول مصدره «وكان قد ركب في عشرة أنفس».

تحريفه لبعض الألفاظ وهي «يونس» ويقابلها لديه «يوسف»، «لهم»، ويقابلها قوله «له».

مما يشير الى أنه لم يكن دقيقا في النقل عن مصدره في هذا الموضع.

من ذلك (انباء الغمر ص ١/٤٥٤) قوله: «.. وفيها كانت وقعة بين عرب الكرك ونائبها فقتل النائب يونس»، ثم تكرير قوله آنف الذكر. وقوله في حولية ٧٩٩ هـ. (انباء الغمر ص ١/٥٢٧): «.. وفي ثامن شعبان ـ الموافق الحادي عشر بشنس ـ أمطرت السماء برعد وبرق حتى صارت القاهرة خوضا، فكان ذلك من العجائب، ودام ذلك في ليال =

عن مسلكه في اقتضاب الخبر ونقله، حيث أتت الحوادث فيها مهملة التأريخ مرة، ومثبتة التأريخ أخرى، مما يشير الى أن التأريخ التام للحدث سلبا وايجابا لم يكن من الأشياء المعتنى بها لديه، على العكس ـ تماما ـ مما فعله بالنسبة لترجمات الوفيات الواردة في حولياته..

= متعددة، وقد وقع مثل ذلك بل أعظم منه في مثل زمانه سنة سبع عشرة وثمانمائة في سلطنة الملك المؤيد»، ثم كرره في الحولية عينها (ص ١/٥٢٩) قائلا: «.. وفي هذه السنة أمطرت السماء في حادي عشر بشنس من الأشهر القبطية مطرا غزيرا برعد وبرق ودام ذلك في ليال متعددة»..

الفصل الخامس

النقد التأريخي في « الانباء »

اعتناء « ابن حجر » بالنقد التأريخي وممارسته له ومعاداته فيه، منهجه في النقد التأريخي كما يبدو من احدى فتاويه، جوانب من التطبيق النقدي لديه: نقد الرجال. اصدار التقاويم والأحكام على الملوك والسلاطين ونواب السلطنة والأمراء والمباشرين والقضاة ونواب الحكم والعلماء والأدباء والفنانين. نقد الحوادث: نقد الروايات التاريخية، اصدار الأحكام والتقاويم، الشواهد الشعرية ودورها في تفسير الخبر ونقده. الخطأ والصواب في النقد. التعصب والانصاف في النقد

اعتنى « ابن حجر » عناية فائقة بالنقد التاريخي، ومارسه في سائر كتاباته التاريخية، سواء كان ذلك في « انباء الغمر » أم في غيره من المؤلفات التاريخية الأخرى ـ المعروفة لنا ـ ملحا عليه بشتى الطرق التي في مكنته التعبير بها، على اعتبار أنه جزء رئيس وهام من منهجه في الكتابة التاريخية، منطلقا من مفهومه للتأريخ، وهو مفهوم ذو صلة بالحديث النبوي الذي صار حافظ عصره فيه بلا مدافع وما يتبعه من جرح وتعديل ظل متبعا غير منقطع الى ما بعد وقته [١]. ومن كونه ذواقه للأدب ناقدا له مشاركا فيه وفي غيره من علوم عصره كثرتها.. على نحو ما هو بين ترجمته من هذا البحث.

---

(١) السخاوي. الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٤٦٢.

بل كثيرا ما كان هذا المسلك الناقد في الكتابة التاريخية سببا في تعرضه لكثير من العداوات والمشاحنات.

من ذلك ما أورده «السخاوي» في ترجمته «لابن البدر البني» (ت ٨٦٥ هـ./١٤٦١ م.) من أنه توسل ببعضهم في أخذ نسخة «ابن فهد المكي» بمعجم «ابن حجر» ممن كانت عنده، ثم انه طاف بها على «العلم البلقيني»، و«ابن البارزي»، و«البدر العيني»، و«ابن العطار».. وغيرهم ممن ذكر أو قريبه أو أبيه، ونحو ذلك في الكتاب بعد زيادة ألفاظ في التراجم - فيما قيل - مما كان سببا لحقد الكثيرين عليه، وتألم «ابن حجر» كثيرا لذلك [١].

واشارته الى انتقاد بعضهم كثيرا من تراجم معجمة بانتقادات ساقطة - وان لم تكن مانعة من التنافس في تحصيله والتناقل عنه بين العرب والعجم [٢] - فانه وقد أفحش الحساد في تعقبهم عليه [٣] صار لا يسمح به لكل أحد [٤].

وقوله - كذلك - بخصوص «انباء الغمر» وقد سرد مؤلفاته:

«.. وقد نزه كثير من الناس صاحب الترجمة - أي ابن حجر - عن هذا الكتاب وكذا عن معجم شيوخه، وقضاة مصر، ونحوها (أي عن الكتابات التاريخية جملة) من أجل اثباته لكثير من الأحوال، بل كان ذلك سببا لحقد الكثيرين عليه، وسمعت بعض المعتبرين يقول عنه: انه لم يكن يغتاب أحدا بلفظه، فكيف بخطه ما يكون مضبوطا عنه محفوظا له - والأعمال بالنيات، فأرجو أن يكون مقصده في ذلك جميلا» [٥].

---

(١) السخاوي. الضوء اللامع ي ٢٢٠/٧.
(٢) السخاوي. الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٤٧٠.
(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦٨ ب.
(٤) نفسه ق ٢٧٨ ب.
(٥) المصدر السابق ق ١٨٢ أ.

وقوله: ان «ابن حجر» قد ترجم أحد خواصه وأصحابه «الصدر الآدمي» (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.) بما نصه:

«.. وكان مسرفا على نفسه متجاهرا بما لا يليق بالقضاء، وقد اصيب مرارا وامتحن، ولما مد الله تعالى له العطاء وأسبغ عليه النعماء لم يقابلها بالشكر» (١).

فنسبه بعضهم الى اغتيابه، فكان رد «ابن حجر» على ذلك قوله:

«ليس ذكر الجرح والتعديل من الغيبة» (٢).

بل ربما ذكر غير واحد من المعترضين أنه «أودع في تاريخه عدة حوادث انفرد بها ولم يسمع أحد ممن كان في ذلك المكان بذلك الوقت يذكرها» فكان جواب «السخاوي» على ذلك بأنه ـ رحمه الله ـ في المرتبة العليا من الثقة والاتقان، ولكنه لم يكن ممن يتوجه الى هذا النوع بالكلية، ويقلد في كثير منه بعض من يغلب على الظن يثبته، وقد لا يكون ذلك شاهده، بل يلقاه غير ضابط، والأمر في ذلك سهل في تراجم جماعة من أعيان المائة التاسعة» (٣).

وهنا تجدر الاشارة الى أمور هي:

(١) أن «ابن حجر» كان له رأي في أصحاب ترجماته، حيث لم ترد ترجماتهم في موضعها من الوفيات وغيرها مجردة البتة.

(٢) أنه عيب على ذلك وخوصم فيه وحسب عليه قوله على أنه من قبيل الغيبة المسجلة عليه بيده، شأنه في ذلك شأن غيره من المؤرخين سابقين

---

(١) السخاوي. الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٤٦٥ - ٤٦٦. والنص في: ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٢ ب، ٢٤٣ أ.

(٢) السخاوي. الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٤٦٥ - ٤٦٦.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٨٢ ب - ١٨٣ أ.

ومعاصرين ولاحقين[1] وليس مرد ذلك الى مشاركة « ابن حجر » في الكتابة التاريخية فقط، وانما مرده - كذلك - الى مفهوم الكتابة التاريخية لدى رجال الدين في الدولة الاسلامية وقد انحاز اليها قوم، وتورع عنها آخرون.

(٣) أن « ابن حجر » كان يعتبر هذا العمل مهما، بل وضرورة تأريخية على اعتبار أنه من قبيل الجرح والتعديل، وهو لصيق الصلة بمفهومه كرجل دين، من أعلام محدثي عصره.

(٤) أنه خص هذا النوع المشار اليه في ترجمته للصدر الآدمي باطلاق مصطلح الجرح والتعديل عليه، وهو ما يمكن أن يقاس عليه الكثير من الآراء الواردة في كتاباته التاريخية مقارنا بكتابات غيره بهذا الصدد.

(٥) أنه قد يقع الخطأ في كتاباته التاريخية نتيجة لعدم توجهه بالكلية الى هذا النوع من التأليف، بالاضافة الى اثباته ما يغلب على الظن بغير مشاهدة منه، والتقليد في الكثير منه.

(٦) أن كل هذا لم يكن حائلا دون تحصيل مؤلفاته التاريخية والتنافس في نقلها والاستفادة منها.

ولعله يكون مناسبا - والحال كذلك - أن نتعرف على منهجه في النقد التأريخي قبل الخوض في ايراد الجانب التطبيقي له في « انباء الغمر » مقابلا بنقد غيره لبعض هذه المواضع بيانا للانصاف والاجحاف، أو الخطأ والصواب في النقد لديه.

منهجه في النقد التأريخي

من حسن الحظ أن وصلتنا فتيا « لابن حجر » ردا على سؤال سائل تعلق بهذا النوع من الكتابة التاريخية الناقدة - حفظت ضمن مجموع احتوى على

---

(١) السخاوي. الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٤٥٩ وما بعدها، وفيه أمثلة كثيرة لذلك وردت في حق غيره من المؤرخين.

ردود مماثلة لأربعة من أعلام الفتيا في عصره[1] ـ ردا على سؤال السائل عينه، وفيما نقله عنها «السخاوي» في «الجواهر والدرر» نصا[2]، وفي «الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» مضمنا[3].

أما سؤال السائل ففحواه:

ما يقال في مؤرخ يذكر تراجم الناس على ما يعلم منها من خير وشر قاصدا بذكر الشر التنفير ممن يكون ذلك صفته مما عساه ينقل عنه في ذلك من أمر ديني، وبما زل فيه تبعا لهواه، ولا سيما اذا كان هذا المؤرخ ناقلا عن أحد ممن تقدمه، وذلك مع استحضاره وخوفه مما ورد في اتباع الهوى وعدم ميله اليه، فاعترض عليه معترض فقال له: هذا غيبة لا تحل[4].

وأما فتواه فهي:

«الحمد لله. اللهم اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك

الذي يتصدى لكتابة التاريخ قسمان:

قسم يقصد ضبط الوقائع، فهو غير متقيد بصنف منه، ولكن يلزمه التحري في النقل فلا يجزم الا بما يتحققه، ولا يكتفي بالنقل الشائع، ولا سيما

---

(١) يوجد هذا المجموع في الكتبخانة الآصفية بحيدر أباد بالهند، ويحمل رقم: ٤٤ مجاميع، ويقع في احدى عشر صفحة احتوت ـ الى جانب فتوى ابن حجر ـ على فتاوي كل من: «الشمس القاياتي» ت ٨٥٢ هـ./١٤٤٩ م. و «ابن الديري» ت ٨٥٠ هـ./١٤٤٧ م.، و «البـــــدر العيني» ت ٨٥٥ هـ./١٤٥١ م.، و «ابـــــن نصرالله الحنبلي» ت ٨٧٦ هـ./١٤٧٢ م. ـ وقد نشره «فؤاد سيد» في مجلة معهد المخطوطات العربية (ص ١٦٢ ـ ٢/١٧٧) تحت عنوان: شروط المؤرخ في كتابة التاريخ، خمس فتاوى لم تنشر لخمسة من أعلام القرن التاسع الهجري.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٨٢.

(٣) السخاوي. الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٤٦٥ ـ ٤٦٦.

(٤) فؤاد سيد. شروط المؤرخ في كتابة التاريخ والتراجم (بتصرف) ص ١٦٦ ـ ٢/١٦٧.

ان ترتب على ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم والصلاح وان كان في الواقعة أمر فادح في حق المستور، فينبغي أن لا يبالغ في افشائه، ويكتفي بالاشارة لئلا يكون المذكور وقعت منه فلتة، فاذا ضبطت عليه لزمه عارها أبدا، فيحتاج المؤرخ أن يكون عارفا بمقادير الناس وبأحوالهم وبمنازلهم، فلا يرفع الوضيع ولا يضع الرفيع.

والقسم الثاني: من يقتصر على تراجم الناس، فمنهم من يعمم، ومنهم من يتقيد وعلى كل منهما أن يسلك المسلك المذكور في حق من يترجمهم، فالمشهور بالخير والدين والعلم لا تتبع مساويه، فانه غير معصوم، والمستور قد تقدم حكمه، والمجاهر بالفسق والفجور، اذا خشي من ستر حاله ترتب مفسدة كالاغترار بجاهه أو ماله أو بنسبه فيضم الى من ليس على طريقته. فهذا يجوز له بهذا القصد أن يبين حاله بالنسبة لرفيقه أو أخيه أو قريبه، كأخوين - مثلا - اشتهرا بالعلم، وأحدهما كان مشهورا بالفقه والديانة، والآخر بعكسه. وربما وجب عليه بيان هذا المجاهر اذا كان هناك من يغتر به.

وقد بسط شيخ الاسلام «النواوي» القول في ذلك آخر كتاب «الاذكار» وبين حال من يباح ذكره بما فيه، واحال عليه في زياداته في «الروضة» فمن أراد الوقوف عليه فقد أرشدته اليه. ومن جملته: بيان حال المحدث.

ثم الذي يتقيد بصنف من الناس: تارة يكون محدثا، وتارة يكون غير محدث فالمحدث أصل وضع فنه بيان الجرح والتعديل، فمن عابه بذكره لعيب المجاهر بالفسق أو المتصف بشيء مما ذكر أو ملبس أو مشارك للمجاهر في صفته فيخشى أن يسري اليه الوصف.

ثم هذا المحدث يكون تارة بلغ درجة الاجتهاد في الجرح والتعديل، وتارة يكون ناقلا عن غيره.

فالأول: هو الذي تقدم تفصيل حاله.

والثاني: يلزمه تحري الصدق في النقل، ولا يعتمد على مجرد التشنيع في كل أحد. فان للناس أغراضا متفاوتة، بل ينظر في الناقل فان كان ثقة ليس بمتهم في المنقول عنه فليعتمده، وان سماه فهو لساحته، وان شكر فيه فليقتصر على الاشارة ولا يجزم بما يتردد فيه، بل يأتي فيه بصيغة التمريض، وان كان الناقل له من ينسب الى المجازفة أو كان بينه وبين المنقول عنه حظ نفس فليجتنب النقل عنه، فان اضطر الى ذلك فليكشف أمره ويتبرأ من عهدته.

وأما كلام أئمة النقل في الجرح والتعديل فأشهر من أن نذكر له أمثلة.

وقد خاض في ذلك من لم يشك في ورعه كالامام أحمد والبخاري، وهو القائل: «ما اغتبت أحدا منذ علمت أن الغيبة حرام»، ومن المتأخرين الحافظ تقي الدين صاحب الكمال في معرفة الرجال، الذي هذبه المزي، ولقد كان من الورع بمكان مشهور.

وأما اعتراض من اعترض في ذلك زاعما أن ذلك غيبة، فان كان جاهلا فليعلم فان أصر فليؤدب بما يليق، ليرتدع عن الخوض فيما ليس له به علم. وان كان منسوبا للعلم فاللوم عليه أشد، لأنه يصير معاندا، فليقابل بما يليق به من الزجر حتى يرجع عن الطعن في البريء، والذب عن المفتري، ويثاب ولي الأمر أيده الله تعالى ـ على ذلك. وبالله التوفيق»[1].

من هذه الفتوى ـ على طولها ـ يمكن أن نتبين منهجه في ايراد نقده ونحصره في:

(١) أن مهمته كمحدث تستوجب منه قبل كل شيء اثبات فنه وهو «الجرح والتعديل»، بحيث لا يرفع الوضيع ولا يضع الرفيع، وانما لكل منزل ينزله اياه.

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٨ - ٢/١٦٩.

(٢) أنه لا يتأتى له ذلك الا بالمعرفة بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم، مع التحري في النقل حيث لا جزم الا بتحقيق، ولا مسلمات في كتابات الغير ولكن هناك اعمال للفكر - فان للناس أغراضا متفاوتة.

(٣) أنه لا يشيع النقل عن مصدر الا اذا كان صاحبه ثقة، فان كان غير ذلك فان فيه طرقا:

أ - أن يذكر الخبر قرين مصدره جاعلا العهدة فيه على المصدر، نحو قوله في ترجمة «أبي يزيد الردماوي الزبيدي» ضمن وفيات حولية ثلاث عشرة وثمانمائة: «.. نقلت ترجمته من خط الشيخ تقي الدين المقريزي والعهدة فيه عليه»[١]، وما ورد في حوادث حولية سبع وثلاثين وثمانمائة من ولادة مطلقة لولد صورته صورة الضفدع في قدر الطفل، وقد أورد الخبر - وكأنه قد تشكك فيه - بين تعبيرين اصطلاحيين يفيدان ذلك، هما: «ورأيت في كتاب بعض من يذكر الحوادث.. قرأت ذلك بخط الشيخ تقي الدين المقريزي»[٢]. وقوله بخصوص انقلاب عابث بامام جماعة - وهو يصلي - الى خنزير، ضمن حوادث حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة: «قرأت بخط ابن دقماق.. وأنه ممن شاهد ذلك»[٣].

وهنا تجدر الاشارة الى أنه مع توثيقه هذين المصدرين في مقدمة «الانباء» مشيرا الى أن غالب ما ينقله عنهما[٤] - قد عامل الأخبار فيهما على أنها جزئيات مستقلة تخضع لتصديق العقل أو تكذيبه، فلما تشكك فيهما أو لم يتحقق أهليتها بالتصديق مقارنا بغيرها من النصوص التي كان يتوخى أن تكون تحت يده ذكرها قرين مصدرها عاهدا فيها على المصدر أو واضعا لها بين العبارات الاصطلاحية المفيدة لذلك.

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٤٧٣.
(٢) نفسه ص ٣/٥١٢، ويقابله في مصدره: السلوك ص ٤/٩٢١.
(٣) نفسه ص ١/٢١٠.
(٤) نفسه ص ١/٤.

ب ـ الاتيان بصيغ التمريض[1] في حالة ما يشكر المصدر مترجما له لا يطمئن «ابن حجر» الى مزيته[2].

ج ـ ان كان المصدر المنقول عنه منحازا أو مجازفا لا ينقل عنه، فان اضطر الى النقل عنه كشف أمر مصدره حتى يلقى عليه العهدة، ومن أمثلة ذلك ما فعله مع «البدر العيني» في مواضع متعددة من «الانباء» منها ما ورد في ترجمته ليشبك بن أزدمر ـ ضمن وفيات حولية سبع عشرة وثمانمائة ـ من قوله: «.. كان مشهورا بالشجاعة والفروسية، وقال العينتابي: كان ظالما لم يشتهر عنه خير، كذا قال، وقد باشر نظر الشيخونية ورأيت أهلها يبتهلون بالدعاء له والشكر منه»[3] وقوله في ترجمة دمرداش المحمدي الظاهري ـ ضمن وفيات حولية ثماني عشرة وثمانمائة ـ: «.. وكان دمرداش مهيبا عاقلا مشاركا في عدة مسائل كثير الاكرام لأهل العلم والعناية بهم، اجتمعت به فوجدته يستحضر كثيرا من كلام الغزالي وغيره، قال القاضي علاء الدين الحلبي في تاريخه: كان لا يواجه أحدا بما يكره، وقد بنى جامعا بحلب وأوقف عليه أوقافا كثيرة، وله زاوية بظاهر طرابلس لها أوقاف كثيرة، وهذا بخلاف قول العيني: ليس له معروف»[4].

والمتبادر الى الذهن في هذين الموضعين أن مصدره قد جازف باصدار حكم جائر على الشخصية المترجم لها في كل، وأن «ابن حجر» قد كشف عن هذا في مصدره سواء بالمصدر المكتوب الذي أتى فيه الرأي نقيض ذلك، أم بالمشاهدة الشخصية ورؤية العيان..

---

(١) حيث ترد عناصر الترجمات والحوادث في مواضع متفرقة دون نسبة الى مصدر مكتفيا فيها بقوله: «قيل..»، «قال البعض»، «ويقال..».. ٥

(٢) راجع الفصل المعقود للمصادر من هذا البحث.

(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٥١، ويقابله في مصدره: عقد الجمان ق ٣٥ أ/١٩.

(٤) نفسه ص ٣/٨١، ويقابله في مصدره: عقد الجمان ق ١٤٢ أ/١٩.

(٤) أنه قد عامل التراجم تبعا لحال أصحابها، فكان جرحه وتعديله لها على الوجه الآتي:

أ - المشهورون بالصلاح لا تتبع سقطاتهم.

ب - المستورون لا يبالغ في كشفهم، ولكن يكتفي بالاشارة فيهم.

جـ - المجاهرون بالفسق والفجور اما أن يظهرهم بضمهم الى غيرهم ممن ليسوا على شاكلتهم، على سبيل المقارنة بالضد ليتضح أمرهم جريا على منطق البلاغيين بالطباق، اذ بالضد تتضح الأشياء، واما أن يعرى فعلهم ويظهره سافرا، والحكمة في ذلك: الحرص على عدم الاغترار بهم.

(٥) أنه قد طبق «الجرح والتعديل» على رجال ترجماته، وعلى مصادره كذلك، سواء بجرح وتعديل أصحابها - مما يجعل البحث في ترجمته لهم مهما في هذا الموضع - أو على الحوادث والترجمات فرادى كجزئيات مستقلة.

(٦) أن اعتقاده في الاقدام على هذا العمل النقدي واجب مجزوم بثوابه وليس لأحد أن يعترضه، بل الواجب المقابل لهذا الواجب المحتم حدوثه أن يرشد المعترض ويعلم، والا وجب تأديبه بما يناسبه.

هذا هو المنهج، واليك الجانب التطبيقي منه:

جوانب من التطبيق النقدي لدى ابن حجر

أولا ـ نقد الرجال

المطلع على مادة « الانباء » يرى أن « ابن حجر » لم يخل تراجمه ـ في الغالب الأعم ـ من اصدار حكم له على ذويها بيانا لحالاتهم جرحا وتعديلا بايراد آراء الثقات فيهم، وكذا ما يراه هو من أحوالهم وما يدركه فيهم بما رزق من قدرات علمية ونفسية جعلت له مقاييس خاصة يقاسون عليها لديه..

والملاحظ ـ باديء ذي بدء ـ أن مقاييس جرحه وتعديله لرجال ترجماته قد اختلفت تبعا للاختلاف في تخصصاتهم وطبقاتهم، وأنها مع ذلك تتلاقى في هدف واحد وهو الكشف عن بعض الصفات الأصيلة في كل، وهي صفات ترد في أشخاص وضدها في آخرين.. قد يجتمع الكثير منها في شخص واحد، وقد لا ترد الا صفة منها فيه وقد تجتمع فيه جملة من الفضائل، وأخرى من الرذائل، كأن يكون مع وصفه بالعلم ذميم الخلقة رث الهيئة.. وما الى ذلك (١). أو أن يوصف بحسن الاسلام مع اتصافه بالانهماك في الملذات (٢).

وهذه وتلك صفات تكشف عن حال المترجم له من احدى الجهات الآتية:

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ١٢١ - ٣/١٢٢ تر ٤٧.

(٢) المصدر السابق ص ٣/١١١ تر ٢.

أ - الهيئة:

كأن يكون ذميم الشكل جدا [١] أو حسن الصورة [٢] جميلها [٣] مليح الوجه [٤] لطيف الشكل [٥] حسنه [٦] بهي المنظر [٧] أو أن يكون ضخما حسن الملتقى، كثير البشر [٨] بشوش الوجه [٩] أو أن يكون حسن اللحية [١٠] منور الشيبة [١١]، قصير الشوارب أو طويلها [١٢] أو أن يكون حسن الملبس أو رث الهيئة خاملا [١٤].. مما يتصل بصفاته الخلقية الوراثية وما يتبعها من علامات مميزة لشخصه ملازمة له [١٥] من تأنق في مظهره أو إهمال له.

ب - الأخلاق والصفات:

كأن يكون موصوفا بالشهامة والشجاعة [١٦] أو المروءة والصيانة [١٧] أو

(١) نفسه ص ٣/١٢٢ تر٤٧.
(٢) نفسه ص ٣/٨٢ تر١٢.
(٣) نفسه ص ٩/١٤٦.
(٤) نفسه ص ٣/٢١١ تر٢٩.
(٥) نفسه ص ٢/٣١٢ تر٢٠.
(٦) نفسه ص ٢/٥٢٣ تر٢٦.
(٧) نفسه ص ٢/٣١١ تر١٩.
(٨) نفسه ص ٣/١٥٢ تر٢١.
(٩) نفسه ص ٣/١٥٢ تر٢١.
(١٠) نفسه ص ٢/٥٣٣ تر٢٦.
(١١) نفسه ص ٢/٣١١ تر١٩.
(١٢) نفسه ص ٣/١١٦ تر٣٢.
(١٣) نفسه ص ٣/١٢١ تر٤٧.
(١٤) نفسه ص ٣/٣١ تر٢٨.
(١٥) نفسه ص ٢/٢٩٢ تر٢٢، كنحو قوله: «.. ويتعمم دائما على أذنيه».
(١٦) نفسه ص ٣/١٤٩ تر١٢.
(١٧) نفسه ص ٣/٥٥٩ تر٢٠.

وفور العقل والسكون وحسن الخلق [1] والخير والانجماع عن الناس وعدم التدخل فيما لا يعنيه[2] أو أن يكون جيدا لا يعرف الهزل [3] أو كثير المزاح[4] يغلب عليه الهزل والمجون[4] لا يتصون عن مواضع التنزه والمتفرجات[6] أو أن يكون ملازما للخلاعة [7] والتهتك[8] أو ممن يعتريهم الغرور وما يتبعه من دعوى عريضة في العلم وغيره [9] أو لا ينسب نفسه الى العلم[10].

أو أن يكون متلافا للمال، مسرفا[5] فيه الى حد الانكشاف والاملاق [11] أو جوادا به [12] أو على العكس من ذلك جماعا له ضنينا به، حريصا على الشح حتى بالعارية [13] أو أن يكون قليل الشر [14] كثير الرجوع الى الحق، محبا في العدل[15] أو على الضد من ذلك: غشوما [16] جائرا [17] شديد السطوة

---

(١) نفسه ص ٣/٢٩٢ تر٢٣.
(٢) المصدر السابق ص ٢/٣١٤ تر٣٢.
(٣) نفسه ص ٣/١٤٩ تر١٢.
(٤) نفسه ص ٣/٥٣٤ تر١٧.
(٥) نفسه ص ٣/٢٠٩ تر١٧.
(٦) نفسه ص ٣/١١٦ تر٣٢.
(٧) نفسه ص ٣/١٨٢ تر١٦.
(٨) نفسه ص ٣/٢٣٢ تر١٣.
(٩) نفسه ص ٣/١١٨ تر٣٦.
(١٠) نفسه ص ٢/٣١٤ تر٣٢.
(١١) نفسه ص ٣/١٠٤ تر٤.
(١٢) نفسه ص ٣/٢٦١ تر١٤.
(١٣) نفسه ص ٢٩ /٣ تر٢٤.
(١٤) نفسه ص ٧٧ /٣ تر٤.
(١٥) نفسه ص ٣/٢٥٧ تر٦.
(١٦) نفسه ص ٧٧ /٣ تر٣.
(١٧) نفسه ص ٣٧ /٣ حيادث.

والجرأة [١] متعاظما، سفاكا للدماء، عبوسا، شديدا على الناس [٢] كثير الشر، شرس الأخلاق [٣] ممن لا تحمد سيرتهم لأنها من أقبح السير [٤] أو ممن يسر بموتهم.. [٥]

جـ ـ الديـن:

كأن يكون جيد الاسلام [٦] سليم الباطن [٧] عنده عبادة وخير [٨] وله ورود وقيام ليل [٩] في غاية الورع والتحري [١٠] والزهد [١١] وحسن التلاوة [١٢] أو أن يكون له وقع في النفوس لخيره ونفعه واحسانه [١٣] أو لكثرة أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر [١٤] أو أن يكون لا بأس به [١٥] ممن يرجع الى دين [١٦] أو ممن تعرف له كرامات.. [١٧].

أو على الضد من ذلك: مشهورا بقلة الدين، متهما في اسلامه، مدمنا على

---

(١) نفسه.
(٢) نفسه ص ٥١ /٣ تر١٧.
(٣) نفسه ص ٣/١٧٩ تر١٧.
(٤) نفسه ص ٣/٢١٠ تر٢٦.
(٥) نفسه ص ٩/١٩٣.
(٦) المصدر السابق ص ٣/٧٦ تر١.
(٧) نفس ص ٣/٧٨ تر٥، ص ٣/١٢١ تر٤٧.
(٨) نفسه ص ٢/٢٤٣ تر١٣.
(٩) نفسه ص ٣/٧٨ تر٥.
(١٠) نفسه ص ٢/٥٢٣ تر١.
(١١) نفسه ص ٣/٢٤ تر١٤.
(١٢) نفسه ص ٣/٧٨ تر٢.
(١٣) نفسه ص ٣/٤٣ تر٥.
(١٤) نفسه ص ٣/٢٠٥ تر٤.
(١٥) نفسه ص ٣/١٨٨ تر٢٨.
(١٦) نفسه ص ٣/١٠٧ تر١٣.
(١٧) نفسه ص ٣/٨٤ تر١٧.

الخمر واللـواط [١] أو مشهـورا بمعـرفـة الأحكـام مـع قلـة الديـن وكثرة التهتك [٢] أو من الظلمة الفاتكين في صورة الناسكين.. [٣] .

د ـ المذهـب:

كأن يكون داعية الى مذهب الزيدية [٤] أو ينتسب الى التشيع [٥] أو الى مذهب أهل الوحدة [٦] أو يميل الى تصوف الفلاسفة [٧].. مع التنبيه على

(١) نفسه ص ٣/٤٣ تر٦.

(٢) نفسه ص ٣/٢٣٢ تر١٣.

(٣) نفسه ص ٣/١٨٥ تر٢٢.

(٤) نفسه ص ٣/٢٤ تر١٢.. هي احدى فرقتين رئيستين تضمان غالبية الشيعة وتأخذ اسمها من الانتساب الى «زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب» وتنتظم داخلها طوائف متعددة.. ـ راجع بشأنها: الجاحظ. مقالة الزيدية والرافضة ـ ضمـن رسـائـل الجاحـظ ط. هــارون ص ٤/٣١٢، الأشعـري. مقـــالات الاسلاميين واختلاف المصلين ص ١٣٦ ـ ١/١٥٠، الملطي التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٣٢ ـ ٣٥، الصاحب بن عباد. نصرة مذاهب الزيدية، البغدادي. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ص ١٦ وما بعدها، الشهرستاني الملل والنحل ص ٢٠٧ وما بعدها من هامش كتاب الفصل، الرازي. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٧١ ـ ٧٦..

(٥) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/١٤٧ تر٣.

(٦) نفسه ص ٣/٢٥٥ تر٣، وهو اتجاه صوفي تحول الى فلسفة قوامها القول بشمول الألوهية أو وحدة الوجود وحلول الألوهية في البشر والاتحاد بين الأضداد ويمثله فكر ابن عربي، وابن سبعين. ولعل توضيح ذلك فيا ورد من استهلال في صدر كتاب ابن العربي: انشاء الدوائر الاحاطية على مضاهاة الانسان للخالق والخلائق في الصور المحسوسة والمعقولة والخلائق وتنزيل الحقائق عليه من قوله: «الحمد لله الذي خلق الانسان على صورته، وخصه بسيرته، وجعل للمضاهاة والمباهاة مقدمتين لتصحيح نتيجة معرفته، فطورا يضاهي به حضرة ذاته وصفاته، وطورا يضاهي به حضرة مخلوقاته..»، وقول ابن سبعين في احدى رسائله: «.. الموحد هو عين الأحد، ويوم الفرض هو يوم العرض، والذاهب من الزمان هو الحاضر، والأول في البيان هو الآخر والباطن في الجنان هو الظاهر، والمؤمن في الجنان هو الكافر، والفقير هو الغني..» ـ راجع بشأن ذلك: ابن العربي. كتاب انشاء الدوائر، ابن سبعين. رسائل، د. محمد زغلول سلام. الأدب في العصر المملوكي ص ١/١٩٣ وما بعدها..

(٧) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/١٧٨ تر٢.

صحة أو فساد المذهب لدى كل، وتعصب صاحبه، أو انصافه في البحث [1].

هـ ـ القدرات العقلية والمواهب الفنية:

كأن يكون من حمقى المغفلين [2] أو من الأذكياء [3] ومنهم من يدرك ما يكتب له الهواء، أو في كفه بالاصبع ليلا [4] كما أن منهم من يكون سريع الفهم جيد الحفظ [5] أو منسوبا الى الخرف والتغير [6] أو تغير المزاج والانحراف [7] .. وما الى ذلك.

أو أن يكون صحيح الخط [8] حسنه [9] جيده [10] دقيقه [11] أو رديء الخط للغاية [12]، أو أن يكون جيد الضرب بالعود [13]..

و ـ المكانة العلمية والمقدرة الأدبية:

كأن يكون نبيها في الفقه [14] أو العربية [15] أو عارفا بالأصول [16] والأجزاء

---

(١) نفسه ص ٢/٣٠٨ تر١٦.
(٢) نفسه ص ٣/١٨٥ تر٢٢.
(٣) نفسه ص ٢/٢٣٩ تر٢.
(٤) نفسه ص ٣٠ /٣ تر٢٦.
(٥) نفسه ص ٣/٢٥٦ تر٩.
(٦) نفسه ص ٣/٢٣ تر١٠ ـ ويلاحظ أنه قد اعتنى بنفي ذلك عنه.
(٧) نفسه ص ٣/٧٧ تر٢.
(٨) المصدر السابق ص ٣/٧٧ تر٢.
(٩) نفسه ص ٢/٢٤٠ تر٤.
(١٠) نفسه ص ٣/٢٠٩ تر١٧.
(١١) نفسه ص ٣/٤٥ تر١٣.
(١٢) نفسه ص ٣/٣١ تر٢٨.
(١٣) نفسه ص ٣/١٧٧ تر١.
(١٤) نفسه ص ٣/١٨ تر٤.
(١٥) نفسه ص ٣/٢٦ تر١٩.
(١٦) نفسه ص ٢/٥٣٠ تر٢٠.

الحديثية وروايتها [1] مشاركا في الأدب، له نظم فائق [2] أو وسط [3] أو سفساف [4] أو أن يكون متفوقا في معرفة الوثائق [5].. وغيرها.

كما أنه كثيرا ما يعني ببيان حال المترجم له من الانصاف أو التعصب في البحث [6].

اصدار التقاويم والأحكام:

على أن نقده لرجال ترجماته لم يقف به عند جرحهم وتعديلهم، وانما جاوزه الى اصدار العديد من التقاويم والأحكام على الكثيرين من الملوك والسلاطين، والأمراء وأرباب المناصب في الادارة المملوكية، خاصة نواب السلطنة، والوزاراء، والمباشرين والقضاة، ونواب الحكم، وكذا العلماء، والأدباء، والفنانين.. مراعيا في اصدار حكمه عليهم وتقويمه لهم مقاييس خاصة بطبقاتهم تتبعها صفات مبحوثة فيهم مثبتة عليهم سلبا أو ايجابا.

فكان **يراعي في الملوك والسلاطين:** الشجاعة والحزم والخبرة بالأمور وعلو الهمة والرجوع الى الحق والدين، وعدم الجور أو التكالب على جمع المال لما له من أضرار على المجتمع ككل، وكذا محبة العلم واحتضان أهله وتشجيعهم، أو ما يقع على أيديهم من فتوحات للاسلام والمسلمين أو خذلان لكل، وهي مقاييس هامة تؤخذ بالاعتبار عند دراسة نقده وتقويمه لهم.

من ذلك قوله في الظاهر برقوق (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٨ م.): «.. كان شهما شجاعا ذكيا، خبيرا بالأمور، الا أنه **كان طماعا جدا بحيث لا يقدم**

(١) نفسه ص ٣/١٤٩ تر١٢.
(٢) نفسه ص ٣/٢٠٧ تر١١.
(٣) نفسه ص ٣/١١١ تر٢٤.
(٤) نفسه ص ٣/١٧ تر٢.
(٥) نفسه ص ٣/١٠٤ تر٥.
(٦) نفسه ص ٣/١٠٦ تر٩.

على جمع المال شيئا، ولقد أفسد أحوال المملكة بأخذ البدل على الولايات في وظيفة القضاء والأمور الدينية »[1].

وهذا التقويم أو الحكم الوارد في ذيل مقوله فيه مترتب ـ لا شك ـ على صفة « الطمع » المثبتة في المترجم له، وعلى المدرك ـ لدى ناقده ـ مما يتبع ذلك من الوهن الوظيفي، وهو سمة عصره التي سوف يرسخها في ذهن المطالع لتأريخه بطريق نقدي مغاير[2].

وقوله في ترجمة « الناصر فرج » (ت ٨١٥ هـ./١٤١٢ م.) من حوادث حولياته « .. ولقد كان الناصر هذا أعظم الناس خذلانا لدين الاسلام وأشأمهم طلعة على المسلمين، والعجب أنه لما ولد أقبل يلبغا الناصري ومنطاش فبشرا به أباه فسماه « بلغاث » ـ يعني فتنة ـ فلما خلص أبوه من الكرك سماه « فرجا » ـ فكان اسمه الأول هو الحقيقي »[3].

وحكمه فيه ـ هنا ـ ليس مرده الى الأخذ بظاهر الأمور من استبدال لما صاحبه من التسميات، ولكنه مبني على أن اسمه الذي يحمله من قبيل الأضداد قياسا الى ما سرده من الأعمال المصاحبة له في مصر والشام ضمن حوادث حولياته.

ومنه قوله في « الأشرف برسباي » (ت ٨٤١ هـ./١٤٣٧ م.): « .. واتفق في أيام سلطنته من السعد في حركاته ما لا يوصف، بحيث أنه لم يقم عليه أحد الا وقتل من غير أن يجهز له عسكرا، أو يباشر له حربا، وفتحت في أيامه قبرس وأسر ملكها »[4].

وهذه حقيقة لافتة للنظر قياسا بما يضم اليها من ضد في غيره من

---

(١) المصدر السابق ص ٢/٦٨.

(٢) راجع: الشواهد الشعرية ودورها في تفسير الخبر ونقده.

(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٥١١.

(٤) المصدر السابق ص ٩/١٩.

السلاطين الذين أنهكتهم الانقسامات وما تبعها من تنازع على السلطنة والمشاحة فيها ـ مقررة في الحوادث.

واشارته في ترجمته لكل من « المؤيد شيخ المحمودي » (ت ٨٢٤ هـ./١٤٢١ م.) و « الظاهر ططر » (ت ٨٢٤ هـ./١٤٢١ م.) الى المحبة في العلم والبذل فيه وتقريب العلماء، وكان الرجوع الى الحق والدين وحسن الخلق[١] فانه أصدر حكمه قياسا الى ما عهده من فعلهما، وقد عمد نفعهما لمصاحبتهما.

كما كان يراعي في **نواب السلطنة** ما يراعيه في الملوك والسلاطين، فكان يبحث فيهم هذه الصفات المصاحبة لحكمه عليهم وتقويمه لهم..

من ذلك قوله في « أرغون شاه الابراهيمي المنجكي » (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.) نائب السلطنة بحلب: « .. كان شابا عاقلا، عادلا، شجاعا، كريما، ومن عدله أن غلمانه توجهوا لتحويل الملح الذي في اقطاع النيابة فاستكروا جمالا، فنهبهم العرب، فغرم لأصحابها الثمن، وأن شخصا ادعى عنده في جمل عند صلاة الجمعة فاستمهله الى بعد الصلاة فمات الجمل فغرم لصاحبه »[٢].

فاثبات العدل والكرم له ـ قرين ما شهر من فعله، والعقل قرين ما بدر من تصرفه في العمل الثاني.

وقوله في ترجمة « تغري بردي الكمشبغاوي » (ت ٨١٥ هـ./١٤١٣ م.): « .. ولي نيابة حلب.. فسار فيها سيرة حسنة، وأنشأ بها جامعا.. ووقف عليه.. وقرر في الجامع مدرسين: شافعيا وحنفيا..

---

(١) نفسه ص ٢٥٦ ـ ٣/٢٥٨.
(٢) نفسه ص ٤٥، ٢/٦٥.

وكان جميلا حسن الصورة، وكان يلهو ولكن في سترة وحشمة وأفضال »[1].

وعلى الضد من ذلك قوله في « بيدمر » ـ نائب الشام ـ وقد قبض عليه مما سوف يبين في موضعه[2].

أما **الأمـراء** فانه نظر اليهم من زاوية حسن السيرة أو ذمها، وما يتبع ذلك من مصاحبة الطيش وشدة الوطأة على الناس أو كفكفة الشر عنهم. كما أن له تقاويم وأحكاما صاحبتهم قياسا بالحوادث المضمومة اليهم أو المتولدة بعد وفاتهم.

من ذلك وصفهم بقبح السيرة[3] وشدة السطوة والوطأة على الناس[4] أو الجود والمهابة والحشمة والأدب[5] والخير..[6] مما فصل في موضعه من هذا الفصل ـ وهي أحكام مستخلصة من مشاهداته وغيره ممن نقل عنهم لتصرفاتهم أو انعكاس لتصرفاتهم على الناس ـ الرأي العام بمفهوم عصرنا ـ كنحو قوله: « .. رأيت الحببين يثنون عليه »[7] وقوله: « .. سر أكثر الناس بموته لثقل وطأته عليهم »[8].

ويأتي في المقام الأول اثباته للعديد من التقاويم والأحكام الخاصة بما يضم اليهم من أعمال في حياتهم أو بعد مماتهم، ومنها قوله في ترجمته « للعجل بن نعير » (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.): « .. وبقتله انكسرت شوكة آل

(١) نفسه ص ٥٢٦ - ٢/٢٥٧.
(٢) نفسه ص ١/٢٧٩، ويراجع: الشواهد الشعرية ودورها في تفسير الخبر ونقده - من هذا الفصل.
(٣) المصدر السابق ص ٣/٢١٠.
(٤) نفسه ص ٣/٢٧.
(٥) نفسه ص ٣/٢٦١.
(٦) نفسه ص ٣/٥١، ٣/٢٥٦.
(٧) نفسه ص ٣/٧٧.
(٨) نفسه ص ٩/١٩٣.

منها »[1] . وهذا الحكم بالقياس الى ما تبع ذلك من أمرهم مما هو بين في حوادث حولياته.

وقوله في ترجمة « نوروز » (ت ٨١٧ هـ./١٤١٥ م.): « .. كان مشئوم النقيبة، ما كان في عسكر قط الا انهزم، ولا حفظ له أنه ظفر في وقعة قط »[2] .

وهو حكم يقاس على الحوادث ـ كذلك ـ ابتداء بالقبض عليه وسجنه في صفر سنة سبع وتسعين وسبعمائة بعد أن رام القيام على السلطان، ومرورا بمشاركته في حروب المغول، ومشاركته في الفتن الى أن قتل.

وقوله في ترجمة « أحمد بن رمضان التركماني » (ت ٨١٩ هـ./١٤١٧ م.): « .. وكانت له اليد البيضاء في طرد العرب عن حلب في ذي الحجة سنة ثلاث وثمانمائة »[3] .

وهو مقيس على ما مر من تصرفاته في الحوادث.

وهكذا فانه **نظر الى الأمراء وتصرفاتهم قياسا الى انعكاسات أفعالهم على الرعية أو تأثيراتهم في أحداث العصر مما صاحبهم أو أتى بعدهم.**

كما أنه قد نظر الى **الوزراء** من حيث وقع تصرفاتهم على العامة من حسن أو سوء وكذا معرفتهم بالمباشرة، ومحبتهم في العلم وأهله. ومن ذلك قوله في ترجمة « ابن أبي شاكر القبطي » (ت ٨١٩ هـ./١٤١٧ م.): « .. كان يثير فعل الخير والصدقة مع الانهماك في اللذة، وحدث في وزارته الوباء فلم يشاحح أحدا في وراثة، وكثر الدعاء له، وكان عارفا بالمباشرة ويحب أهل العلم،

---

(١) نفسه ص ٣/٢٧.
(٢) نفسه ص ٣/٥١.
(٣) نفسه ص ٣/١٠٣.

وكان شديد الوطأة على العامة الا أنه باشر الوزارة برفق لم يعهد مثله، وكان موصوفا بالدهاء وجودة الكتابة »[1].

وقوله في « سعد الدين البشيري » (ت ٨١٨ هـ./١٤١٦ م.): « .. وكان جيد الاسلام، وهو الذي جدد الجامع بالقرب من منزل سكنه.. وكان عارفا بالمباشرة، يسلك طريق الوزراء السابقين من الحشمة والترتيب »[2].

وعلى العكس من ذلك ما ورد في حق « التاج الملكي » (ت ٧٨٣ هـ./١٣٨١ م.) مما سوف يرد في موضعه من هذا البحث[3].

وراعى في المباشرين والقضاة ونواب الحكم.. وغيرهم أمورا أهمها:

التورع والعفة والنزاهة وحسن السيرة:

كنحو قوله في ترجمة « الباعوني » (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.): « .. ولاه الناصر قضاء دمشق.. فباشر مباشرة حسنة بعفة ونزاهة ومداراة وحرمة »[4].

وقوله في ترجمة « جابر الحراشي » (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.): « .. اشتهر بالأمانة والحرمة وبحسن المباشرة »[5].

وقوله في ترجمة « أمين الدولة الطرابلسي » (ت ٨١٩ هـ./١٤١٧ م.): « .. ولي القضاء.. فباشر بعفة ومهابة، وكان مشكور السيرة »[6].

وقوله في « الشهاب الرمثاوي » (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.): « .. كان

---

(١) المصدر السابق ص ٣/١١١.
(٢) نفسه ص ٣/٧٦.
(٣) نفسه ص ٢١٦ - ١/٢١٧، وفي الشواهد الشعرية ودورها في تفسير الخبر ونقده من هذا الفصل.
(٤) نفسه ص ٣/٢١.
(٥) نفسه ص ٣/٢٣.
(٦) نفسه ص ٣/١١١.

سيء السيرة، فتح أبوابا من الأحكام الباطلة فاستمرت بعده، وكان عنده دهاء »[1].

وقوله في « الشمس التباني » (ت ٨١٨ هـ./١٤١٦ م.): « .. قرر في نظر الجامع الأموي وفي عدة وظائف، وباشر مباشرة مرضية »[2].

وقوله في « أبي جرادة العقيلي » (ت ٨١٩ هـ./١٤١٧ م.): « .. وصار في ولايته القضاء كثير الوقيعة في العلماء، قليل المبالاة بأمر الدين، كثير التظاهر بالمعاصي لا سيما الربا، سيء المعاملة جدا أحمق أهوج متهوراً »[3].

وقوله في ترجمة « ابن المغيري » (ت ٨٤٦ هـ./١٤٤٣ م.): « .. ولي في سلطنة الظاهر جقمق مشيخة الدسوقية وكثرت فيه الشكوى، وكان ممن يأكل الدنيا بالدين ولا يتوقى في يمين يحلفها »[4]

التكالب على المنصب أو الاعتدال في تقبله:

كنحو قوله في ترجمة « ابن خطيب نقرين » (ت ٨١٨ هـ./١٤١٦ م.): « .. ترامى على الدخول في المناصب الى أن ولي قضاء حلب.. »[5] وقوله في « البرهان بن جماعة » (ت ٧٩٠ هـ./١٣٨٨ م.): « .. عزل نفسه مرارا، ثم يسأل ويعاد حتى هم السلطان في بعض المرات أن ينزل اليه بنفسه ليترضاه »[6] وقوله في حوادث حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة: « .. عرض برقوق القضاء على الشيخ جلال الدين التباني فامتنع، فألح عليه فأصر وأحضر معه مصحفا

(١) نفسه ص ٣/٣٤.
(٢) المصدر السابق ص ٣/٨٣.
(٣) نفسه ص ٣/١١٩.
(٤) نفسه ص ٩/١٩٠.
(٥) نفسه ص ٣/٨٣.
(٦) نفسه ص ١/٣٥٥.

وكتاب الشفاء وتوسل بهما أن يعفيه من ولاية القضاء فأعفي..» [١].

المعرفة بموضوع المباشرة أو الجهل به:

كنحو قوله في ترجمة «عبدالله العرجاني» (ت ٨١٨ هـ./١٤١٦ م.): «.. باشر أوقاف الجامع الأموي، ولم يكن يعرف شيئا من حاله» [٢].

وقوله في ترجمة «الشمس الحراني» (ت ٨٢٠ هـ./١٤١٨ م.): «.. ولي القضاء بعد اللنك مرارا بغير أهلية» [٣].

وقوله في ترجمة «المدني» (ت ٨١٨ هـ./١٤١٦ م.): «.. ولي تدريس الحديث بالشيخونية فباشره مع قلة علمه به مدة.. ولم يكن بالماهر في فنه» [٤].

الحزم في الأحكام أو التساهل فيها:

كنحو قوله في «أبي المنجا»: «.. كان قصير العبادة، متساهلاً في أحكامه» [٥].

وقوله في ترجمة «البرهان بن جماعة» (ت ٧٩٠ هـ./١٣٨٨ م.): «.. ثم خطب الى قضاء الديار المصرية فوليه مرتين بصرامة وشهامة وقوة نفس وكثرة بذل» [٦].

وهو بعد النظر اليهم من هذه الزاوية، وقياسهم بهذه الصفات سلبا وايجابا يصدر أحكامه وتقاويمه الصارمة، منها قوله في «البرهان بن جماعة»: «.. لم

---

(١) نفسه ص ١/٢١٨.
(٢) نفسه ص ٣/٨١.
(٣) نفسه ص ٣/١٥٣.
(٤) المصدر السابق ص ٣/١١٨.
(٥) نفسه ص ٢/٢٠٦.
(٦) نفسه ص ١/٣٥٥.

يأت بعده له نظير ولا قريب من طريقته »[1] وقوله في « ابن ناصر الحسيني » (ت ٨١٩ هـ./١٤١٧ م.): « .. جلس مع الشهود مدة ووقع وكان عين البلد في ذلك »[2].

وهي لا شك تقاويم وأحكام لها أهميتها باعتبار تلك الصفات المبحوثة فيها وباعتبار صدورها عن خبير بالتحري عنهم.

أما عن **العلماء**، فالملاحظة أنه راعى فيهم العديد من الصفات التي شاركهم في الكثير منها، ومنها:

التولع بالعلم، والمعرفة بالاستحضار، والتمهر فيما يحملونه:

كنحو قوله في « ابن الشرائحي » (ت ٨٢٠ هـ./١٤١٨ م.): « .. صار أعجوبة دهرة في معرفة الأجزاء والمرويات ورواتها »[3].

وقوله في « القطعة » (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.): « .. كان أكثر الحنفية معرفة باستحضار الفروع »[4].

وقوله في « الزين المارديني » (ت ٨١٤ هـ./١٤١٢ م.): « .. كان كثير الاستحضار »[5].

وعلى الضد من ذلك قوله في « أمين الدولة الصفدي » (ت ٨١٥ هـ./١٤١٣ م.) « .. كان عالما بالطب مستحضرا، الا أنه لم يكن ماهرا بالمعالجة بل اذا شخص له غيره المرض نقل أقوال أهل الفن فيه »[6]

---

(١) نفسه.
(٢) نفسه ص ٣/١١٣.
(٣) نفسه ص ٣/١٤٩.
(٤) نفسه ص ٣/٣١.
(٥) المصدر السابق ص ٢/٤٩٩.
(٦) نفسه ص ٢/٥٣٣.

التخصص في العلم أو الاختصاص به:

كنحو قوله في « أبي قاسم العمراني » (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.): « .. تنبه في الفقه »(١).

وقوله في « التقي العامري » (ت ٨١٧ هـ./١٤١٥ م.): « .. تقدم في معرفة الفرائض والحساب »(٢).

وقوله في « العز بن جماعة » (ت ٨١٩ هـ./١٤١٧ م.): « .. ونظر في كل شيء حتى في الأشياء الصناعية كلعب الرمح ورمي النشاب وضرب السيف والنفط، حتى الشعوذة، حتى في علم الحرف والرمل والنجوم، ومهر في الزيج وفنون الطب، وكان في العلوم بحيث يقضي له في كل فن بالجميع »(٣).

القدرات العقلية والنفسية:

كنحو قوله في « ابن الشنبل » (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.): « .. كان نبيها في الفقه مع طيش فيه »(٤).

وقوله في « القطعة » ـ وقد مر قريبا: « .. كان أكثر الحنفية معرفة باستحضار الفروع مع جمود فيه »(٥).

وقوله في « أحمد الزاهد » (ت ٨١٩ هـ./١٤١٧ م.): « .. ونقموا عليه فتواه برأيه من غير نظر جيد في العلم مع سلامة الباطن والعبادة »(٦).

---

(١) نفسه ص ٣/٢٥.
(٢) نفسه ص ٣/٤٢.
(٣) نفسه ص ٣/١١٦.
(٤) نفسه ص ٣/١٨.
(٥) نفسه ص ٣/٣١.
(٦) نفسه ص ٣/١٠٥.

وقوله في « ابن طولو » (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.): « .. وكان بعض من يتعصب عليه ينسبه الى الخرف، والتغير، ولم يقع ذلك، فقد سمعت منه بمكة سنة خمس عشرة وهو صحيح، وأخبرني من أثق به أنه استمر على ذلك »[1].

وقوله في « العز بن جماعة » ـ المذكور: « .. ولم يرزق ملكة في الاختصار ولا سعادة في التصنيف، بل كان بين قلمه ولسانه كما بينه هو وآحاد طلبته »[2].

المجازفة في القول مع العرى من العلم:

كنحو قوله في « ابن قلاف الدين الحلوائي » (ت ٨١٩ هـ./١٤١٧ م.): « .. وكان كثير المجازفة في القول »[3].

وقوله في « الزين الكردي » (ت ٨١٩ هـ./١٤١٧ م.): « .. كان رائجا عند العامة.. وكان يعاب بأنه قليل البضاعة في العلم ولا يسأل مع ذلك عن شيء الا بادر الجواب.. وله أشياء كثيرة من التنطعات »[4].

وقوله في « الباعوني » (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.): « .. كان عريض الدعوى كثير المنامات التي يشهد سامعها بأنها باطلة »[5].

وقوله في « الشمس الاخنائي السعدي » (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.): « .. كان قليل البضاعة في الفقه، وربما افتضح في بعض المجالس، لكن كان يستر ذلك بالبذل والاحسان »[6].

---

(١) المصدر السابق ص ٣/٢٣.
(٢) نفسه ص ٣/١١٥.
(٣) نفسه ص ٣/١٢١.
(٤) نفسه ص ٣/١٠٩.
(٥) نفسه ص ٣/٢١.
(٦) نفسه ص ٣/٣٣.

ونحوه قوله في « الزين الحنفي » (ت ٨٢٣ هـ./١٤٢٠ م.): « .. لم يكن بالماهر في العلم، وكان مشى حاله بالجاه »[١].

وقوله في « حاجي فقيه » (ت ٨١٨ هـ./١٤١٦ م.): « .. كان عريا من العلم الا أن له اتصالا بالترك كدأب غيره »[٢].

الدعوى العريضة في العلم مع عكس فحواها:

كنحو قوله في « ابن طيبغا التنكري » (ت ٨١٩ هـ./١٤١٧ م.): « .. كان يستحضر كثيرا من الفقه والحديث والتفسير، الا أنه عريض الدعوى جدا مع أنه متوسط في الفقه »[٣].

وقوله في « السراج الأسواني » (ت ٨٢٦ هـ./١٤٢٣ م.): « .. عريض الدعوى في الشعر، وشعره غير ذلك »[٤].

وعلى العكس من ذلك قوله في « ابن قتامة » (ت ٨٠٧ هـ./١٤٠٥ م.): « .. لا ينسب نفسه الى العلم، لا هذا ولا غيره »[٥].

الانصاف في البحث:

كنحو قوله في « البرهان بن جماعة » (ت ٧٩٠ هـ./١٣٨٨ م.): « .. كثير الانصاف والاعتراف، قويا في أمر الله »[٦].

وقوله في « ابن نشوان » (ت ٨١٩ هـ./١٤١٧ م.): « .. أفتى فحمدت

---

(١) نفسه ص ٣/٢٢٨.
(٢) نفسه ص ٣/٧٨.
(٣) المصدر السابق ص ٣/١١٨.
(٤) نفسه ص ٣١٨ - ٣/٣١٩.
(٥) نفسه ص ٢/٣١٤.
(٦) نفسه ص ١/٣٥٥.

فتاويه مع وفور عقله وحسن تأنيه وانصافه في البحث »[١].

وقوله في « الشمس الحراني » (ت ٨٢٠ هـ./١٤١٨ م.): « .. كان عريا عن تعصب الحنابلة في العقيدة »[٢].

وهذه وتلك مقاييس توافر عليها فأتاحت له اصدار أحكام وتقاويم على الكثير من العلماء تبين ـ بكل جلاء وارتياح ـ عن حال أصحابها ومكانتهم من العلم لها دلالاتها وقيمتها في التوفر على دراستهم أو التعرف على جوانب شخصياتهم وانتسابهم من العلم، كنحو قوله في « ابن حجي » (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.): « .. انتهت اليه رياسة العلم بدمشق »[٣] وقوله في ترجمة « أبي نعيم العامري » (ت ٨٢٢ هـ. /١٤١٩ م.): « .. لم يبق في الشام في أواخر عمره من يقاربه في رياسة الفقه للشافعية الا ابن نشوان »[٤]. وقوله في ترجمة « الزين الزرزاري » (ت ٨٤٦ هـ./١٤٤٣ م.): « .. صار رأس المالكية بأخرة.. »[٥]. وقوله في ترجمة « العز المقدسي » (ت ٨٢٠ هـ./١٤١٨ م.): « .. وكان آخر عمره عين الحنابلة »[٦]. وقوله في « ابن الشرائحي » (ت ٨٢٠ هـ./١٤١٨ م.): « .. صار أعجوبة دهره في معرفة الأجزاء والمرويات ورواتها.. »[٧] وقوله في « الجلال البلقيني » (ت ٨٢٤ هـ./١٤٢١ م.): « .. كان من عجائب الدنيا في سرعة الفهم وجودة الحفظ »[٨]. وقوله في « البرهان البيجوري »

---

(١) نفسه ص ٣/١٠٦.
(٢) نفسه ص ٣/١٥٢.
(٣) نفسه ص ١٩ /٣.
(٤) المصدر السابق ص ٢/٢٠٣.
(٥) نفسه ص ٩/١٩٣.
(٦) نفسه ص ٣/١٥٢.
(٧) نفسه ص ٣/١٤٩.
(٨) نفسه ص ٣/٢٥٩.

(ت ٨٢٥ هـ./١٤٢٢ م.): « .. لم يكن في عصره من يستحضر الفروع الفقهية مثله، ولم يخلف بعده من يقاربه في ذلك »[١]. وقوله في « الشهاب اليمني » (ت ٨٢٥ هـ./١٤٢٢ م.): « .. لم يخلف بعده من يقرأ على طريقته »[٢]. وقوله في « ابن الكويك » (ت ٨٢١ هـ./١٤١٨ م.): « .. ولم يبق بعده بالقاهرة من يروي عن أحد من مشايخه لا بالسماع ولا بالاجازة، ولا في الدنيا يروي عمن سميت من مشايخه المذكورين »[٣].

أما **الأدباء والفنانون**، فانه راعي فيهم الاجادة في النتاج الفني، كنحو قوله في « الفخر بن مكانس » (ت ٨٢٢ هـ./١٤١٩ م.): « .. نظم الشعر الفائق.. وشعره في الذروة العليا، وكذا نثره، لكن نثره أحسن منه »[٤]. وقوله في « ابن زقاعة » (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.): « .. نظمه كثير، وغالبه وسط ويندر له الجيد، وفيه السفساف »[٥]. بالاضافة الى الأصالة والابتكار والبعد عن التقليد، كما ورد في الحوادث من نقده لكتاب « تمرلنك » الى « الظاهر برقوق »، وللرسالة المرسلة اليه ـ ردا على كتابه، وهما من الانشاء المقلد، حيث قال عن الأول: « .. قلت: هذا الكتاب منتزع من كتاب هولاكو الى الخليفة ببغداد والى الناصر بن العزيز بدمشق، وهو من انشاء النصير الطيبرسي، أما الثانية فقد ورد قوله فيها: « .. وكتب جواب اللنك كاتب السر ابن فضل الله، وهو كلام ركيك ملفق غالبه غير منتظم، لكن راج على أهل الدولة وقريء بحضرة السلطان والأمراء فكان له عندهم وقع عظيم، وعظموه جدا وأعادوه »[٦]. وتقديره ـ كذلك ـ لعمل أدبي من انشاء

---

(١) نفسه ص ٣/٢٨٣.
(٢) نفسه ص ٣/٢٨٥.
(٣) نفسه ص ٣/١٨٨.
(٤) نفسه ص ٢٠٧ - ٣/٢٠٨.
(٥) نفسه ص ٣/١٧.
(٦) المصدر السابق ص ١/٤٧٤.

« ابن حجة » أتى قرين الاخبار عن حريق دمشق سنة أربع وتسعين وسبعمائة، قائلا: « .. وعمل في ذلك صاحبنا الأديب تقي الدين بن حجة الحموي مقامة في نحو عشرة أوراق من رائق النثر وفائق النظم، وهي أعجوبة في فنها »[١]. وما ورد في حوادث حولية ثلاث وثمانين وسبعمائة من مناقضته لبيتي « البدر بن الصاحب » في كائنه « ابن القماح » السارق بما يقابلها من الشعر الوارد لدى « ابن خلكان »[٢]. وقوله في « ابن القرداح » (ت ٨٤١ هـ./١٤٣٨ م.): « .. كان طيب النغمة، عارفا بالموسيقى، يجيد الأعمال ويتقنها ولا ينشد غالبا الا معربا، ومهر في علم الميقات، وكان ينظم نظما وسطا.. وكان يعمل ألحانا وينقل منها الى ما ينظمه، فاذا اشتهر وكثر العمل به تحول الى غيره وهو أحد مفاخر الديار المصرية، ولم يخلف بعده مثله »[٣]. وقوله في « ابراهيم ابن بابي » (ت ٨٢١ هـ./١٤١٨ م.): « .. واليه المنتهي في الضرب بالعود ولم يخلف بعده مثله »[٤]. وقوله في حوادث حولية تسعين وسبعمائة بشأن كارثة مغن ومشبب: « .. وكان الى ولدي ابن الجمال (ابراهيم وخليل) المنتهى في صناعتيهما »[٥].

وهذه وتلك تقاويم وأحكام بقدر ما تكشف عن مكانة أصحابها بالنسبة الى ما ينسب اليهم من الفنون والآداب أو ما يتحملون من العلم أو يسند اليهم من مهام السياسة وادارة أمور الدولة وشئونها، فانها تكشف ـ لا شك ـ عن الجانب الآخر من طبيعة هذه الشخصية الناقدة وملكاتها العقلية والفنية ورفاهة حسها، وتذوقها للكثير من فنون العصر مما يخرجها عن انغلاق الفكر المنسوب الى العصر المملوكي جملة ـ دون تمحيص ـ ويخرج بعلم من أعلام

---

(١) نفسه ص ١/٤٣٧.
(٢) نفسه ص ٢٣٦ - ١/٢٣٧.
(٣) نفسه ص ١٥ /٩.
(٤) نفسه ص ٣/١٧٧.
(٥) نفسه ص ١/٣٥١.

الفكر والدين عن الجمود والتقليد ، وهما ما نسبا جزافا لطائفته وما زال فيهم بقية، ولعل هذا يكون مدعاة لاعادة النظر في درسهم على أسس جديدة من النقد والتقويم كتلك التي وضعوا أسسها ـ قديما ـ لنقد رجال عصرهم وتقويمهم، أو جرحهم وتعديلهم.

ثانياً ـ نقد الحوادث

توزع نقد «ابن حجر» في الحوادث بين نقد الروايات التاريخية، وبين اصدار الأحكام والتقاويم على الحوادث والرجال معا، وبين نقد الحوادث في حد ذاتها ـ نقدا جزئيا، وان اتجه في الوقت عينه الى ابراز أهم خصائص مجتمعه ونقدها نقدا كليا عن طريق استخدام الكثير من الشواهد الشعرية الواردة في التراجم والحوادث والموجهة لتحقيق هذه الغاية.. فكان من النقد ما اثبت قرين مصدره، وكان منه ما تولد نتيجة لانفعاله بالحوادث وتعامله معها.

أ ـ نقد الروايات التاريخية:

لم يتقبل «ابن حجر» كل ما مدته به مصادره من الروايات التاريخية على أنها من قبيل المسلمات التي لا يمكن ردها أو مناقشتها، وانما كان يستخدم عقله في مناقشتها، ويستخدم حسه التاريخي في ردها..

ومن أمثلة ذلك ما ورد في حوادث حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة بخصوص الحروب المغولية التركمانية من قوله: « .. ويقال انه كان في عسكره (عسكر تمرلنك) عابد يقال له بركة، فلما رأى اللنك تمسك به فصاح على عسكر طقتمش خان فانهزموا. **ويحتمل أن يكون هذا من وضع بعض من يتعصب للنك، ويحتمل الصحة ليقضي الأمر المقدم: «انما نملي لهم ليزدادوا اثما»**[1].

وقوله في حوادث حولية ست وتسعين وسبعمائة بخصوص تبليغ احدى

(١) المصدر السابق ص ١/١٩.

البشارات للسلطان « الظاهر برقوق » : « .. وخرج الى السلطان ـ وهو معسكر بظاهر القاهرة ـ شخص يقال (له) أحمد بن عباس الحريري فذكر أنه رأى النبي ﷺ في المنام، وأنه قال له: رح الى برقوق وقل له انك منصور بأمارة أنك تقرأ الفاتحة على أصابعك العشرة عشر مرات عند الركوب، ثم تقول: « لن ينصركم الله فلا غالب لكم ». فصدق البشارة وبكى وأمر للرائي بمال فلم يقبل منه الا نزرا يسيرا. **والذي يظهر لي كذب هذا الرائي، وكأنه بلغ الأمارة من بعض خواص السلطان المطلعين على سره، والا فلو كان صدقا لكان قد انتصر، والواقع أنه لم يقع له قتال مع أحد** »[1].

وقوله في ترجمته « للفيروزبادي » (ت ٨١٧ هـ./١٤١٥ م.): « .. كان يرفع نسبه للشيخ أبي اسحق الشيرازي صاحب التنبيه ويذكر أن بعد عمر أبا بكر بن أحمد بن أحمد بن فضل الله بن الشيخ أبي اسحق. ولم أزل أسمع مشايخنا يطعنون في ذلك مستندين الى أن أبا اسحق لم يعقب، ثم ارتقى الشيخ مجد الدين درجة فادعى ـ بعد أن ولي القضاء باليمن مدة طويلة ـ أنه من ذرية أبي بكر الصديق، وزاد الى أن قرأت بخطه لبعض نوابه في بعض كتبه: محمد الصديقي، **ولم يكن مدفوعا عن معرفة الا أن النفس تأبى قبول ذلك** »[2].

ويلحق بذلك نقده لتأريخ بعض الأخبار وتعديله. ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية ثمانين وسبعمائة: « .. وفي أولها مات أينبك في الحبس بالأسكندرية، ووهم من أرخه في الماضية، وكان الوصول بخبر موته في يوم عاشوراء »[3]. وما ورد في الكثير من تراجم الوفيات[4] على اعتبار أن الوفاة

---

(١) المصدر السابق ص ١/٤٧٠.
(٢) نفسه ص ٤٧/ .
(٣) نفسه ص ١/١٧٠.
(٤) نفسه في مواضع منها: ص ٣/١٧ تر٢، ٣/٤٢ تر٢، ٣/٢٨٨ تر١٥.

حدث تاريخي ـ على نحو ما هو بين في العلاقة بين التراجم والحوادث من هذا الباب.

ب ـ اصدار الأحكام والتقاويم:

كما أن «ابن حجر» لم يخل الخبر ـ غالبا ـ من حكم أو تقويم له أو عليه وعلى المشاركين فيه بجد سواء متبعا في ذلك طرقا منها:

*** الجرح والتعديل لذوات القائمين بها، بمعنى نقده للرجال من خلال نقد الحوادث:**

ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة بخصوص حكم «الهمام بن قوام» ـ قاضي الحنفية بدمشق ـ علي «الصدر بن منصور» بالفسق وتقرير غيره في وظيفته: «.. وكانت هذه الفعلة من عجائب تهور الهمام»[(١)] وقوله في حوادث سنة أربع وثمانين وسبعمائة بخصوص تعزيز «ابن الزهري» لابن خليل الحريري المنصفي: «.. وهذا العذر دال على أنه تهور في أمره ولم يثبت. فلله الأمر»[(٢)]. وقوله في حوادث حولية احدى وتسعين وسبعمائة بخصوص عصيان تمربغا منطاش على معتقه: «.. وقد تقدم أن برقوق اشتراه من أولاد أستاذه وأعتقه، فكأن ذلك عند منطاش لم يصادف محلا لأنه لا يعرف أصل نفسه»[(٣)]. ونقده في هذا الموضع لا يعد تقويما يكشف عن انتقاصه للعاصي ونعته بعدم الوفاء لمعتقه، ومقابلته الاحسان بالاساءة، وانما يكشف الى جانب ذلك عن انطباعاته عن طبقته، وغمزهم ـ كذلك. وقوله في حوادث حولية خمس وثمانمائة بخصوص تعزيز «ابن دقماق»: «.. ولم يكن المذكور يستأهل ذلك»[(٤)]. وقوله في حوادث حولية

---

(١) المصدر السابق ص ١/٢١٦.
(٢) نفسه ص ١/٢٦٠.
(٣) نفسه ص ١/٢٧٣.
(٤) نفسه ص ٢/٢٣٤.

اثنتي عشرة وثمانمائة بخصوص موت « أقباي الكبير » : « .. وترك من الذهب العين ألف دينار هرجة وأثني عشر ألف مثقال فرنجة، ومن الغلال والخيول والدواب ما قيمته فوق ذلك ، حصل ذلك من الظلم، وكان حاجبا مدة طويلة غشوما ظلوما فاستأصل الناصر تركته » [١].

*** الحكم على الحوادث بالتفرد في بابها، أو بنسبتها الى الأولية:**

كنحو قوله في حوادث حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة بخصوص مطر دمشق: « .. وفي جمادي الآخرة اتفق شيء غريب وهو وقوع المطر الغزير برعد وبرق في خامس عشر أيلول، وسقط برد كبار مثل البندق، وكثر جدا حتى صارت الأرض بيضاء، وكثر الوحل وجرى الماء في الشوارع. كل ذلك في سنة واحدة، ولم يعهد مثل ذلك قبلها » [٢]. وقوله في حوادث حولية ثلاث وثمانين وسبعمائة بخصوص مطر القاهرة: « .. وفيها في شهر رمضان أمطرت السماء مطرا عظيما حتى صار باب زويلة خوضا الى بطون الخيل، وخرج سيل عظيم من جهة طرا فغرق زرعها وأقام الماء أياما، ولم يعهد الناس ذلك بالقاهرة » [٣]. وقوله في حوادث حولية خمس وثمانين وسبعمائة بخصوص كائنة « ابن البقري » وقد سلب المدعوات في عرس بعض بناته الحلي والحلل: « .. ولم يسمع بمثل كائنته » [٤]. وقوله في حوادث حولية خمس وتسعين وسبعمائة بخصوص استقرار « العلاء السيرامي » في تدريس الفقه بالشيخونية والظاهرية : « .. ولم يتفق ذلك لغيره » [٥]. .. وقوله في حوادث حولية ست وسبعين وسبعمائة : « .. وفيها ولي سري الدين (الاندلسي) قضاء حلب، وهو أول

---

(١) نفسه ص ١/٤٣٧.
(٢) المصدر السابق ص ١/٢١٧.
(٣) نفسه ص ١/٢٣٨.
(٤) نفسه ص ٢٧٦ - ١/٢٧٧.
(٥) نفسه ص ١/٤٥٦.

مالكي قضي بها »[1] . وقوله في حوادث حولية سبع وسبعين وسبعمائة: « .. وفيها استمر تمراز في نيابة القدس، وهو أول من ولي نيابتها، وكانت قبل ذلك يكون فيها وال من جهة والي الولاة بدمشق »[2]. وقوله في حوادث حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة بشأن الشريف بكتمر: « .. وهو أول من كوتب بذلك (بملك الأمراء) ممن ولي نيابة الجيزة »[3]. وقوله في الحولية ذاتها بشأن افراد « برقوق » ناظرا للذخيرة والمتجر الخاص والمستأجرات والأملاك: « .. وهو أول من أفرد ذلك »[4]. وقوله في حوادث حولية أربع وثمانين وسبعمائة بشأن استقرار « خير الدين الحنفي » في قضاء القدس: « .. وهو أول حنفي قضي به [5]. وقوله في حوادث حولية خمس وثمانين وسبعمائة بشأن تخليق « الظاهر برقوق » للنيل: « .. ولم يباشر ذلك بنفسه سلطان قبله من زمن الظاهر بيبرس »[6] . وقوله في حوادث حولية احدى وثمانين وثمانمائة بخصوص جنازته: « .. وكانت جنازة مشهورة لم ير بعد جنازة الناصر محمد بن قلاوون جنازة سلطان مثلها »[7] . وقوله في حوادث حولية عشر وثمانمائة بشأن تبذل السلطان وتوجهه بملابس جلوسه الى عيادة بعضهم أو زيارة غيره: « .. وكان عهد الناس بعد بعدا شديدا من سلطان يفعل مثل هذا التبذل، ولم يعرف أن ذلك وقع لملك من ملوك مصر قبله، وقد تبعه على ذلك من جاء بعده »[8] .

---

(١) نفسه ص ٧٧ /١.
(٢) نفسه ص ١٠٧/١.
(٣) نفسه ص ٢١٥/١.
(٤) نفسه ص ٢١٩/١.
(٥) نفسه ص ٢٥٦/١.
(٦) المصدر السابق ص ٢٧٣/١.
(٧) نفسه ص ٥٠ /٢.
(٨) نفسه ص ٢٨٦/٢.

* وصف بعض الحوادث بالشناعة والقبح أو بالحسن:

من ذلك قوله في حوادث حولية سبع وسبعين وسبعمائة بشأن ابطال السلطان « الأشرف شعبان » لضمان المغاني: « .. وكان ضمان المغاني من القبائح الشنيعة » (١). وقوله في حوادث حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة بخصوص كائنة « الشهاب بن فضل الله »: « .. وكانت كائنة شنيعة جدا » (٢). وقوله في حوادث حولية ست وثمانمائة بخصوص تكالب العلاء بن أبي البقاء على المنصب وبذله فيه للسلطان ووصول مرسوم السلطان الى النائب بقبض المبلغ المبذول: « .. وكانت هذه الكائنة من أقبح ما نقل » (٣). وهنا يلاحظ أن القبح ليس في البذل في حد ذاته، وذلك لأن المبذول كان بنص « ابن حجر » عينه: « مائتي ألف درهم، وهي التي جرت عادة القضاة بدمشق ببذلها للسلطان » (٤) لكن القبح في أن يكون تحصيل السلطان لها بمرسوم يصدر الى نائب دمشق لينعم بها على « اينال حطب » الذي كاتب - بدوره - ناظر الجيش بأن يقبضها ويشتري بها أمتعة، ثم أن القبح المنسوب اليها راجع كذلك الى التنافس على هذا المنصب والمبذول فيه من كل من « العلاء بن أبي البقاء »، و « ابن خطيب بعرين »، ناهيك عن سعي كل من « الحصناوي » و « ابن العديم »، في المنصب، والحط من الثاني عليه..

ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية ثلاث وتسعين وسبعمائة بخصوص تولي كمشبغا نيابة الغيبة بالقاهرة: « .. وساس الناس سياسة حسنة، حتى لم يتمكن أحد في مدة مباشرته الحكم في هذه الغيبة أن يتظاهر بفسق ولا فجور من هيبته » (٥). وقوله في حوادث حولية ثلاث وثمانمائة بخصوص تدابير

---

(١) نفسه ص ١/١٢٧.
(٢) نفسه ص ١/٢٢٠.
(٣) نفسه ص ٢/٢٦٥.
(٤) نفسه.
(٥) المصدر السابق ص ١/٤١٨.

السالمي: « .. ولقد عدته مهنئا بسلامته فوجدته مصرا على تحسين أفعاله المستقبحة »[1]. وقوله في حوادث حولية ثلاث وثمانمائة بخصوص مدافعة « المالطي » عن الأوقاف: « .. فكانت هذه من حسنات المالطي »[2].

* السخرية من التصرف في بعض الحوادث:

كنحو قوله في حوادث حولية اثنتين وثمانمائة بشأن طروق المغول للشام: « .. وفي آخر ذي القعدة وصل كتاب نائب الرحبة يخبر فيه أنه صادف ناسا عند خان لاجين يقطعون الطريق فقبض منهم جماعة وسأل نجدة ليسلمهم الى دمشق، فقام النائب في ذلك وقعد وانزعج الناس لذلك وظنوه أمرا عظيما وصاروا في هرج ومرج وأشاعوا أن تمرلنك قصد البلاد.. فكان ذلك فألا جرى على الألسنة بذكر تمرلنك، فان الأيام لم تمض الا قليلا حتى طرق البلاد.. »[3] وقوله في حوادث حولية ثلاث وثمانمائة بشأن أخذ المغول لأموال الناس المحفوظة في قلعة حلب: « .. وامتدت الأيدي لنهب أموال الناس التي حصلت بالقلعة لظن أصحابها أنها تسلم، فكأنهم جمعوا ذلك للعدو حتى لا يتعب في تحصيلها.. »[4] وقوله في حوادث الحولية نفسها، وقد نكث اللنك عهده بالأمان لأهل دمشق: « .. فتزايد البلاء على أهل البلد وندموا حيث لا ينفع الندم »[5]. وقوله في حوادث حولية تسع وثمانمائة بشأن التكالب على المنصب: « .. ووقع في هذه السنة والتي بعدها والتي قبلها من تلاعب الجهلة بمنصب الحسبة ما يتعجب من سماعه، حتى انه في الشهر الواحد يليه ثلاث أو أربعة »[6].

---

(١) نفسه ص ٢/١٤٤.
(٢) نفسه ص ٢/١٣٤.
(٣) نفسه ص ١٠٩ - ٢/١١٠.
(٤) نفسه ص ٢/١٣٥.
(٥) نفسه ص ٢/١٣٨.
(٦) المصدر السابق ص ٢/٣٦٠.

* **الكشف عن العامل الرئيسي في توجيه الحوادث:**

ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية تسع وتسعين وسبعمائة بخصوص موت « قطلقتمر » سكنوان في الحبس: « .. وكان هو رأس هذه الفتنة كلها لأنه أكبر الأسباب في القيام على الأشرف »[١]. وقوله في حوادث حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة بخصوص استظهار برقوق على بركة: « .. ثم استعان برقوق بالزهر فرموا أصحاب بركة بالحجارة، ولولا اعانة العامة لبرقوق برمي الحجارة على أصحاب بركة لأخذوا القلعة، لكنهم استظهروا على بركة ومن معه بالزعر ففعلوا فيهم الأفاعيل من الرجم »[٢]. وقوله بخصوص عزل « ابن جماعة » من القضاء ضمن حوادث حولية أربع وثمانين وسبعمائة: « .. ويقال ان برقوق كان يعرف قوة نفس برهان الدين بن جماعة فخشي ألا يوافقه اذا رام أن يتسلطن ويعارضه فلا ينتظم أمره، فعمل على عزله وتولية من لا يخالفه لكونه هو الذي أنشأ ولايته »[٣]. وقوله في حوادث حولية تسع وثمانين وسبعمائة بخصوص حكم السلطان: « .. وحصل للناس بسبب ذلك خصوصا رؤساءهم تشويش كبير، وصار من شاء من الارذال أن يهين الكبار فعل »[٤]. وتعليله لانحراف « برقوق » عن والي القاهرة في حوادث حولية اثنتين وتسعين وسبعمائة: « .. ثم تتبع المماليك الظاهرية وألزم الوالي بالتنقيب عليهم فبالغ في ذلك وأفرط الى أن كان أعظم الأسباب في انحراف الظاهر عنه وغضبه عليه بعد ذلك »[٥] وقوله في حوادث حولية أربع وتسعين وسبعمائة بشأن تقدير السبب في فساد الأسعار ونقص الأموال: « .. وفيها ضربت بالأسكندرية فلوس ناقصة الوزن عن العادة طمعا في الربح فآل الأمر

---

(١) نفسه ص ١/١٥٤.
(٢) نفسه ص ١/٢١١.
(٣) نفسه ص ١/٢٥٥.
(٤) نفسه ص١/٣٣١.
(٥) نفسه ص ١/٣٩١.

فيها الى أن كانت أعظم الأسباب في فساد الأسعار ونقص الأموال »[1] وقوله في حوادث حولية ثمان وتسعين وسبعمائة بخصوص السبب في حركة المغول الى الشام: « .. وفي هذا الشهر (صفر) وصل أطلمش قريب تمرلنك، فقبض عليه قرا يوسف التركماني صاحب تبريز وأرسله الى الملك الظاهر فاعتقله، فكانت هذه الفعلة أعظم الأسباب في حركة تمرلنك الى البلاد الشامية..»[2] ويتأيد ذلك بما ورد في حوادث حولية ثلاث وثمانمائة من قوله: « .. ثم نازل تمرلنك الشام وراسل السلطان أن يطلق له أطلمش قريبه على أن يطلق جميع من عنده من الأسارى ويرحل من البلاد فامتنعوا من ذلك وظنوا أن ذلك لعجزه عنهم فكرر الطلب مرارا فأصروا، ثم وقعت الحرب بينهم..»[3] وقوله: « .. وذكر بعض من يوثق به أنه قرأ في الحائط القبلي بالجامع النوري بحماة منقوشا على رخامة بالفارسية ما نصه: ان الله يسر لنا فتح البلاد والممالك حتى انتهى استخلاصنا الى بغداد فجاورنا سلطان مصر والشام، فراسلناه لتتم بيننا المودة فقتلوا رسلنا وظفرت طائفة من التركمان بجماعة من أهلنا فسجنوهم لاستخلاص متغلبينا من أيدي مخالفينا واتفق في ذلك نزولنا بحماة في العشرين من شهر ربيع الآخر»[4]. وقوله في حوادث حولية اثنتين وثمانمائة بشأن هزيمة العسكر الشامي: « .. فلم يلبث العسكر الشامي أن انهزم، ومن أعظم أسباب ذلك مخامرة من خامر من الأجناد »[5]. وقوله في حوادث حولية ثلاث وثمانمائة « .. ويقال ان أعظم الأسباب في خذلان العسكر الاسلامي ما كان دمرداش نائب حلب اعتمده من القاء الفتنة بين التركمان والعرب، حتى أغار بعض التركمان على أموال نعير فنهبها، فغضب، من ذلك

---

(١) المصدر السابق ص ١/٤٣٩.

(٢) نفسه ص ١/٥٠٩.

(٣) نفسه ص ٢/١٣٧.

(٤) نفسه ص ١٣٩ - ٢/١٤٠.

(٥) نفسه ص ٢/١٠١.

وثار قبل حضور تمرلنك فلم يحضر الوقعة أحد من العرب..» [1] وقوله: « .. وبلغ الأمر بأهل دمشق قبل رحيل العسكر عنهم أن الواحد من التمرية كان يدخل الى البيت وفيه العدد الكثير فيصنع بهم ما أراد من نهب وقتل واحراق وافساد وفسق ولا تمتد اليه يد ولا يخاطبه لسان لما غلب على القلوب من الخوف منهم» [2]. وقوله في حوادث حولية أربع وثمانمائة بخصوص نهب عزة: « .. ولولا أن عمر بـن فضل رد العرب عن النهب لم يبق فيها دار الا نهبت» [3]. وقوله في حوادث حولية تسع وثمانمائة معللا للتكالب على المنصب وعدم الاستقرار فيه: « .. وسبب ذلك أنهم فرضوا على المنصب مالا مقررا، فكان من قام في نفسه أن يليه يزن المبلغ المذكور ويخلع عليه، ثم يقوم آخر فيزن ويصرف الذي قبله» [4]. وقوله في حوادث حولية أربع عشرة وثمانمائة: « .. وفيها قتل من الظاهرية ما بين أمير وخاصكي وغيرهما نحو من سبعمائة رجل، أراد الناصر بازالتهم توطيد مملكته فانعكس الأمر وكان قتلهم من أعظم الأسباب في توطيد ملك الملك المؤيد، فسبحان من بيده الملك» [5]. وقوله في حوادث حولية ثلاث وثمانمائة بخصوص تدابير السالمي ضد المغول: « .. ولقد عدته مهنئا بسلامته فوجدته مصرا على تحسين أفعاله المستقبحة المقدم ذكرها [6] ويوجه ذلك بأنه لولا أشيع عنه تحصيل الأموال وتجهيز العساكر بها ما رحل تمرلنك عن دمشق، وهذا من غلطاته الظاهرة، فان رحيل تمرلنك انما كان لضيق العيش على من معه فخشي أن يهلكوا جوعا، والا فما الذي كان يمنعه من اتباعهم الى مصر؟» [7].

---

(١) نفسه ص ٢/١٣٦.
(٢) نفسه ص ٢/١٣٩.
(٣) المصدر السابق ص ٢/٢٠٤.
(٤) نفسه ص ٢/٣٦٠.
(٥) نفسه ص ٤٨٩ - ٢/٤٩٠.
(٦) نفسه ص ٢/١٤٠.
(٧) نفسه ص ٢/١٤٤.

وهكذا فان « ابن حجر » قد عامل الحوادث بمثل ما عامل به التراجم من نقد تنوع تبعا لتنوع الحوادث وطبيعة كل منها، كما أنه كان معنيا في المقام الأول بتعليل الحدث وابراز العوامل الفاعلة فيه وتقويمها.

ثالثاً ـ الشواهد الشعرية ودورها في تفسير الخبر ونقده

يورد «ابن حجر» كثيرا من الشواهد الشعرية في معرض الأحداث وفي ثنايا تراجم الوفيات من حولياته، وهذه الشواهد لم تأت اعتباطا، ولم تملها عليه ـ فقط ـ ثقافته الأدبية الواسعة، وهواه الفطري المقتضيان أن يكون: ذواقة للأدب مشاركا فيه، راوية له. اذ يمكننا أن نضع أيدينا على اتجاه مغاير لذلك تماما. وهو أن من وراء هذه الشواهد غاية مدفوعة بحس تأريخي ناقد، فابن حجر وقد خبر العلوم: تأريخا وأدبا يؤكد بشتى الوسائل التعبيرية التي في مكنته على قضايا أبرزها في أحداث حولياته ولم يستطع التعبير فيها عن رأيه بأكثر مما قيل فيها، أو لأنه أراد أن يوهم المطالع لتأريخه أن الذي قاله لم يكن رأيا خاصا ساقه من عنده، وانما كان لسان الحال لدى مجتمعه أو على أقل تقدير لدى طبقة المثقفين في عصره. ومن أمثلة ذلك:

(١) معاناة المجتمع المصري في ظل حكم المماليك:

لمح «ابن حجر» في ثنايا الأحداث والترجمات الى سوء فعلة أو تصرف لبعض الشخصيات السياسية والادارية في عصره، واشار في بعضها الى عدم تعاطفه معها وان صدر هذا العمل من أمير يرتبط معه بوثائق صداقة تقتضي زيارته ومجالسته والدعوة الى الله بالعفو عنه اثر موته.. لكن قد تظهر هذه المواضع للقارىء على أنها أحداث فردية لا رابط بينها، في حين أنها خصيصة من خصائص العصر أو سمة من سماته. فضلا عن أنه لم يكن بمكنته الافصاح عن هذه القضية بجلاء في مثل هذه المواضع لاتصاله بالسلطان وبعض الأمراء وصداقته لهم، وتوليه الوظائف في ظل دولتهم.. ولذا نجده يلح على ابراز ما

اسقطه من نقد في بعض المواضع، أو ما اقتصد في ايراده فيسوقه في صورة سافرة، أو على شكل دعوى عريضة بلسان غيره من الشعراء لأنه مما لا سبيل الى انكاره أو تعميته لشيوعه، فضلا عن أن ايراده على هذه الصورة لا يتوقع معه الضير بمورده. فنجده يشير الى الحالة المدقعة لمعاناة المجتمع في ظل حكامه على لسان احدى ترجمات وفياته[1] في حولية خمس وثمانين وسبعمائة قائلا:

وكيف يروم الرزق في مصر عاقل ... ومن دونه الأتراك بالسيف والترس
وقد جمعته القبط من كل وجهة ... لأنفسهم بالربع والثمن والخمس
فللترك والسلطان ثلث خراجها ... وللقبط نصف والخلائق في السدس
(من الطويل)

ثم يتقدم بعد ذلك خطوة مشيرا ـ على لسان احدى وفيات[2] حولية تسعين وسبعمائة ـ الى الحالة التي تردت فيها مصر من جراء جور الحكام وفرط الغلاء، وفتن بعض العلماء والوقيعة بينهم في خضم التنافس على الوظائف في عصره قائلا:

وماذا بمصر من المؤلمات ... فذو اللب لا يرتضي سكن
فترك وجور وفرط علا ... وهم وغم والسراج يدخن[3]
فيا رب لطفا منك في أمرنا ... فالقلب يدعو واللسان يؤمن[4]
(من المتقارب) مع الاضطراب

ولا عجب بعد ذلك ـ وهذه حال مصر ـ أن تشيع الدعوى السافرة للعطاء والمسألة التي تخير شاهدها الشعري من ديوان بأكمله لاحدى

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٢٨٢، فيما يخص «شهاب الدين الأعجرج السعدي».
(٢) هو البرهان بن جاعة.
(٣) المقصود بذلك «السراج البلقيني»، وقد جرت بينهما منافسة اقتضته الحط على «البرهان بن جاعة» المذكور.
(٤) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣٥٥ ـ ١/٣٥٦، ويلاحظ أن الأبيات مضطربة الوزن.

وفيات[1] حولية سبع وثمانمائة:

أنــا مكســور وأنتم أهــل جبر ... فــــارحموني فعسى يجبر كسري
يـا كـرام الحي يـا أهـل العطـا ... انظروا لي واسمعوا قصة فقـري[2]
(من الرمـل)

ثم يلح بعد ذلك على ابراز هذه القضية في تضاعيف الكتاب حيث يورد وبنفس الطريقة على لسان احدى ترجمات وفيات[3] حولية أربع وثمانمائة قوله:

اذا شئـت أن تحيي حيـاة سعيـدة ... ويستحسن الأقـوام منـك المقبحـا
تزي بزي الترك واحفـظ لسـانهم ... والا فجانبهـم وكـن متصـولحا[4]
(من الطويل)

وبعدها يصل الى قمة المأساة ـ وبنفس الطريقة ـ حيث يورد على لسان «ابن ختلو الحلبي»[5] في ترجمته ضمن وفيات حولية ثلاثين وثمانمائة قوله:

لا تلومـوا الغمام ان صـب دمعـا ... وتـــوالت لأجلـــه الأنـــواء
فـالليـالي **أكثرت فينـا** الرزايـا ... فبكـــت رحمة علينـــا السماء[6]
(من الخفيف)

ومن تضاعيف هذه القضية ابراز لكره مجتمعه لبعض الشخصيات السياسية

---

(١) هو «علي بن محمد بن محمد بن وقاء، أبو الحسن الشاذلي الصوفي».
(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٣٠٩.
(٣) هو «أحمد بن عبدالخالق بن علي بن الحسن بن عبدالعزيز بن محمد بن الفرات، شهاب الدين ابن صدر الدين المالكي».
(٤) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٢١٠.
(٥) هو «عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن محمود بن غازي بن أيوب بن ختلو الحلبي، فتح الدين ابن الشحنة».
(٦) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٣٨٩.

والادارية وشماتته فيهم، أو الدعاء عليهم بانقضاء الأجل لأنها الطريقة الوحيدة المتاح لهم التحدث فيها للخلاص منهم. من ذلك ما ورد في تضاعيف أحداث حولية خمس وثمانين وسبعمائة من ارداف الاخبار بالقبض على بيدمر ـ نائب الشام ـ وحبسه بصفد، بقول الشاعر:

نائب الشام قد نفى صفدا بعدما اجتهد
والشياطين لم تزل بعد شعبان في صفد[1]
(من الخفيف ـ مربع)

وما جاء كذلك ـ في تضاعيف ترجمته لابن مجلي العدوي[2] ضمن وفيات حولية ست وتسعين وسبعمائة مشيرا الى ظلم الأمير تمربغا منطاش وجوره:

والشغل يقضي لأن الناس قد قدموا اذ عاينوا الجور من منطاش ينتشر[3]
(من البسيط)

وقوله على لسان «شهاب الدين الاعرج السعدي» متمنيا موت «ألجاي اليوسفي» زوج أم الملك الأشرف شعبان:

في مستهل العشر من ذي الحجة كانت صبيحة موت أم الأشرف
فالله يرحمها ويعظم أجرها ويكون في عاشور موت اليوسفي
(من الكامل)

ثم نراه يذيل شاهده بقوله: «فاتفق أن كان ذلك كذلك»[4] مما يوهم بصدق دعواه، ويفصح عن ظلم الظالم ومعاناة المظلوم، فالسماء ليس بينها وبين دعوة المظلوم حجاب. والا كيف كانت هذه الاستجابة الموقوتة.

---

(١) المصدر السابق ص ١/٢٧٩.
(٢) هو «محمد بن علي بن يحيي بن فضل الله بن مجلي العدوي المصري، بدر الدين بن علاء الدين».
(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٤٨٣.
(٤) نفسه ص ٢٨١ ـ ١/٢٨٢.

كما أنه يظهر ـ كذلك ـ شماتة «ابن العطار» تذييلا للخبر عن القبض على التارج الملكي وتعذيبه حتى الموت بعد مصادرته، قائلا:

الملكـــي مـــات واستراحـــت مـــن نجس أغلـــف الوزارة
وقـــالـــت الميضـــة أبعـــدوه مـن أيـن ذا الكلـــب والطهـــارة
(من البسيط ذو الضرب
المخبون المقطوع)

وقوله:

قضى الملكـــي في النيروز نحبـــا وراح مصـــادرا ومضى وســـارا
وعـــم المسلمين بـــه سرور وتم بموتـــه عيـــد النصـــارى[1]
(من الوافـــر)

لكن هل كانت نظرة «ابن حجر» الى السلطة في عصره ـ هكذا على اطلاقها؟

بكل تأكيد: لا. والا لما ولي وظيفة في ظل دولتهم.

لقد أظهر «ابن حجر» ميلا الى بعض الشخصيات السياسية، من ذلك ـ مثلا ـ ما ورد بخصوص السلطان الملك «الظاهر برقوق»، حيث أشار في أحداث حولية تسع وسبعين وسبعمائة على اثر قبض «برقوق» على زمام السلطة في البلاد قوله:

«وفي هذه السنة تزايـد الرخـاء بمصر حتى بيـع بـدرهـم واحـد أربعـة وعشرون رغيفا باردا، والقنطار الجبن الجاموسي بثلاثين درهما، وبيع بدرهم أربعون حبة من البيض، وأمثال ذلك. وفي ذلك يقول شيخنا بدر الدين ابن الصاحب:

---

(١) المصدر السابق ص ٢١٦ ـ ١/٢١٧.

ان برقـــوق أمير كعبـه في النـاس أخضر»[1]

(من الرمل)

كما يورد في موضع آخر من كتابه، ضمن أحداث حولية ثمان وثمانين وسبعمائة ما يشايع هذه النظرة من ابراز الميل الى برقوق وتمجيده أو التعاطف معه، حيث يشير في تضاعيف الاخبار عن الفراغ من عمارة مدرسته الجديدة بين القصرين الى اكثار الشعراء في هذه المناسبة مستحسنا قول القائل:

الظاهر الملك السلطان همته كادت لرفعتها تسمو على زحل

وبعض خدامه طوعا لخدمته يدعو الجبال فتأتيه على عجل

(من البسيط)

وأخذه «ابن العطار» فحسنه فقال:

قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة فاقت على ارم مع سرعة العمل

يكفي الخليلي أن جاءت لخدمته شم الجبال لها تأتي على عجل[2]

(من البسيط)

ثم يصل بنا الى وفيات سنة ست وتسعين وسبعمائة ليعقد على لسان احدى الوفيات في هذه الحولية ـ وهو ابن مجلي العدوي ـ مقارنة بين حاله في ظل «برقوق»، وفي ظل غيره من الأمراء، وهو «منطاش» بحكمه الجائر، قائلا:

«وعنوان شعره ما كتبه للملك الظاهر بدمشق لما تخلف مع منطاش:

يقبل الأرض عبد خدمتكم قد مسه ضرر ما مثله ضرر

والشغل يقضي لأن الناس قد قدموا اذ عاينوا الجور من منطاش ينتشر

والله ان جاءه من عندكم أحد قاموا لكم معه بالروح وانتصروا[3]

---

(١) نفسه ص ١/١٥٥.

(٢) المصدر السابق ص ٣١٣ - ١/٣١٤.

(٣) نفسه ص ١/٤٨٣.

(٦) الوهن الوظيفي على عصره:

هذه واقعة تاريخية أتى دور الأدب في مؤلفه للدلالة عليها وترسيخها في الاذهان بدافع الحديث التأريخي لديه، وهو حدث نافذ الى أغوار المشكلة وجوهر القضية أصاب من خلالها مرماه في الحط على خصم له هو « الهروي » القاضي الشافعي، وقد ورد في مواضع عديدة من كتابه حطه عليه والاقلال من مكانته العلمية[١] فيشير الى ذلك في مناسبة الترجمة لاحدى وفيات[٢] حولية سبع وثمانمائة قائلا:

قالوا تولى « البيائـي » مـع جهـالتـه **وكان أجهل من النازل « العجمـي »**
فأنشد الجهـل بيتـا لسـت أنكـره ما سرت من حرم الا الى حرمي[٣]
(من البسيط)

وهي قضية تتأكد ـ كذلك ـ بالاشارة الى هذا الذي تقدم عند السلطان الى أن صار نافذ الكلمة عند كل أحد، وحصل له من الوظائف مالا مزيد عليه، وهو مع ذلك في غاية الجهل، حتى قيل فيه:

معيـد لـو كتبـت لـه حـروفـا وقلـت أعـد عليّ تلـك الحروف
لقصر في اعــادتــه عليهـــا فكيف يعيد في العلم الشريـف؟[٤]

وبعد أن أفصح عن هذه القضية العامة، التي اصابت الوظائف بالوهن من جراء ما شاع في عصره من البرطيل والرشوة وعلى أعلى المتسويات، يذكر من

---

(١) المصـدر السـابـق في مـواضـع منهـا: ص ٥٧ - ٦٢، ١٢٣، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٣ - ١٦٦، ١٧٠ - ٣/١٧١.
(٢) هو « حرمي بن سليمان البيائي ثم القاهري » ـ ناب في الحكم ودرس بالشريفية وولى الاعادة بالمنصورية، نزل له عنها بعض العجم ـ والشعر فيه.
(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/٣٠٤.
(٤) هو « صالح بن أحمد بن عبدالله، علم الدين الاسنوي - نفسه ص ١/١١٣، والبيتان من الوافر.

تضاعيفها دعوى تهمه، وهي الحط على «الهروي» الذي تولى منصب قضاء الشافعية ـ وهو منصب يمت ابن حجر اليه بصلة المذهب، وقد تقلد مهامه في فترات متعددة كذلك، فنراه يسير في ذلك خطوات متتالية تقضي الى هذه النتيجة ابتدأها بالاشارة الى أنه قد وقع في مجلس السلطان رقعة كتب فيها:

يا أيها الملك المؤيد دعوة — من مخلص في حبه لك ينصح
انظر لحال الشافعية نظرة — فالقاضيان كلاهما لا يصلح
هذا أقاربه عقارب وابنه — وأخ وصهر فعلهم مستقبح
غطوا محاسنه بسوء صنيعهم — ومتى دعاهم للهدى لا يفلح
وأخو هراة بسيرة اللنك اقتدى — وله سهام في الجوارح تجرح
لا درسه يقري ولا أحكامه — تدري ولا حين الخطابة يفصح
فافرج هموم المسلمين بثالث — فعسى فساد منهمو يستصلح
(من الكامل)

وذيل على ذلك بقوله: «.. وكانت هذه الأبيات ابتداء سقوط الهروي من عين السلطان، وكانت أعجبت السلطان حتى صار يحفظ أكثرها ويكرر قوله: أقاربه عقارب»[1].

ومعلوم أن «ابن حجر» مطعون عليه بنسبة هذه الأبيات اليه[2].

ومن المطعون عليهم في البيت الثالث ما ورد «لابن حجر» فيهما شعرا في واقعة قال فيها:

---

(١) المصدر السابق ص ٣/١٦٤.

(٢) رجح العيني نسبة هذه الأبيات لابن حجر قائلا: «.. وبعضهم نسبها الى الشيخ شهاب الدين بن حجر، والظاهر أنه هو» ـ عقد الجمان ق ١٦١ ب/١٩، كما ينسبها لابن حجر كل من: السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٣١ ب، والسيوطي. حسن المحاضرة ص ٢/١٧٢، بغية الوعاة ص ٢/٥ تر١٢٩٩، د. حسن حبشي. حاشية الانباء رقم ١ من ص ٣/١٦٤.

« .. وكان أخوه جلال الدين لما مات نظمت:

مات جلال الدين قالوا: ابنه يخلفه أو فاللأخ الراجح
فقلت: تاج الدين[1] لا لائق لمنصب الحكم ولا « صابح »[2]
(من السريع)

فكان كما قلت: فانه تولى وظهر منه التهور والاقدام على مالا يليق وتناول المال من أي جهة كانت حلالا أم حراما، مالا كان يظن به، ولا ألف الناس نظيره من أحد ممن ولي قضاء الشافعية بالقاهرة في الدولة التركية »[3].

ثم نجده يتحين الفرصة ـ بعد ذلك ـ للحط على « الهروي » عندما يترجم لاحدى وفيات[4] حولية ثمان وعشرين وثمانمائة قائلا:

« .. من نظمه لما عزل البلقيني بالهروي واتفقت الزينة للمحمل فعلق شخص يسمى الترجمان على باب بيته حمارا بسرياقات على رؤوس الناس بأحسن هيئة للفرجة عليه فقال:

أقام الترجمان لسان حال عن الدنيا يقول لنا جهارا
زمان فيه قد وضعوا جلالا عن العليا وقد رفعوا حمارا[5]
(من الوافر)

ثم نجدنا لا نعجب ـ بعد كل هذا ـ ان مثل لنا فرحة الناس بعزل الهروي بجلال الدين البلقيني، وعودة البلقيني الى القضاء، وهو ما يشير اليه في وفيات

---

(١) هو « محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني » (ت ٨٥٥ هـ./١٤٥١ م.).
(٢) هو: « علم الدين صالح بن البلقيني » (ت ٨٦٨ هـ./١٤٦٤ م.).
(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٢٨٠.
(٤) هو: « شعبان بن محمد بن داود المصري ».
(٥) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٣٥٤.

حولية سبع وثلاثين وثمانمائة [1] قائلا عن احدى وفياتها: [2] « .. ومن نظمه في القاضي جلال الدين لما اعيد الى القضاء بعد الهروي في سنة اثنتين وعشرين (وثمانمائة):

عود الامام لدى الأنام كعيدهم   بل عود لا عيد أعيد مثاله
أجلى جلال الدين عنا غمة   زالت بعون الله جل جلاله »

(من الكامل)

(٣) تمجيد المعممين خاصة حملة الحديث النبوي والمشتغلين به:

ومن القضايا التي ابرزتها الشواهد الشعرية في كتابه ـ كذلك ـ هذه القضية، وهي تمت اليه بصلة من سائر جوانبها، باعتبار أنه من هؤلاء، بل ربما يتوارد على الخاطر أنه هو المعنى بها، ولا حرج في ذلك فلقد زهى الكثيريون في عصره بأنفسهم، وقالوا في ذواتهم نظما ونثرا مما يفوق ذلك » [3].

ويمكننا أن نتدرج مع « ابن حجر » بين ثنايا الأحداث وترجمات الوفيات لنقف على هذه القضية وتوكيدها بالشواهد الشعرية.

تبدأ هذه الدعوى بمنقول شعري ورد على لسان احدى وفيات [4] حولية ست وسبعين وسبعمائة قال فيه:

هذب النفس بالعلوم لترقى   وترى الكل وهو للكل بيت

---

(١) المصدر السابق ص ٣/٥٣٠.

(٢) هو « محمد بن علي بن محمد بن أبي بكر، قاضي مكة جمال الدين القرشي العبدري المكي الشيبي، أو المحاسن ».

(٣) يراجع بخصوص ذلك: ابن حجر. انباء الغمر ص ٣١٨، ٣٣٩، ٣٥٧ - ٣/٣٥٨، المجمع المؤسس ق ٢٤٣ أ، ٢٤٤، ٢٤٥ ب، السخاوي. الضوء اللامع ص ٦/٩٦، ٨/٩٠.

(٤) هو « عبدالله بن محمد بن أحمد الحسيني النيسابوري، الشريف جمال الدين ».

انما النفس كالزجاجة والعقـ ـل سراج وحكمة الله زيت
فاذا أشرقت فانك حي واذا أظلمت فانك ميت [1]

ثم يسير في هذه الدعوى الكلية للعلم المجرد الى تخصيص أهل الحديث والمشتغلين به، حيث يورد ـ على لسان احدى وفيات [2] حولية ثمان وثمانين وسبعمائة قوله:

خذ بالحديث وكن به متمسكا فلطالما ظمئت به الأكباد
شد الرحال له الرجال اذا سعوا الا خطا ضربت لها الأكباد [3]

ثم يؤكد ذلك قائلا على لسان احدى ترجمات وفيات سنة ثلاث عشرة وثمانمائة:

ما العلم الا كتاب الله والأثر وما سوى ذاك لا عين ولا أثر
الا هوى وخصومات ملفقة فلا يغرنك من أربابها هذر
فعد عن هذيان القوم مكتفيا بما تضمنت الأخبار والسور [4]
(من البسيط)

ثم يختم هذه القضية بقوله، وبنفس الطريقة: [5]

حفظ الحديث رواية ودراية وعلومه سند الى الايمان
لا يجحدني من حداه على الفتى الـ ـتحرير بعد تلاوة القرآن
(من الكامل)

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٨٥. والأبيات من الخفيف.
(٢) هو «سريجا بن محمد بن سريجا بن أحمد الملطي ثم الماريدني، زين الدين بن بدر الدين».
(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٣٢٣، والبيتان من الكامل.
(٤) نفسه ص ٢/٤٧٢، والأبيات لعلي بن زيد بن علوان بن مغيرة.
(٥) نفسه ص ٢/٤٩٩، والأبيات لعقيل بن سريجا بن محمد بن سريجا بن محمد الملطي الأصل الماريدني، قطب الدين أبو عبدالقاهر.

(٤) بين قاضي القضاة الحنفي والشافعي:

ومن القضايا التي أكدها بشواهد الشعر وأبان فيها عن رأيه بكل ارتياح، وما كان له أن يظهر قوله سافرا في موضعه مسندا اليه، قضية ارادة القاضي الحنفي مساواة الشافعي في لبس الطرحة وتولية القضاة في البلاد وتقرير مودع الأيتام. حيث أشار في مستهل حوليات كتابه (سنة ٧٧٣ هـ.) الى خبر مضمونه:

« وفيها اراد السراج الهندي قاضي الحنفية أن يساوي قاضي الشافعية في لبس الطرحة وتولية القضاة في البلاد وتقرير مودع الأيتام فاجيب الى ذلك فاتفق أنه توعك عقب ذلك وطال مرضه الى أن مات في رجب ولم يتم الذي أراده.. »[١].

أورد هنا الخبر مجردا بلا تعليق او ابداء رأي. ثم عاد الى هذه القضية مرة أخرى في حولية احدى وثمانين وسبعمائة قائلا:

« .. وفيها تكلم جار الله ـ قاضي الحنفية ـ في اعادة ما كان السراج الهندي سعى فيه من احداث مودع للحنفية وفي استنابة القضاة في البر وفي لبس الطرحة في الموكب، وكل ذلك مما جرت به العادة القديمة بانفراد الشافعي به، واتفق أن اجيب الى ذلك فشغله الضعف عنه الى أن مات فأجيب سؤال جار الله الى ذلك ولبس خلعة لذلك.. »[٢].

ثم تبع ذلك بما يشير أن القاضي « برهان الدين بن جماعة » شق عليه ذلك فسعى الى ابطاله عند برقوق، وأعانه الشيخ « أكمل الدين » وغيره، وفي آخر الأمر أمر « برقوق » بابطال ذلك وحصل للعجم من ذلك غم عظيم، وشنع

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/١٤.
(٢) نفسه ص ١٩٣ - ١٩٤.

العامة عليهم بما ذكره أكمل الدين من قصدهم ابطال الزكاة حتى قال « ابن العطار »:

أمـرت تـركنـا بمودع حكـم حنفـي لأجـل منـع الزكـاة
رب خـذهـم فـانهم ان أقـامـوا نخشى أن يـأمـروا بترك الصلاة
(من الخفيف)

وقوله في ذلك أيضا:

ظهـر « البرهـان » لما لعبـت عجـم بترك
واستقـام الدسـت حتى أن صرف « الجار » يبكـي[1]

ويمكن أن نلمس بكل جلاء أشباه تلك القضايا ومواقفه منها، ودور الشواهد الشعرية في توكيدها أو التعبير عن رأيه في قضية « الأوقاف الحكمية » و « منازعات العلماء والوقيعة بينهم »، و « المعتقدين »، و « مشيخة سعيد السعداء »، و « نقده لبعض عادات مجتمعه » من تطويل أحدهم للحيته الى الحد الذي يذم به، أو التقلب بالأسماء القبيحة.. وهكذا.

والخلاصة أن « ابن حجر » قد وجد في الشواهد الشعرية مخرجا للافصاح عن رأيه في بعض الأحداث التي تحرج من ابداء الرأي فيها، فأتت على ألسنة غيره، وأنه أفاد مع ذلك:

(١) ابرازها وتجسيمها في صورة كلية محسوسة بكل جلاء ووضوح.

(٢) بيان أن ما يؤرخه ليس بهوى شخصي أو تعصب، وانما هو لسان الحال المترجم له.

وبهذا يمكن أن يشار الى أن الشواهد الشعرية الشائعة في مؤلفه هي من وسائل التأريخ ونقد الخبر لديه، وهي أداة من أدوات الافصاح عن نقده للأحداث وتفسيرها.

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٣ - ١٩٤/١.

التعصب والانصاف في النقد

.. وهكذا فان «ابن حجر» كان من المؤرخين المنصفين في النقد، يظهر ذلك من حرصه على نقل آراء الموافقين والمخالفين في المترجم له نشدانا لاكتمال صورته لدى مطالع تاريخه، وهو طابع عام يشيع في كتاباته التاريخية، خاصة «الانباء» موضع الدراسة.

وفي حرصه على مناقشة مصادره فيما أوردته من تقاويم وأحكام مناقشة منهجية نشدانا للحق والصواب، كنحو قوله في ترجمة «التقي بن رافع» (ت ٧٧٤ هـ./١٣٧٣ م.): «.. وذكر لي شيخنا العراقي أن السبكي كان يقدمه (على ابن كثير) لمعرفته بالأجزاء وعنايته بالرحلة والطلب. قلت: والانصاف أن ابن رافع أقرب الى وصف الحفظ على طريقة أهل الحديث من ابن كثير لعنايته بالعوالي والأجزاء والوفيات والمسموعات، وابن كثير أقرب الى الوصف بالحفظ على طريقة الفقهاء لمعرفته بالمتون الفقهية والتفسيرية دون ابن رافع، فيجتمع منهما حافظ كامل، وقل من جمعهما بعد أهل العصر الأول كابن خزيمة والطحاوي وابن حبان والبيهقي، وفي المتأخرين شيخنا العراقي»[1]. وقوله في ترجمة «ابن طولو العثماني المراغي» (ت ٨١٦ هـ./١٤١٤ م.): «.. وكان بعض من يتعصب عليه ينسبه الى الخرف والتغير، ولم يقع ذلك، فقد سمعت منه بمكة سنة خمس عشرة وهو صحيح، وأخبرني من أثق به أنه استمر على ذلك»[2].

أو تفنيده للكثير من عبارات مصدره الناقدة، معللا، نشدانا لانصاف

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٤٩ تر ٣٠.
(٢) نفسه ص ٣/٢٣ تر ١٠.

المترجم لهم، كنحو قوله في ترجمة «يشبك بن أزدمر» (ت ٨١٧ هـ./١٤١٥ م.): «.. وكان مشهورا بالشجاعة والفروسية.. وقال العينتابي: كان ظالما لم يشتهر عنه خير، كذا قال. وقد باشر الشيخونية ورأيت أهلها يبتهلون بالدعاء له والشكر منه»[١].

وحرصه على الدقة في اثبات الاسم الصحيح للمترجم له مع تتبع سلسلة نسبه ومناقشتها حتى مع أخذه لمادتها عن المترجم له، على نحو ما مر بك آنفا في ترجمته «للمجد الفيروزبادي» (ت ٨١٧ هـ./١٤١٥ م.)[٢]، و «التقي المقريزي» (ت ٨٤٥ هـ./١٤١٢ م.)[٣].

أو تعديله لمادة عنصره وقد أثبتها في صورتها الأولى نتيجة لما حصله من مادة مصوبة له، كنحو قوله في ترجمة «الشمس الصالحي» (ت ٨٤٣ هـ./١٤٤٠ م.): «.. الصالحي، صالحية مصر بالشرقية. هكذا كنت أظن، ثم ذكر لي أخوه شهاب الدين أحمد أنهم ينسبون الى قرية يقال لها: منية أم صالح بناحية مبلج من الغربية، والى حارة الصالحية بالبرقية داخل القاهرة»[٤].

وايراد حكمه أو تقويمه لشخصيات عصره معللا لقوله فيهم، وليس مجرأ كنحو قوله في «الظاهر برقوق» (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.) مسندا فساد أحوال المملكة اليه وقد استخلصه من حرص برقوق على أخذ البدل على الولايات في وظيفة القضاء والأمور الدينية[٥]. وعدم وثوقه في صدق بشارة من بشر الظاهر برقوق برؤيا النبي ﷺ له وأخبره بنصره معللا لذلك بقوله: «.. والذي يظهر لي كذب هذا الرائي.. والا فلو كان صدق لكان قد

---

(١) نفسه ص ٣/٥١ تر١٨.
(٢) نفسه ص ٣/٤٧ تر١٦.
(٣) المصدر السابق ص ٩/١٧٢.
(٤) نفسه ص ٩/١١٧.
(٥) نفسه ص ٦٨ /٢.

انتصر، والواقع أنه لم يقع له قتال مع أحد »[1]. وقوله بشأن تدابير « السالمي » في ادعاء مقاومة المغول ومدافعتهم: « .. ولقد عدته مهنئا بسلامته فوجدته مصرا على تحسين أفعاله المستقبحة المقدم ذكرها ويوجه ذلك بأنه لولا أشيع عنه تحصيل الأموال وتجهيز العساكر بها ما رحل تمرلنك عن دمشق، وهذا من غلطاته الظاهرة، فان رحيل تمرلنك انما كان لضيق العيش على من معه فخشي أن يهلكوا جوعا، والا فما الذي كان يمنعه من اتباعهم الى مصر؟ »[2].

والحق أن « ابن حجر » كان شخصية مطبوعة على الانصاف في البحث[3] معجبة به[4] نتيجة لما طبعه الله عليه من صفاء الذهن ورهافة الحس، والتبصر بالأمور التي عالجها في الكتابات التاريخية، وما توفر له من سعة الاطلاع وتعدد جوانب الثقافة..

---

(١) نفسه ص ١/٤٧٠.
(٢) نفسه ص ٢/١٤٤.
(٣) راجع ما اثبت في ترجمته من هذا البحث بشأن ذلك من توليه لمنصب القضاء وموقفه فيه من كائنة الميموني، والكشف عن دور العبادة الخاصة بالذميين.
(٤) حيث اعتمد هذا الجانب (الانصاف في النقد) عنصرا من عناصر تراجمه وولع بتحريه فيهم واثباته عليهم ـ على نحو ما مر بك في هذا الفصل.

الخطأ والصواب في النقد

ومع ذلك فقد يقع لابن حجر الخطأ في بعض مواضع من تراجم وفيات حولياته نتيجة لسهو يعتريه، على النحو الذي تتبعه منبها اليه تلميذه «السخاوي» في «الضوء اللامع»[(١)] أو نتيجة لما أبنت عنه من عدم الدقة في النقل عن مصادره في مواضع أخرى[(٢)]. أو نتيجة لأنه «لم يكن ممن يتوجه الى هذا النوع (من الكتابة التاريخية) بالكلية، ويقلد في كثير منه، بعض من يغلب على ظنه يثبته وقد لا يكون ذلك شاهده، بل يلقاه غير ضابط» ـ على نحو ما أشار «السخاوي» في ترجمته لشيخه[(٣)].

ويمكن أن يضاف الى ذلك أن ولع «ابن حجر» بالنقد الأدبي في كتابه

---

(١) من ذلك نص السخاوي في الضوء اللامع ـ تر١٩٣ ص ٩٦ - ٧/٩٧ - في ترجمته للكازروني (ت ٨٤٣ هـ./١٤٤٠ م.) على أن ابن حجر قد سمى والده عبدالله سهوا (= الانباء ص ٩/١١٧)، وتأريخه لوفاة ناصر الدين القرشي بسنة ثلاث وعشرين وثمانمائة على حين أن الصواب تأريخ وفاته بيوم الخميس عاشر رجب من التي قبلها (الضوء اللامع ص ٧/١٤٧ تر ٧، والانباء ص ٣/٢٣١ تر ٩)، وترجمته لمحمد بن أيوب بن عبدالقادر مبيضا في الانباء ـ ص ٢/٢٥١ تر٣١ ـ على حين أنه لا يدخل في حيز الانباء الزماني كما يشير «السخاوي» الى ذلك قائلا: «.. ذكره شيخنا سنة خمس من انبائه وبيض له، وليس هو من شرطه، فوفاته انما هي سنة خمس وسبعمائة لا ثمانمائة، وجده عبدالقاهر لا عبدالقادر» ـ الضوء اللامع ص ١٤٨ - ٧/١٤٩ تر٣٦٨ ـ واحالته سهوا في ترجمته لمحمد بن أبي بكر بن محمد بن عثمان الحلبي من الانباء ـ ص ٣/٥٢٩ تر١٧ ـ على معجمه قائلا: «.. قد ذكرت له ترجمة حسنة في معجمي»، على حين أن ذلك لم يقع كما ثبت من مطالعة المجمع المؤسس، ومن تنبيه السخاوي الى ذلك قائلا: «.. قلت وما وقفت عليه فيه ـ أي في معجمه ـ نعم رأيته علق عنه فوائد رحلته من فوائده شيئا وافتتحه بقوله: أفادني فلان» .. الى غير ذلك مما يشيع في الضوء اللامع من تصويبات «السخاوي» عليه.

(٢) راجع الفصل الرابع من الباب الثاني من هذا البحث تحت هذا العنوان.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق١٨٢ ب، ١٨٣ أ.

وتوظيفه للأدب في التأريخ ونقده في جعله يجانب الصواب في بعض مواضع من «الانباء» نذكر منها ما ورد في حوادث حولية ثلاث وثمانين وسبعمائة بخصوص كائنة «ابن القماح» من قوله:

« .. وفيها كائنة ابن القماح البزار بقيسارية جركس، وكان قد تعامل هو والبواب فصار يفتح له القيسارية بالليل ويغلق عليه، فيفتح حوانيت التجار ويأخذ منها ما يريد الى أن كثر ذلك وافتضح، فعثروا عليه فأمسك وضرب بالمقارع وولده وسجنا بخزانة شمائل، **وكانت سلامته من القطع من العجائب**. وفي ذلك يقول بدر الدين بن الصاحب مضمنا، وكان بلغه أنه عثر فسقطت فانكسرت يده:

قالوا بأن يد القماح قد كسرت فأعلنت أختها بالويل والغبر
تأخر القطع عنها وهي سارقة فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر

وقد اهتدم ذلك برمته من البيتين السائرين في تاريخ ابن خلكان:

ان العماد بن جبريل أخا علم له يد أصبحت مذمومة الأثر
تأخر القطع عنها وهي سارقة فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر »(١)

وتجدر الاشارة - هنا - الى أمور هي:

(١) أن هذا الخبر قد اشتمل على نقد مركب، تعاونت في ايراده مكونات صاحبه: النفسية، والدينية، والأدبية - على اعتبار أنه كان اماما للمسلمين له نهج اصلاحي واضح، وقومات في الحق أبنت عنها في ترجمته، وعلى اعتبار شمولية ثقافته للنواحي الدينية والأدبية، وعلى اعتبار ما لديه من ملكة أدبية ناقدة، وولع بتتبع الشعراء لمعرفة مصادر تضمينهم لما يقرضونه، فضلا عن كونه شاعرا مجيدا - فكان الشق الأول من نقده: « .. وكانت سلامته من القطع من العجائب» معبرا عن هذا الشعور الديني لديه، حيث

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢٣٦ - ١/٢٣٧، والأبيات من البسيط.

ظاهر الحكم الشرعي بين: « الساق والسارقة فاقطعوا أيديهما .. » (الآية ٣٨ : المائدة) وقد ثبتت عليه جريمته بما يوجب فيه القطع، ويعزز وجهة الاستغراب هذه في ذلك وجعل هذا من العجائب حدوثه في بلد الخلافة الاسلامية، وفيها خليفة المسلمين، وعلماء الشرع.. مما يبين ـ كذلك ـ غيرته على الشرع منعا لشيوع المفاسد. وبالتالي يبين حالته النفسية كرجل دين. وأما الشق الثاني: « .. وقد اهتدم ذلك برمته من البيتين السائرين في تاريخ ابن خلكان.. » [1] فيشير الى اتساع ثقافته، والتي تعدت التأريخ الى الأدب ـ كذلك.

(٢) أن « ابن حجر» قد وظف الأدب في التأريخ ونقده، حيث لم يقتصر على نقد الانفعال الأدبي المقلد المصاحب للوقعة التاريخية المثبتة لديه ـ والذي تفرد بايراده دون مصادره المعروفة لدي ـ وانما الأهم من ذلك أنه اعتمد الشعر الملتبس بهذه الوقعة في التأريخ لها وتقييمها اهمالا لمصدره التاريخي، والذي ربما ناقضه فكان « استغراب القطع وعده من العجائب » و « كان الكسر جزاء لتأخر القطع » استنادا الى الشاهد الشعري المثبت لديه، حيث ورد الخبر نقيض ذلك تماما لدى المقريزي [2] متضمنا أمورا منها:

* أن « ابن القماح » قد غرر بالحارس وخدعه، ولم يكن الحارس متعاونا ومتضامنا معه على هذه الصورة الواردة لدى « ابن حجر».
* أن السرقة لم تكن متكررة، وانما حدثت في ليلة الجمعة خامس ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة، فأصبح الناس بالقيسارية وهي مفتحة الحوانيت. ويؤيد ذلك قول ابن دقماق [3] : « .. فمسك صبيحة تلك الليلة التي أخذ فيها ».

---

(١) ابن خلكان. وفيات الأعيان ص ١/٣٤.
(٢) المقريزي. السلوك ص ٤٥٨ - ٣/٤٦٠.
(٣) ابن دقماق. الجوهر الثمين ق ١٧٠.

* أن كسر يده كان قبل حكم الشرع فيه: « .. ورفع التجار شكواهم الى الأمير الكبير، فاشتد ضيقه على والي القاهرة وألزمه باخراج السارق فبينما هو في الفحص عن « ابن القماح » اذ دله شخص على موضعه فركب اليه في يوم الاثنين ثامنه وأحاط بالبيت الذي هو به، فألقى نفسه من علو البيت يريد النجاة فانكسرت يده وقبض عليه وعلى ولده أحمد وعلى الأقفالي الذي فتح له الحوانيت ».
* أن الشرع لم يوجب فيه القطع: « .. وضرب ابن القماح وولده مرارا وسجن في خزانة شمائل، فانه لم يجب عليه القطع شرعا لأنه كان يقول عن الاقفالي هذا ناولني من الحوانيت ».

وهذا يشير بلا ريب الى أن « ابن حجر » قد أغفل الرواية التاريخية لدى مصدر صرح في غير موضع بالاطلاع عليه وعلى مصدره والأخذ عنهما ـ كذلك ـ استنادا الى تفضيل مصدر آخر، وهو ما صاحب الواقعة التاريخية من انفعال أدبي مقلد فبنى حكمه وتقديره على أساسه، بل ربما يكون قد انتهج هذا المنهج خصيصا لاثبات نقده للشاهد الأدبي بما اهتدم به من شعر اطلع عليه لدى ابن خلكان.

وعلى العسكر من ذلك تماما فانه قد نسب الى احدى ترجمات الوفيات (١) وهي الخاصة « بالجمال النيسابوري » (ت ٧٧٦ هـ./١٣٧٥ م.) أبياتا من الشعر على سبيل الجزم قائلا:

« وهو القائل:

هذب النفس بالعلوم لترقى	وترى الكل وهو للكل بيت
انما النفس كالزجاجة والعقـ	ـل سراج وحكمة الله زيت

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٨٥.

فـاذا أشرقــت فــانــك حــي   واذا أظلمـت فـانــك ميــت[1]

(من الخفيف)

وقد كان المنتظر منه أن يتنبه الى أن هذه الأبيات قد نسبت الى علم مشهور هـو « الحسـن بـن سينـا » (ت ٤٢٨ هـ./١٠٣٧ م.) وفي مصـادر معروفة لابـن حجـر مجزوم بـاطلاعـه عليهـا ، وهـي « الوافي بـالـوفيـات للصفدي »[2] وقد جرد « ابن حجر » أساميه في مؤلف مستقل، و « وفيات الأعيان » لابن خلكان[3] وقد كان مطلعا عليه كما هو مثبت في المثال الأول.

---

(١) ورد هذا الشاهد على صور مختلفة لدى المصادر، فكان لدى ابن أبي أصيبعة، والصلاح الصفدي ـ وقد أسقط البيت الثالث:

هــذب النفس بــالعلــوم لترقــى   وذر الكــل فهــي للكــل بيــت
انما النفس كــالـزجـاجـة والعلـ   ـم سراج وحكمــة الله زيــت

على حين وردت صورته لدى « ابن خلكان » على النحو التالي:

هــذب النفس بــالعلــوم لترقــى   فترى الكــل فهــي للكــل بيــت
انما النفس كــالـزجـاجـة والعلـ   ـم سراج وحكمــة الله زيــت
فهـي ان أشرقـت فـانـك حـي   وهي ان أظلمـت فـانـك ميـت

(والأبيات من الخفيف)

(٢) الصفدي. الوافي بالوفيات ص ٤٠٩/١٢.

(٣) ابن خلكان. وفيات الأعيان ص ١٦١/٢.

الفصل السادس

العلاقة بين « انباء الغمر »

والمؤلفات التاريخية الأخرى « لابن حجر »

اولا ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة
ثانيا ـ ذيل الدرر الكامنة
ثالثا ـ رفع الاصر عن قضاة مصر
رابعا ـ المجمع المؤسس للمعجم المفهرس

أولا - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١)

ويسمى - أيضا - الوفيات الكامنة لأعيان المائة الثامنة (٢) فرغ « ابن حجر » من تأليفه في مجلدة سنة ثلاثين وثمانمائة للهجرة، ثم رجع اليه مضيفا وملحقا الى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة، ومع ذلك فانه لم يكمل الغرض من الالحاق لبقايا من الترجمات في الزوايا التي لم يستوعبها (٣).

ويبدو أنه كان ينتوي تخريجه في أربعة مجلدات، لكن لم يتيسر له ذلك،

---

(١) لم أتمكن من الحصول على نسخة بخط المؤلف، أو نسخة عنه تكون مكتملة اذ الموجود من هذا الكتاب مخط. حيدر آباد بالهند رقم ٢٨٣ رجال ويمثل النصف الأول من الكتاب، ابتداء بأوله وانتهاء بترجمة « عطية بن المكين اسماعيل بن عبدالوهاب، وهو بخط « الشمس السخاوي » ويقع في ٣٥٠ ورقة مسطرتها حوالي ٢٥ سطرا، ومقاسها ١٣ × ١٩ سم، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٠٤٤ تاريخ، ومخط. مكتبة الطاهر ابن عاشور - رحمه الله - بتونس، ويمثل النصف الثاني من نسخة خطية أخرى كتبت في القرن التاسع الهجري تنقص من آخرها وتبتدىء بترجمة علي بن ابراهيم بن أسد المصري، وتنتهي في أثناء ترجمة يوسف بن محمد العنسي، وتقع في ٢٦٢ ورقة مسطرتها حوالي ٢٩ سطرا، ومقاسها ١٨ × ٢٦ سم، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٠٤٤ تاريخ، كما قدر لهذا الكتاب أن يختصر على يد « الجلال السيوطي » و « ابن المبرد »، وأن تنشره دائرة المعارف الاسلامية بحيدر آباد الدكن، بالهند في أربع مجلدات فيما بين عامي ١٣٤٨ و ١٣٥٠ هـ.، وأن يطبع بعد ذلك في القاهرة.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٨١ أ.

(٣) ابن حجر. الدرر الكامنة ص ٤/٤٩٠، حاجي خليفة. كشف الظنون ص ١/٧٤٨.

حيث بيض في مجلدتين فقط[1].

ونتيجة لتراجع «ابن حجر» عما بيضه في مواضع كثيرة من الكتاب وتعديله لمادته سواء بالحذف أو بالاضافة فان ما بيضه أصبح مسودة، فضلا عن الاختلاف فيما بينه وبين المسودة الأولى للكتاب[2].

وهو كتاب تراجم توجهه نظرة تأريخية شمولية، رتب على مقدمة[3] متبوعة بحروف تتوالى فيها الترجمات وقد رتبت ترتيبا هجائيا، عالج به «ابن حجر» الترجمة لأعلام قرن هجري كامل، وهو القرن الثامن، مؤرخا لهذا القرن من خلال التراجم جريا على معهوده في الشمول النوعي، حيث لم يقصر تراجمه على نوع واحد من الأعلام سواء في الجنس أو في الأصل، أو في الديانة أو في المذهب أو في المنصب، أو في الوظيفة أو في الحرفة، أو في العلم والمعرفة، وانما ترجم فيه لكل الفئات ـ تقريبا ـ من سلاطين وملوك وخلفاء وأمراء ونواب سلطنة وولاة أقاليم وكتاب وقضاة ونواب حكم ومباشرين ومدرسين ووعاظ وخطباء.. مع الاعتناء برجال الحديث خاصة، مراعيا في كل ذلك الشمول المكاني بالترجمة للمصريين وغيرهم، فأتت تراجمه نحو أربعة آلاف وخمسمائة ترجمة، سوى ما زاده تلامذته عليه من استدراكات أتت في هوامش الكتاب أو اختلطت بأصله لتبلغ حوالي تسعمائة ترجمة[4].

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٨١ أ.

(٢) الدرر الكامنة ط. الهند ص ٤/٥٠٢.

(٣) جاء فيها قوله: «.. أما بعد، فهذا تعليق مفيد جمعت فيه تراجم من كان في المائة الثامنة من الهجرة النبوية من ابتداء سنة احدى وسبعمائة الى آخر سنة ثماني مائة من الأعيان والعلماء والملوك والأمراء والكتاب والوزراء والأدباء والشعراء، وعنيت بـرواة الحديـث النبـوي فذكرت من اطلعت على حاله وأشرت الى بعض مروياته، اذ الكثير منهم شيوخ شيوخي، وبعضهم أدركته وبعضهم لم أدركه ولم ألقه، وبعضهم لقيته ولم أسمع منه، وبعضهم سمعت منه» ـ المصدر السابق ص ١/٤.

(٤) نفسه ص ٥٠١ ـ ٤/٥٠٢، ومن أمثلة ذلك ما ورد في الدرر الكامنة ـ تر ٣٠ ص ١/١٧ من قوله: «علي بن أحمد بن عبدالعزيز النويري، له ترجمة في انباء الغمر ومعجم =

ويمكن اجمال العلاقة بين هذا الكتاب والانباء في النقاط الآتية:

(١) اشتراك كل منهما في ايراد الترجمات حسب حروف الهجاء داخل الحرف الواحد في الدرر الكامنة، والحوليات في الانباء، مع الاتيان بترجمات النساء ـ غالبا ـ تلو ترجمات الرجال، وكذا الترجمات المرتبة على الكنى والألقاب.

(٢) انعدام التوازن بين ترجمة وأخرى من حيث الحيز المكاني الذي تشغله، فقد تأتي ترجمة شاغلة لبضع ورقات [١] بينما تأتي أخرى شاغلة لبضعة أسطر[٢] أو مترجمة في أقل من السطر[٣]. وبالتالي فانه لم يعن بالموازنة بين المساحة التي تشغلها الأسماء المرتبة على الحروف في الكتاب، وهي بمثابة أبواب أو فصول فيه.

(٣) تنوع مصادره بين مؤلفات سابقة[٤] وطباق[٥] واستدعاءات

= المؤلف وأغفله من هنا وذكر أن مواده سنة ٧٢٤ وأنه مات في سنة ٧٩٩».

(١) من أمثلة ذلك تر ٤٠٩، ص ١٤٤ - ١/١٦٠.

(٢) من أمثلة ذلك تر ٨٤٧، ص٣٤٠/١.

(٣) من أمثلة ذلك تر٩٨٠ ص ١/٣٨٦.

(٤) نفسه في مواضع كثيرة، حيث صرح ببعض مصادره في مقدمة «الدرر الكامنة» ثم عمد بعد ذلك الى اسناد غالبية النقول الى مصادرها بعبارات واصطلاحات منها قوله ـ تر ١٤٧٦ ص ٢/٤: «.. قرأت ذلك بخط الشيخ تقي الدين السبكي.. كذا قال تاج الدين السبكي»، وقوله ـ ص ٢/٦٦: «وبخط الزركشي في..»، وقوله ـ ص ٢/١٣٥: «قال الذهبي في المعجم المختص..»، و «ذكره الذهبي وقال..» ـ نفسه ص ٢/٦٥، وقوله «.. نقلته من ذيل سير النبلاء» ـ نفسه ص ٢/٢٠١، وقوله: «... ذكرها ابن الكويك في مشيخته» ـ نفسه ص ٢/١٢٨، ولعل مما يشير الى الأمانة في النقل والانتساب الى المصادر قوله: «.. وقد رأيت بخطي ولا أدري من أين نقلته: وكانت وفاته سنة ٧٥٥، فالله أعلم» ـ نفسه ص ٢/٣٣ تر١٥٤٦.

(٥) نفسه ص ٢/١٢.

واجازات[١] وخطوط ووثائق[٢] ورواية شفهية[٣] ومؤلفات المترجم له[٤].. مع العناية بالموازنة بين هذه المصادر وتقدير أهميتها[٥].

(٤) الاعتناء بالنقد التأريخي والأدبي وممارسته في سائر جوانب الكتاب.

(٥) حرص «ابن حجر» على اثبات علاقاته بالمترجم لهم فيه، كنحو قوله في الترجمة «لابن الكيال»: «خرجت له مشيخة عن نحو ثمانين شيخا»[٦].

(٦) دخول كثير من الترجمات الواردة في الدرر الكامنة في الحيز الزماني المصاحب للانباء. في حين تشكل الترجمات الخارجة عن الحيز الزماني للانباء بعدا تاريخيا له باعتبار ما بين شخصياتها ومن تلاهم وفاة من علاقات خاصة من كان من الشخصيات الدينية والتي أجمل «ابن حجر» في المقدمة التنويه بها قائلا: «.. اذ الكثر منهم شيوخ شيوخي»، كما يشكل الانباء بدوره بعدا تاريخيا لترجمات الدرر الكامنة الداخلة في حيزه الزماني لاحتوائه على الحوادث بما فيها من مادة مكملة او ناصر تلك الترجمات، ومن الأدلة على ذلك الاحالة في «الدرر الكامنة» الى «الانباء» في بعض مواضع، منها قوله في ترجمة «يلبغا الناصري»: «.. وقد ذكرنا في التاريخ المسمى انباء الغمر بأنباء

---

(١) نفسه ص ٢/٣٠١
(٢) نفسه ص ٢/٣٨، ٢/١٨٧، ٢/٢٩٧..
(٣) نفسه ص ٢/١٣١، ٢/١٦٧، ٢٤٢ - ٢/٢٤٣.
(٤) نفسه ص ٢/٨٦.
(٥) من ذلك قوله في ترجمة ابن فهد الحلبي: «.. مات يوم عرفة أو قبله في ليلة سابعه، وأرخه شيخنا في شوال سنة ٧٦٠ والأول أقوى لأنه قول الصفدي وهو أخبر به» - نفسه تر ١٩٠ ص ١/٧٢، وقوله في ترجمة البهاء بن العجمي: «.. ومات بحماة في سنة ٧٧٠ وهو ابن ستين، وأرخه شهاب الدين بن حجي سنة ٧٧١ وهو الصواب، والأول من غلط النسخة» - نفسه تر ٨٤٢ ص ١/٣٣٨.
(٦) نفسه تر ١٢١٩ ص ٤/٤٤٢.

العمر في الحوادث أتم من هذا »[١] والنص في « الدرر الكامنة » على نقل ترجمة « أحمد بن علي بن عسكر القصري من انباء الغمر »[٢].

(٧) التطابق بين كثير من ترجمات « الانباء » و « الدرر الكامنة »، كنحو قوله في « الدرر الكامنة »: « ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل الجعفري الدمشقي الحنفي. برع في الفقه وناب في الحكم ودرس. مات في المحرم سنة ٧٧٤ »[٣]. مقابلا بقوله في الانباء: « ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل الجعفري الدمشقي الحنفي، برع في الفقه وناب في الحكم ودرس. مات في المحرم »[٤]. وقوله في الدرر الكامنة: « ابراهيم بن خليل بن شعبان الصارم استادار الأتابك اسندمر. مات في ذي القعدة سنة ٧٧٤ »[٥] ويقابله في الانباء قوله: « ابراهيم بن خليل ابن شعبان الصارم استادار الأتابك أسندمر، مات في ذي القعدة »[٦].

(٨) على حين نجده في مواضع أخرى مسهبا في « الانباء » مقتضبا في « الدرر » أو العكس، ومن أمثلة الأول قوله في الانباء: « أحمد بن ابراهيم الكتبي الصالحي من فضلاء الحنفية، وكان يشارك في فنون ويفتي ويناظر، وكان لازم أبا البقاء السبكي مدة وقرأ عليه في الكشاف، وهو المشار اليه في كتابة السجلات. مات في رجب »[٧]. مقابلا بقوله في الدرر الكامنة مقتضبا: « أحمد بن ابراهيم الكتبي الصالحي، كان من فضلاء الحنفية. مات في رجب سنة ٧٩٥ »[٨]. ومن أمثلة الثاني قوله في الدرر الكامنة بشأن بن العديم مسهبا: « ابراهيم بن محمد بن عمر بن عبدالعزيز بن محمد بن أحمد بن هبة الله

---

(١) المصدر السابق تر١٢١٩ ص ٤/٤٤٢.
(٢) نفسه تر٥٥٤ ص ٢١٧ - ٢/٢١٨.
(٣) نفسه تر٣ ص ١/٨.
(٤) ابن حجر. انباء الغمر تر١ ص ١/٣٧.
(٥) ابن حجر. الدرر الكامنة تر٥٩ ص ١/٢٥.
(٦) ابن حجر. انباء الغمر تر٢ ص ١/٣٧.
(٧) نفسه تر٢ ص ١/٤٥٧.
(٨) ابن حجر. الدرر الكامنة تر٢٦٣ ص ١/٩٧.

ابن أحمد بن يحيى بن زهير العقيلي الحلبي، جمال الدين بـن العديم بن ناصر الدين بن كمال الدين، من بيت كبير مشهور بحلب. ولد في سادس ذي الحجة سنة ٧١١ تقريبا، وسمع صحيح البخاري على الحجار بحماة، وعلى العز ابراهيم بن صالح بن العجمي عشرة الحداد، وسمع من الكمال بن النحاس، وحفظ المختار، وولي قضاء حلب بعد أبيه في سنة ٧٥٢ الى أن مات، الا أنه تخلل في ولايته أنه صرف مرة بابن الشحنة. قال علاء الدين في تاريخه: كان عاقلا عادلا في الحكم خبيرا بالأحكام عفيفا كثير الوقار والسكون الا أنه لم يكن ناقدا في الفقه ولا في غيره من العلوم مع أنه درس بالمدرسة المتعلقة بالقاضي الحنفي كالحلاوية والشاذبختية، وكـان يحفـظ المختـار ويطـالـع في شرحه. وقرأت بخط البرهان المحدث أن ابن العديم هذا ادعى عنده مدع على آخر بمبلغ فأنكر فأخرج المدعي وثيقة فيها أقر فلان ابن فلان. فأنكر المدعي عليه أن الاسم المذكور في الوثيقة اسم أبيه. قال له: فما اسمك أنت؟ قال: فلان. واسم أبيك؟ قال: فلان. فسكت عنه القاضي وتشاغل بالحديث مع من كان عنده حتى طال ذلك. وكان القارىء يقرأ عليه في صحيح البخاري. فلما فرغ المجلس صاح القاضي: يا بن فلان. فأجابه المدعى عليه مبادرا، فقال له: ادفع لغريمك حقه. فاستحسن من حضر هذه الحيلة التي استغفل المدعي عليه حتى التجأ الى الاعتراف. وكانت وفاته في سادس عشري المحرم سنة ٧٨٧. وقرأت بخط البرهان الحلبي: كان من بقايا السلف وفيه مواظبة على الصلوات في الجامع الكبير، نظيف اللسان وافر الفضل طويل الصمت والمهابة في غاية العفة مع المعرفة بـالمكـاتيـب والشروط، كبير القـدر عنـد الملـوك والأمراء، له مكارم ومآثر، وكان كثير النظر في مصالح أصحابه»[١].
ويقابله في الانباء قوله مقتضبا: «ابراهيم بن محمد بن عمر بن عبدالعزيـز بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي الحلبي المعروف بابن العديم.

---

(١) المصدر السابق تر١٧٢ ص ٦٤ - ١/٦٥.

كمال الدين بن ناصر الدين بن كمال الدين سمع من الحجار وحدث عنه، وكان هينا لينا ناظرا الى مصالح أصحابه ناب عن والده مدة بحلب، ثم استقل بعد وفاته. ومات عن نيف وسبعين سنة »[١].

وطبيعي أن ينتج عن ذلك التكامل بين المعلومات الواردة في كليهما بشأن الترجمة للشخص الواحد ليتضح فكر « ابن حجر » وموقفه منه مضافا اليه استكمال العناصر المشكلة لمادة ترجمته. بل نجد تحقق مثل هذا لدى « ابن حجر » في التراجم المتناظرة من حيث الحيز المكاني الذي تشغله، كنحو قوله في « الانباء » مترجما لابن بلبان مقارنا بنظيره في « الدرر »، حيث الوارد في الانباء قوله: « أحمد بن بلبان بن عبدالله، شهاب الدين الدمشقي المالكي الفقيه المفتي كاتب الحكم، مات في صفر وخلف مالا كثيرا »[٢]. ويقابله في الدرر الكامنة قوله: « أحمد بن بلبان كاتب الحكم المالكي. كان يفتي وله مروءة. مات في صفر سنة ٧٧٣ »[٣].

وهنا نجد أن الدرر الكامنة قد أضاف « وله مروءة » ناعتا بها المترجم له بينما انفرد الانباء بتتمة اسم مترجمه، والتصريح بلقبه، والكشف عن حاله حال الوفاة « وخلف مالا كثيرا ».

(٩) كما يتعاون الدرر الكامنة مع الانباء في الكشف عن مصادر المادة في كل منهما ومن أمثلة ذلك كشف الانباء عن المصدر المسكوت عنه في الدرر الكامنة بشأن الترجمة للمراقي، حيث الوارد في الدرر قوله فيه دون انتساب الى المصادر: « ابراهيم بن الحسن بن عمر بن حمود البعلي، ثم المراقي. سمع من ابن الشحنة وغيره. مات في صفر سنة ٧٧٦ »[٤]. بينما صرح بالمصدر في

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر تر١ ص ١/٣٠٤.
(٢) المصدر السابق تر٢ ص ١/٢١.
(٣) ابن حجر. الدرر الكامنة تر٢٣١ ص ١/١١٦.
(٤) نفسه تر٥٢ ص ١/٢٣.

ترجمته له في الانباء قائلا: «ابراهيم بن حسن بن عمر بن حمود البعلي ثم المراقي سمع من الحجار، وسمع منه ابن حجي وأرخه في صفر»[1]. وما مر من التصريح بالمصادر في الترجمة لابن العديم من الدرر الكامنة مع السكوت عنها في ترجمته من الانباء.

(١٠) ويتعاون «الدرر الكامنة» مع «الانباء» - كذلك - في الكشف عن المنهج المتبع لدى «ابن حجر» في ترك البياضات والفراغات لمعلومات وتتمات تأتي بعد لم يقدر له ملؤها، حيث أن العنصر المسكوت عنه في أحدهما - غالبا - ما يوجد لدى المصدر الآخر وقد بيض له مما يشير الى عدم معرفة «ابن حجر» به، وتركه مكانا له لعله يدركه، ومن أمثلة ذلك قوله من الدرر الكامنة في ترجمة «البرهان الاخنائي» مبيضا لتاريخ مولده: «.. ولد بالقاهرة سنة.... وتفقه»[2]. بينما أسقط هذا العنصر كلية من ترجمته في الانباء[3].

(١١) ويضاف الى ذلك وجود بعض تناقضات بين جوانب من الترجمات الواردة في الدرر الكامنة مع ما يقابلها من نظيراتها من الانباء، ومنها التأريخ لوفاة «محمد بن عمر بن رسلان» في الدرر الكامنة بشعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة[4]. في حين أن الوارد في «الانباء» أنه مات في سابع عشري شعبان سنة احدى وتسعين وسبعمائة»[5]. وتأريخه لوفاة «الوادي آشي» في الدرر الكامنة في حدود التسعين وسبعمائة[6]. على حين أن الوارد في الانباء أنه مات سنة ثمان وثمانين وسبعمائة[7]. وتأريخه قتل البدر الزواوي «في

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر تر٢ ص ١/٧٨.
(٢) ابن حجر. الدرر الكامنة تر١٥٦ ص ٥٨ - ١/٥٩.
(٣) ابن حجر. انباء الغمر تر٣ ص ١/١٠٨.
(٤) ابن حجر. الدرر الكامنة تر٢٨٨ ص ٤/١٠٥.
(٥) ابن حجر. انباء الغمر تر٣٧ ص ١/٣٨٩.
(٦) ابن حجر. الدرر الكامنة تر٥٤٦ ص ٤/٢٠٠.
(٧) ابن حجر. انباء الغمر تر٣٥ ص ١/٣٢٨.

أواخر سنة أربع أو أوائل سنة ٧٥٥ »[١] بينما يقابل ذلك في الانباء التصريح بموته في أوائل سنة أربع وسبعين وسبعمائة »[٢]. مما يكشف عن عدم الدقة في تحري التأريخ في مثل تلك المواضع المختلف فيها، فضلا عن تأرجحه في تأريخ الوفاة في مواضع كثيرة من ترجمات الدرر الكامنة[٣] أو السكوت كلية عن التأريخ للبعض الآخر[٤].

---

(١) ابن حجر. الدرر الكامنة تر١٦٣ ص ٤/٥٨.

(٢) ابن حجر. أنباء الغمر تر ٣٦ ص ١/٥١.

(٣) كنحو تأرجحه في التأريخ لوفاة «البدر الزواوي» ـ الآنف الذكر ـ ومحمد بن شقري ـ الدرر الكامنة تر٤٢٦ ص ٤/١٦٠.

(٤) من ذلك تر٢٧ ص ٣/١٦.

ثانيا ـ ذيل الدرر الكامنة (١)

جاء في مقدمته قوله:

« .. أما بعد، فاني كنت علقت تاريخا خاصا بأعيان المائة الثامنة ـ التي ولدت في أثنائها ـ فلما شارف أن يكمل رأيت المائة التي تليها قد دخل منها

---

(١) اعتمدت هذه الدراسة على مخطوطة بخط ابن حجر محفوظة في دار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم ٦٤٩ تاريخ ـ تيمورية، وتقع في ٢٢٢ صفحة ـ رقمت ترقيما حديثا ـ مقاسها ١٠ × ١٥ سم، ومسطرتها تتراوح بين ١٦ و ٢١ سطرا، وتأتي الصفحتان ١٢٠ و ١٢١ ـ في أثناء ترجمة «ابن الطريني» (ت ٨١٣ هـ./١٤١١ م). ـ خلوا من الكتابة سهوا كما أشار الى ذلك «ابن حجر» فيهما، وكما يتضح من صلة وتتابع ما قبلها بما بعدهما ويأتي النص فيها ابتداء بصفحة ٢ وقد سبق بورقتين اشير فيهما بخط نسخي مغاير الى أن « هذا الكتاب بخط مؤلفه شيخ الاسلام حافظ العصر قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر رحمه الله تعالى، وهو تاريخ المائة التاسعة وهو الذيل على الدرر الكامنة تاريخ المائة الثامنة» والى أنه «وصل فيه سنة ٨٣٢ هـ.»، كما خط عليها تمليك «لمصطفى أحمد بن محب الدين» ووقفية «لأحمد بن اسماعيل بن تيمور».. وبعض تعليقات وملحوظات نثرية وشعرية منها: « .. وما أحسن قول الشاعر:

ما زلت تدأب في التاريخ تكتبه ... حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا ».

بالإضافة الى بعض الملحوظات والتقييدات والاستدراكات والعنوانات التي ترد في هوامش المخطوطة (كنحو ما ورد في صفحات: ٧، ٨، ٩، ١٠، ٢٢، ٢٨، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٦،.. الى ٢٠٢).

ويبدو أن هذه النسخة كانت مسودة للكتاب، حيث الخط الرديء وكثرة الضرب (الشطب) والتعديلات والاحالة الى تتمات للنص في الهوامش واختلال الترتيب التنظيمي للوفيات، وان تميزت الوفيات في السنوات المتقدمة بخط أحمر يأتي في صدر أسمائها.

كما تظهر اصابتها بسائل أتلف بعض مواضع فيها، عالجتها يد محدثة باعادة الكتابة على الأحرف الأولى بمداد أسود داكن مما أفقد تلك المواضع القيمة التي لغيرها ـ حيث لا يمكن التثبت من أن هذه الأحرف المبدلة مطابقة للأصل ـ ولذا اعتمدت هذه الدراسة في =

أكثر من الثلث، فأردت أن أضع على ذلك الأول ذيلا يشتمل على الأعيان المختصة بالثاني فالتمس مني بعض الأحبة الأعزة أن أجعل هذا الثاني على السنين ليتحقق عليه استيعاب المائة التاسعة، فأجبت سؤاله وأوردتهم بهذا التعليق سيا من اطلعت على خبره.

ولم أتبسط لتراجم الشاميين اكتفاء بما كتبه لي مؤرخها ـ حفظه الله تعالى آمين »[1].

وهو بهذا يشير الى الآتي:

أولا ـ أن الحيز الزماني للكتاب سوف ينحصر في الثلث الأول من القرن التاسع الهجري، وأن حولياته قد كتبت بعد أن « دخل من القرن أكثر من الثلث »، ولذا فان الكتاب قد احتوى على مقدمة متبوعة باثنتين وثلاثين حولية، ابتداء بحولية احدى وثمانمائة، وانتهاء بحولية اثنتين وثلاثين وثمانمائة.

ثانيا ـ أنه قد أورد ـ فيه ـ الوفيات منظمة حسب السنوات المتعاقبة التي وقعت فيها ليتحقق على مطالعه استيعابها، وان لم يستوعب « ابن حجر » فيها الوفيات، كما أنه لم يتبسط في تراجم الشاميين اكتفاء بما استقاه من مصدره فيها، وهو ـ فيما يغلب على الظن ـ ابن قاضي شهبة.

وهنا يمكن ملاحظة الآتي:

١ ـ أن تنظيم الوفيات في الحولية الواحدة ـ سواء في الترجمات أم في الأسماء المجردة ـ كان مأمولا فيه أن يكون حسب التسلسل الهجائي لاسم المترجم ـ فحسب ـ وليس اسم الشهرة سواء كانت الشهرة في اللقب أم

= ايراد النصوص والنقول للمقارنة على ما ورد فعلا بخط ابن حجر، وقد تميز عن غيره بسهولة ويسر.

ويوجد لهذه السنخة الخطية مصورة محفوظة لدى معهد احياء المخطوطات العربية تحت رقم ٢٥٠ ـ تاريخ، انتسخت منها فيلما روجع على الأصل كذلك.

(١) ابن حجر. ذيل الدرر ق ٢.

الكنية ـ مع تقديم من اسمه «أحمد» على سائر الوفيات، تيمنا بهذا الاسم، كما أفصح عن ذلك في المجمع المؤسس ـ وهو ما تحقق جانب منه في الحوليات المتقدمة من الكتاب.

٢ ـ لكن لم يلتزم «ابن حجر» ذلك في باقي الحوليات، حيث نجده قد أخل بهذا الترتيب التنظيمي[١] بل وأورد الوفيات متتابعة دون فصل لتأتي في موضع واحد وقد امتزجت معلوماتها[٢] كما أنه قد ترك التنظيم على الاسم، معتبرا اسم الشهرة[٣] أو اللقب العلمي[٤] مشيرا الى ضرورة الترتيب الداخلي حينا[٥] ومغفلا ذلك أحيانا..

٣ ـ أنه وان كان المقصود بايراد الوفيات على الحوليات المتعاقبة «تحقيق الاستيعاب»، فان «ابن حجر» لم يكن دقيقا في تأريخ الوفيات حيث نقل عشر (١٠) ترجمات من حولياتها لتنتظمها حوليات غير التي وقعت فيها[٦] وان وردت في «الانباء» على وجه صائب.

---

(١) من نماذج ذلك ما ورد في حولية ثلاثين وثمانمائة حيث الابتداء بترجمة أحمد فمحمد فأحمد، وحولية احدى وثلاثين وثمانمائة حيث الابتداء بترجمة جاني فأزدمر فكمشبغا فمحمد فسعيد فحسن فجاني فابراهيم فمحمد فشرف الدين فبكتمر.. وهو ما يوضحه ملحق رقم «٥».

(٢) يظهر ذلك من خلال دراسة العلاقة بين «الذيل» والانباء من هذا الفصل.

(٣) من ذلك ما ورد في حولية ثلاثين وثمانمائة من قوله: «.. وفيها مات الرجل الصالح ابن غراب، وهو أحمد بن ابراهيم.. ومحيي الدين الغزالي... والبدر البشتكي، الشيخ بدرالدين أبو أحمد محمد بن ابراهيم.. وتقي الدين الاخنائي ـ ذيل الدرر ق ٢٠٧ ـ ٢١٠.

(٤) من ذلك قوله في حولية سبع وعشرين وثمانمائة: «.. الشيخ شرف الدي يعقوب» ـ ق ١٩٩ ـ وقوله في حولية تسع وعشرين وثمانمائة: «الشيخ سراج الدين عمر..» ـ ق ٢٠٣ ـ و «القاضي شمس الدين الهروي..» ـ ق ٢٠٤ ـ مستفتحا بهذه الألقاب ترجماتهم.

(٥) حيث جاء في حولية خمس عشرة وثمانمائة لصيق ترجمة «ابراهيم الموصلي» قوله: «يقدم في الترتيب» ـ ذيل الدرر ق ١٣١.

(٦) بيان ذلك في «ملحق ٥» من هذه الدراسة.

٤ ـ أنه لا يتحقق للكتاب شمول زماني، حيث أن الترجمات الواردة فيه ـ قياسا بما جاء في « الانباء » ـ قليلة، كما أنه لا يتحقق فيه ـ كذلك ـ التوازن الزماني بين حولياته، فالتفاوت كبير بين حولية وأخرى من حيث عدد الوفيات الحاوية لها، كما يبين ذلك من الجدول الآتي:

الحولية	عدد وفياتها	الحولية	عدد وفياتها	الحولية	عدد وفياتها
٨٠١ هـ.	٣٩	٨١٢ هـ.	١٥	٨٢٣ هـ.	١٣
٨٠٢	٤٤	٨١٣	٢٤	٨٢٤	١١
٨٠٣	٥٣	٨١٤	٢١	٨٢٥	١٦
٨٠٤	٢٢	٨١٥	١٨	٨٢٦	١٧
٨٠٥	٢٥	٨١٦	١٥	٨٢٧	٠٤
٨٠٦	٣٢	٨١٧	١٠	٨٢٨	٠٧
٨٠٧	٢٢	٨١٨	٠٥	٨٢٩	١٢
٨٠٨	٢١	٨١٩	٢٨	٨٣٠	٠٨
٨٠٩	٢٩	٨٢٠	١٤	٨٣١	١١
٨١٠	٠٦	٨٢١	١٥	٨٣٢	٠٧
٨١١	٢٢	٨٢٢	١٨		
				الجملة	٦٠٤ ترجمة

ويلازم ذلك تفاوتا في المساحة الشاغلة لها هذه الحوليات كما يوضحه الجدول الآتي:

الحولية	الصفحات		الحولية	الصفحات	
	من	الى		من	الى
٨٠١ هـ.	ق ٣	ق ١٦	٨٠٩ هـ.	ق ١٠٠	ق ١٠٧
٨٠٢	ق ١٧	ق ٣٠	٨١٠	ق ١٠٧	ق ١٠٩
٨٠٣	ق ٣٠	ق ٤٦	٨١١	ق ١١٠	ق ١١٥
٨٠٤	ق ٤٧	ق ٥٥	٨١٢	ق ١١٦	ق ١١٩
٨٠٥	ق ٥٦	ق ٦٥	٨١٣	ق ١١٩	ق ١٢٧ (*)
٨٠٦	ق ٦٦	ق ٧٨	٨١٤	ق ١٢٧	ق ١٣٠
٨٠٧	ق ٧٩	ق ٨٩	٨١٥	ق ١٣١	ق ١٣٤
٨٠٨	ق ٨٩	ق ١٠٠	٨١٦	ق ١٣٥	ق ١٤١

(*) مع اسقاط صفحتي: ١٢٠ - ١٢١ حيث بيض لها سهوا.

الحولية	الصفحات		الحولية	الصفحات	
	من	الى		من	الى
٨١٧ هـ.	ق ١٤١	ق ١٤٧	٨٢٥ هـ.	ق ١٨٨	ق ١٩٢
٨١٨	ق ١٤٨	ق ١٤٩	٨٢٦	ق ١٩٣	ق ١٩٨
٨١٩	ق ١٥٠	ق ١٦١	٨٢٧	ق ١٩٩	ق ٢٠٠
٨٢٠	ق ١٦١	ق ١٦٥	٨٢٨	ق ٢٠١	ق ٢٠٢
٨٢١	ق ١٦٥	ق ١٧٣	٨٢٩	ق ٢٠٣	ق ٢٠٦
٨٢٢	ق ١٧٣	ق ١٧٧	٨٣٠	ق ٢٠٧	ق ٢١١
٨٢٣	ق ١٧٧	ق ١٨٢	٨٣١	ق ٢١١	ق ٢١٧
٨٢٤	ق ١٨٣	ق ١٨٧	٨٣٢	ق ٢١٨	ق ٢٢٢.

بل وتتفاوت المساحة المخصصة لاثبات الوفيات بين وفاة وأخرى داخل الحولية الواحدة حسب طبيعة ونوعية العلم المترجم له، وتوفر «ابن حجر» على مصادر ترجمته وتوفرها له لترد اسما مجردا يشغل أقل من السطر(١) أو مترجمة في سطر(٢) أو مترجمة في أكثر من السطر(٣) أو في صفحة(٤) أو أكثر(٥)..

(١) من ذلك ما ورد في حولية احدى عشرة وثمانمائه من قوله: «.. فيها قتل بحبس الاسكندرية بيبرس بن أخت السلطان، وبيغوث، وسودون المارديني وذلك في أواخر السنة» ـ ذيل الدرر تر٢٩٤ ـ ٢٩٦ ق ١١٠.

(٢) كنحو قوله في حولية ثلاث وثمانمائة: «أحمد بن الزين الحلبي، والى الشرطة بالقاهرة. مات في هذه السنة وكان عسوفا غشوما» ـ ذيل الدرر ق ٨٩ تر ٣١ ـ وقوله في حولية اثنتي عشرة وثمانمائة: «.. وقجاقق الدويدار ـ كان قليل الشر، مات في آخر السنة» ـ ذيل الدرر ق ١١٩ تر ٣٣٠.

(٣) كنحو قوله في ترجمة «ابن لاجين الرشيدي» (ت ٨٠٧ هـ./١٤٠٥ م.): «عبدالله بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن لاجين الرشيدي، جمال الدين ولد سنة بضع وثلاثين، واسمع علي الميدومي ومحمد بن اسماعيل الأموي وغيرهما، وكان يلازم قراءة البخاري بجامع أم حسين ـ ظاهر القاهرة ـ ويخطبه. وكان جيد القراءة طيب النغمة. قرأت عليه أجزاء من المعجم الكبير للطبراني، ومات في شهر رجب» ـ ذيل الدرر تر ٢٢٠ ق ٨١.

(٤) من أمثلة ذلك ترجمة «قرا يوسف» (ت ٨٢٣ هـ./١٤٢٠ م.) ـ ذيل الدرر تر ٥١١ =

لكن ما علاقة هذا المؤلف « بالانباء »؟

أولاً ـ يدخل « ذيل الدرر » في الفترة الزمانية المصاحبة « للانباء » وبالتالي يشترك معه في ايراد كثير من المعلومات المنتظمة في نطاق هذا الحيز الزماني. ولذا نجده قد احتوى على (٦٠٤) ترجمات يقابلها في « الانباء » (٥٩٤) ترجمة بفارق (١٠) ترجمة انفرد بايرادها « ذيل الدرر »، وان انفرد « الانباء » بايراد ترجمات لم ترد في « الذيل » أساسا على الرغم من انتظامها في الحيز الزماني الموضوع له [1].

ثانيا ـ الاشتراك معا في ايراد الوفيات حسب السنوات المتعاقبة، والتنظيم داخليا حسب حروف الهجاء، وان كان « الذيل » أكثر اختلالا من حيث الترتيب والتنظيم ـ كما هو موضح قبل.

ثالثا ـ أن الوفيات التي أتت في « الانباء » أسماء مجردة أو مندمجة المعلومات مع غيرها لتجتمع في موضع واحد، هي هي المواضع عينها الواردة في « الذي » على هذه الصورة والكيفية [2].

= ق ١٨٢ ـ وترجمة « عبدالرحمن بن رسلان البلقيني » (ت ٨٢٤ هـ./١٤٢١ م.) ـ ذيل الدرر تر ٥٢٢ ق ١٨٧.

(٥) من أمثلة ذلك ترجمة « البدر البشتكي » (ت ٨٣٠ هـ./١٤٢٧ م.) ـ ذيل الدرر تر ٥٨١ ق ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ وترجمة « حسن بن أحمد بن محمد البرديني » (ت ٨٣١ هـ./١٤٢٨ م.) ـ ذيل الدرر تر ٥٩٢ ق ٢١٤ ـ ٢١٥..

(١) بيان ذلك في ملحق « ٥ » من هذا البحث.

(٢) من أمثلة ذلك ما ورد في الانباء ـ ص ١٩٨/٢ ـ من قوله: « .. وقرأت بخط البرهان المحدث بحلب: مات من الفقهاء الشافعية في الكائنة وبعدها علاء الدين الصرخدي، وشرف الدين الدادبخي، وشهاب الدين بن الضعيف، وشمس الدين البابي، وبهاء الدين داود الكردي، وشمس الدين بن الزكي الجعبري »، ويقابله في الذيل ـ ق ٤٦ ـ قوله: « .. ومن مات فيها: شمس الدين بن الزكي الجعبري، قرأت بخط الشهاب الحلبي أنه مات في الكائنة. قال: ومات فيها من الفضلاء شهاب الدين بن الضعيف، وبهاء الدين داود الكردي، وشمس الدين البابي، وذكر طائفة ممن تقدم ذكره، والله أعلم ». =

رابعا ـ أن الفراغات أو المعلومات المبيض لها في تراجم وفيات الانباء لها نظير ـ كذلك ـ في «ذيل الدرر»، وفي المواضع عينها، باستثناء موضع واحد ورد في حوادث «الانباء» فراغا، اثبتت معلومته في «الذيل»[1].

خامسا ـ أن «ابن حجر» قد أخطأ التأريخ في «الانباء» وفي «الذيل» ـ كذلك ـ وان كان الخطأ في «الذيل» يصوبه ما ورد في «الانباء»[2].

سادسا ـ أن المواضع التي أوردها في ترجمات وفيات الانباء مغفلا فيها التأريخ على وجه الدقة ـ دون اثبات اليوم والشهر ـ أو مكتفيا فيها بادراج الوفاة في الحولية الواقعة فيها، هي هي نفس المواضع الواردة في ذيل الدرر[3]. مما يشير الى ضمن مصادره عليه بذلك.

= وما ورد في حولية احدى عشرة وثمانمائة في «الانباء» ـ ص ٢/٤٠٥ ـ من قوله: «.. مات فيها من الأمراء.. وكذلك: أرنبغا، وبيبرس ابن أخت الظاهر، وسودون الماردينى، وبيغوث»، ويقابل ذلك قوله في الذيل ـ ق ١١٠ ـ: «فيها قتل بحبس الاسكندرية بيبرس من أخت السلطان وبيغوث، وسودون الماردينى، وذلك في أواخر السنة».

ويلاحظ أن هذه الوفيات قد اجتمعت في مكان واحد تصدر الحولية الواقعة فيها على الرغم من وقوعها في «أواخر السنة»، كما يلاحظ أنها قد أخلت بالترتيب والتنظيم الداخلي المعتبر للوفيات.

(١) حيث ورد في الانباء ـ ص ٢/٢٣٤ ـ قوله: «.. وفيه (أي في ذي القعدة سنة ٨١٢ هـ.) صرف... وكان ظالما فاجرا، ولى شد الدواوين فأباد أصحاب الأموال، وبالغ في أذاهم، وكانت عاقبة أمره أن ضربت عنقه صبرا بالقاهرة.» وهكذا فانه قد بيض للاسم ليفصح عنه في «ذيل الدرر» ـ ق ١١٩ ـ قائلا: «.. وفيها ضربت عنق آدم البريدي صبرا بين القصرين بأمر الناصر، وكان ظالما فاجرا غشوما».

(٢) بيان ذلك في ملحق رقم (٥) من هذه الدراسة.

(٣) من ذلك ما ورد في ترجمة بن عبدالله المصري» (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.) حيث أرخ الوفاة بربيع الأول مهملا اثبات اليوم في كليها (الانباء تر ٣١ ص ٢/٧٠، والذيل تر ١٣ ق ٩)، وقوله في ترجمة الحرفوش (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.): «مات في أوائل هذه السنة» ـ انباء الغمر ص ٢/٧٣ تر ٤٣، والذيل تر ٢٠ ق ١٠ ـ وما ورد في ترجمة «الخجندي» (ت ٨٠٢ هـ./١٤٠٠ م.): «.. وكان حج بسبب عمارة المسجد الحرام فمات راجعا بين مرو وعسقلان» ـ انباء الغمر ص ٢/١١٦ تر ٢٠ ـ ويقابله في الذيل ـ تر ٥ ق ١٩ ـ قوله: «.. مات الخجندي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين». =

سابعا ـ أنه توجد علاقة بين « الأنباء » و « الذيل » من حيث الاقتضاب أو التطويل أو التوسط في ترجمات الوفيات، فالترجمات المطولات في « الانباء » مثيلاتها مطولات في « الذيل »، والمقتضبة في « الانباء » مثيلاتها مقتضبة في « الذيل ».. وهكذا.

ثامنا ـ أن الأسلوب الانشائي فيهما متطابق الى حد كبير، كما أن طريقة السرد فيهما واحدة باعتبار أن الكاتب واحد، وأن الفترة المدون فيها الوفيات ـ فيهما ـ واحدة. وان كان « ابن حجر » قد تخفف في « الذيل » من ايراد الاحالات (١).

تايعا ـ أنه يوجد تطابق بينهما في المعلومات والعبارات ـ المؤرخة والناقدة ـ الواردة في ترجمات الوفيات في مواضع كثيرة، كما توجد تفصيلات ومعلومات زائدة في مواضع أخرى قد ينفرد بها « الذيل » (٢) أو « الانباء »

= وان ورد التأريخ للوفيات مكتملا في بعض مواضع من تراجم وفيات الانباء وناقصا في الذيل، كما ورد في ترجمة « خلف الطوخي » (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.) ـ تر ٣٠ ص ٢/٧٠ من الانباء ـ قائلا: « .. مات في تاسع عشر ربيع الآخر » بينما المثبت في الذيل ـ تر ١٣ ق ٩ ـ قوله: « .. مات في شهر ربيع الآخر »..

(١) ويلاحظ أنه لا توجد احالات في « الذيل » على « الانباء » أو في « الانباء » على « الذيل »، وان وردت احالة واحدة في « الذيل » على « المجمع المؤسس » في أثناء ترجمة « الشمس بن عطاء الهروي »، حيث قال: « .. وشهرته تغني عن الاطناب في وصفه، وقد بسطت ترجمته في المعجم المفهرس » ـ الذيل ق ٢٠٤ تر ٥٧٠، ويقابل ذلك ق ٢٢٨ أ، ق ٢٢٩ أ من المجمع المؤسس.

(٢) من نماذج التطابق في العبارات أو في المعلومات الواردة في كل منهما قوله لصرغتمش المحمدي (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.): « .. ولي نيابة الاسكندرية سنة تسع وتسعين وسبعمائة، ومات في جمادي الأولى » الانباء تر ٣٩ ص ٢/٧٢ ـ ويقابله في الذيل ـ تر ١٩ ق ١٠ ـ قوله: « صرغتمش المحمدي تنقل الى أن ولاه الظاهر نيابة الاسكندرية في سنة تسع وتسعين وسبعمائة فمات بها في جمادي الأولى من هذه السنة »، وقوله في ترجمة « أحمد بن خلف المصري » (ت ٨٠٢ هـ./١٤٠٠ م.): « أحمد بن خلف المصري، شهاب الدين ناظر المواريث، كان أبوه مهتارا عند ابن فضل الله. مات في جمادي الآخرة » ـ الانباء تر ٩ ص ٢/١١٣ ـ ويقابله قوله في الذيل ـ تر ٤٢ ق ١٧ ـ « أحمد بن خلف =

= المصري، شهاب الدين ناظر المواريث، كان أبوه مهتارا عند ابن فضل الله فنشأ هو فتعانى المباشرات ومات في جمادي الآخرة»، وقوله في ترجمة «ابن ابي عبدالله التركماني» (ت ٨٠٢ هـ./١٤٠٠ م.): «أحمد بن عبدالله التركماني، أحد من كان يعتقد بمصر. مات في ربيع الأول» - الانباء تر١٣ ص ٢/١١٤ - ويقابله في الذيل - تر٤٦ ق١٨ - قوله: «حمد بن عبدالله التركماني أحد من كان يعتقد بمصر. مات في شهر ربيع الأول»، وقوله في ترجمة «شهاب الدين الدلاصي» (ت ٨٠٢ هـ./١٤٠٠ م.): «أحمد بن داود بن محمد الدلاصي، شهاب الدين شاهد الطرحاء، كان من الأعيان المعتبرين بالقاهرة. مات في ربيع الأول» - الانباء تر١١ ص ١١٤ - ويقابله في الذيل - تر٤٤ ق١٨ - قوله: «أحمد بن داود بن محمد الدلاصي شهاب الدين شاهد الطرحاء، كان من أعيان المعتبرين بالقاهرة. مات في ربيع الأول»..

ومن نماذج الاضافات في «الذيل» على «الانباء» قوله في ترجمة «المشبب» (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.): «خليل بن عثمان بن عبدالرحمن بن عبدالجليل المصري المقرىء المعروف بالمشبب، سمع من البدر بن جماعة على ما قيل، وأقرأ الناس بالقرافة دهرا طويلا، وكان منقطعا بسفح الجبل وللملك الظاهر فيه اعتقاد كبير. مات في ربيع الأول، واجتمعت به مرارا وسمعت قراءته وصليت خلفه وما سمعت أشجى من صوته في المحراب» - تر ٣٣ ص ٢/٧١ من الانباء - لكن توجد بعض اضافات وتتمات لعناصر هذه الترجمة في ذيل الدرر - تر١٢ ق٨ - حيث يقابل قوله في الانباء: «سمع من البدر بن جماعة على ما قيل» قوله في الذيل: «قرأ على جماعة ممن تأخر وعنى بذلك واشتهر به، وكان (قد سمع) من البدر بن جماعة» ويقابل قوله في الانباء: «وكان منقطعا بسفح الجبل»، وقوله في الذيل: «وانقطع بزاوية بسفح الجبل المقطم»، وقوله في الانباء: «وللملك الظاهر وغيره فيه اعتقاد كبير» تفصيل في الذيل حيث ورد قوله: «وكان الظاهر يجله ويحترمه ويقبل شفاعته ويمكنه من الدخول اليه راكبا حماره وكان منور الشيبة طيب النغمة بالقرآن..»

كما يضيف الى ما ورد في الانباء - بشأن ترجمته لابن عبدالله الطوخي (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.) - من قوله: «وشفاعته مقبولة عند السلطان وغيره» - تر٣٠ ص ٢/٧٠ - قوله في الذيل - تر١٣ ق٩ -: «.. وشفاعته عند الأكابر مقبولة، وزاره السلطان فعظم قدره في أعين الناس».

واضافته قوله في الذيل - تر١٨ ق٩ - «وكان يأتمنه ويعتمد عليه (السلطان) في تفريق الصدقة، وانتفع به جماعات ممن كان يعرفه قبل ذلك» الى قوله في «الانباء» - تر ٤١ ص ٢/٧٢ - بشأن الترجمة لصندل بن عبدالله المنجكي» (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.): «وكان الظاهر يعتقد فيه الجودة والأمانة، وكانت أكثر الصدقة تجري على يده مع كثرتها». =

عاشرا ـ أن «ذيل الدرر» وان كان ضنينا بمصادره شحيحا بذكرها أو الافصاح عنها، قياسا بالانباء ـ فانه قد أفصح عن اعتماد «ابن حجر» للمصادر أو تغليب مصدر على آخر[1] كما ظهر «ابن حجر» فيه حريصا على اثبات علاقته بالمترجم لهم سواء كانوا من رجال الحديث أو من غيرهم[2].

= وقوله في الانباء ـ تر ٥٩ ص ٢/٧٧ ـ مترجما لابن الشاهد المنجم (ت ٨٠١ هـ./١٣٩٩ م.): «علي بن محمد الميقاتي. نورالدين بن الشاهد المنجم، انتهت اليه الرياسة في حل الزيج وكتابة التقاويم وقد راج بآخره على الملك الظاهر وقربه وصار شيخ الطريقة، وكانت له معرفة بالرمل وغيره. مات في الحرم» يتممه قوله في «الذيل» ـ تر ٢٤ ق ١٠: ١١ ـ: «علي بن محمد الميقاتي، نورالدين المعروف بابن الشاهد المنجم، كان عارفا بحل الزيج متقنا لفنه، عمدة في كتابة التقاويم، وكان يعرف الضرب بالرمل وغير ذلك من الأمور الغيبية مع سلامة فيه. رأيته ملازما لباب داره يكتب التقاويم جل نهاره، وقد راج بأخره على الظاهر برقوق فولاه مشيخة الخروبية وانصلح حاله ومات في شهر الله المحرم»..

(١) كنحو ما ورد في «الذيل» بشأن الترجمة «لابن الفرات الحنفي» (ت ٨٠٧ هـ./١٤٠٥ م.) من قوله: «وكان لهجا بالتاريخ فكتب تاريخا كبيرا جدا بيض بعضه.. وقد انتفعت بما تضمنت هذه المجلدات المبيضة في الاطلاع على كثير من الوقائع والتراجم وان كان في عبارته قصور» ـ الذيل تر ٢٣٢ ق ٨٧ ـ وهو ما يوكد ما ورد في مقدمة «الانباء» من الاعتماد على هذا المصدر ويفصح ـ كذلك ـ عن جعله عمدة له في التأريخ على نحو ما بين في دراسة مصادره من هذه الدراسة.

وكذا الافصاح عن مصدره في التأريخ للشاميين في مقدمة «الذيل» وقد مر، واتخاذه رواية شفهية تلقاها من المؤيد شيخ المحمودي مصدرا للتأريخ لولادته قائلا: «.. ذكر لي ما يقتضي أن مولده سنة سبعين، فانه قال لنا: أن الذي جلبه دخل به القاهرة مع أنص والد برقوق، وكان ـ أي المؤيد ـ حينئذ مراهقا» ـ ٥١٣ ق ١٨٣ ـ وان وردت هذه الرواية في «الانباء» دون استنتاج أو تأريخ لمولده من خلالها ـ انباء الغمر تر ٦ ص ٣/٢٥٦.

(٢) كنحو قوله في ترجمة «الغماري» (ت ٨٠٢ هـ./١٤٠٠ م.): «وقد حدث بالقصيدة المعروفة بالبردة عن أبي حيان عن ناظمها. سمعتها منه وسمعت منه غير ذلك وأجاز لي..»، وقوله في ترجمته «للسرائي» (ت ٨٠٢ هـ./١٤٠٠ م.): «ذكر لي أنه زار قبر الرافعي، وأملا عليّ تاريخ مولده ووفاته ـ أي مولد ووفاة الامام الرافعي» ـ الذيل ق ٢٣ =

وهكذا فان « ذيل الدرر الكامنة » يتعاون مع « انباء الغمر » في الكشف عن المنهج التاريخي لابن حجر بالاضافة الى اكمال كل منهما لما ورد لدى الآخر من معلومات تاريخية لا غنية لدارس هذه الحقبة التاريخية عنها.

= ـ مع ملاحظة أن هذه المعلومة غير مثبتة في ترجمته من الانباء ـ تر٣ ص ٢/١١١.

ثالثاً ـ رفع الاصر عن قضاة مصر(١)

جاء في مقدمته:

« .. أما بعد، فقد وقفت على رجز في ذكر من ولى القضاء بالديار المصرية من نظم الأديب المشهور شمس الدين محمد بن دنيال الكحال نظمه

---

(١) عرف لهذا المؤلف عدة نسخ خطية لم توجد بينها المخطوطة الأصلية للمؤلف ولقد اطلعت على أربع منها هي:

أ ـ مخط. مكتبة فيض الله ـ بتركيا ـ ذات الرقم ١٤٥٥ تاريخ، وقد كتب في نهايتها ما يشير الى أنها نسخت في القرن التارسع الهجري، وتقع في ١٤٠ ورقة مقاسها ١٨ × ٢٧ سم، وتنقص من أولها ورقة، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٢٦٠ تاريخ.

ب ـ مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٠٥ تاريخ، وقد كتبها أحمد بن أبي الشيخ علي السبكي سنة ١١٥٠ هـ. بخط نسخي واضح، وتقع في ٢٨٦ ورقة مسطرتها ١٩ سطراً، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣/٢٦٠ تاريخ، ورقم، ١٦٧٤ تاريخ.

جـ ـ مخط. مكتبة خدابخش بتنة ـ بالهند ـ رقم ٢٤٨٣، وقد كتبت سنة ١٣١٠ هـ. نقلا عن نسخة بخط « محمد بن نصرالله بن حسن بن محمد الحنفي، كتبت سنة ٨٥٦ هـ. من نسخة « الشمس السخاوي ». وتقع في ١٦٢ ورقة مقاسها ١٨ × ٢٩ سم، ومسطرتها ٢٩ سطراً، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/١٠٧٤ تاريخ.

د ـ مخط. المكتبة الآصفية بحيدرآباد ـ بالهند ـ رقم ٩٠ تراجم والمكتوبة عن النسخة السابقة لها سنة ١٣١٠ هـ. وتقع في ٤٤٧ صفحة مقاسها ١٠ × ١٨ سم، ومسطرتها ٢٣ سطراً، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/١٠٧٤ تاريخ.

كما قدر لهذا الكتاب أن يطبع في طبعتين غير مكتملتين، أولاهما نشرة لجنة جب التذكارية سنة ١٩٠٨ م. ذيلا على كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي مع بعض الاستمداد لها من نسخة « سبط ابن حجر » ـ التي سوف يشار اليها تواً.

وتحتوي هذه الطبعة على تراجم القضاة الذين ولوا بمصر بين سنتي ٣٢٧ و ٤١٩ هـ. مشتملة على أربع وأربعين ترجمة ابتداء بترجمة « الحارث بن مسكين »، وانتهاء بترجمة =

لقاضي القضاة بدرالدين أبي عبدالله محمد بن ابراهيم بن سعدالله بن جماعة. سئلت ان أترجم لمن تضمنه الرجز فأجبت إلى ذلك، وجعلتهم طبقات على السنين منذ فتحت مصر إلى آخر المائة الثامنة، وذكرت في ترجمة كل واحد منهم ما وقفت عليه من اسمه ولقبه ومنتهى غاية نسبه ان احتيج الى ذلك، وذكر مولده ومذهبه وحليته والوقت الذي ولي فيه والذي صرف فيه والوقت الذي مات فيه بحسب ما اتصل الى علمي من ذلك»[1].

وهو بهذا يشير الى الآتي:

(١) سبب تأليفه للكتاب: سؤال غيره له أن يترجم لمن تضمنه نظم ابن دنيال.

(٢) متحواه: تراجم قضاة مصر ابتداء بالفتح الاسلامي لها وانتهاء بنهاية القرن الثامن الهجري.

= «عبدالحكم بن سعيد الفارقي» وتشغل الصفحات من ٥٠٢ الى ٦١٤.

ونشر رفع الاصر مستقلا بتحقيق د. حامد عبدالمجيد مع غيره في القسم الأول، واستقلالا في الثاني ـ نشر الأول منها سنة ١٩٥٧ والثاني سنة ١٩٦١ م. ـ وتبتدىء بأول الكتاب وتنتهي بنهاية ترجمة «علي بن يوسف ابن مكي» وتقع في ٤١٤ صفحة من القطع المتوسط، وتتخذ من نسخة فيض الله أصلا لها مع معاونة أربع نسخ خطية هي: نسختا المكتبة الأهلية بباريس رقمي: ٥٨٩٣، و٢١٤٩، مخط. مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٠٥ تاريخ ومخط. الأزهرية رقم ٦٦١٥ تاريخ.

كما قدر لهذا المؤلف أن يختصر عدة اختصارات بقي منها مختصر سبط ابن حجر المعروف باسم «النجوم الزاهرة بتلخيص أخبار مصر والقاهرة» ويقع في مجلدة تم الفراغ منها تبييضاً سنة ٨٧٧ هـ. وقد أشير في مقدمتها الى أنه علق «رفع الاصر» لجده فيه أموراً في بعض مواضع منها اسهابه في بعض التراجم واجحافه في بعضها الآخر، واخلاله بتحرير من تكررت ولايته واهماله بعض التراجم ـ معللا لذلك بموت «ابن حجر» قبل تبييضه وتحريره. ـ حاجي خليفة. كشف الظنون ص ٢/١٩٣٢ ـ كما ذيل عليه «الشمس السخاوي» كتابه «بغية الرواة في الذيل على كتاب شيخي في القضاة» ـ وهو مطبوع، سبق الاشارة اليه.

(١) ابن حجر. رفع الاصر ص ١/١.

(٣) منهجه في الترتيب والتبويب: على الطبقات حسب السنين.

(٤) أهم العناصر أو النقاط المبحوثة في المترجم لهم لديه في: الاسم - اللقب - النسبة - المولد - الوفاة - المذهب - نوبات القضاء مؤرخة.

لكن يبدو أن «ابن حجر» قد مات عن الكتاب في المسودة، على الرغم من ابتداء تصنيفه لها سنة ٧٩٦ هـ. مما جعل «العز الحنبلي» (ت ٨٨٦ هـ. /١٤٨٢ م.) يستعيرها معيداً كتابته اياه مرتباً على الحروف مع تلخيص وتنبيه على كثير مما فيه[١]. وان احتيج مع ذلك الى تحرير - على حد قول «السخاوي» في الذيل عليه[٢].

كما يلاحظ أن مادة الكتاب قد امتدت الى أواسط القرن التاسع الهجري، بل والى ما بعد وفاة «ابن حجر» نفسه، وهو ما لا يتمشى مع ما ورد في المقدمة فضلا عن نسبة هذه المواضع الى مؤلف الأصل[٣].

ولذا فانه انصافاً للكتاب ومؤلفه لا يمكن جرد مادته ومقابلتها بمقابلها في الانباء للوقوف على الفوارق في كل، ما دام هذا العمل لم يكن خالصاً له، فضلا عن تقديم دراسة منهجية للكتاب من حيث التبويب والتنظيم باعتبار أن هذا الجانب - كذلك قد عدل وبقي مرعياً في النسخ الخطية الموجودة تحت أيدينا مع نسيان وضياع نسخة الأصل.

---

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ١٨١ أ.

(٢) نفسه.

(٣) من نماذج ذلك ما ورد في ترجمة «ابن الصواف الحنفي» من قوله: «.. ولي قضاء حماة، ثم ولي قضاء الحنفية بالديار المصرية بعد صرف القاضي محب الدين بن الشحنة، وذلك في رجب سنة ٨٦٧ هـ.. » - ابن حجر. رفع الاصر ص ١/٢٠٦ - وقوله في ترجمة «العز الحنبلي»: «.. وخلع عليه في يوم السبت تاسع جمادي الآخرة سنة ٨٥٧ هـ. وركب معه بقية القضاة.. وقد ذكره صاحب هذا الكتاب في مكانين منه وأثنى عليه بعد أن روى عنه تذييله على منظومة ابن دنيال - رحمه الله» - نفسه ص ٥٣ - ١/٥٤.

ولكن مع ذلك فانه يمكن اعطاء سمات عامة لهذا الكتاب تبين العلاقة بينه وبين الانباء نذكر منها:

(١) أن «رفع الاصر» يشكل بعداً تاريخياً «للانباء» وذلك لامتداد تراجمه الى أزمنة بعيدة عن السنة التي استفتح بها «الانباء» - سنة ٧٧٣ هـ. - بالاضافة الى وجود الكثير من التفصيلات والخلفيات والدقائق المتعلقة ببعض جوانب وردت لدى «الانباء» مقتضبة، وان كان «الانباء» - مع ذلك - يشكل بعداً تاريخياً لكثير من التراجم المعاصرة الواردة في «رفع الاصر» لاحتوائه على الحوادث المتعلقة بالكثير من تلك التراجم، خاصة فيما تعلق بالولايات الدينية والاستقرارات الوظيفية، أو المجالس والكائنات.

(٢) أن «رفع الاصر» لم يستوعب سائر قضاة مصر، وذلك لالتزام صاحبه بالترجمة لمن أورده «ابن دنيال» في رجزه، وقد سقط منه الكثير، مما جعل غيره يستدرك عليه ما فاته، على نحو ما مر آنفاً، كما أن «ابن حجر» - كذلك - لم يستوعب في «الانباء» كل القضاة المتوفين في حيزة الزماني.

(٣) أن «ابن حجر» لم يستوعب في كثير من تراجم «رفع الاصر» تعدد نوبات القضاء والاستقرار فيه، بل حتى في ترجمة لنفسه، والتي وقف بها عند سنة ٨٢٧ هـ. وفي هذا اجحاف بالمترجم لهم فيه على هذا النحو. فضلا عن أن بعض التراجم قد ترد فيه طويلة، كنحو ترجمته «للبرهان بن جماعة»[١] و «العلم البلقيني»[٢] و «الجلال البلقيني»[٣] و «المجد البلبيسي»[٤] على حين يرد فيه كثير من التراجم المقتضبة كترجمته «للبرهان السعدي الاخنائي»[٥]، و «ابراهيم بن نصرالله العسقلاني»[٦]، وغيرهما.

---

(١) ابن حجر. رفع الاصر ص ٢٩ - ١/٣٦.
(٢) نفسه ص ٢٥٦ - ٢/٢٥٩.
(٣) نفسه ص ٣٣٢ - ٢/٣٣٦.
(٤) نفسه ص ١١٦ - ١/١١٩.
(٥) نفسه ص ٤٠ - ١/٤١.
(٦) نفسه ص ١/٤٢.

(٤) أن «ابن حجر» لم يخل تراجم رفع الاصر من نقد تاريخي [١] أو أدبي [٢] ربما لم يفصح عنه في الأنباء [٣].

(٥) أن الاسلوب في جوانب كثيرة منها متشابه الى حد بعيد، كما أنه كثيراً ما ترك بياضات وفراغات لتتمات تأتي بعد، فظلت كذلك الى ما بعد وفاته [٤].

---

(١) كنحو قوله في ترجمة «السعد الاخنائي»: «.. وكان مهيباً صارماً نزهاً عفيفاً، نافذ الكلمة، عظيم الحرمة، مفضالا، مصمماً على انفاذ الحكم لا يقبل رسالة ولا شفاعة، بل يصدع بالحق، ولا يغضي على باطل أصلا ولا يولي الا مستحقاً، وكان مع ذلك كثير الحلم والستر على من لا يجاهر» ـ نفسه ص ١/٤١ ـ وقوله في ترجمة «ابن الكشك الحنفي»: «.. وهو آخر من بقي من قدماء المدرسين والقضاة» ـ نفسه ص ١/٥٦ ـ وقوله في ترجمة الحافظ أبي زرعة بن العراقي: «.. امام الحفاظ وأستاذ المحدثين» ـ نفسه ص ١/٨١.

(٢) كنحو قوله في المجد البلبيسي ـ ص ١/١١٩ ـ: «.. وكان كثير النظم جيد الوزن فيه، الا أنه لم يكن بالماهر في عمله. وله أشياء كثيرة من قسم المقبول كقوله:

لا تحسبن الشعـــر فضلا بـــارعـــاً ... مـــا الشعـــر الا محنـــة وخيـــال
في الهجـو قـــذف والرثـــاء نيـــاحـــة ... والعتـــب ضعـــن والمديـــح ســـؤال

(من الكامل)

وقوله في ترجمة «ابن خلدون» ـ المصدر السابق ص ٢/٣٤٧ ـ: «.. وقرأت بخط الشيخ تقي الدين المقريزي في وصف تاريخ ابن خلدون: مقدمته لم يعمل مثالها، وانه لعزيز أن ينال مجتهد منالها، اذ هي زبدة المعارف والعلوم، وبهجة العقول السليمة والفهوم، توقف على كنه الأشياء، وتعرف حقيقة الحوادث والأنباء، وتعبر عن حال الوجود، وتنبىء عن أصل كل موجود بلفظ أبهى من الدر النظم، وألطف من الماء مر به النسيم ـ انتهى كلامه. وما وصفها به فيما يتعلق بالبلاغة والتلاعب بالكلام على الطريقة الجاحظية مسلم له فيه، وأما ما أطراه به زيادة على ذلك فليس الأمر كما قال، الا في بعض دون بعض، الا أن البلاغة تزين بزخرفها حتى ترى حسناً ما ليس بالحسن».

(٣) كنحو قوله في ترجمة «البرهان بن جماعة» ـ نفسه ص ٣٠ ـ ١/٣١: «.. وقد قرأت بخطه أجزاء تدل على أنه لم يمهر في فن الحديث، ورأيت له جزءاً خرجه لبعض الرحالة يدل على قصور كثير، مع ما كان عنده من الموارد».

(٤) كنحو قوله في ترجمة «سعد بن ربيعة الصدفي» ـ نفسه ص ٢/٢٤٧ ـ: «.. وذكر ابن يونس أن.....»، وقوله في ترجمة «المرادي العطيفي» ـ نفسه ص ٢/٢٦١ ـ: «.. قدم =

ولذا يمكن القول بأن ترجمات «الانباء» تكمل كل منها الأخرى، بالاضافة الى تعاونها في الكشف عن المنهج التاريخي لدى «ابن حجر».

وللدلالة على ذلك يمكن المقارنة بين ثلاث تراجم وردت عنها أحداث أو ترجمة في «الانباء»، وهي ترجمة «البرهان بن جماعة»، و «الجلال»، و «العلم» البلقينيين.

أما فيما يختص بالبرهان ـ المذكور ـ فاننا نجد «ابن حجر» قد ترجمه في «الانباء» من خلال الحوادث، وأعاد الحديث عنه في ترجمته مقتضبة ـ قياساً بما جاء بشأنه في «رفع الاصر» ـ في سنة وفاته [1]. مغفلا للكثير مما ورد في رفع الاصر ومنه الافصاح عن سائر مصادر ترجمته، حيث أن الوارد في «الانباء» من تلك المصادر في ترجمته: شمس الدين الفيومي الكتبي ـ مشافهة [2] بالاضافة الى قراءة ابن حجر لخط من يثق به [3] على حين أن الوارد في «رفع الاصر» من مصادر ترجمته: الذهبي في المعجم المختص، وجمال الدين عبدالله بن أحمد البشبيشي صاحب كتاب القضاة، والتقي المقريزي، والقاضيان: الجلال البلقيني والولي العراقي، والركراكي، وصهره ـ صهر ابن حجر ـ كريم الدين بن عبدالعزيز ناظر الجيش ـ مشافهة [4].

وطبيعي أن ترد في ترجمته لدى «رفع الاصر» تفصيلات لا ترد أصلا في

= مصر سنة... وجالس عقبة بن عامر» وقوله في ترجمة «عبدالله بن حجيرة» ـ نفسه ص ٢/٢٨٣ ـ: « .. وذكره ابن حبان في الطبقة... من الثقات»، وقوله في ترجمة «ابن عقيل» ـ نفسه ص ٢/٢٨٥: « .. قال الاسنوي في ترجمته.....»، وقوله في ترجمة أبي ثوبان ـ نفسه ص ٢/٣٩٨: « .. فدامت علته الى أن أتت على نفسه فمات، وذلك في سنة...».

(١) راجع العلاقة بين التراجم والحوادث من هذا الباب ص ٢٨٣ وما بعدها.

(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٣٥٥.

(٣) نفسه.

(٤) ابن حجر. رفع الاصر ص ٢٩ ـ ١/٣٦.

« الانباء »: حوادثه وترجماته، ومنها قوله: « .. فاتفق أن بعض الفقهاء ازدراه لأنه لم يكن مشهوراً بالمهارة في الفقه فوصفه بقلة المعرفة، فاتفق أنه دخل عليه فرأى كتبه مصفوفة، فقال: يا مولانا قاضي القضاة ما أحسن تصنيف هذه الكتب ورمز الى أنه قليل الاشتغال فيها، لأن كثرة الاشتغال تنافي حسن التصنيف غالباً. ففهمها وأسرها في نفسه، وكان ذلك الرجل يلي عقود الانكحة فالتمس منه الاذن بذلك فأذن له فاتفق أنه وقع له عقد عقده المذكور فيه خلل فأحضره واستكشف أمره فوجده فاسداً فأمر بتعذيره، وكشف رأسه، وارسل الى الحبس حاسراً، ثم اتفق أن بعض نواب القضاة بالشرقية دخل عليه فسأله عن شيء فأجابه وكشر كالضاحك فتوهم القاضي أنه يستهزىء به، وليس كذلك، بل كان ذلك خلقة في ذلك الرجل، فأمر به فعزز نظير ما عزز الأول فارتدع أهل البلد وهابوه »(١).

أما فيما يختص بالعلم البلقيني، فقد أجمل القول فيه في الحوادث من الانباء قائلا: « .. وفي السادس من ذي الحجة صرف القاضي ولي الدين العراقي عن قضاء الشافعية واستقر عوضه علم الدين صالح بن شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين وكان أخوه جلال الدين لما مات نظمت:

مات جلال الدين قالوا: ابنه يخلفه أو فالأخ الراجح
فقلت: تاج الدين لا لائق لمنصب الحكم ولا صالح

فكان كما قلت، فإنه تولي وظهر منه التهور والاقدام على ما لا يليق وتناول المال من أي جهة حلالا أم حراماً، مالا كان يظن به ولا ألف الناس نظيره من أحد ممن ولي قضاء الشافعية في الدولة التركية »(٢).

على حين نجده قد بسط ما أجمله في « رفع الاصر » قائلا: « .. فما كان

---

(١) نفسه ص ٣١.
(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٢٨٠.

الا أن استقر في المنصب فشمخت نفسه فرأى غيره منه ما لا يرى، وسار سيرة عجيبة يجمع بين دناءة النفس والطمع والحمق.. وقدر وقوع الطاعون الفاشي في ثاني ولاياته فتسلط في تحصيل الأموال من التركات. وكتب مرسوماً استكتب فيه خطوط جميع شهود المراكز أن لا يشهد أحد منهم في الوصية حتى يوصي الموصي فيها للحرمين بشيء فكان الرجل يوصي بما تسمح به نفسه ويموت من يومه غالباً، فيرسل نقيبه فيقبض ما أوصي به. ولم يحصل لأهل الحرمين من ذلك الدرهم الفرد، ولا وجدنا في حساب السنة التي باشرها أنه ورد للحرمين شيئاً الا من جهة واحدة من بلد بالريف بمبلغ تافه مبلغه فضة أربعمائة درهم، ولعله حصل من الجهة المذكورة وحدها عشرة أضعافها ذهباً.

وأما أوقاف الحرمين والصدقات فتحيل على الانفراد بها كل حيلة. وأما المدارس ومتحصلها فلم يصرف للطلبة الا اليسير »[1].

والشيء نفسه نجده في ترجمتي « الجلال البلقيني » لدى ابن حجر في رفع الاصر والانباء، حيث أنه لم يذكر مصدراً واحداً في الترجمة له من « الانباء » بينما نجده في رفع الاصر قد عدد مصادر ترجمته فكان منها: ابن ناصرالدين في ذيل طبقات الحفاظ، والتقي المقريزي، وابن قاضي شهبة، وابن خطيب الناصرية، والعلم البلقيني.

ويتبع ذلك ايراد الكثير من التفصيلات في ترجمته لدى « رفع الاصر » مما لم يرد في « الانباء »، كنحو قوله في رفع الاصر: « .. ووالده في كل ذلك ينوه به في المجالس ويستحسن جميع ما يرد منه، ويحرض الطلبة على الاشتغال عليه »[2]. وقوله: « .. وخلا وجه القاضي جلال الدين. واستمر وباشر المنصب بحرمة وافرة مع لين الجانب والتواضع، وبذل المال والجاه، كل ذلك

---

(١) ابن حجر. رفع الاصر ص٢٥٨ - ٢/٢٥٩.

(٢) نفسه ص ٢/٣٣٢.

تجدد له من شدة ما قاساه من سعي الاخنائي، لكنه كان كثير الانحراف قليل الاحتمال سريع الغضب، لكن يندم ويرجع بسرعة وقد صحبته قدر عشرين سنة فما أصبت أنه وقعت عنده محاكمة فأتمها، بل يسمع أولها ويفهم شيئاً فيبني عليه فاذا روجع فيه بخلاف ما فهمه أكثر النزق والصياح وأرسل المحاكمة لأحد النواب. وما رأيت أحداً مما لقيته أحرص على تحصيل الفائدة منه، بحيث أنه كان اذا طرق سمعه شيء لم يكن يعرفه لا يقر ولا يهتدي ولا ينام حتى يقف عليه ويحفظه»[1]، وقوله بشأن المنافسة بينه وبين الشمس الهروي: «.. فرتب القاضي جلال الدين أخاه القاضي علم الدين في أسئلة يبديها مشكلة ويحفظه أصلها وجوابها ويستشكلها ويخص الهروي بالسؤال عنها فيضج الهروي من ذلك. والمراد من كل ذلك اظهار قصور الهروي»[2].

بينما انفرد «الانباء» بذكر بعض تفصيلات من ترجمة «الجلال البلقيني» لم ترد في رفع الاصر أصلا، منها قوله: «.. وكان يذاكر الناس في التفسير كل يوم جمعة من حين وفاة أبيه الى شوال سنة ثلاث وعشرين، وكان ابتدأ فيه من الموضع الذي انتهى اليه أبوه وقطع عند قوله: من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد»[3] وكذا تفصيلات المجلس المعقود للهروي في حضرة السلطان مما يتمم ما ورد بشأنه ـ من الكلام الآنف الذكر ـ في رفع الاصر[4].

---

(١) نفسه ص ٢/٣٣٤.
(٢) ابن حجر. المصدر السابق ص ٢/٣٣٦.
(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٢٦٠.
(٤) نفسه ص ٣/٥٧ وما بعدها.

رابعا ـ المجمع المؤسس للمعجم المفهرس

عنوان الكتاب

جاء في النسخ الخطية ومنها نسختان بخط «ابن حجر» أن اسم هذا الكتاب هو: «المجمع المؤسس للمعجم المفهرس»، بينما تفردت نسخة دار الكتب المصرية بتسميته باسم «المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس»، وهي تسمية وردت لدى كل من: «البقاعي» و «السخاوي» و «السيوطي» في ترجمتهم لابن حجر[1]. لكن التسمية الأولى أولى، لأنها التي أوردها مؤلف الكتاب، فضلا عن أنها مثبتة عليه بخطه، سواء في خطبة الكتاب أم في آخره.

تاريخ تأليفه والفراغ منه

أشار «ابن حجر» فيه الى أن ابتداء تأليفه له كان بعدن سنة ست وثمانمائة للهجرة، والى أن الفراغ منه كان بالقاهرة يوم الخميس سادس عشر جمادي الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة[2]. على حين جاء في نسخة سابقة لهذه النسخة الحاملة لتلك المعلومات ـ أنه فرغ من ترتيبه سنة سبع عشرة وثمانمائة[3]. كما نبهت احدى النسخ المأخوذة عن معجمه الى أنه «كمل في شعبان سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة[4].

---

(١) البقاعي. عنوان الزمان ق ١/٥١، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧٨ أ السيوطي. نظم العقيان ص ٤٧.

(٢) كما في آخر ورقة من مخط. المكتبة الأزهرية بالقاهرة.

(٣) كما جاء في آخر نسخة من مخط. مكتبة مراد ملا بتركية.

(٤) كما جاء في مخط. ابراهيم باشا بالاسكندرية.

ويبدو أن «ابن حجر» بعد أن فرغ من تأليفه عاد اليه منقحا ومعدلا سواء بالحذف أو بالاضافة، كما يظهر من كثرة الشطب والاضافات في نسختيه، ومن قوله في احداهما: «.. يقول أحمد بن علي بن حجر: ظفرت بالفرجة - أي الصفحة - الملحقة مقابها، وهي بخط صاحبنا صلاح الديل خليل بن محمد بن عبدالله الاقفهسي بعد بضع عشرة سنة من تكميل هذا المعجم فألحقت ما تضمنه من ترجمة زائدة عمن لم يقدم ذكره، ونبهت في كل ترجمة منها على ذلك». بالاضافة الى اثباته تواريخ وفيات تمتد بالكتاب حتى سنة خمس وأربعين وثمانمائة للهجرة[١].

نسخ الكتاب

قدر لهذا الكتاب أن يبقى محفوظا في عدة نسخ خطية اطلعت منها على خمس هي:

(١) نسختا المؤلف، وهما في حكم المسودة للكتاب لكثرة ما فيهما من الشطب والطمس بالمداد، والاحالة الى معلومات وتتمات تأتي في هوامش الصفحات أو في رؤسهن، والتبييض في كثير من المواضع.. الخ، ويبدو أن «ابن حجر» لم يحرر للكتاب غيرهما[٢].

---

(١) حيث أرخ وفاة سليمان بن عبدالله بن يوسف البيري الحلبي بسنة ٨٣٣ هـ. - ق ٢٢٦ - ووفاة الكلوتاتي بسنة ٨٣٥ هـ. - ق ٢١٢ - ووفاة أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد الواسطي بسنة ٨٣٦ هـ. - ق ٤٠ أ - وكذا وفاة محمد بن عبدالرحيم المنهاجي - ق ٢٦٧ أ - ووفاة كل من: سبط ابن العجمي - ق ١٩٩ أ - والشهاب القرداح - ق ٢٠٠ أ - وعلي بن موسى بن ابراهيم الروحي - ق ٢١٨ - ومرتضى بن عبدالله الصوفي - ق ٢٤٤ - بسنة ٨٤١ هـ. ووفاة محمد بن أحمد بن عثمان البساطي - ق ٢٥٧ - وابن ناصر الدين - ق ٢٦٠ ب، ١٦١ أ - بسنة ٨٤٢ هـ. وابن خطيب الناصرية بسنة ٨٤٣ هـ. - ق ٢٤١ ب، ٢٤٢ أ - وأحمد بن نصرالله البغدادي - ق ٢١٩ ب، ٢٢٠ أ - بسنة ٨٤٥ هـ.، وان كان الصواب تأريخها بالتي قبلها.

(٢) حيث يشير السخاوي في الجواهر والدرر إلى أن ابن حجر قد ترك معجمه في نسختين من =

الأولى منهما فرغ من كتابتها سنة سبع عشرة وثمانمائة للهجرة، وتقع في ١٧٠ ورقة - تقريبا - مقاسها ١٦،٥ × ٢٢ سم ومسطرتها حوالي ٢١ سطرا وتحتفظ بها مكتبة مراد ملا - بتركية - تحت رقم ٦٠٣، وعنها مسورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٤/٤٤٠ تاريخ.

والثانية فرغ من كتابتها سنة تسع وعشرين وثمانمائة للهجرة، وتقع في ١٦٢ ورقة مقاسها ١٨ × ٢٦ سم، ومسطرتها حوالي ٢٦ سطرا، وتحتفظ بها المكتبة الأزهرية بالقاهرة تحت رقم (٨٧٨) ١٣٦٠ - مصطلح حديث وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٤٤٠ تاريخ.

(٢) نسخة نقلت عن النسخة الثانية تقع في ٤٦٣ ورقة مقاسها حوالي ١٦ × ٢١ سم، فرغ من نسخها سنة ٨٥٩ هـ. ولم يشر فيها الى اسم ناسخها أو هويته، وتحتفظ بها دار الكتب المصرية تحت رقم ٧٥ مصطلح حديث، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٧٨٠ تاريخ ونسخة أخرى حديثة كتبت سنة ١٩٥١ م./١٣٧٠ هـ. بخط «محمد قناوي» تحتفظ بها مكتبة الأزهر بالقاهرة تحت رقم ٩٣٤ مصطلح حديث، وتقع في حوالي ١٢٧٧ ورقة.

(٣) نسخة نسخت في المحرم المكي تجاه الكعبة سنة ٨٧٧ هـ. عن نسخة «ابن فهد المكي»، تقع في ٢٨٧ ورقة مقاسها ٢٦ × ١٨ سم، ومسطرتها حوالي ٢٥ سطرا، وبها آثار طوبة، وهي محفوظة بجامع ابراهيم باشا بالاسكندرية تحت رقم ١٦، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/٤٤٠ تاريخ، وقد اتخذت أصلا لهذه الدراسة وللترجمة لابن حجر من هذا البحث.

(٤) نسخة كتبت في القرن التاسع الهجري بخط نسخ حسن في غاية الدقة

= خطه - ق ١٧٨ أ - ويبدو أنه عني بقوله: «في تصنيفين» اختلاف مادتيها، كما هو واضح من مراجعتها

من حيث التنظيم والتبويب، تقع في مجلدتين تحتويان على حوالي ٢٧٥ ورقة مقاسها ١٨ × ١٣ سم، ومسطرتها حوالي ١٩ سطرا، تبدأ أولاهما بأول الكتاب وتنتهي بنهاية ترجمة علي بن محمد بن محمد وتحتوي على ١٩٥ ورقة بينما تبدأ الثانية بترجمة عمر بن نصير بن رسلان البلقيني، وتنتهي بنهاية الكتاب وتحتوي على ١٨٠ ورقة، ولا يعرف ناسخها أو تاريخ فراغه من نسخها وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣/٤٤٠ تاريخ.

موضوع الكتاب

أشار «ابن حجر» في مقدمة معجمه الى محتواه والغاية من تأليفه، فضلا عن نهجه في تنظيمه وتبويبه قائلا:

«.. أما بعد فان كثيرا من سلف المحدثين اعتنوا بجمع أسامي شيوخهم وتدوين أخبارهم فتغايرت مقاصدهم في الترتيب، فرأيت أن أحذو حذوهم وأسير تلوهم لأتذكر عهدهم وأجدد لهم الرحمة بعدهم، فجمعت أسامي شيوخي على المعجم مرتبا وقسمتهم على قسمين مهذبا.

فالأول من حملت عنه على طريق الرواية، والثاني من أخذت عنه شيئا في المذاكرة من الأقران ونحوهم، وقد قسمتهم من حيث العوالي الى خمس مراتب..»[١].

مشيرا الى أنه ذكر في ترجمة كل منهم جميع مسموعه عليه، وان لم يستوعبه في بعضهم[٢].

وهو بهذا يشير الى أن معجمه قد جمع فيه تراجم من أخذ عنه سواء كانوا من مشايخه أو رفاقه ونحوهم مسندا مسموعه عنهم اليهم وان زاد عليهم فصلا

---

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق٢ ب.
(٢) نفسه ق١٤٢ أ.

في « معرفة الشيوخ الذين أجازوا عموما وفي اجازتهم بعض خصوص كقيد البلد ونحوهما « لتستفاد ترجماتهم »، مشيرا الى أنه ليس من أصل الكتاب، وانما هو زائد عليه لعدم اعتداده بالرواية والاجازة العامة[1].

ويضاف الى ذلك أن ابن حجر قد سلك في ترتيب معجمه على حروف الهجاء نهجا هو:

قسمته الى معجمين يحتوي كل منهما على قسم من القسمين السابق الاشارة اليهما. ولذا جاء القسم الثاني مستفتحا بقوله: « بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي، الحمد لله الكبير المتعال والصلا والسلام على سيدنا ومولانا محمد صاحب الكمال والجمال والرتب العوال وعلى آله وصحبه أشرف صحب وأطهر آل وسلم تسليما كثيرا الى يوم الحشر والزلزال، وبعد ـ فأقول: لما انتهيت من أصله المنقبس أردفت ذكر المعجم الثاني من شيوخ كاتبه المفهرس، فأقول وهي الطبقة الصغرى ومن ألحق بهم من الأقران وغيرهم.. »[2] وكان قبل ذلك قد ختم القسم الأول بقوله: « آخر المعجم الأول، يتلوه المعجم الثاني »[3].

ومع ترتيب كل منهما على حروف الهجاء فانه قد اعتنى بسرد ترجمات النساء في كل حرب تلو آخر الرجال فيه مصدرا ذلك بقوله: « .. من النساء في هذا الحرف.. »[4] اللهم الا اذا كان هذا الحرف لا يحتوي الا على ترجمة واحدة من تراجم الرجال أو لا يحتوي أصلا على أي من ترجماتهم فان هذه العبارة تسقط.

كما أنه قد قدم في حرف الميم من اسمه واسم أبيه فجده (محمد) تبركا[5].

---

(١) المصدر السابق ق١٨٦ أ.

(٢) نفسه ق١٩٨ أ.

(٣) نفسه ق١٨٥ أ.

(٤) انظر على سبيل المثال ق١٣٢ ب، ١٢٧ أ، ١٢٦ أ.

(٥) نفسه ق١٤٣ أ، حيث قوله: « .. ذكر من اسمه محمد، وكذا أبوه وجده تبركا بالاسم الشريف ».

ثم أتبعهم بمن اسم أبيه «أحمد أو غيره»، بالاضافة الى أنه أورد من اسمه «أبو بكر» بين حرفي الألف والباء معللا لذلك بقوله: «لأنا ان اعتبرنا الجملة فأولها ألف وان اعتبرنا الركن فأوله الباء» (1).

وبالدراسة النقدية المقارنة بين مادة «الانباء» والمجمع المؤسس يمكن ملاحظة الآتي:

(١) أن كثيرا من ترجمات المجمع المؤسس تدخل في الحيز الزماني المصاحب فلانباء باعتبار أن سائر المترجم لهم فيه ممن عاصر «ابن حجر» وتحمل عنهم بالقراءة والسماع أو بالاجازة.. وبالتالي أورد لهم ترجمات في «انباء الغمر» وان انفرد المجمع المؤسس بالكثير من التراجم التي لم ترد في «الانباء» لأنها كانت من مجهولات الوفاة بالنسبة لابن حجر، أو لأن أصحابها كانوا وقتها أحياء، وظلوا كذلك الى ما بعد وفاة «ابن حجر» أو انتهائه من كتابة آخر حوليات الانباء.

(٢) أن «الانباء» يشكل بعدا تاريخيا للمجمع المؤسس لاحتوائه على الحوادث بما فيها من مادة مكملة لعناصر الترجمات.

(٣) أنه قد اتبع في المجمع المؤسس المسلك نفسه المتبع في الانباء من تبييض للمعلومات في مواضع كثيرة من الترجمات (2) أو الاتيان بأسماء مجردة

---

(١) نفسه ق ٤٥ ب.

(٢) من أمثلة ذلك التبييض لسنة الوفاة في ترجمة «ابن القرع» قائلا: «.. ومات في...» ـ المصدر السابق ق ١٧٦ ب ـ على الرغم من وفاته سنة احدى عشرة وثمانمائة ـ السخاوي. الضوء اللامع ص ٨/٢٥٣ تر ٦٩١ ـ ولذا لم ترد له ترجمة في الانباء. وتبييضه لما أجازه أبو القاسم بن أحمد بن محمد المقرىء البرزالي قائلا: «.. قدم حاجا سنة ثمانمائة وأجاز...» ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٤٢ ل ـ وتبييضه لمعلومات تتعلق بما تحمله عن احدى ترجماته قائلا: «.. قرأت عليها مشيختها تخريج...» ـ نفسه ق ١٦٧ أ ـ وتبييضه للاسم قائلا في ترجمة أحمد بن أيوب بن ابراهيم: «... ابن المنفر» ـ نفسه ق ١٨٦ أ..

غير مترجم لها فيه[١] أو الاحالة في أثناء الترجمات الى تتمات ومعلومات تأتي في ترجمات أخرى[٢] أو عدم الدقة في تأريخ الوفاة[٣] أو التثبت من المعلومات أحياناً[٤].

(٤) عدم الموازنة بين ترجمة وأخرى من حيث الحيز المكاني، فقد تأتي ترجمة شاغلة لبضع ورقات[٥] بينما تأتي أخرى شاغلة لبضعة أسطر[٦] أو

---

(١) من ذلك قوله: «أحمد بن عبدالله بن أحمد السمريائي الحنبلي العربياني» - هكذا - ق ١٨٧ أ - وقوله: «عبدالله بن محمد بن عبدالله بن خليل» - هكذا مجردا - ق ١٩٠ ب.

(٢) كنحو قوله في ترجمة الفخر القاياتي: «.. وسيأتي سنده في ترجمة محمد بن علي البالسي أن شاء الله» - نفسه ق ١٥٨ ب - وقوله في ترجمة خديجة بنت تقي الدين محمد»: «.. وسيأتي ذكر شيء من مروياتها في ترجمة أخيها ان شاء الله تعالى» - نفسه ق ٦١ ب - وقوله في ترجمة الجمال المصري: «.. وقد أجاز له من تقدم ذكره في ترجمة أحمد بن علي الفاسي» - نفسه ق ٢٦٣ أ.

(٣) حيث أتى كثير من الوفيات خلوا من تأريخ له كما فعل بترجمة أحمد بن أقبرص - المصدر السابق ق ١٩ أ - وأحمد بن عبدالقادر البعلي - نفسه ق ٣٣ ب - نفسه ق ٤٤ ب - أو بلفظة التبغيض، كنحو قوله في ترجمة الفتح بن الخراط «مات سنة بضع وثمانمائة» - نفسه ق ١٧٩ ب - أو بما قبل السنة المثبتة كنحو قوله في ترجمة عثمان بن محمد الشفري: «.. مات قبل سنة ٨٣٠ هـ.» - نفسه ق ٢٣٨ ب، أو التأرجح في سنة الوفاة، كما فعل في ترجمة وجيه الدين العلوي الزبيدي، حيث قال: «.. مات سنة ٨٠٣ أو ٨٠٤» - نفسه ق ٢٣٦ ب.

(٤) كنحو قوله في ترجمة ابن حازن الأزرعي الحنفي: «.. وأظن أني قرأت عليه.. ولم أتحقق ذلك حال كتابتي لهذه الأسطر» - نفسه ق ١٦٥ أ - وقوله في ترجمة فاطمة بنت المنجا التنوخية: «.. هذا آخر ما وجدته عندي وما أظنني استوعبت، والله أعلم» - نفسه ق ١٤٢ أ.

(٥) من نماذج ذلك ترجمة كل من: البرهان الشامي الضرير - نفسه ق ٢ أ: ١٢ ب، وابن المجاور الرسام - ق ١٤ أ: ١٧ أ، وشهاب الدين المحدث - ق ٢٣ أ - والزين العراقي - ق ٩٩ أ: ١٠٩ ب.

(٦) من نماذج ذلك قوله: «محمد بن حسن بن علي البيجوري، الفقيه شمس الدين الشافعي، سمع من عبدالرحمن بن القارىء في صحيح البخاري، وعلي عزالدين بن جماعة جزءاً من تخريج الدمياطي لنفسه عنه. سمعت عليه وتفقه وبرع ومات سنة سبع وعشرين وثمانمائة» - نفسه ق ٢٦٤ ب.

مترجمة في أقل من السطر[1]. وبالتالي فانه لم يعن بالموازنة بين قسمي المعجم من حيث عد الترجمات فيهما، فيهما، فضلا عن المساحة المخصصة لكل قسم وينحسب ذلك تماما على المساحة التي يشغلها الحرف الواحد.

وطبيعي أن يكون لكل هذا تأثيره في مادة الترجمات من حيث الزيادة أو النقص في عناصر الترجمات، والاسهاب أو الاقتضاب في العنصر الواحد.

(٥) أنه لم يخل تراجم معجمه من النقد التأريخي[2] أو الأدبي[3]، كما أنه كان شديد الاعتناء بذكر علاقاته بالمترجم لهم فيه، مع وجود صفة غالبة على كل من انتظم فيه وهي المعاصرة، حيث الاتصال بهم والتحمل عنهم[4].

(٦) أن مادة المجمع المؤسس تتعاون مع مادة الانباء في الكشف عن منهج «ابن حجر» في الكتابة التاريخية، بالاضافة الى اعطاء صورة متكاملة بالنسبة لفكرة تجاه من ترجم لهم فيهما، ويمكن أن نعطي لذلك الأمثلة في محورين هما:

أ - تعاون المجمع المؤسس مع الانباء في الكشف عن منهجه في استخدام المصادر، خاصة الوارد فيه من نقول مسندة الى مصدرها ويكون لها في الانباء مقابل. حيث ورد في المجمع المؤسس قوله في النصفي الحنبلي[5]

---

(١) كنحو قوله: «عبدالرحمن بن سلطاني بن الزغبوب الدمشقي. مات سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة» - نفسه ق ١٩١ أ.

(٢) كنحو قوله بشأن البرهان التنوخي: «.. ونزل أهل مصر بموته في الرواية درجة» - نفسه ق ١٢ ب، وقوله بشأن فاطمة بنت المنجا التنوخية: «.. تفردت بالرواية عنهم في الدنيا» - نفسه ق ١٣٣ أ - وقوله في حق ابن مكي المقدسي: «.. وكان مزجي البضاعة في العلم» - نفسه ق ٥٨ ب.

(٣) كنحو قوله في ترجمة ابن ناصرالدين: «.. ونظر في الأدب حتى نظم الشعر الوسط» - نفسه ق ٢٦١ أ.

(٤) كقوله في ترجمة التقي المقريزي: «.. وبيننا من المودة ما لا يسعه الورق» - المصدر السابق ق ٢١٤ ب.

(٥) نفسه ق ٢٦٣ ب.

(ت ٨٠٣ هـ./١٤٠١ م.): مسندا الى ابن حجي الحسباني: « .. قال ابن حجي: كان فقيها محدثا حافظا قرأ الكثير وحرر واتقن وألف وجمع وكان قد تخرج بابن المحب وابن رجب، وأفتى مع الانجماع والتقشف»، بينما يقابل ذلك في ترجمته من الانباء قوله[1]: « .. قال ابن حجي: كان فقيها محدثا حافظا، قرأ الكثير وضبط وحرر واتقن وألف وجمع مع المعرفة التامة. تخرج بابن المحب وابن رجب، وكان يفتي ويتقشف مع الانجماع. ولم يكن الحنابلة ينصفونه».

وبالمقارنة بين المنقولين يتضح أن «ابن حجر» قد أسقط من ترجمته في المجمع المؤسس كلمة «ضبط»، وأتبع كلمة «جمع» في الانباء قوله: «مع المعرفة التامة» مع اسقاط «كان قد»، وابدال «أفتي» بقوله: «وكان يفتي» وقوله: «مع الانجماع والتقشف» بقوله «ويتقشف مع الانجماع»، على حين زاد في الانباء قوله: «ولم يكن الحنابلة ينصفونه» مما يشير الى تصرفه في عبارة مصدره.

ب ـ التكامل بين ترجمات الانباء والمجمع المؤسس من حيث المعلومات الواردة فيها، ومن أمثلته قوله في المجمع المؤسس[2] مترجما لابن المنهاجي (ت ٨٣٦ هـ./١٤٣٣ م.): «محمد بن عبدالرحيم بن أحمد المنهاجي شمس الدين، كان أبوه أعجوبة في حسن الأدب مشهور بذلك، وهو سبط الشيخ شمس الدين بن اللبان، واشتغل شمس الدين كثيرا ونظم الشعر وفاق الأقران ولازم شيخنا ابن جماعة فمهر في الفنون. ومولده سنة اثنتين وسبعين تقريبا. سمعت من شعره وطارحني ومدحني بقصيدة. مات سنة ست وثلاثين وثمانمائة».

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٢/١٨٦ تر١٠٥.
(٢) ابن حجر. المجمع المؤسس ق٢٦٧ أ.

ويقابل ذلك في الانباء[1] قوله: «محمد بن عبدالرحيم بن أحمد المنهاجي المعروف بسبط ابن اللبان، الشيخ شمس الدين الشافعي. ولد بعد السبعين، واشتغل قديما، وأخذ عن مشايخ العصر كالعز بن جماعة وشمس الدين بن القطان وقرأ علي ابن القطان صحيح البخاري بحضوري، وقرأ عليّ ترجمة البخاري يوم الختم، وتعاني نظم الشعر فمهر فيه، وله عدة قصائد ومقاطيع، ومهر في الفقه والأصول، وعمل المواعيد وشغل الناس ولزم بآخرة جامع عمرو بن العاص يقرأ فيه الحديث والمواعيد ويشغل الناس. وكان حسن الادراك واسع المعرفة بالفنون، حج في هذه السنة من البحر فسلم ودخل مكة في شهر رجب مجاورا الى زمن اقامة الحج فحج وقضى نسكه ورمى جمرة العقبة ثم رجع فمات بمنى قبل الطواف الافاضة. سمعت من نظمه وطارحني مرارا وكتب عني كثيرا».

ومع تطويله لترجمته في الانباء نجد أن المجمع المؤسس قد انفرد بتحديد سنة مولده على وجه التقريب «ومولده سنة اثنتين وسبعين تقريبا» على حين انفرد الانباء بايراد بعض الشيوخ المأخوذ عنهم مما لم يرد في المجمع المؤسس وكذا قراءته على ابن حجر، والعلوم التي مهر المترجم له فيها وحاله قبل الوفاة مع ذكر كيفيتها وتحديد موضعها.

وعلى العكس من ذلك تماما، فان ترجمته لابن البيطار (ت ٨٢٥ هـ./١٤٢٢ م.) في معجمه[2] يمكن الاستغناء بها عن ترجمته في الانباء، حيث الوارد في الانباء[3] قوله: «محمد بن علي بن خالد الشافعي، شمس الدين المعروف بابن البيطار، سمع من عبدالرحمن بن الشيخ علي بن هرون القارىء مشيخته تخريج شيخنا العراقي، وسمع من غيره، ولازمنا في

---

(١) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٥٠٨ تر١٨.
(٢) ابن حجر. المجمع المؤسس ق٢٦٧أ.
(٣) ابن حجر. انباء الغمر ص ٣/٢٩٢ تر٢٣.

الاسماع على المشايخ كثيرا. وكان وقورا ساكنا حسن الخلق كثير التلاوة، ومات في ربيع الآخر».

ويقابله قوله في المجمع المؤسس «محمد بن علي بن خالد بن محمد بن أحمد شمس الدين ابن البيطار. ولد سنة اثنتين وخمسين وسمع علي عبدالرحمن بن القارىء، وسمع علي شرف الدين عبدالرحمن بن عساكر شيئا من النسائي.. وهذا القدر هو فوت ابن الصواف، وسمع مجموع ابن الصواف على أصحابه وسمع الكثير معنا، وأسمع أولاده، وأجاز في استدعاء ابني محمد، وكان حسن المست كثير التلاوة. مات في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة». وهنا نجد أن ترجمته في «الانباء» لا تزيد عما ورد في المجمع المؤسس. قد انفرد بتأريخ مولده، والاسهاب في ذكر من تحمل عنهم من الأساتيذ، وطرق مسموعه عليهم، وعلاقة ابن حجر به.

بل وحتى في موضع تطابق المعلومات الواردة بشأن المترجم لهم لديه في «الانباء» والمعجم لانعدم الوقوف على افادة أو اضافة، ومن نماذج ذلك قوله في المجمع المؤسس[1] بشأن ابن مقبل التركي (ت ٨٠٦ هـ./١٤١٤ م.): «محمد بن مقبل بن عبدالله التركي، تفقه في صباه وسمع من كلام بعض الظاهرية ففتن به وأكب على الاشتغال بكلام ابن حزم وغيره، وكتب الكثير بخطه، واشتهر بذلك ولم يكن بالماهر، وكان يرفع يديه في كل خفض ودفع ويحف شاربه. رأيته مرارا وسمعت كلامه. مات في سنة ست وتسعين وسبعمائة».

ويقابله قوله في الانباء[2]: «محمد بن مقبل التركي. تفقه في صباه وأحب

---

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق٢٧١أ.
(٢) ابن حجر. انباء الغمر ص ١/٤٨٤ تر٢٥.

مذهب الظاهرية فتظاهر به، وكان يحف شاربه ويرفع يديه في كل خفض ورفع، وكتب بخطه كثيرا جدا ».

وهكذا فان المجمع المؤسس ـ في هذا الموضع ـ أفاد عنصرا لم يرد في « الانباء » وهو المشاهدة والسماع عليه.

الخاتمـــة

على الرغم من أهمية ما خلفه «ابن حجر» من الكتابات التاريخية أسقطه من جانب المؤرخين بعض الدارسين المحدثين، وتضاءلت قيمة مؤلفاته لدى البعض الآخر وربما كان مرد ذلك إلى أمور منها:

(١) غلبة جانب المحدث على «ابن حجر»، واشتهاره به.

(٢) اغفال هذا النوع من النقاد دراسة مؤلفاته التاريخية للوقوف على أهميتها.

(٣) ما شاع من أن العصر المملوكي كان عصر تقليد انعدمت فيه الجدة وخلا من الابتكار، ومن أن الكتابات في هذا العصر لا تعدو أن تكون مختصرات أو شروحا لما سبق أن كتب فيه، أو موسوعات تحتوي على جمع تأليفي لشتات حضارة بغداد بعد سقوط الخلافة فيها.

ولذا فان هذا البحث قد عنى بالكشف عن بيئة «ابن حجر» المكانية والزمانية بكل ما فيها من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية... بالاضافة إلى الترجمة «لابن حجر» في باب مستقل بهدف الكشف عن شخصيته وادراك مدى تأثره بهذه البيئة وتـأثيره فيهـا كـذلـك. وبـالتـالي انعكاسات كل على كتاباته، حيث توصلت مع ذلك إلى نقاط جانبية من أهمها:

تعدد مصادر ترجمته واعتناء القدامى بتتبع حياته بالدراسة والتدوين -

الاختلاف في اثبات سلسلة نسبه لدى مترجميه، بل ولديه كذلك، وكذا الاختلاف في تحديد يوم مولده ووفاته على وجه صائب - تنوع علومه وتعددها وكثرة شيوخه وأساتذته - اعتناء «ابن حجر» بالرحلة والطلب مما انعكس على كتاباته التاريخية كذلك وصبغها بالصبغة الشمولية - توليه الكثير من الوظائف العلمية والولايات الدينية حيث وفر له كل هذا الاتصال بالحوادث والمشاركة فيها ومصاحبة رجالات الدولة من سلاطين وخلفاء وأمراء وولاة وغيرهم... وهو ما مكن له من الاطلاع على شئون الدولة والتعرف على وثائقها والتثبت من صحة أخبارها، حتى لقد تفرد بذكر الكثير من الحوادث وجوانب الشخصيات المترجمة لديه في «الانباء»، بل ربما عد مصدراً وحيداً لبعض التراجم، كما مر في الترجمة للزين العراقي.

أما الباب الثاني فقد خصص للدراسة المنهجية «للانباء» حيث أمكنني الاشارة إلى أهميته الكامنة في كونه المؤلف الوحيد «لابن حجر» المشتمل على الحوادث والتراجم، والذي كان معاصراً لحيزه الزماني مدركاً لما فيه مشاركاً في حوادثه مخالطاً للكثيرين ممن ترجموا لديه فيه.

وان لم يعرف على وجه اليقين ابتداء «ابن حجر» بالشروع في تدوينه فانه من المجزوم به أنه لم يكن يكتب حوادثه حال وقوعها، وانما بعد انقضاء أمد بعيد من ذلك، كما انه كان دائب الرجوع اليه منقحا ومهذبا بالاضافة أو بالحذف، ولذا ظل الكتاب إلى وفاته في المسودة إلى أن قدر له الذيوع والانتشار بعد موته، دون مراعاة من النساخ والناشرين قدامى ومحدثين لرغبة مؤلفه في تجزئته - وهو منهج مرعى ومدرك لديه - حيث تخطوا تقسيمه إلى تقسيمات أخرى مغايرة روعي فيها الشكلية البحتة التي لم تكن يعيرها بالا.

ولقد اتضح أن النسق الفني للانباء يتمثل في تنظيمه على مقدمة متبوعة بمعلومات نظمت على الحوليات المتتابعة الافراد ابتداء بحولية ثلاث وسبعين وسبعمائة للهجرة وانتهاء بحولية خمسين وثمانمائة مع مراعاة أن تذكر الحوادث والتراجم فيها منفصلة عن الأخرى من حيث النسق الترتيبي، وقد نظمت

تراجم الوفيات حسب حروف الهجاء مع اعتبار اسم المترجم له فحسب، أما الحوادث فقد روعي فيها أن تأتي متتابعة التسلسل في صدر حولياتها، ولم يسر فيها على وتيرة واحدة.

كما لوحظ ـ كذلك ـ عدم اعتناء «ابن حجر» بالتنسيق بين عدد الصفحات أو كمية المعلومات الواردة في الحوليت فرادى، فضلاً عن اغفال التنسيق الفني في البناء الداخلي للحولية المفردة حيث لا يوجد مثل هذا التناسق بين التراجم والحوادث من حيث المساحة الشاغلة لها أو العد فيها، ولعل علة ذلك راجعة إلى طبيعة كاتبها وتوفره على المصادر وتوفر المصادر له، فضلاً عن نوع المعلومات المدونة لديه.

أما النسق التعبيري للانباء فيشير إلى مميزات خاصة باسلوب «ابن حجر» تتمثل في فصاحة اللفظ ومعجميته، وتخير أساليبه البلاغية، وتضمينه للعبارات البليغة شائعة الاستعمال لدى كتاب العصر، مع توارد الاصطلاحات والتعبيرات المعروفة لعصره، وكذا التأثر بالقرآن الكريم والاقتباس منه، والاعتناء بتضمين الحوادث والتراجم للكثير من الشواهد الشعرية، والابتعاد عن السجع والتكلف واستعمال المختصرات والمزاوجة في تدوين التواريخ بين الأرقام والحروف، وضبط الأسماء في الاعلام والأنساب والأمكنة بالحروف، تحرياً في الدقة والبعد عن التصحيف، والافصاح عن رأيه وانفعالاته بعبارات وألفاظ سافرة، واستعماله اصطلاحات ومختصرات المحدثين.

كما ذيلت على ذلك بابراز اتجاه «ابن حجر» إلى الشمول الوضعي والموضوعي لحوادثه قصدا إلى اكتمال الحدث بتتابعه وتسلسل عناصره في موضع واحد أو الاحالة في الحوادث والتراجم إلى معلومات فائتة أو لاحقة تحقيقاً لذلك، فضلا عن توجيه الحوادث وجهة نقدية بهدف الافصاح عن حال من تعلق به الحدث، أو توظيف الحدث للابانة عن تعاطفه مع بعض الشخصيات والتأثير في نفس المطالع له، أو بتتبع الرواية المصاحبة له.

وعن طبيعة الحوادث وأسس انتقاء مادتها فقد اتضح أن « الانباء » اشتمل على الحوادث الواقعة بين سنة مولده وسنة خمسين وثمانمائة وقد راعى فيها الشمولين النوعي والمكاني وان استأثرت حوادث الدولة المملوكية من بينها بالحيز الكبير باعتبارها دولة الخلافة التي نشأ « ابن حجر » في أرضها وتكون وعاش في ظلها ، ولذا لم تقتصر أحداث حولياته على المجال السياسي فقط ، وانما كان مع ذلك التطرق باسهاب الى نواح متعددة من ادارية متمثلة في ايراد الكثير من الاستقرارات الوظيفية وما قد يطرأ عليها من تغيرات وما يعتريها من الاخلال أو الاستقرار والانتظام معللا وناقدا ، وما يتعلق بها من الرسوم وان لم تكن مطردة بحيث يمكن أن تستخرج منها قوائم متسلسلة ومكتملة ـ وسياسية مختصة بالعلاقات الداخلية والخارجية للدولة المملوكية مع الاعتناء ببيان أثر سياسة الدولة المملوكية على الرأي العام في وقته ووقعه على الأنفس ، كما أبرز أعمال السلاطين والأمراء فيما تعلق بالعمارة والبناء ، وكذا حياتهم الخاصة ، مع اثبات المراسم الصادرة من الادارة المملوكية ، وكذا حال النيل وما يتبعه من حالات اقتصادية وما قد يصيب مجتمعه من النكبات والأمراض ، كما اهتم بأمر الحاج ، وما يظهر من البدع والكائنات ، أو يقع من المنافسة بين العلماء ، أو افشاء العوام والمماليك للفتن والفوضى والثورات ، وما تعلق بأهل الذمة من الأحوال .. مع عدم اغفال الترجمة الذاتية له كلما سنحت الحال ، وكذا تسجيل الكثير من الظواهر الطبيعية والعجائب ومستغربات الحدوث شأنه في ذلك شأن كتاب الحوليات المتقدمين والمعاصرين واللاحقين . وهي غالبا ما تعبر عن شعور ديني خاص كان سائدا في عصره .

كما اتضح أنه لم يفرد مكان الصدارة في حولياته لنوع معين من تلك الحوادث اللهم الا أن يكون لتلك الحوادث المفردة بالصدارة غلبة على عصره أو فكره لما لها من تأثير على الرأي العام في وقته .

أما التراجم فانها قد تفاوتت من حيث العدد بين حولية وأخرى ، وتغايرت الأسماء بين مؤرخ وآخر ، ولكن مع هذا فانه يمكن أن نميز « لابن

حجر» في هذه الناحية منهجا اعتمد في انتقاء التراجم على أسس رئيسة تمثلت في الشهرة ـ أيا كانت في المنصب أو الوظيفة أو الحرفة، في العلم أو الجهل به، في الحفظ وجودة القريحة، في الرياسة والوجاهة، في اللعب والتمهر فيه، في الالتزام بالدين أو التهتك فيه.. والشمول النوعي، حيث لم يقصر ترجمات الوفيات على نوع واحد من الأعلام المشاهير سواء في الجنس أو في الأصل أو في الديانة أو في المذهب أو في المنصب أو في الوظيفة أو في الحرفة أو في العلم والمعرفة، والشمول المكاني حيث ظهر حرصه على ايراد تراجم متعلقة بكل من شهر في عالمه ما دام قد اطلع على مادة ترجمته وضبط تاريخ وفاته.

ومع أن المادة التاريخية الموجودة في ترجمة ما تختلف عن الأخرى حسب طبيعة المترجم، فانه قد أمكن بعد درسها أن نميز له عناصر رئيسة تناولت: الاسم واللقب، والكنية، واسم الشهرة، والنسبة، والموطن، والألقاب العلمية، والصفات الأصلية، والمولد، وتقدير عمر المترجم له، والتأريخ لوفاته، مع تحديد كيفية الوفاة والعلة فيها، وحال المترجم له عند ذلك، والنشأة والتكوين، ومنزلة المترجم له ومكانته ووظائفه وأعماله وسجاياه وصفاته، وعلاقاته بالأهل والأقران، وعلاقة «ابن حجر» به، مع تفصيل القول في كل عنصر منها مشيرا الى أن مثل تلك العناصر لا تجتمع بالضرورة في ترجمة واحدة، كما أن الطول والقصر في مادة العنصر الواحد راجع الى أمور منها: طبيعة المترجم له وتخصصه، وطبيعة المادة المنتقى منها هذا العنصر، أو هذه الترجمة، ونوعية المصدر سواء كان مكتوبا أو معاصرا.

وذيلت على ذلك بدراسة موضوع التوازن الزماني بين حوليات الكتاب مشيرا الى انعدام ذلك معللا له بأن «ابن حجر» لم يكن من بين هؤلاء الذين يأخذون بالشكليات، حيث ديدنه في الالتزام بمنهج يلح به على تقرير شمولي لأحوال عصره تتعاون فيه الحوادث والتراجم في التأريخ لها بالاضافة الى جدارة الحدث أو الترجمة بالتسجيل على سبيل الاسهاب أو الاقتضاب أو الاسقاط والاهمال.

وعلى الرغم مما شاع لدى المؤرخين والباحثين المحدثين من انتفاء العلاقة بين التراجم والحوادث لدى كتاب الحوليات التقليديين، واعتبار التنظيم داخل الحولية الواحدة على الحوادث والوفيات فصلا تاما فيما بينهما بحيث يمكن جمع كل قسم منهما في مؤلف مستقل قائم بذاته دون تأثير في طبيعة المؤلف الأصلي ـ فانه قد اثبت من خلال دراسة « الانباء » عكس ذلك تماما فالعلاقة وثيقة بين مادة الكتاب أحداثه وترجماته، وهي لم تأت عفوية أو ارتجالية، وانما كانت وراءها أصبع « ابن حجر » التي وجدت في مناسبة الوفاة فرصة لاستخدامها في تحقيق هذه الغاية، ومن علامات ذلك ودلائله: العلاقة الزمانية فيما بينهما، والتي اقتضته اثبات وتوزيع معلوماته على جزءي الكتاب، باعتبار أن الحوادث محتوية على أخبار متنوعة بين ادارية وسياسية واقتصادية واجتماعية.. على حين أن التراجم في حد ذاتها اخبار عن الوفاة ومفارقة الحياة المألوفة، وكل حدث في الحيز الزماني للحولية الواحدة، والعلاقة فيما بينهما من حيث الموضوع والمتمثلة في الترجمة بالاحالة الكلية على الحوادث، وقد ورد اسم المترجم له في الوفيات مجردا عن أية معلومات اكتفاء بما جاء في الحوادث، والاحالة الى الحوادث في تضاعيف الترجمات، والاحالة في الحوادث الى الترجمات، والترجمة لبعض الوفيات في الحوادث ـ مع ادراك « ابن حجر » لذلك ونصه عليه في أكثر من موضع ـ والتكامل بين الحوادث والتراجم، حيث اتيان الكثير من الترجمات بأبعاد تاريخية للحوادث فضلا عن مادة الكتاب مجتمعة لامتداد جذورها الى ما قبل حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة المتصدرة للكتاب، وباعتبار أن « ابن حجر » كان ديدنه التأريخ بالحدث والترجمة معا، ولذا جزأ معلوماته على الحوادث والترجمات مما لا يتأتى معه اعتماد الحوادث وحدها في كثير من المواضع دون رجوع الى الترجمات لاستكمالها وتتبع خيوطها وأبعادها. وعلاقة السببية التي ظهرت الوفيات فيها مرتبة على الحوادث، وظهرت الحوادث ـ كذلك ـ مسببة لها، وصارت الوفيات تبعا لذلك توكيد لها وتقريرا، وتشكيل الحوادث لمادة التراجم سواء بالاختصار أو التركيز أو الاعادة أو الاضافة، وتوظيف التراجم

في النقد التأريخي للحوادث، والعلاقة بين مادة الكتاب ومصادره باعتبار أنه قد ترجم لأصحاب هذه المصادر في موضعهم من الوفيات.

ولقد تنوعت مصادر مادة «الانباء»، حيث لم يقتصر «ابن حجر» فيه على المصادر المكتوبة ـ على الرغم من افادته منها كثيرا ـ وانما نجده قد أخذ مادته فضلا عن ذلك عن طريق: المشاهدة والمشاركة ـ وقد أدرك قيمتها فاندفع يلح في الاشارة اليها بألفاظ متعددة دالة على المعاصرة ومداها تتصدر غالبا منقولة وقد ربطت بينه وبين ذاتية موردها ـ والمشافهة، سواء منها ما ورد على لسان المترجم له أو قرابته أو المتصلين به، أو شاهد عيان لواقعة تاريخية حضرها و «ابن حجر» عنها غائب، بل لقد كان منها ما نسب الى بعض أصحاب التواريخ المكتوبة والمساءلة والمكاتبة استنادا الى معرفة المسئول ـ فيما يظن ـ بموضوع المساءلة سواء كانت هذه المساءلة شفهية أو كتابية، ناهيك عن الاستفادة من الاجازات والسماعات، والوثائق والخطوط، ومؤلفات له ونتاجه، ومجاميع الشيوخ والصحاب..

وكما تنوعت مصادره، فان طرقه في الانتساب الى هذه المصادر قد تنوعت كذلك لتتمثل في: الاشارة الى المصادر، سواء في صدر مؤلفه أو من خلال المنقول عنها في حولياته، والاشارة الى موضع النقل، والاشارة الى بداية النقل وانتهائه وان أغفل مع ذلك التصريح بمصادره في مواضع كثيرة استنتج من مقابلتها بمصادرها بعض عبارات وألفاظ اصطلاحية له ـ غالبا ـ ما تعبر عن مصدر واحد، وهي دلالات النقل لديه عند عدم التصريح به.

ووضح اهتمام «ابن حجر» بمصادر مصادره ادراكا منه لأهمية ذلك في تعليل أفضلية المصدر المنقول عنه، فضلا عن توثيقه، وبالتالي توثيق مادة الانباء ما نقل عنه.

واتضح أن «ابن حجر» قد عالج مصادره بطرق شتى، تكشف لا ريب عن شخصيته المصاحبة لكل منقول مثبت لديه، وان لم تعبر في الغالبية العظمى

منها عن العبارة الأصلية للمنقول عنه، أمكن حصرها في: الالتزام الحرفي بمادة مصادره قدر امكانه ـ انتقاء المنقول مع الحفاظ على ألفاظ المصدر الأصلي ـ التصرف في النص من حيث اللفظ تعديلا وابدالا، زيادة واختصارا مع الحفاظ على النسق الترتيبي للمصدر الأصلي ـ التصرف في النص من حيث اللفظ تعديلا وابدالا، زيادة واختصارا مع الحفاظ على النسق الترتيبي للمصدر الأساسي للمنقول ـ الالتزام بالحرفية للألفاظ قدر امكانه مع تغيير النسق الترتيبي وتعديله ـ التصرف في اللفظ والنسق الترتيبي معا ـ النقل بالفكرة مع اغفال العبارة الأصلية لمصدره..

كما بدت له نظرة عالج بها المصادر سواء بمعاملته للنقول على أنها جزئيات تخضع لتصديق العقل اياها أو ردها أو بالنقد الشمولي للمصدر ككل.

ومع هذا وذاك، ومع ولعه بتحري الدقة في النقل عن مصادره، فانه قد جانب الصواب في مواضع متعددة أمكن اعطاء نماذج لها.

كما ظهر «ابن حجر» معنيا بالنقد التأريخي ممارسا له في سائر جوانب كتابه ملحا عليه بشتى الطرق التي في مكنته التعبير بها، انطلاقا من مفهومه للتأريخ وهو مفهوم ذو صلة بالحديث النبوي وما يتبعه من جرح وتعديل، ومن تذوقه للأدب ومشاركته فيه، بالاضافة الى ما رزقه من حس تأريخي ناقد.

وان أدى هذا المسلك الناقد في الكتابة التأريخية الى تعرضه لكثير من المشاحنات والعداوات الى الحد الذي جعل بعضهم ينزهه عن الكتابة التاريخية جملة.

وأمكن الكشف عن منهجه في النقد التأريخي من خلال دراسة احدى فتاويه ردا على سؤال سائل بشأن هذا، مقارنا ذلك بما ورد في «الانباء» من جوانب تطبيقية، حيث ميزت له أنواعا من النقد تمثلت في:

(١) نقد الرجال من خلال الكشف عن بعض الصفات الأصلية فيهم المعبرة عن حال المترجم لهم لديه، وما يتبع ذلك من جرحهم وتعديلهم.

(٢) اصدار الأحكام والتقاويم على الملوك والسلاطين ونواب السلطنة والأمراء والمباشرين والقضاة والفنانين من خلال مقاييس خاصة بكل طبقة على حدة متبوعة بصفات مبحوثة فيهم ومثبتة عليهم سلبا أو ايجابا.

(٣) نقد الحوادث، وقد توزع بين نقد الروايات التاريخية، وبين اصدار الأحكام والتقاويم على الحوادث والرجال معا، وبين نقد الحوادث في حد ذاتها نقدا جزئيا، مع الاعتناء بالنقد الكلي من خلال الشواهد الشعرية المنبثة في الحوادث والتراجم والموجهة وجهة نقدية هادفة الى ابراز وتجسيم أهم خصائص وقضايا مجتمعه، بالاضافة الى ابراز وتعليل العوامل الفاعلة في الحوادث وتقويمها.

واتضح علاوة عن ذلك أن «ابن حجر» من المؤرخين المنصفين في النقد حيث ظهر حرصه على نقل آراء الموافقين والمخالفين في المترجم له بهدف اعطاء صورة عنه تكون مكتملة، ومناقشة مصادره فيما أوردته من تقاويم وأحكام مناقشة منهجية اقتضته تفنيد الكثير من عباراتها معللا نشدانا للانصاف والصواب، وحرصه على الدقة بالتحري عن معلوماته قبل اثباتها، حتى ولو صدرت عن المترجم له عينه، وتعديله لمادة عناصره وقد أثبتها في صورتها الأولى نتيجة لما حصله من مادة مصوبة لها وايراده الحكم أو التقويم معللا وليس مجردا..

لكن مع ذلك وقع له الخطأ في بعض مواضع من حولياته نتيجة لسهو اعتراه أو اخلال بالدقة في النقل عن بعض مصادره في مواضع معدودات، أو لأنه لم يكن ممن يتوجه الى الكتابة التاريخية بالكلية. بالاضافة الى ولعه بالنقد الأدبي وتوظيفه للأدب في التأريخ ونقده الى الحد الذي جعله يغفل الرواية التاريخية لدى مصدره استنادا الى تفضيل ما صاحب تلك المواضع من انفعال

أدبي مقلد، فأتى حكمه خاطئا لأنه أسس على ذلك.

كما أمكن الاشارة من خلال دراسة مؤلفات «ابن حجر» التاريخية المعاصرة للحيز الزماني «للانباء» الى أن هذا المنهج في الكتابة التاريخية مطابقي وبالتالي متأصل وراسخ في نفس مورده، كما أن مادة هذه المؤلفات الداخلة في الحيز الزماني للانباء تكمل الموضوع والفكر فيه باعتبار أن فكر المؤرخ الواحد لا يمكن تجزئته، وأنها تمثل مصادر أصيلة وأساسية في سبيل التأريخ لعصره.

ملحق رقم «٣»

السبت ٢٢ من المحرم سنة ٨٢٧ هـ.	تولى «ابن حجر» القضاء استقلالا بعد انفصال «العلم البلقيني» عنه.
٨ من ذي القعدة سنة ٨٢٧ هـ.	صرفه بالهروى.
٢ من رجب سنة ٨٢٨ هـ.	اعيد بعد صرف «الهروى» ونازعه النجم بن حجي في هذه الولاية وسعى عليه جهرة، لكنه لم يتم له أمر.
٢١ من صفر سنة ٨٣٣ هـ.	صرفه بالعلم البلقيني.
٢٦ من جمادي الأولى سنة ٨٣٤ هـ.	اعيد بعد انفصال العلم البلقيني.
٥ من شوال سنة ٨٤٠ هـ.	صرف بالعلم البلقيني.
٦ من شوال سنة ٨٤١ هـ.	اعيد بعد صرف العلم البلقيني.
٩ ربيع الآخر سنة ٨٤٢ هـ.	عزل نفسه، فأعاده السلطان وقبل وخلع عليه.
٢٢ من المحرم سنة ٨٤٤ هـ.	رفعت قضية مغلوطة الى السلطان مفادها أن: «ابن حجر» قد فرط في تركة أحد الأوصياء، فبادر بتعيين «الونائي» للقضاء وراسل «ابن حجر» بما يفهم منه العزل، فانجمع في بيته، لكن لم يتم «للونائي» أمر، واعيد «ابن حجر» الى القضاء بسعاية تلميذه «الناصري محمد بن السلطان جقمق» يوم الاثنين ٢٦ من الشهر المذكور».

١٥ من ذي القعدة سنة ٨٤٦ هـ. صرف عن القضاء بسبب حكمه في أمر امرأتين
من أهل الشام تنازعتا في نظر وقف والدهما ـ بما
لا يعجب السلطان ـ فراسله السلطان بالاجتماع
به، وعذره في حكمه.
١٨ من ذي القعدة سنة ٨٤٦ هـ. عاد الى القضاء بعد هذه الوقعة.
١١ من المحرم سنة ٨٤٩ هـ. صرف «بالقاياتي» بعد تغيظ السلطان عليه.
٢٥ من صفر سنة ٨٥٠ هـ. اعيد بعد موت «القاياتي».
؟؟ من المحرم سنة ٨٥١ هـ. صرف بالعلم البلقيني.
٨ من ربيع الآخر سنة ٨٥٢ هـ. اعيد بعد انفصال «السفطي».
٢٥ من جمادى الآخرة سنة ٨٥٢ هـ. عزل نفسه عن القضاء، ولم يلبه الى أن مات

خريطة زمانية توضح نوبات «ابن حجر»
في القضاء

ملحق رقم «٤٤»: موقع عسقلان على الخريطة

مصادر البحث ومراجعه

أولاً ـ المصادر[1]

(أ) المصادر الخطية:

ـ البقاعي، برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر (ت ٨٨٥ هـ./١٤٨١ م.):

(١) عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران. مصورة دار الكتب المصرية رقم ١٠٠١ تاريخ (عن مخط. كوبريلي زادة بالآستانة)، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣٤٢ تاريخ.

(٢) عنوان العنوان. مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٤٧٤ تاريخ ـ تيمورية.

ـ ابن تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ./١٤٧٠ م.):

(١) الدليل الشافي على المنهل الصافي. مخط. قرة جلبي بتركيا رقم ٢٦٦، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٤٤ تاريخ.

(٢) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي:

ـ مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٣٠١٨ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٨٤١ تاريخ.

ـ مخط. دار الكتب المصرية رقم ١١١٣ تاريخ.

ـ مخط. عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٦٣٠ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٢٧١ تاريخ.

---

(١) رتب هذا الثبت ترتيبا هجائيا مع اسقاط «ابن» و «أبو».

(٣) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة:

- مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٣٠٣٨، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية رقم ٥٣٥ تاريخ.
- مخط. الظاهرية بدمشق رقم ٣٠ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣/٥٣٥ تاريخ.
- مخط. فيض الله بتركيا رقم ١٤٠٦، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٥٣٥ تاريخ.

- ابن حبيب، بدر الدين أبو محمد الحسن بن عمر (ت ٧٧٩ هـ./١٣٧٧ م.): درة الأسلاك في دولة الأتراك. مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٣٠١١، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٢٣٥ تاريخ.

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ./١٤٤٩ م.):

(١) انباء الغمر بأنباء العمر:

- مخط. الظاهرية بدمشق رقم ٢٤١ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٥/٦٥.
- مخط. أحمد الثالث باستانبول رقم ٢/٢٩٤١ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٦٥، ٣ تاريخ.
- مخط. أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٩٤٢ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/٦٥ تاريخ.
- مخط. الأزهرية بالقاهرة رقم ٧١٠ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٥٨٧ تاريخ.
- مخط. الأوقاف العامة ببغداد رقم ٥٨٨٣، وعنه مصورة معهد أحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٤٠٤ تاريخ.
- مخط. الرباط رقم ٣٢٤ ك، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٤٠٥ تاريخ.
- مخط. السعيدية بالهند رقم ٩٤ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٩١٠ تاريخ.

- مخط. مدينة بالهند رقم ٥٢٢، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/٩١٠ تاريخ.
- مخط. دار الكتب المصرية رقم ٢٤٧٦ تاريخ، ٨٨٤٤ ح.

(٢) انتقاض الاعتراض. مخط. المكتبة العمومية بدمشق رقم ٩٩.

(٣) ذيل الدرر الكامنة. مخط. دار الكتب المصرية رقم ٦٤٩ - تيمورية وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٥٠ تاريخ.

(٤) رفع الأصر عن قضاء مصر:
- مخط. الآصفية بالهند رقم ٩٠ تراجم، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/١٠٧٤ تاريخ.
- مخط. خدابخش بتنة بالهند رقم ٢٤٨٣، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/١٠٧٤ تاريخ.
- مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٠٥ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٦٧٤ تاريخ.
- مخط. فيض الله بتركيا رقم ١٤٥٥ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٢٦٠، ٢ تاريخ.

(٥) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس:
- مخط. جامع ابراهيم باشا بالاسكندرية رقم ١٦، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/٤٤٠ تاريخ.
- مخط. الأحمدية بحلب رقم ٣٤٥، وعنه مصورة احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣/٤٤٠ تاريخ.
- مخط. الأزهرية بالقاهرة رقم ١٣٦٠ (٨٧٨) مصطلح، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٤٤٠ تاريخ.
- مخط. دار الكتب المصرية رقم ٧٥ مصطلح، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٧٨٠ تاريخ.
- مخط. مراد ملا بتركية رقم ٦٠٣، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٤/٤٤٠ تاريخ.

(٦) المعجم المفهرس (تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة).

ـ مخط. دار الكتب المصرية رقم ٨٢ مصطلح، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية رقم ٨١٥ تاريخ.

ـ ابن خطيب الناصرية، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سعد الطائي (ت ٨٤٣ هـ./١٤٤٠ م.):

(١) الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب. مخط. الأحمدية بحلب رقم ٢٠٣٦ وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٦٥٠ تاريخ.

(٢) مجموع ابن خطيب الناصرية. مخط. الخالدية بالقدس رقم ٣١ تراجم وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١١٩٨ تاريخ.

ـ ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدمر (ت ٨٠٩ هـ./١٤٠٧ م.): الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين:

ـ مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٢/٢٩٨٤، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣/٢٠٨ تاريخ.
ـ مخط. التيمورية بالقاهرة رقم ١٤٩٢ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/٢٠٨ تاريخ.
ـ مخط. حكيم أوغلي على بتركيا رقم ٧٣٧، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٢٠٨ تاريخ.
ـ مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٥٨٧ تاريخ (المصور عن مخط. أيا صوفيا بتركيا رقم ٤١٧٢)، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٤/٢٠٨ تاريخ.

ـ سبط ابن حجر، جمال الدين يوسف بن شاهين (ت ٨٩٩ هـ./١٤٩٤ م.): رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ:

ـ مخط. الخالدية بالقدس رقم ١١ تراجم، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٠٨٧ تاريخ.
ـ مخط. مدينة بالهند رقم ٤٩٣، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية رقم ٢٧٢ تاريخ، ٦٨٩ تاريخ.

ـ السخاوي، أبو الخير محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢ هـ./١٤٩٧ م.):

الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر:

- مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٩٩١، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٢٠٤ تاريخ.
- مخط. دار الكتب المصرية رقم ٤٧٦٨ تاريخ (المصور عن مخط الأهلية بباريس رقم ٢١٠٥)، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/٢٠٤ تاريخ.
- مخط. الخزانة الملكية بالرباط رقم ١٥٠٠، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة، بدون فهرسة.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ./١٥٠٦ م.):

المنجم في المعجم. مخط. دار الكتب المصرية رقم ٥٢٦ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٥٢٨ تاريخ.

- ابن الشحنة، محب الدين أبو الوليد محمد بن كمال الدين محمد بن محمد بن محمود (ت ٨١٥ هـ./١٤١٢ م.):

روض المناظر في علم الأوائل والأواخر. مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ١/٢٩٠٢ وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٧٠ تاريخ.

- عبدالله بن زين الدين بن احمد بن محمد بن ابراهيم بن زكريا بن خليل:

جمان الدرر من ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر. مخط. دار الكتب المصرية رقم ٧٢٦ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٩٨ تاريخ.

- العيني، بدرالدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن يوسف (ت ٨٥٥ هـ./١٤٥١ م.):

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان مج ١٩، مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٩١١، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣٣٤ تاريخ.

- ابن الغزي، محمد بن أحمد بن عبدالله العامري (ت ٨٦٤ هـ./١٤٦٠ م.):

بهجة الناظرين الى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين:

ـ مخط. دار الكتب المصرية رقم ٣٤٠٣ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٨٥ تاريخ.
ـ مخط. الظاهرية بدمشق رقم ٥٥ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٥٩٤ تاريخ.

ـ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت ٨٣٢ هـ./١٤٢٩ م.):

ذيل التقييد بمعرفة رواة السنن والأسانيد. مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٩٨ مصطلح، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية رقم ٦٧١ تاريخ.

ـ ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥١ هـ./١٤٤٨ م.):

(١) الاعلام بتاريخ أهل الزمان. مخط. مصور بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٢ تاريخ (عن مخط. الأهلية بباريس)، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٩٩ تاريخ.

(٢) طبقات الشافعية:
ـ مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٨٣٦، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/٣١٢ تاريخ.
ـ مخط. خدابخش بتنة بالهند رقم ٢٤٥٥، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/١١٢٥ تاريخ.
ـ مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٥٦٨ تاريخ، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٧٢٤ تاريخ.
ـ مخط. كوبريلي بتركيا رقم ١٠٢٨، وعنه مصورة معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣١٢ تاريخ.
ـ مخط. الناصرية بلكنو بالهند رقم ١٠٠، ١٠١ رجال حديث وعنهما مصورتي معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقمي: ١١٢٥/١، ٣.

ـ المناوي، عبدالرؤوف (ت ١٠٣٥ هـ./١٦٢٦ م.):

اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر. مخط. دار الكتب المصرية رقم ٩١ تيمورية ـ مصطلح حديث.

- ابن ناصر الدين الحنبلي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالله (ت ٨٤٢ هـ./١٤٣٩ م.):

توضيح المشتبه للذهبي. مخط. الظاهرية بدمشق رقم ١٥١ تفسير.

ب - المصادر المطبوعة:

- ابن أبي الدم الحموي، أبو اسحاق ابراهيم بن عبدالله (ت ٦٤٢ هـ/١٢٤٩ م.):
أدب القاضي المسمى «الدر المنظومات في الأقضية والحكومات» ت. محمد مصطفى النزحيلي. دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٧٥.

- ابن الأثير، عزالدين بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٣ م):
الكامل في التاريخ. بيروت، الكاتب العربي، ط ٢، ١٩٦٢.

- ابن الأزرق، أبو عبدالله محمد (ت ٨٩٦ هـ./١٤٩١ م.):
بدائع السلك في طبائع الملك. ت. د. علي سامي النشار. بغداد، الاعلام، ٧٧ - ١٩٧٨.

- الاسنوي، جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢ هـ./١٣٧١ م.):
طبقات الشافعية. ت. عبدالله الجبوري. بغداد، الأوقاف، ط ١، ١٩٧١.

- ابن اياس الحنفي، أبو بكر محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ./١٥٢٤ م.):

- بدائع الزهور في وقائع الدهور. ت. محمد مصطفى. فيسبادن، ١٩٦١ - ١٩٧٥.

- المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور. القاهرة، السعب، ١٩٦٠.

- البغدادي، عبدالقاهر (ت ٤٢٩ هـ./١٠٣٧ م.):
الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم. بيروت، الآفاق الجديدة، ١٩٧٣.

- البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت ٧٣٩ هـ/١٣٣٩ م.):
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. ت. علي محمد البيجاوي. القاهرة، عيسى الحلبي، ط ١، ١٩٥٥.

- البكري، أبو عبدالله عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧ هـ./١٠٩٤ م.):
معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع. ت. مصطفى السقا. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧.

- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين بن يوسف (ت ٨٧٤ هـ./١٤٧٠ م.):

- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور. ت. وليم بوبر وغيره. كاليفورنيا، ١٩٣١.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (جـ ١). ت. أحمد يوسف نجاتي. القاهرة، دار الكتب، ١٩٥٦.
- مورد اللطافة. ت. د. كارليل. أوربا، ط ١، ١٧٩٢.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة، مختلفة.

- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب (ت ٢٥٥ هـ./٨٦٩ م.):
مقالة الزيدية والرافضة - ضمن كتاب رسائل الجاحظ. ت. عبدالسلام هارون. القاهرة، الخانجي، ط ١، ١٩٧٩.

- الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦ هـ./١٤٢٣ م.):
التعريفات. تونس، الدار التونسية، ١٩٧١.

- الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣ هـ./١٤٣٠ م.):
غاية النهاية في طبقات القراء ت. ج. برجستراسر. القاهرة، الخانجي، ١٩٣٣.

- ابن جاعة، بدر الدين أبو اسحاق ابراهيم بن سعد الدين (ت ٧٣٣ هـ/١٣٣٣ م):
تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم. بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٦٧ هـ./١٦٥٧ م.):
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بغداد، المثنى، بدون تاريخ.

- الحاكم النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٤٠٥ هـ./١٠١٤ م.):
معرفة علوم الحديث. بيروت، المكتب التجاري، بدون تاريخ.

ـ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٩ م)

ـ انباء الغمر بأنباء العمر. ت . حسن حبشي. القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، ١٩٦٩ ـ ١٩٧٢. (٣ جـ.)
ـ ـــــــ . ت. السيد عبدالله بن أحمد بن محمد المديحج الهند، دائرة المعارف العثمانية، ٦٧ ـ ١٩٧٦. (٩ جـ.)
ـ ـــــــ . ت. محمد أحمد دهمان. دمشق، المكتب الاسلامي، ١٩٧٩. (جـ ١)
ـ الاصابة في تمييز الصحابة. ت. علي محمد البيجاري. القاهرة، نهضة مصر، ١٩٧٢.
ـ بلوغ المرام من أدلة الأحكام. ت. رضوان محمد رضوان. بيروت، المكتب العربي، بدون تاريخ.
ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه. ت. علي محمد البيجاوي. القاهرة، الدار المصرية، ٦٥ ـ ١٩٦٧.
ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. بيروت، دار الجيل، بدون تاريخ.
ـ رفع الاصر عن قضاة مصر. ت. د. حامد عبدالمجيد وغيره. القاهرة، الأميرية، ٥٧ ـ ١٩٦١. (٢ جـ.)
ـ لسان الميزان. بيروت، الأعلمي، ط ٢، ١٩٧١.

ـ ابن حزم الأندلسي الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٤ م):
الفصل في الملل والأهواء والنحل. بيروت، المعرفة، ط ٢، ١٩٧٥.

ـ الخصاف، أبو بكر أحمد بن عمرو بن مهير الشيباني (ت ٢٦١ هـ/٨٤٧ م):
أدب القاضي. ت. فرحات زيادة. القاهرة، الجامعة الأمريكية، ١٩٧٩.

ـ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ./١٠٧١ م.):

ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام. بيروت، الكاتب العربي، بدون تاريخ.
ـ الكفاية في علم الرواية. بيروت، الدار العلمية، بدون تاريخ.

ـ ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله (ت ٧٧٦ هـ./١٣٧٥ م.):
الاحاطة في أخبار غرناطة. ت. محمد عبدالله عنان. القاهرة، الخانجي، ٧٣ - ١٩٧٧.

ـ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ./١٤٠٦ م.):
تاريخ ابن خلدون. بيروت، دار البيان، بدون تاريخ.

ـ ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ./١٢٨٢ م.):
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ت. د. احسان عباس. بيروت، صادر ١٩٧٧.

ـ الداودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥ هـ./١٥٣٩ م.):
طبقات المفسرين. ت. علي محمد عمر. القاهرة، وهبة، ط ١، ١٩٧٢.

ـ الدواداري، أبو بكر عبدالله بن أيبك (ت ٧٣٢ هـ./١٣٣٢ م.):
كنز الدرر وجامع الغرر:
جـ ٧ ت. د. سعيد عبدالفتاح عاشور. القاهرة، ١٩٧٢.
جـ ٨ ت. أولرخ هارمان. القاهرة، ١٩٧١.

ـ ابن دقماق، ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت ٨٠٩ هـ./١٤٠٧ م.):
الانتصار لواسطة عقد الأمصار. بيروت، المكتب التجاري، بدون تاريخ.

ـ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ./١٣٤٨ م.):

ـ تذكرة الحفاظ. الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٥ - ١٩٥٨.
ـ دول الاسلام. ت. فهيم محمد شلتوت، ومحمد مصطفى ابراهيم. القاهرة الهيئة المصرية، ١٩٧٤.
ـ العبر في خير من غبر. ت. د. صلاح الدين المنجد. الكويت، ٦٠ - ١٩٦٦،.

ـ الرازي، فخرالدين محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ./١٢٠٩ م.):
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. القاهرة، الأزهرية، ١٩٧٨.

- ابن رجب، عبدالرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥ هـ./١٣٩٣ م.):
الذيل على طبقات الحنابلة. القاهرة، ١٣٧٣ هـ.

- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ./١١٤٤ م.):
القسطاس المستقيم في علم العروض. ت. بهيجة باقر الحسني. بغداد، ١٩٦٩.

- ابن سبعين، أبو محمد عبدالحق (ت ٦٦٩ هـ./١٢٧١ م.):
رسائل ابن سبعين. ت. د. عبدالرحمن بدوي. القاهرة، الدار المصرية، ١٩٦٥.

- السبكي، تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب (ت ٧٧١ هـ./١٣٧٠ م.):
طبقات الشافعية الكبرى. بيروت، المعرفة، ط ٢، بدون تاريخ.

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢ هـ./١٤٩٧ م.):

- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ. ت. فرانز روزنثال ـ ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين. بغداد، المثنى. ١٩٦٣.
- ــــــ . القاهرة، القدسي، ١٣٤٩ هـ.
- التبر المسبوك في ذيل السلوك. القاهرة، الأزهرية، بدون تاريخ.
- الذيل على رفع الاصر أو بغية العلماء والرواة. ت. د. جوده هلال، ومحمد محمود صبيح. القاهرة، الدار المصرية، ١٩٦٦.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. بيروت، الحياة، بدون تاريخ.

- السمناني، أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد (ت ٤٩٩ هـ./١١٠٦ م.):
روضة القضاة وطريق النحاة. ت. د. صلاح الدين الناهي. بغداد، ١٩٧٤.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ./١٥٠٦ م.):

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. ت. محمد أبي الفضل ابراهيم. القاهرة، عيسى الحلبي، ط ١، ١٩٦٥.
- تاريخ الخلفاء. بيروت، الثقافة، بدون تاريخ.
- التحدث بنعمة الله. ت. اليزابيت ماري مارتين. القاهرة، ١٩٧٢.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. ت. عبدالوهاب عبداللطيف بيروت، دار احياء السنة، ط ١، ١٩٧٩.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. ت. محمد أبي الفضل ابراهيم.

القاهرة، عيسى الحلبي، ط ١، ١٩٦٧.
- ذيل طبقات الحفاظ. الهند، دائرة المعارف العثمانية، بدون تاريخ.
- طبقات الحفاظ. ت. علي محمد عمر. القاهرة، وهبة، ط ١، ١٩٧٣.
- نظم العقيان في أعيان الأعيان. ت. د. فيليب حتي. نيويورك، ١٩٢٧ م.

- أبو شامة المقدسي، شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن بن اسماعيل (ت ٦٦٥ هـ./١٢٦٨ م.):
الروضتين في أخبار الدولتين، والذيل عليها. بيروت. دار الجيل، ط ٢، ٧٤.

- ابن شداد، عزالدين أبو عبدالله محمد بن علي (ت ٦٨٤ هـ./١٢٨٥ م.):
الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. ت. دومنيك، وسامي الدهان. دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ٥٣ - ١٩٦٢.

- ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن تميم (ت ٦٣٢ هـ/١٢٣٤ م):
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين. ت. د. جمال الدين الشيال. القاهرة، الدار المصرية، ط ١، ١٩٦٤.

- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم (ت ٥٤٨ هـ./١١٥٣ م.):
الملل والنحل - على هامش كتاب الفصل لابن حزم الأندلسي.

- الشوكاني، علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ./١٨٣٥ م.):
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. القاهرة، ط ١، ١٣٤٨ هـ.

- ابن صصري، محمد بن محمد:
الدرة المضية في الدولة الظاهرية. ت. د. وليم. م. بريز. كالفورنيا، ١٩٦٣.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ./١٢٦٣ م.):
الوافي بالوفيات:
جـ ١١ ت. جاكلين سوبله، وعلي عمارة. فيسبادن، ١٩٨٠.
جـ ١٢ ت. د. رمضان عبدالتواب. فيسبادن، ١٩٧٩.

- ابن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان (ت ٦٤٣ هـ./١٢٤٥ م.):
مقدمة ابن الصلاح. ت. د. عائشة عبدالرحمن. القاهرة، الهيئة المصرية، ١٩٧٦.

- ابن الصيرفي، علي بن داود الجوهري (ت ٩٠٠ هـ./١٤٩٤ م.):
- انباء الهصر بأنباء العصر. ت. د. حسن حبشي. القاهرة، الفكر العربي، ١٩٧٠.
- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان. ت. د. حسن حبشي. القاهرة، دار الكتب، ٧٠ - ١٩٧٤. (٣ جـ.)

- الصيمري، أبو عبدالله حسين بن علي (ت ٤٣٦ هـ./١٠٤٥ م.):
أخبار أبي حنيفة وأصحابه. بيروت، الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٧٦.

- طاش كبري زادة، أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨ هـ./١٥٦١ م.):
مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. ت. كامل كامل بكري، وعبدالوهاب أبي النور. القاهرة، الكتب الحديثة، ١٩٦٨.

- ابن طولون الصالحي، شمس الدين محمد (ت ٩٥٣ هـ./١٥٤٧ م.):
القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية. ت. محمد أحمد دهمان. دمشق، مجمع اللغة العربية، ٨٠ - ١٩٨١.

- ابن عباد، الصاحب (ت ٣٨٥ هـ./٩٩٥ م):
نصرة مذهب الزيدية. ت. ناجي حسن. بغداد، ١٩٧٧.

- ابن العربي، محيي الدين محمد بن علي (ت ٦٣٨ هـ./١٢٤٠ م.):
انشاء الدوائر الاحاطية. ليدن، ١٣٣٩ م.

- علي باشا مبارك
الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة. بولاق، ١٣٠٥ هـ.

- العماد الأصفهاني، أبو عبدالله محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧ هـ./١٢٠١ م.):
الفيح القسي بالفتح القدسي. ت. محمد محمود صبيح. القاهرة، القومية، ١٩٦٥.

- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي (ت ١٠٨٩ هـ./١٦٧٩ م.):
شذرات الذهب في أخبار من ذهب. بيروت، المكتب التجاري، بدون تاريخ.

- القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ./١١٤٩ م.):
الالماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع. ت. السيد أحمد صقر. القاهرة، دار التراث، ١٩٧٨.

- الغزي، تقي الدين بن عبدالقادر التميمي الداري (ت + ١٠٠٥ هـ./ + ١٥٩٧ م.):
الطبقات السنية في تراجم الحنفية. ت. عبدالفتاح أحمد الحلو. القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، ١٩٧٠.

- أبو الفدا، عماد الدين اسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ./١٣٣١ م.):

- تقويم البلدان. ت. رينود، وماك كولين ديسلان. بغداد، المثنى، بدون تاريخ.

- المختصر في أخبار البشر. القاهرة، الحسينية، ط ١، ١٣٢٥ هـ.

- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم (ت ٨٠٧ هـ./١٤٠٥ م.):
تاريخ ابن الفرات (مج ٩) ت. د. قسطنطين زريق. بيروت، الجامعة الأمريكية، ٣٦ - ١٩٣٨.

- ابن فهد المكي، تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد (ت ٨٧١ هـ./١٤٦٧ م.):
لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ. الهند، دائرة المعارف العثمانية، بدون تاريخ.

- ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥ هـ./١٦١٦ م.):
ذيل وفيات الأعيان المسمى «درة الحجال في أسماء الرجال». ت. محمد الأحمدي أبي النور. القاهرة، التراث، ١٩٧٠.

- ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن محمد (ت ٨٥١ هـ./١٤٤٨ م.):
تاريخ ابن قاضي شهبة (مج ١). ت. عدنان درويش. دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٧٧.

- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ./٨٨٩ م.):
المعارف، د. ثروت عكاشة. القاهرة، المعارف، ط ٢، ١٩٦٩.

- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ./١٢٨٣ م.):
آثار البلاد وأخبار العباد. بيروت، صادر، ١٩٦٩.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١ هـ./١٤١٨ م.):
صبح الأعشى في صناعة الانشا. القاهرة، تراثنا، بدون تاريخ.

- ابن كثير، أبو الفدا اسماعيل (ت ٧٧٤ هـ./١٣٧٣ م.):
- الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث. بيروت، الفكر العربي، بدون تاريخ.
- البداية والنهاية. بيروت، المعارف، ط ١، ١٩٦٦.

- مجير الدين الحنبلي، عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن (ت + ٩٢٧ هـ./ + ١٥٢١ م.):
الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. عمان، المحتسب، ١٩٧٣.

- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ./١٦٣٢ م.):
- أزهار الرياض في أخبار عياض. ت. مصطفى السقا وغيره. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩. (جـ ١)
- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب. ت. د. احسان عباس. بيروت، صادر، ١٩٦٨.

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ./١٤٤٢ م.):
- البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب. ت. عبدالمجيد عابدين. القاهرة، عالم الكتب، ط ١، ١٩٦١.
- الخطط المقريزية «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار». بولاق، ١٢٧٠ هـ.
- السلوك لمعرفة دول الملوك. ت. د. محمد مصطفى زيادة، و د. سعيد عبدالفتاح عاشور. القاهرة، مختلفة.

- الملطي، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن (ت ٣٧٧ هـ./٩٨٧ م.):
التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع. بغداد، المثنى، ١٩٦٨.

- ابن منظور، جميل الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ./١٣١١ م.):
لسان العرب. القاهرة، المعارف، بدون تاريخ.

- مؤرخ شامي مجهول:
حوليات دمشقية. ت. د. حسن حبشي. القاهرة، الأنجلو، ١٩٦٨.

- النعيمي، عبدالقادر بن محمد (ت ٩٢٧ هـ./١٥٢١ م.):
الدارس في تاريخ المدارس. ت. جعفر الحسيني. دمشق، المجمع العلمي، ٤٨ - ١٩٥١.

- ابن هداية الله الحسيني، أبو بكر (ت ١٠١٤ هـ./١٦٠٦ م.):
طبقات الشافعية. ت. عادل نويهض. بيروت، الآفاق الجديدة، ط ١، ١٩٧١.

- اليافعي، عفيف الدين أبو محمد عبدالله بن أسعد (ت ٧٦٨ هـ./١٣٦٧ م.):
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. بيروت الأعلمي، ط ٢، ١٩٧٠.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله (ت ٦٢٦ هـ./١٢٢٨ م.):
- معجم البلدان. بيروت، صادر، ١٩٧٧.
- المشترك وضعا والمفترق صقعا. بغداد، المثنى، بدون تاريخ.

ثانياً - المراجع

أ - المراجع العربية:

- أحمد أحمد بدوي. الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام. القاهرة، نهضة مصر، ١٩٧٢ م.

- أحمد السعيد سليمان - الدكتور. تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة. القاهرة، المعارف، ١٩٧٢ م.

- أحمد شلبي - الدكتور. موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية مج ٥. القاهرة، النهضة المصرية، ط ٣، ١٩٧٧ م.

- أحمد صادق الجمال. الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي. القاهرة، القومية، ١٩٦٦ م.

- أحمد مختار العبادي - الدكتور. قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام. بيروت، النهضة العربية، ١٩٦٩ م.

- أنتوني ناتنج. العرب تاريخ وحضارة. تر. محمود مسعود. القاهرة، الهلال ١٩٨٠ م.

- بشار عواد معروف - دكتور. الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام. القاهرة الحلبي، ط ١، ١٩٧٦ م.

- جاستون فييت. القاهرة مدينة الفن والتجارة. تر. د. مصطفى العبادي. بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٦٨ م.

- جوانفيل. القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام. تر. د. حسن حبشي. القاهرة، المعارف، ط ١، ١٩٦٨ م.

- حسن الباشا - دكتور. الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار.

القاهرة، النهضة العربية، ١٩٧٨ م.

- ـــــــ . الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية. القاهرة، النهضة العربية، ١٩٦٥ م.

- حكيم أمين عبدالسيد - الدكتور. قيام دولة المماليك الثانية. القاهرة، القومية، ١٩٦٦ م.

- رفعت فوزي عبدالمطلب - الدكتور. توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته. القاهرة، الخانجي، ط ١، ١٩٨١ م.

- ستانلي لينبول. سيرة القاهرة. تر. د. حسن ابراهيم حسن وغيره. القاهرة النهضة المصرية، ط ٢، بدون تاريخ.

- .... طبقات سلاطين الاسلام. تر. مكي طاهر الكعبي. بغداد، البصري، ١٩٦٨ م.

- ستيفن رنسيمان. تاريخ الحروب الصليبية. تر. د. السيد الباز العريني. بيروت، الثقافة، ٦٧ - ١٩٦٩ م.

- سعيد عبدالفتاح عاشور - دكتور. أضواء جديدة على الحروب الصليبية. القاهرة الدار المصرية، ١٩٦٤ م.

- ـــــــ . الأيوبيون والمماليك في مصر والشام. القاهرة النهضة العربية، ١٩٧٦ م.

- ـــــــ . الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى. القاهرة، الأنجلو المصرية، ط ٢، ١٩٧١ م.

- ـــــــ . (بالاشتراك). دراسات في تاريخ مصر في العصور الوسطى والحديثة. القاهرة، النهضة العربية، ١٩٧٣ م.

- ـــــــ . العصر المماليكي في مصر والشام. القاهرة النهضة العربية، ط ١، ١٩٦٥ م.

- ـــــــ . قبرص والحروب الصليبية. القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥٧ م.

- ــــــــ . المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك القاهرة، النهضة العربية، ط ١، ١٩٦٢ م.

- ــــــــ . مصر في عصر دولة المماليك البحرية. القاهرة، النهضة العربية، بدون تاريخ.

- ــــــــ . (بالاشتراك). مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني. القاهرة، النهضة العربية، ط ١، ١٩٧٠ م.

- شاكر محمود عبدالمنعم - الدكتور. ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الاصابة جـ ١. بغداد، الأوقاف، ١٩٧٨ م.

- عباس العزاوي - المحامي. التعريف بالمؤرخين (١) في عهد المغول والتركمان بغداد، ١٩٥٧ م.

- عبدالسلام عبدالعزيز فهمي - دكتور. تاريخ الدولة المغولية في ايران القاهرة، المعارف، ١٩٨١ م.

- عبدالعال سالم مكرم - الدكتور. المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة. بيروت، الشروق، ط ١، ١٩٨٠ م.

- عبدالعزيز الدوري - الدكتور. بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب. بيروت، الكاثوليكية، ١٩٦٠ م.

- عبدالوهاب حموده. صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي. القاهرة، الدار المصرية، ١٩٦٥ م.

- علي ابراهيم حسن - الدكتور. استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الاسلامي العام وفي التاريخ المصري الوسيط. القاهرة، النهضة المصرية، ط ٣، ١٩٨٠ م.

- ــــــــ . تاريخ المماليك البحرية. القاهرة، النهضة المصرية، ط ٣، ١٩٦٧ م.

- على بن حسين السليماني. العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك القاهرة، دار حراء، بدون تاريخ.

- فاروق عمر - الدكتور. التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين دراسة نقدية في تفسير التاريخ. بيروت، المطبوعات الحديثة، ط ١، ١٩٨٠ م.

- ______ . الخلافة العباسية في عصر الفوضى السياسية. بغداد المثنى، ط ٢، ١٩٧٧ م.

- فايد حماد عاشور - الدكتور. العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى. القاهرة، المعارف، ١٩٧٦ م.

- فرانتز روزنثال - الدكتور. علم التاريخ عند المسلمين. تر. د. صالح أحمد العلي. بغداد، المثنى، ١٩٦٣ م.

- ______ . مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. تر. د. انيس فريحة. بيروت، الثقافة، ط ٣، ١٩٨٠ م.

- فؤاد عبدالمعطي الصياد - الدكتور. مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني. القاهرة، الكاتب العربي، ط ١، ١٩٦٧ م.

- مارغوليوس - المستشرق. دراسات عن المؤرخين العرب. تر. د. حسين نصار. بيروت، الثقافة، بدون.

- محمد جمال الدين سرور - دكتور. دولة الظاهر بيبرس. القاهرة، الفكر العربي، ١٩٦٠ م.

- محمد زغلول سلام - الدكتور. الأدب في العصر المملوكي. القاهرة، المعارف ١٩٧١ م.

- محمد صالح داود القزاز - الدكتور. الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية. النجف، ١٩٧٠ م.

- محمد عبدالله عنان. ابن خلدون حياته وتراثه الفكري. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٣، ١٩٦٥ م.

- ______ . مؤرخو مصر الاسلامية ومصادر التاريخ المصري. القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ١، ١٩٦٩ م.

- محمد محمد أمين - الدكتور. الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر. القاهرة، النهضة العربية، ط ١، ١٩٨٠ م.

- محمد مصطفى زيادة - الدكتور. حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة. القاهرة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، ١٩٦١ م.

- ــــــــ . الدولة المملوكية الأولى، الدولة المملوكية الثانية - ضمن كتاب تاريخ الحضارة المصرية، مج ٢. القاهرة، مكتبة مصر بدون تاريخ.

- ــــــــ . المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي القرن التاسع الهجري. القاهرة، ط ٢، ١٩٥٤ م.

- محمود رزق سليم - الدكتور. النيل في عصر المماليك. القاهرة، الدار المصرية ١٩٦٥ م.

- محمود محمد الحويري - دكتور. أسوان في العصور الوسطى. القاهرة، المعارف، ط ١، ١٩٨٠ م.

- مصطفى محمد مسعد - دكتور. الاسلام والنوبة في العصور الوسطى. القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٦٠ م.

- ناجي معروف - الدكتور. تاريخ علماء المستنصرية. القاهرة، الشعب، بدون تاريخ.

- نقولا زيادة - الدكتور. دمشق في عصر المماليك. بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٦٦.

- وليم موير - السير. تاريخ دولة المماليك في مصر. تر. محمود عابدين، سليم حسن. القاهرة، المعارف، ط ١، ١٩٢٤ م.

- يوشع براور. عالم الصليبيين. تر. قاسم عبده قاسم وغيره. القاهر، المعارف، ط ١، ١٩٨١ م.

ب ـ المراجع الأجنبية:

- Dunlop, D. M. Arab Civilization to 15°'', London, 1971.

- Lane - Poole, Stanley.A History of Egypt in the Middle Ages, London, 1636.

- Rice, David Talbot. Islamic Art, London, 1979.

ثالثا - المعاجم والموسوعات

- خير الدين الزركلي. الاعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين. بيروت، ٣٧، بدون تاريخ.

- دائرة المعارف الاسلامية. القاهرة، الشعب، بدون تاريخ.

- عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية. بيروت، دار احياء التراث العربي، بدون تاريخ.

رابعا ـ المقالات والدوريات

ـ د. حسن حبشي. الاحتكار المملوكي وعلاقاته بالحالة الصحية. القاهرة، حوليات آداب عين شمس، مج ٩.

ـ د. سعيد عبدالفتاح عاشور. الأمراء الرقيق. الكويت، مجلة العربي، العدد: ٢٧٥ ـ أكتوبر، ١٩٨١.

ـ الشاطر بصيلي عبدالجليل. الكارمية. القاهرة، المجلة التاريخية المصرية مج ١٣ ـ ١٩٦٧.

ـ د. شاكر محمود عبدالمنعم. شاعرية ابن حجر العسقلاني. مكة، مجلة البحث العلمي والتراث الاسلامي، العدد الثاني ـ ١٣٩٩ هـ.

ـ د. صبحي لبيب. التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى. القاهرة، المجلة التاريخية المصرية، مج ٤ جـ ٢ ـ مايو ١٩٥٣.

ـ د. عبدالمنعم ماجد. موقف المصريين من حكم المماليك في العصور الوسطى. القاهرة، حوليات آداب عين شمس، مج ١٢.

ـ د. عطية القوصي. أضواء جديدة على تجارة الكارم. القاهرة، المجلة التاريخية المصرية، مج ٢٢ ـ ١٩٧٥.

ـ فؤاد سيد. شروط المؤرخ في كتابة التاريخ والتراجم، خمس فتاوي لم تنشر لخمسة من أعلام القرن التاسع الهجري. القاهرة، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٢.

ـ كوركيس عواد. استدراك على مقال محمد راغب الطباخ (الآتي). دمشق، مجلة المجمع العلمي العربي، مج ١٧ ـ ١٩٣٧.

ـ محمد راغب الطباخ. مخطوطات ومطبوعات انباء الغمر بأنباء العمر. دمشق، مجلة

المجمع العلمي العربي، مج ١٦ - ١٩٣٦.

- د. محمد مصطفى زيادة. بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك. القاهرة، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة (فؤاد الأول)، مج ٤ - جـ ٢، ط ٢، ١٩٥٣.

- يوسف أبكار روفيج أوربلي. جداول التحويل لسنوات الهجرة الى السنوات الميلادية تر. د. حسين قاسم العزيز. بغداد، مجلة المورد، مج ٣ جـ ٤ - ١٩٧٤.

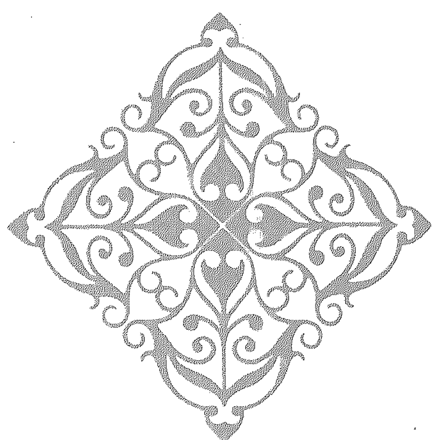
المحتويات

الباب الأول

«ابن حجر العسقلاني: دراسة حياة»

الباب الثاني

«منهج ابن حجر في كتابه الانباء»



دار اقرأ
للنشر والتوزيع والطباعة